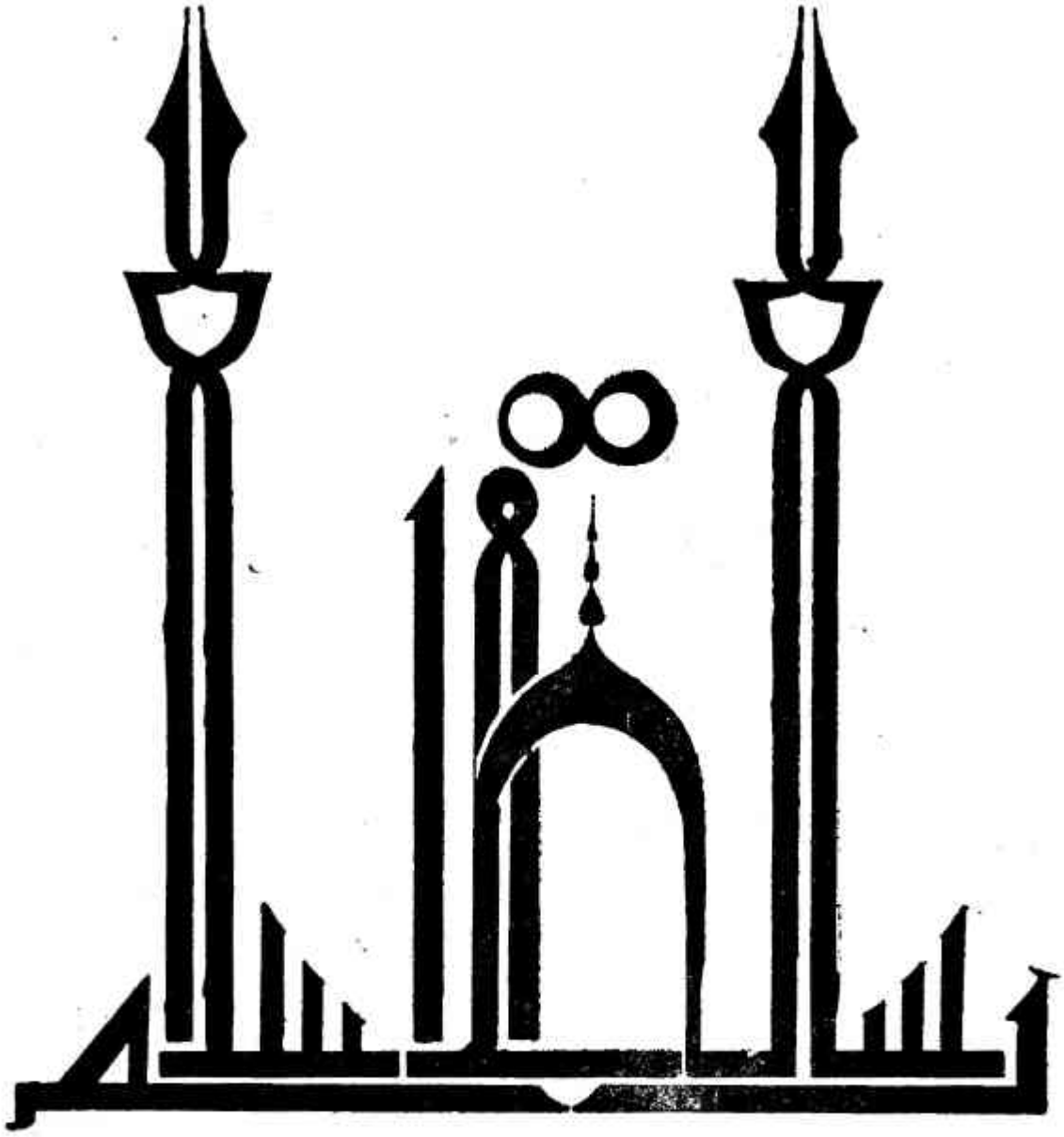

العدد (١ ، ٢)　　السنة الخامسة　　ربيع الثاني ١٣٩١
مايس ١٩٧١

مطبعة الارشاد ـ بغداد

أخـــــــــي

اخي المشترك ، أخي الكاتب ، أخي القارئ،

ان رسالة الاسلام رسالتك ، مداد قلمك ، حروف درسك ومحادثتك ، تشتكي اليك من حقها ذلك فاصغ يا اخي الى شكاتها تريدك ، ناصرا لها دائما كما عهدتك • كن عونها على تذليل مشكلاتها المالية ، وتسديد بدلات الاشتراك فيها وكن لها ، قلبا ، يحنو ولسانا يدعو ، ونفسا يصعد ، كما أنت وكما كنت وكما تكون « فان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا » •

رسالة الإسلام

مجلة فكرية شهرية تصدر عن

كلية اصول الدين

باللغتين: العربية و الانكليزية

رئيس التحرير المسؤول

محمد عبد الساعدي

سكرتير الادارة

ضياء الدين العسكري

المراسلات

لشؤون التحرير: باسم رئيس التحرير

لشؤون التوزيع: باسم الشيخ علي العسكري

لشؤون المالية والمقولات

باسم محاسب الكلية

السيد مصطفى عبود

بغداد. كلية اصول الدين

كرادة خارج

هاتف التحرير والادارة ٩٨٥٠٥

هاتف المحاسب والتوزيع ٩٠٣٦٦

رسالتنا : التدخل الرباني ومولد الرسالة . . ٥

كلمة التحرير : قيادة ولكن على عين الله . . ٩

الشبهة حول اعجاز القرآن ٢١

الرق في الاسلام . . ٢٩

اثر القرآن في الصحيفة السجادية . . . ٤١

التخطيط السياسي في السيرة النبوية . . ٥٨

طريق الخلاص عند اللا منتمي وعند الشخصية الاسلامية ٧٦

الشيخ الطوسي . . ٨٦

جنينة الشعر . . . ١٠٣

يا شباب التوحيد : محمد صالح الظالمي . . . ١٠٣

مع أبي الشهداء في ذكراه ١٠٧

لقاء ورسالة . . . ١٠٩

ايا درب الحسين . . ١١١

ردود اسلامية على بعض المستشرقين . . . ١٢٤

حول الحركة الاستشراقية ١٣٥

كتب جديدة في الميزان . ١٤٧

حول النصوص الاسلامية ١٦٧

مخاطر في خواطر نعيمة . ١٨٦

اساطير تشوش على المسلمين تاريخهم . . ١٩٥

ومواضيع اخرى . .

بسم الله الرحمن الرحيم

التدخل الرباني
ومولد الرسالة

(هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) .

كان المنطق الرباني للتاريخ يفرض على الرسالة المنقذة ان تشرف على العالم من بلد الاميين وتدخل التاريخ من زاوية ليس لها تاريخ وتحملها كف طاهرة من ادناس الجاهلية بعيدة عن امجادها المزيفة لكي تستطيع هذه الكف ان تصنع بالرسالة الجديدة : اعظم تحول في تاريخ الانسان .

وخلافا لذلك منطق الانسان الجاهلي وما عاشه من تطلعات وتصورات عن الرسالة المنقذة والقائد الذي يصلح للالتحام مع تلك الرسالة والاشعاع بها على العالم فقد كان منطق الانسان الجاهلي يفرض عليه حتى في حالة تطلعه الى الرسالة والقائد المنقذين ان يفتش عنهما أو ينظرهما في غير موضعهما الواقعي الذي ظهرا منه على مسرح التاريخ .

ان انقطاع صلة الانسان الجاهلي بالله تعالى ونظرته المادية الى الكون والحياة وتقييمه للاشياء على اساس الهوى والعادة كل ذلك دعاه ان يتجه ببصره وهو يفحص عن القائد المنقذ الى حيث ينسجم مع نظرته ويلتقي مع هواه وعاداته وجعله يفاجأ حين تفد المنطق الرباني للتاريخ مخططه وظهر القائد المنقذ وبيده مشعل السماء عمل خلاف كل تلك التطلعات . فالانسان الجاهلي الطبقي ـ انسان مكة الجاهلي ـ كان يترقب ان تصبح الزعامة المنقذة من نصيب احد اولئك الذين يملكون على المسرح الاجتماعي الجاه العريض والمال الوفير واسباب المجد والقوة والمكانة لان هذا هو الذي تفرضه طبيعة الاشياء في نظره

فهو حتى حين يتطلع الى عملية التغيير ويحس احساسا غامضا بان حادثا كبيرا يجب أن يدخل التاريخ لا يمكنه ان يتحرر من اطار عبودية الرجال الكبار جاهليا ولا ان يتخلص من الشعور بجبروت المال وقوة الواقع الفاسد فيترقب ان تنشأ عملية التغيير على يد هذا الواقع الفاسد الذي يجب على عملية التغيير الجذرية ان تقضي عليه وتنقضه من الاساس فاذا جاءت عملية التغيير على يد شخص لم يساهم في ذلك الواقع الفاسد ولم يصب منه حظا ولم يحض منه بمكسب فهي عملية غير طبيعية تبدو كأنها محاولة من محاولات السحرة واي سحر اغرب في نظر الانسان الجاهلي الطبقي من ان يتقدم انسان خامل في اعراف الجاهلية وتقييماتها باطروحة التغيير الكبرى التي سوف تدك معالم الواقع الفاسد بدلا عن ان يتقدم بها احد الكبار .

(ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون . وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) .

والانسان الجاهلي اليهودي الذي كان يمثل في عصر النبوة جاهلية التدين المزيف المنحرف عن رسالة الدين الحقيقية واهدافها الكبرى في الحياة لم يكن اقل من انسان مكة الجاهلي تطلعا الى عملية التغيير بل كان اكثر احساسا بان السماء قد حان دورها لتدخل من جديد حياة الانسان وتقدم الرسالة المنقذة . ولكنه كان يترقب الرسالة المنقذة والقائد الذي يتولى عملية التغيير وفقا لتصوراته المنحرفة واطاره الفكري الخاص . وبحكم نظرة الانسان اليهودي الى الدين بوصفه خصيصة من الخصائص القديمة لبني اسرائيل وتفسيره باعتباره تراثا يهوديا خاصا واداة لسيطرة شعب معين على سائر الشعوب كان يترقب ان تكون القيادة المنتظرة يهودية المولد ويشمخ على الناس من حوله بهذا الامل وكان ابعد شيء عن تصوراته القومية المنحرفة ان تهبط رسالة السماء المنتظرة في شعب اخر جاهل مشرك لا يملك ما تزعمه اليهودية المنحرفة لنفسها من تاريخ ورصيد ديني ورسوخ في الطقوس والتقاليد والشعائر . (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين) .

والانسان الجاهلي اللاطبقي الذي يؤمن بالمادية التاريخية ، في تفسير حركة التاريخ هو الاخر لم يكن من المعقول لديه ان تنطلق عملية التغيير للوضع الاجتماعي كله بما تحمل من مفاهيم وأفكار وعلاقات جديدة في أشد الاوساط تخلفا وابعد البيئات في شروطها المادية عن قيادة الحركة

الجديدة فكان تحديا هائلا لتصورات انسان المادية التاريخية ان يتحول مجتمع القبيلة فجاة الى حملة مخلصين لرسالة المجتمع العالمي والاسرة البشرية الواحدة وان يصبح انسان السلب والنهب انسانا يعيش هموم العالم ويفكر على مستوى الانسانية جمعاء وانسان واد البنات انسانا يدعو الى المساواة الانسانية بين الرجل والمرأة لأول مرة في التاريخ وان يقدم انسان الجزيرة العربية اطروحة التنظيم الاجتماعي التي نبذت كل القوانين التي كانت تعيشها الانسانية المتحضرة في اجزاء مختلفة من العالم .

هكذا قدر الله سبحانه وهكذا نفذ المنطق الرباني للتاريخ مخططه خلافا لتطلعات الانسان الجاهلي فولد القائد الرائد في جزيرة العرب وفي جزء من اشد اجزائها تخلفا واختير محمد الرسالة ، اختير شعب الجزيرة لكي يكون القاعدة الاولى في تاريخ هذه الرسالة العظيمة .

وكان في هذا التخطيط مكاسب كبيرة على مستوى النظرية والتطبيق معا .

فعلى مستوى النظرية استطاعت الرسالة ان تقدم الدليل المحسوس على ارتباطها بالسماء لانها جاءت أكبر من البيئة وكل مقوماتها والنتيجة لا يمكن ان تجيء أكبر من مقدماتها فلابد ان تكون الرسالة تعبيرا عن التدخل الرباني في حياة الانسان .

وعلى مستوى التطبيق كان شعب الجزيرة العربية أقدر على احتضان الرسالة الجديدة لا لخصيصة من خصائص العرق او الدم او لاعتبار من الاعتبارات القومية المنخفضة بل لاسباب أخرى ترتبط بوضعه التاريخي والاجتماعي والسياسي .

فمن الناحية التاريخية كان شعب الجزيرة العربية هو الوريث المنحرف للحنيفية التي دعا اليها ابو الانبياء ابراهيم عليه السلام وبالرغم من انحرافه وتشويهه للتراث الذي انحدر اليه تاريخيا من دعوة ابي الانبياء فقد كان لا يزال يحتفظ بجزء منه ويجسده بشكل واخر في سلوكه وتقاليده وهذا ما جعل الاسلام يمضي ويقر جملة من اعراف المجتمع الذي نشأ فيه .

ومن الناحية الاجتماعية كان لابد للرسالة الجديدة بوصفها رسالة بناء اساسي للانسان ان تمارس عملها في حقل أقرب ما يكون الى السذاجة وبساطة الفطرة الى جانب قدر معقول من الذكاء والارادة والصلابة لان

الارضية كلما كانت أكثر تعقيدا زاد تذليلها صعوبة ٠

ومن الناحية السياسية كانت الرسالة الجديدة بحاجة الى مجتمع يعيش فراغا سياسيا يفسح المجال للرسالة ان تملأ هذا الفراغ لانها لم تكن تحاول تجديد الصلة الفردية بين الانسان وربه فحسب بل كانت تستهدف ان تجدد كل الصلات والعلاقات الاجتماعية على أساس الايمان بالله تعالى وتتولى قيادة المجتمع في كل المجالات ٠ ومن الواضح ان أى مجتمع آخر من المجتمعات المتحضرة التى كانت قد بلغت درجة كبيرة من الرشد السياسي لم يكن بالامكان تسليم قيادتها دون اصطدام مرير مع الكيانات السياسية الحاكمة ٠

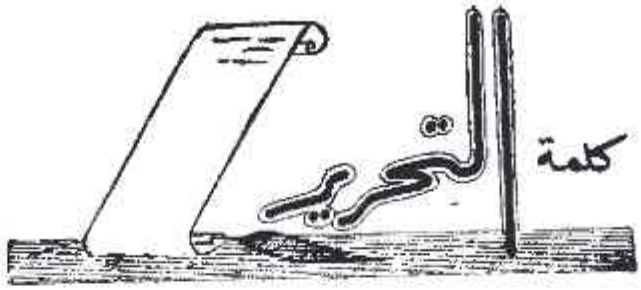

قيادة ولكن على عين الله

محمد عبد الساعدي

● في مجتمع جغرافي لا منظم ، يعيش نهزة القاهر ، ومذقة الشارب وقبسة العجلان ... تحركه قصيدة شاعر ، وتثير عواطفه ، اهزوجة سامر ، وتحل طلاسمه ، اطروحة كاهن ، ودغدغات ساحر .

وفي مجتمع عالمي ـ خارج اطار جغرافية بلاد العرب هذه ـ تتقاسم السلطة فيه وعوامل التأثير في افكاره وتنظيماته وعاداته « هراقلة » الرومانية الشرقية (٦١٠م ـ ٦٤٠م) ، وكسروية الساسانية (٥٩٠م ـ ٦٥١م) وبابوية روما (٦١٥م ـ ٦٣٩م) ، واخرون ممن عرفت او ستعرف عكفا على النيران ، متعبدة للاوثان ، اهل جاهلية تعتمد الخرافة اساً لها ، والسذاجة تاسيساً على قصور نظرتها ، وهبوط فكرتها .

في ظروف فكرية وتاريخية احكمت صياغتها « مادية » الجهام « الشعوبي »(١) في مجتمعات الجيران ، و « فرآغ » اللامنتمي في جاهليات العربي .

ولد البشير ، النذير ، الرسول ، الاحمد ، المعلم الاول ، في بيت عربي عريق في نسبه وحسبه ، شريف ، في موضعه من اهله ، ومواضعات قومه

---

(١) الشعوبية هي الراسب التاريخي الجاهلي لشعوب غير عربية راجع للمزيد محاضراتنا في دروس المناقشة لطلبة الصف الرابع (٧٠ـ٧١) الجاهلية والشعوبية .

عنه ٠٠ في عام (٥٧٠م) ارتبط اسمه بحدث جلل هو عام الفيل ، الذي حمل في مذكراته ذكريات الهدم والعافية ، ذكريات الهجمة (الابرهية) من الخارج الحاقدة على البيت الكريم الذي شاءت العناية الالهية ان تكون سقايته ورعايته بيد أهل محمد الوليد واجداده كابراً عن كابر ٠

وذكريات الخيانة الاجتماعية واللصوصية (الرغالية) من الداخل ٠٠٠ وارهاصات العافية والانتصار للحق والخروج من الازمة بتعبئة ايمانيـــة جسدها دعاء الجد (عبدالمطلب) حامي حمى البيت في لحظات من القدر التاريخي ، والوجود الحياتي لأهل مكة وروادها « ان للبيت رباً يحميه » ٠

وجاء الرد في صيغة النصر ، وانهزام الفلول المتحصنة ، بالقوة والعدة الغادرة ، وكان الرد اكبر من العمل ، وحيثما خلصت النية لا يكون النصر دائماً متكافئاً مع العمل ، انه اكبر منه ، بكل ما لكلمة (اكبر) من مدلول وســـعة !

ولد البشير ، وعاش في احضـــان عبدالمطلب « محموداً في الدنيا ، ومحموداً في الآخرة » غريباً عن اهله ونواميس الحياة لدى قومه ، في اســـمه ورسمه وسيرته وسريرته ٠

هو محمد اسم جامع للمحامد كلها ، اطار كل محمدة ، وصنيعة كل حسن ، وجميلة كل احسان ٠

وكما كان « الحمد لله الرب » وحده ٠٠ كانت المحامد صيغاً قاصرة على المسمى محمد وحده من هنا صنعه الله على عينه ليكون رســـول الله وخاتم النبيين ٠

● نور شعشع متخطياً معادلات التقدير والتضريب ، الى حياة قفر عسعس فيها ظلم الجاهلية وفساد الاخلاق ٠

وكان ذلك النور بشراً رسولاً يقرأ وهو اميّ ، لقوم يقرأون ، وهم اميـــون ٠

فماذا يقرأ وكيف يقرأون ؟

يقرأ بيانا « باسم الله ، الرب ، الذي خلق ، لا باسم الطواغيت ، الارباب ، المتفرقة ، المفروقة ، المخلوقة ٠

« اقرأ باسم ربك الذي خلق »

بلغة معروفة يفهم حرفها وظاهرها سائر الناس القارئين لهـا فكان البيان « قرآنا » و « هدى » و « رحمة » لقوم « يؤمنون » هو بيان يقرؤه النبي على الناس على مهل ، ليفهموه ، حرفاً حرفاً ويعوه ، فكراً فكراً ، ويتحركون على اساسه ، حركة حركة .

كان محمد (ص) انسانا كاملاً ، صنعه الله على عينه ، واختاره بارادته ليبلغ رسالته ، وهو معصوم عن الناس ، كما كان معصوماً عن افكارهم وخطاياهم واخطائهم .. ليؤدِ امانته ، ويرسم منهجه في الحياة .

لم يكن داعية مكسب طبقي ، او منصب وظيفي ، او جاه اجتماعي انما هو داعية مبدأ ورسول هداية ودعوة .

« ما جئتكم بما جئتكم به اطلب اموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني اليكم رسولاً ، وانزل عليّ كتاباً ، وامرني ان اكون بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالات ربي ، ونصـحت لكم ، فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والاخرة ، وان تردوه عليّ اصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » .

● ومات الجد (عبدالمطلب) وتعهده بالرعاية والنصرة والتأييد عمـه (ابو طالب) مؤمن قريش وبعدها مات هذا الناصر ، في زحمة ايذاءات عنيفة تعرض لها الرسول واصحابه من قبل طفيليات الجاهلية ، وطحالب الحقد والحسد فيها .

ففر بدينه ودعوته الى الله ، متوجها الى الطائف ، يبحث عن ارضية تناسب العمل ، لتكون مركزاً للاشعاع والتغيير ، وهناك لم يجد ارضـاً اليّن من ارضه ، ولا مجالاً اوسع من مجالات قومه ، بل وجد الطريق شائكة ، صعبة ، فقفل راجعاً يحمل هموم أمسه ويومه وغده ، هموم دعوتـه وهموم قومـه .

وفي لحظات « الغربة » هذه و « افتقاد الناصر والمعين » لجـأ الى ربه يصعّد له دعواته شاكياً وحشة الدرب ووعثاء الطريق وثقل المهمة ولكن لم ييأس انه يرى النصر امامه .

« اللهم اليك اشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس يا ارحم الراحمين ، انت رب المستضـعفين وانت ربـي ، الى من تكلني ! الى بعيد يتجهمني ام الى عدو ملكته امري ، ان لم يكن بك عليّ غضب فلا ابالي ... ولكن عافيتك اوسع لي يا ارحم الراحمين » .

● في هذه اللحظات يتلقى الرسول القائد (ص) كلمات من ربه يتجاوز بها تحديات واقع قومه ، واشواك طريقه ، في تعبئة معنوية اعلى ما خطط لها الله سبحانه وانسب ما تبلغه نفسية القائد وشخصيته المصاغة على (عين الله) .

العطاء الالهي اثر دائما ، وخصوصا في مواقف الدعوة واخطارها يأتي متناسبا مع الجهد الخير ، والنية المخلصة ، والنفس المبايعة وجاء الجواب دعما للرسالة ، وتثبيتا للرسول ، وتحديدا لشخصية الدعوة .

عطاء ثري ، ترضى به نفس القائد العظيم ، ويرضاه هو لممارساته الدعوتية والعملية في خط دعوته .

وضع ايجابي ، بنجح طلبته ، وتسديد مسيرته ، تتبدد على رؤاه سحائب مشاهد التعذيب، والتهجير، والتشريد والمقاطعة والعزل الاجتماعي، وتغفو خلق بيارق النصر والفتح المرئية فيه ، عنعنات العنصر والجاه ، والصداقة الجاهلية ، وتلين ـ على سلامة اتجاهه وخلوص نيته ـ شبهات اليبس العاطفي والنزوع الشعوبي .

« ولسوف يعطيك ربك فترضى »

ثم ماذا ؟

رحلة مباركة مع الله « من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى » محفوفة بالبركة واليمن والعطاء ، وبطريقة كانت هي (الاسراء والمعراج) .

جزء من عملية انشاء القائد على عين الله ، ليكون في مستوى ما يواجهه ، من ثقل المسؤولية ، ووعثاء الطريق ، زخم فكري وروحي ، مدخل صدق للرسالة ، ومخرج صدق للرسول يستوعب بها ـ ضمن رؤية ربانية للآيات (لنريه من آياتنا) ـ ابعاد رسالته وهموم دعوته ، في لحظات عرض واقعي لمشاهد اليوم والعصر والصبح والزمان ، بكل ما تحفل بـه هذه المشاهد الواقعية من آلام وآمال ، وما ينكشف منها له رؤى العين ما قد كان وما هو كائن وما يكون ... لحظات مكاشفة من نوع خاص ، تستبان منها الآيات ، وتتقوى فيها العزمات ، وتثقل عندها « المهمات » .

« انا سنلقي عليك قولا ثقيلا »

ولحظات كشف حساب ـ على وجه غير معروف ـ يأخذ من ربه المدد فتصفو نفسه ، وتنزع عنها أتعاب الامسيات المضنية ، وعنت القوم الجاهليين وارهاقهم .

فيعيش الامل في كليته ، في روحيته ، في صدامه مع دهاقنة واقع قومه، فينطرد منه الم فراق احبته وناصريه مؤمن قريش أبي طالب (العم) ، وشريكة صراعه ·· خديجة (الزوجة) وهو الامر الذي شكاه من قبل تلك اللحظات الى ربه « الى من تكلني يا رب ، الى بعيد يتجهمني ، ام الى عدو ملكته امري ، ان لم يكن بك عليّ غضب ، فلا ابالي ، ولكن عافيتك اوسع يا ارحم الراحمين » ·

فكانت هنا ـ في هذه اللحظات ـ العافية الواسعة ، والامداد العظيم ، فتلقى النداء حيث كان من الله ، قاب قوسين او ادنى ، وهو غاية ما يتمناه ويسعد بتحقيق رؤاه · قرب لا يخضع لمقاييس البعد المكاني ، كما لا نجد لدى مفهوم البعد الزماني اية مقولات مادية له ·

ماذا ترى بعده ، قيمة بعد الجاهلية عنه وغربته فيها ! وماذا ترى بعده ، قيمة فراغ الاحبة والناصرين وهو هناك عند القيمة الناصرة ، المحبة ، الرحيمة كلها ··· عند الله !

كان هذا على صعيد كيانه النبوي (الشخصي)

أما على صعيد كيان دعوته ، فهو تثبيت له واظهار لسمته وتحديد لهويته ، واستقلال لشخصيته الاسلامية ·

تغييرات وتحولات جوهرية ، كانت وراء الحدث العظيم تحديداً لوسطية الامة بين الامم وشهادة الرسالة والرسول على الناس كافة وابرازاً لارادة الخير ، التي اخرجت بها للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، لا أمة جبروت ، ولا أمة استعلاء « سيقول السفهاء من الناس ما وليهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ، قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ، وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا »(١) ·

● لقد تظاهرت كل قوى الجاهليات ، والردات العنصرية ، على حرب الرسالة الجديدة ، مستهدفة شخص القائد العظيم ، الذي فهمته الجاهلية تماماً ، واستوعبت جوانب التحدي فيه « والظهور » على الفكر والدين كله بوصف رسالته ، تعبيداً مغايراً لقاعدة اساسية معاشة تحكم تصرفات واعمال الانسان الجديد ، انسان القيم الخيرة ، والتاريخ الرباني فهمته

---

(١) البقرة ١٤٢ ـ ١٤٣ ·

وهو يوجه التاريخ من يومه توجيهاً ربانياً على « عين الله » ، كما تعهدته هو داعية ، للدعوة المحيية ، مختاراً على « صبغة الله » .

وفهمت دعوته ، عقيدة الهية ينبثق عنها نظام للحياة ، وبرنامجا عمليا يحتضن كل مضامين الخير والتقدم والفضيلة ، ويوفر ـ في تطبيقه السليم ـ كل ضمانات العدل الاجتماعي ، وتطلعات الخير والسؤدد ، في الآخرة والاولى .

فراحت الجاهليات الارضية تدفع من ثقلها في ميدان الصراع لتحجب هذا النور عن ان تتلمس الحياة اليائسة اليابسة ، بعضاً من تلكم الاشعاعات.

فجندت قابلياتها ، وعبأت قواها المبعثرة متوسلة بتجاريب اليهودية الماكرة ، في مواجهة رسالات السماء على مدى التاريخ لوقف تلك المسيرة الظافرة ... « وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على الهتكم ان هذا لشيء يراد » .

فاعتمدت الصد والمقاومة تارة ، واساليب التشكيك ونشر الشبهات وحكايات الجنة والسحر ، والتواطؤ مع اليهود تارة اخرى .

● وبالعمق الذي كانت تواجه به دعوة الاسلام واقع المجتمع الجاهلي الاول ؛ كانت السذاجة والسطحية ، والبدائية ، التي تفتح بها جميع جبهات حربها ، ومقاومتها هي الايديولوجية ، الوحيدة (المبررات الفكرية) التي استوعبتها الجاهلية الاولى، في جملة ابعادها الجاهلية ، ذات النظرة البدائية الضيقة ، والتصورات الساذجة ، تجاه الكون والحياة والانسان ، في محاولة يائسة منها ، لحجب ذلك النور الالهي المشرق عن ان تمتد اشعاعاته الخيرة ، الى مجالاته الخصبة من حياة راان عليها السكون المظلم فترة غير طويلة افتقدت فيها وحي السماء واشتاقت فيها كثيراً الى هديها وعطائها .

● في صياغة محمد (ص) ، توفرت شروط القيادة المعصومة المنقذة، التي تتوفر وحدها على التماس « المخرج الاجتماعي » ومسك زمام « المبادرة التاريخية » الاساس ، ضمن مسار التخطيط الرباني للتاريخ ، بوصفه اللبنة ، وبوصفه خاتم النبيين .

« مثلي ومثل الانبياء من قبلي ، كمثل رجل بنى بنياناً فاحسنه ، وأجمله ، الا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ، قال : فانا اللبنة وانا خاتم النبيين » .

● وفي ضمانات النبوة والعصمة ، وصل للرسالة بمصدرها، وتعريف عام بهويتها الالهية . وصلتها بالله ، صـــلة « البعث » و « الارســـال » و « الاختيار » و « الانزال » و « التنزيل » تتهافت امام براهينها الساطعة ، وحججها الدامغة ومحجتها البيضاء ، كل دعاوى « الانبعاث » و «والعبقرية» و «القدر التاريخي » و « وليد الآمال والآلام » .

وتنقطع والى الأبد كلية وشائج الارض ، عربية واجنبية ، بكل ما حفلت به ، وتحفل به ، صيحات الارض ، وارهاصات عمارها ، وافضال اطروحاتها.

● وفي حياة محمد « الانسان » صيغة واحدة من التعامل ـ الاحساس الخلقي ـ في مواجهة الاغيار ، منسجمة مع فكرته ، مرتبطة باهداف دعوته ، ينمي ما قبل البعث فيها الى ما بعده ، في حلقة امتداد ثري ، ومعطى ايجابي، استقطب كل معاني « الصادق » و « الامين » و « الرائد » و « العادل » في منظورات اهل زمانه ، ومناظراتهم .

وهي في مقومات الزعامة عند محمد (ص) ارض مبسوطة كانت « الثقة » حرثا لها ، ثقة القاعدة بالقائد ، والحس المصلح ـ الذي وجد مكانه في حل معضلة نقـل الحجر الاسود ، وتوجيه الذهنية العامة ، لحـلف الفضول وغيرها ، رواسي لها .

● في فضائله الفردية ، كما في فضائله الاجتماعية ، كما في افضـال دعوته حياة ، لحمها الرسالة الالهية ، ودمها الرسول (محمد) ، وشرايينها العمل الجاد ، والنضال المنتج والجهاد .

● لقد مكن الرسول المنقذ ان يدخل قلوب الناس (يتلو عليهم آياته) وان يلمس عواطفهم ، (ويزكيهم) ويطرح لهم شريعة ، محكمة ، مضبوطة هي مجموعة الاحكام والتعاليم ، التي توجهت لحياتنا « بالتنظيم » ولاراداتنا « بالتسليم » ولنفسياتنا بالتغيير . ولكنه لم يترك ذلك الى مجرد اسلوب الموعظة الحسنة ، والتوجيه الاعلامي ، بالكلمة المسموعة ، أو المقروءة ، أو المكتوبة ، وان كانت هذه مخاطبة تربوية لتكييف علاقات الانسان بخطاب الله ، بالحكمة والموعظة الحسنة .

كما لم يترك ذلك الى اسلوب التربية « بالقدوة » و « المثال » سـواء عن طريق المحاكاة ، والتقليد ، أو عن طريق التأسي الواعي ، والتعميد ، وان كان لنا في رسول الله اسوة حسنة .

ان هذين الاسلوبين ، قد يكونا في ظرف علامات صحة في المسار : كما قد يجعلهما ظرف آخر علامات مرضية !

لقد تجاوز الرسول القائد ـ بعمله ومنهاجه هذين الاسلوبين وغيرهما، بعد ان اجازهما ، ورتب لهما مواقع جواز ، شوكة المردود العاطفي ، المتمثل بعمق التدني الاعلامي ، الذي توسلت به الجاهلية ولا تزال من اعتماد « الاكذوبة » و « الشبهة » و « التخريف » وحكايات (الرجوعية والافك القديم) .

تجاوز الرسول هذا الاسلوب بل ودعمه باساليب اخرى ، اقوى فعلاً ، واثبت كيانا ، ذلك هو اسلوب «المرجع» الآمر الناهي ، الذي يحرس الفكرة ويوفر لها ضمانات الفتح والتبشير .

من هنا وضع الرسول في اس تخطيطه لقلب مجتمع الجاهلية الاولى ، استبدال سلطان الاسلام بسلطان الجاهلية ، ودولة الاسلام بدويلات الجاهلية ، ليعمل سلطان الدعوة الرسمي دوره الفاعل ، في التغيير بوصفه الحارس والضمين للفكرة (المبدأ) ، والقاعدة « الأساس » التي تنبثق عنها كلفة مفاهيم الاجتماع ، والسلوك ، ومقولات التربية التي بها جميعا يصاغ المجتمع الذي يعيش فيه انسان الاسلام ، في اطار الاسلام العظيم ، وحدة في القاعدة الفكرية « التشريع » ، ووحدة في القاعدة الشعبية (الامة) ووحدة في القيادة العملية « الدولة » . وهو ما توفرت له قيادة محمد (ص) .

● كان (ص) المغيّر الاول الذي عبر عن منهج الاسلام الانقلابي ، في السلوك والاعراف والعادات والمظاهر ، فبدلّ الانسان غير الانسان ، واحال الارض الى غيرها ، في جملة من الاسس التغييرية ، اعتمدها اساً لبناء انسان جديد ، وحضارة جديدة ، وفي تعابير اخرى من المعاملات التربوية ، والمعالادت الاجتماعية[1]، التي نفخت في مجتمع الرسالة، من روحها وفكرها، روحاً اخرى ، وفكرية اخرى .

فكان الناتج التغييري :

= ان التغيير الروحي والفكري هو اساس اية عملية تغييرية

---

(١) تجد شرحاً وافياً لهذه القوانين التغييرية والمعادلات والمعاملات وغيرها في كتابنا القادم انشاء الله « التغيير الاجتماعي كما تحدث القرآن » تحت الطبع .

= وان التغيير الفوقي وتغيير اداة الفعل الاجتماعي وغيرهـا عوامل مساعدة تحت ظرف اجتماعي معين ، ومختزلة تحت ظرف اخر ، بل ربما هي مؤكسدة في ظروف اخرى .

بهذا المنطق الانقلابي تحدى منطق الرسالة ، المنطق التاريخي في التغيير والانقلاب ، كما تحدى منطق الجاهليات (الساذجة والمعلمنة) على مدى التاريخ .

« فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

● علينا اذن ونحن نواجه ذكرى مولد القائد العظيم ان نراجع مفاهيمنا ، عن المناسبة ، وطرائق اعتدناها ، لتبخير المناسبة نجتر منهـا آيات الاعجاب ، والعظمة ، والخلود !

أوسمة بطولة ونياشين فخار لجيلنا ، الذي راح يغرق في تيه الشكليات العرفية، بدرجة تناسى فيها تعاليم الوليد الكريم، وقرآنه المجيد، في غياب التوجيه الصالح ، والتربية العملية ، التي غرسها صاحب الذكرى في نفوس الناس وعواطفهم ووجداناتهم .

فانها « تذكرة » لي ، ولك ، ولكل المسلمين ، وليست ذكرى عابرة ! انها تذكرة حياة ، وسلوك ، ندرسها كل يوم ، حينما نلتقي مع الله ، في صلواتنا ، حيث نشهد ان محمداً رسول الله ، وحينما ندعوا الله سبحانه بالصلوات ، والبركات ، على النبي واله الطاهرين ، « اللهم صل على محمد وآل محمد » .

وفي صلاتنا ، حيث ندعي وصلها برسالته ، ونسبتها الى تعاليم قرآنه .

حيث نتلوا « ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين بهذا امرت وانا اول المسلمين » .

صلاتنا بالله في صلواتنا ، وصلاتنا بالناس في معاملاتنا ، وصلاتنا بالاسلام في غائية عملنا .. في كل اولئك نعيش ذكرى قائد المسلمين الاعظم (ص) ، نعيشها ، ونمتزج بها وان كنا لا نتجمل باللباس الرقيق ، واللفظ الموسوق ، والخطب ذات الرنين ، نسمعها الاثير في يوم من السنة ، تحكم الصدف دائماً مسار الاهداف والخصوصيات فيه .

● ان للذكرى في وعينا ـ وهي ذكرى الرسالة والرسول معا ـ مدلولاً عاطفياً ، كما كان لها مدلول فكري .

ولئن كنا قد اشبعنا الجانب العاطفي من الذكرى ، منذ زمان بعيد ، بصورة نحسد عليها ، من الرنة ، والنفحة ، والكبرياء ، التاريخي ، نغطي به عجزنا عن صنع حاضرنا ، وكبوتنا الفكرية امام غارة الكفار والمستعمرين علينا ، وتهافتنا على الرخيص من بعد لا يتجاوز بعده ، المسافة بين اليدين الى الفم !

لئن كنا قد اشبعنا يومنا بذلك ، فانه لا يزال يشكو جوعة ومنذ أمد بعيد ، الى فكر الذكرى وعطائها الروحي ... ان انساننا المعاصر الذي عجم الفكر المختلفة ، نظريات وتطبيقا ، صار احوج ما يكون الى « المنقذ الفكري » و « الوسط الرسالي » الذي تمنحه اياه « فكرية الذكرى » في جانبها الآخر وان انساننا المسلم المعاصر بالخصوص اكثر حاجة من غيره ، ان يراجع نفسه ، ويزن حياته ، بموازين صاحب الذكرى ، فلماذا هذا البعد الواسع بين امسنا ، في زهوه ، وعظمته ، وبين يومنا في بؤسه ، وصغاره ؟! ولماذا تغيّر حسّ التغيير عندنا ، وارادة الصبر في مجهودنا ؟! أمن قصور في الذات المسلمة ام ماذا ؟!

● ان نظرة تقويمية لوجودنا الرسالي ، والعملي ولحظة فحص وامتحان لكل مقومات هذا الوجود ، ومراجعة واقعية لمفاهيم الانتفاخ ، والكبر ، والعلو ، التي طبعت صبغة الحياة في انفسنا ، وفي اعمالنا ، ان مراجعة كهذه ، تقع في النقطة المقابلة ، من حركة وعي الامة وتنهيج انطلاقتها .

وان فحصاً موضوعياً كهذا الذي نريد يجب ان لا يقتصر على جانب مخصوص من وجودنا الفكري والحياتي بل لابد ان يشمل جميع شعب الحياة عندنا ، وجميع مظاهر سلوكنا والظاهر من أقوالنا وأفعالنا .

بهذا وحده نستطيع ان نترجم كل احتفالاتنا وذكريات ابطالنا الى وجهة تحويل ، والى حركة تغيير .

وبهذا وحده ، نرتفع بمناسباتنا عن ان تكون « كوة » للتبخير الى معمل للتحويل !

علينا ان نحول عواطفنا ، ومشاعر الفرحة ، أو الحزن في مناسباتنا ، الى رأي ، شعبي منتج ، موجب ، يحكم ضوابط المقاييس والتقييم في نظرتنا للافعال والفاعلين .

علينا ان نعيش هموم « الطبقة الوسطى » فالله الله ، في الطبقة

الوسطى ، ان نقترب اليها ، ونقرب منها ، ونتحسس آلامها ونبلور لها ، آمالها وتطلعاتها .

ان يرتفع العامة الى مستوى الخاصة ، وان ينزل الخاصة عن عليائهم ليفهموا العامة امر يشكل قدرة فعل تحويلي ، يهزأ دوماً بحكايات الانتفاخ والكبر العلمي التي مررت على بخارها دائما مؤامرات الفصل الوظيفي ، بين الرسالة والرسول ، بين اعتماد الحب الرسولي ، مجرداً عن عقيدة الرسالة وبطولته ، منفصلة عن مسار التاريخ الرباني وترديد مناقبه الشخصية في غير ارتباط عضوي بمناقبية رسالته الاجتماعية وبين فهمه ، فهماً موضوعياً كليا اداة معصومة للدعوة ، مريدا ، وشخصية فاعلة هي في الحصيلة الاجتماعية تجسيداً للفكرة ، وتطبيقاً للنظرية ، فما كان هو أبا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين !

هكذا كان ....

● ارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر هنا ، ومن خلال ذكرى المولد العظيم ، الى ماضي الدعوة وحاضرها ، ولا اعدمك الوسيلة ان احلت الطرف الى مستقبلها لا رجماً بالغيب ، وانما استنطاقاً للافعال ، فربما قرأت نتيجة عملك اللحظة ، وهو بعد ، لا يزال بذرة تتعهدها الايادى المؤمنة في الطريق .

ارجع البصر واعمل البصيرة ، بل وكن في عملك على بصيرة ، من أمرك مقتديا بالصالحين ، ومتبعاً للنبيين ، والصديقين ، وحسن اولئك رفيقاً ... احتضن النور وتمثله ومثله في سلوكك ، ودعائك ودعاواك ... واحتضن معه رجاله ، واعتمد ، عدة النفس الطويل ، والصبر الجميل ، وصابر ، ورابط ، وتهيأ لخوض الصراع مع أعداء الرسالة والرسول ، وتحصن بالتقوى سلاحا يفل الحديد ، واساساً يبني الانسان الجديد ... انسان محمد بن عبدالله وعلي والآل والصحب الكرام .

وتذكر دائماً ان حسّ الفداء والايثار والعيش ابدا للهموم الاجتماعية ، كانت معاملات التغيير ، التي اعتمدها الرسول الاكرم ، وفئته القليلة العدد ، المؤمنة ، المستسلمة لله ، وان هذا الحس الذي عبرت عنه اللغة الشرعية « بالجهاد » كان وراء النصر البارز ، الذي انتزعه انسان محمد (ص) في الماضي ، في مواجهة انسان الجاهليات المعاصرة له عامة ، والجاهلية (الدينية) اليهودية ، خاصة التي راحت ضحية خبثها وحقدها وانانيتها

الذاتية ، تحيك المؤامرات لاجتثاث تلك القاعدة الموجبة ، من دنيا الحياة ، والتفكير ، والعمل ·· ولكنها أصيبت مقتلا على يد المؤمنين بالله المستسلمين لقياد الرسالة ، وقيادة الرسول ·

● بيد أن هذا الحسّ الثري ، الذي صنع الحياة ، والتاريخ ، والخبز معاً ، بمزيج من دماء الاثرياء ، والصعاليك ، والمظلومين معاً ، في جامعية فكرية تتحدى المنطق الطبقي ، وتفسيرات المادية التاريخية على طول الخط·

ان هذا الحسّ قد أغتيل في الظلام ، على ايدي الجاهليات الجديدة ، التي ما فتئت تستهدف الرسالة والرسول معاً ، الرسالة في فكرتها وعقيدتها ودعوتها والرسول في سيرته ، واهل بيته ، وعلماء امته ، ومراجع التوجيه ومصادره ، بعد ان اختلفت الى حربها واجهات مختلفة ، وتجمعت على النيل منها جموع غير جامعة ·

فسرقت منها الانسان ، والارض ، والعقيدة معاً ، في خطة تغيير شامل، حتى لم تعد مسألتها اليوم مسألة تحرير ، بل هي في اعمق معانيها مسألة تطهير !

دعـــــاء

اللهم انا نشكو اليك ، فقد نبينا ، وغيبة ولينا ، وقلة عددنا وكثرة عدونا ، وشدة الفتن بنا ، وتظاهر الزمان علينا فصل على محمد وآله ، واعنا على ذلك ، بفتح منك تعجله ، وبضر تكشفه ، ونصر تعزه ····

« من دعاء الافتتاح »

الشبهة حول اعجاز القرآن

محمد باقر الحكيم

استاذ مساعد في علوم القرآن

لقد اثيرت حول اعجاز القرآن الكريم – من قبل المستشرقين والمبشرين – شبهات كثيرة نظرا لاهمية هذا البحث وعظمة الاهداف التي يحققها • وقد عرفنا في بحث اعجاز القرآن الادلة التي يمكن ان نستنتج منها أن القرآن الكريم ليس صنعة بشرية وانما هو وحي الهي ، ولم تكن الادلة السابقة تعتمد في الوصول الى هذه النتيجة ملاحظة الاسلوب البلاغي للقرآن الكريم • ولكن الاسلوب البلاغي للقرآن الكريم كان ولا زال احد الاسس المهمة التي اعتمدها الباحثون لاثبات اعجاز القرآن • وسوف نرى في أكثر الشبهات الآتية ان نقد القرآن الكريم فيها يعتمد على ملاحظة الاسلوب البلاغي له فحسب لغرض اسقاط هذا الدليل الذي يعتمد عليه أحيانا في اثبات اعجاز القرآن •

ويمكن تقسيم الشبهات الآتية الى قسمين رئيسين : الاول الشبهات التي تحاول ان تبرز جانب النقص والخطأ في الاسلوب والمحتوى القرآني ، والثاني الشبهات التي تحاول ان تثبت ان القرآن الكريم ليس معجزة لقدرة البشر على الاتيان بمثله •

القسم الاول من الشبهات حول اعجاز القرآن :

الشبهة الاولى :

ان الاعجاز القرآني يرتكز بصورة رئيسية على الفصاحة والبلاغة القرآنية ونحن نعرف ان العرب قد وضعوا قواعد واسس للفصاحة

والبلاغة والنطق تعتبر هي المقياس الرئيسي في تمييز الكلام البليغ من غيره • وبالرغم من ذلك نجد في القرآن الكريم بعض الآيات التي لا تنسجم مع هذه القواعد بل تخالفها الامر الذي يدعونا الى القول بأن القرآن الكريم ليس معجزا لانه لم يسر على نهج القواعد العربية واصولها • وتسرد الشبهة بعض الامثلة لذلك •

ويمكن ان تناقش هذه الشبهة بأسلوبين رئيسين :

الاول : ملاحقة الامثلة والتفصيلات التي تسردها الشبهة وبيان انطباقها مع القواعد العربية المختلفة وانسجامها معها • وملاحظة شتى القراءات القرآنية التي يتفق الكثير منها مع هذه القواعد ، بالشكل الذي لا يبقي مجالا لورود الشبهة عليها • وقد قام العلامة البلاغي بجانب من ذلك[1] •

الثاني : مناقشة أصل الفكرة التي تقوم عليها الشبهة ومدى امكان الاعتماد عليها في الطعن باعجاز القرآن وهذا ما سوف نقوم به في هذا البحث وذلك بملاحظة الامرين التاليين :

أ ـ ان تأسيس قواعد اللغة العربية كان في وقت متأخر على نزول القرآن الكريم وفي العصور الاولى للدول الاسلامية بعد ان ظهرت الحاجة اليها بسبب التوسع الاسلامي الذي أدى الى اختلاط العرب بغيرهم من الشعوب • وقد كان الهدف الرئيسي لوضع هذه القواعد هو الحفاظ على النص القرآني ولغته • وقد اتبعت في استكشاف هذه القواعد طريقة ملاحظة النصوص العربية الواردة قبل هذا الاختلاط أو التي لم تتأثر به • فلم تكن عملية وضع القواعد عملية تأسيس واختراع من قبل واضعي اللغة العربية وانما هي عملية استكشاف لما كان العرب يتبعه من أساليب في البيان

---

(١) الهدى الى دين المصطفى : ١/٣٣٠ •

والنطق خلال كلامهم ولذا كان الكلام العربي الاصيل هو الذي يتحكم في صياغة القاعدة وتفصيلاتها .

ولا شك ان القرآن الكريم كان أهم تلك المصادر التي اعتمد عليها واضعوا هذه القواعد في صياغتها وتأسيسها لانه اوثق المصادر العربيـــة والكلام البليغ الذي بلغ القمة .

وعلى هذا الاساس التاريخي لوجود قواعد اللغة العربية يجب ان يكون الموقف تجاهها ان نجعل القرآن هو القياس الذي يتحكم في صحتها وخطئها لا ان نجعل القواعد مقياسا نحكم بـه على القرآن . لان القاعدة العربية وضعت على ضوء الاسلوب القرآني فاذا ظهر انها خلاف هـذا الاسلوب ، يكشف ذلك عن وقوع الخطأ في عملية استكشاف القاعـــدة نفســـها .

ب ـ ثم اذا لاحظنا موقف العرب المعاصرين للقرآن الكريم ـ وهم ذوي الخبرة والمعرفة الفائقة باللغة العربية ـ وجدناهم قد اذعنوا واستسلموا للبلاغة القرآنية وتأثروا بها وذلك ايمانا منهم بانه يسير على أدق القواعـد والاساليب العربية في البيان والتعبير ، ولو كان في القرآن الكريم ما يتنافى مع قواعد اللغة العربية وأصولها لكان من الجدير بهؤلاء الاعداء ان يتخذوا ذلك وسيلة لنقد القرآن ومنفذا للطعن به .

الشبهة الثانية :

ان القرآن قد تحدث عن قصص الانبياء كما تحدثت الكتب الدينيـــة الاخرى كالتوراة والانجيل عنها وعند المقارنة بين ما ذكره القرآن وما ورد في التوراة والانجيل نجد القرآن يخالف تلك الكتب في حوادث كثيرة ينسبها الى الانبياء وامسهم الامر الذي يجعلنا نشك في ان يكـون مصدر القرآن الوحي الالهي لسببين :

الاول : ان هذه الكتب من الوحي الالهي الذي اعترف به القرآن واذا كان القرآن وحيا الهيا أيضا فلا يمكن ان يناقض الوحي نفسه في الاخبار عن حوادث تاريخية واقعية .

الثاني : ان هذه الكتب لا زال يتداولها امم هؤلاء الانبياء وهم بطبيعة ارتباطهم الديني والاجتماعي بأنبيائهم لابد وان يكونوا أدق اطلاعا على أحوالهم من القرآن الذي جاء في امة ومجتمع منفصل عن تاريخ هؤلاء الانبيـاء .

وهذه الشبهة ـ كسابقتها ـ لا يمكن ان تصمد للمناقشة اذا عرفنا ان هذه الكتب الدينية قد تعرضت للتحريف والتزوير ـ كما سوف نتعرض الى ذلك في بحث مستقل ـ وكان أحد أسباب التحريف هـو الانفصال التأريخي الذي وقع بين الانبياء وامميهم الامر الذي جعلهم غير قادرين على الاحتفاظ الديني . وقد أشار القرآن الكريم الى هذه الحقيقة عند حديثه عن امم هؤلاء الانبياء والجماعات التي نزلت فيهم هذه الكتب .

بالاضافة الى ان ملاحظة محتوى الخلاف بين القرآن الكريم والكتب الدينية الاخرى يدعونا بنفسه للايمان بصدق القرآن الكريم ، بعد ان نجد التوراة والانجيل يذكران في قصص هؤلاء الانبياء مجموعة من الخرافات والاوهام يتجاوزها القرآن الكريم ، وينسبان الى الانبياء اعمالا ومواقف لا يصح نسبتها اليهم ولا تليق برسل الله والقوّام على شريعته ودينه بل لا تليق بمصلحين عاديين من عامة البشر كما يتبين ذلك بوضوح عنـد المقارنة بين القرآن والكتب الدينية الاخرى[1] .

وقد عرفنا في بحث اعجاز القـرآن ان احدى النقاط المهمـة التي يظهر فيها اعجاز القرآن الكريم عرضه لقصص الانبياء وحوادثهم بشكل

(١) يمكن مراجعة كتاب الهدى الى دين المصطفى للبلاغي ج ٢ في هذه المقارنة .

يبعث اليقين في نفوسنا ان مصادر هذا العرض ليست هي الكتب الدينية ، ثم يأتي هذا العرض منسجما ومؤتلفاً مع النظرة الواقعية للانبياء والرسل الامر الذي يدلل على ان مصدره هو الوحي الالهي .

الشبهة الثالثة :

ان اسلوب القرآن في تناول الافكار والمفاهيم وعرضها لا ينسجم مع أساليب البلاغة العربية ولا يسير على الطريقة العلمية في المنهج والعرض وذلك لانه يجعل المواضيع المتعددة متشابكة بعضها مع بعض فبينما يتحدث القرآن في التاريخ ينتقل الى موضوع آخر من الوعد والوعيد والحكم والامثال والاحكام وغير ذلك من الجهات فلا يجعل القارىء قادرا على الالمام بالافكار القرآنية ، مع ان الموضوعات القرآنية لو كانت معروضة على شكل فصول وموضوعات مستقلة لكانت الفائدة المترتبة عليه أعظم والاستفادة منه أسهل وكان العرض منسجما مع الاسلوب العلمي المنهجي الصحيح .

وتناقش هذه الشبهة على أساس النقطتين التاليتين :

الاولى : ان القرآن الكريم ليس كتابا علميا ولا كتابا مدرسيا فهو ليس كتاب فقه أو تاريخ أو أخلاق وانما هو كتاب هداية وتربية وهدفه الاساس هو احداث التغير الاجتماعي . والاسلوب القرآني خضع لهذا الهدف في طريقة العرض وفي التدرج في النزول وفي غير ذلك من الظواهر القرآنية كوجود الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه . وهذه الطريقة في العرض من الخصائص البارزة في القرآن الكريم التي خضعت لهذا الهدف للتمكن من احداث التأثير المطلوب في نفسية الانسان المعاصر لنزول القرآن ، بل ولكل انسان يستمع للقرآن الكريم أو يقرأه .

والنتائج العظيمة التي حققها القرآن الكريم في المجتمع الجاهلي أفضل شاهد على انسجام هذا الاسلوب مع الهدف الاساس للقرآن الكريم .

الثانية : ان هذه الطريقة في العرض يمكن ان تعتبر احدى الميزات التي يتجلى فيها الاعجاز القرآني بصورة أوضح فانه بالرغم من هذا التشابك في الموضوعات تمكن القرآن الكريم من الاحتفاظ بجمال الاسلوب وقوة التأثير وحسن الوقع على الاسماع والنفوس الامر الذي يدلل على براعة متناهية وقدرة عظيمة على عرض الموضوعات وطرح الافكار .

الشبهة الرابعة :

لا شك ان ذوي القدرة والمعرفة باللغة العربية يتمكنون من الاتيان بمثل بعض الكلمات القرآنية . وحين تتوفر هذه القدرة في بعض الكلمات فمن المعقول ان تتوفر أيضا في كلمات أخرى . وهذا ينتهي بنا الى ان نجزم بوجود القدرة على الاتيان بسورة أو أكثر من القرآن الكريم لدى امثال هؤلاء لان من يقدر على بعض القرآن يمكن ان تتصور فيه القدرة على الباقي بشكل معقول .

والمناقشة في هذه الشبهة واضحة :

لان الاعجاز القرآني يتمثل في جانبين رئيسين ـ كما اشرنا سابقا ـ جانب الاسلوب والتركيب البياني وجانب المضمون والمحتوى والافكار . وفي كل من الجانبين لا مجال لهذا الوهم والخيال .

اما في جانب المضمون فمن الواضح ان القدرة على اعطاء فكرة أو فكرتين لا يعني القدرة على اعطاء هذا المقدار الكبير المنسجم من الافكار والمفاهيم وفي نفس الظروف الموضوعية والذاتية التي جاء فيها القرآن الكريم . والتحدي الذي شرحناه في بعض أبحاثنا السابقة كان ضمن الظروف الخاصة التي عاشها النبي محمد (ص) وجاء فيها القرآن الكريم .

واما في جانب الاسلوب فان القدرة على جملة أو مقدار من الكلمات لا يعني القدرة على تمام التركيب بعناصره المتعددة التي لا يمكن ان توجد

و تتوفر الا ضمن التركيب بكامله • وهذا شيء واضح لا يحتاج الى البرهان ، فاننا ندرك بوجداننا الحياتي ان كثيرا من الناس يملكون قدرة النطق ببعض الكلمات العربية ولكن ذلك لا يعني انهم قادرون على ان يكونوا خطباء أو أدباء أو شعراء ويتسمون بالبلاغة والفصاحة • كما ان كثيرا من الناس يتمكنون من القيام ببعض الاعمال البسيطة ولكنهم غير قادرين على القيام بالمشاريع الضخمة التي تتركب من تلك الاعمال البسيطة كمشاريع البناء والصناعة والفن •

الصرفه في الاعجاز القرآني :

ولعل هذه الشبهة أو الوهم هو الذي أدى بجماعة من متكلمي المسلمين ـ كالنظام ومدرسته ـ الى ان يفسروا ظاهرة الاعجاز القرآني بانها نحو من الصرفه • حيث يمكن ان يكون قد وجدوا ـ نتيجة الانطلاق من هذا الوهم ـ ان القدرة على الاتيان بمثل القرآن الكريم متوفرة ولكن عدم توفر أشخاص يأتون بمثل القرآن كان نتيجة لتدخل الهي مباشر (صرفهم) عن المعارضة والمباراة •

ولكن هذا التفسير لظاهرة الاعجاز واضح البطلان اذا كانوا يريدون من توفر القدرة عند بعض الناس وجودها فعلا لديهم ولكن الله صرف اذهانهم عن ممارستها • وذلك :

١ ـ لان محاولة المعارضة قد وقعت من بعض الناس وانتهت الى الفشل والخيبة كما تحدثنا بذلك كثير من النصوص التاريخية وتدل عليه بعض الوقائع في العصر القريب من قبل بعض المبشرين •

٢ ـ ان صرف الاذهان انما يفترض بعد نزول القرآن الكريم ومن اجل التأكد من الاعجاز القرآني ليس علينا الا مقارنة القرآن بالنصوص العربية السابقة على وجوده وملاحظة مدى الامتيازات المتوفرة فيه دونها • نعم اذا كان يريد القائلون بالصرفه ان الله سبحانه له القدرة على ان

يهب انسانا ما قدرة على الاتيان بمثل القرآن ولكنه لم يفعل .. فهذا لا يعني ان القرآن الكريم ليس بمعجزة لان الهدف الرئيسي من المعجزة دلالتها على ارتباط صاحبها بالله وما دامت القدرة عليها مرتهنة بالتدخل الالهي فلابد ان تكون لها هذه الدلالة . وعنصر التحدي في مثل هذه المعجزة يكون موجودا ما دامت ليست تحت قدرة الانسان الاعتيادي بالفعل . وهذا الشيء من الممكن ان يدعى في كل معجزات الانبياء أو المعجزات التي يمكن ان نتصورها .

الشبهة الخامسة :

ان النقطة الاساسية التي يستند اليها الاعجاز القرآني هو عدم قدرة العرب على معارضته رغم تحدي القرآن الكريم لهم مرة تلو الاخرى . ولكن هل ان العرب حقيقة لم يكونوا قادرين على معارضته ؟! أو ان أسبابا أخرى خارجية هي التي منعتهم عن تحقيق هذه المعارضة ؟! .

وتفترض الشبهة ـ بصدد الجواب عن هذا التساؤل ـ عوامل معينة منعتهم عن تحقيق هذه المعارضة وهذه العوامل هي :

ان العرب الذين عاصروا الدعوة أو تأخروا عنها بزمن قليل لم يعارضوا القرآن الكريم خوفا على انفسهم واموالهم من المعارضة بسبب سيطرة المسلمين الدينية على الحكم . ومحاربتهم كل من يعادي الاسلام أو يظهر الخلاف معه . ولا شك ان معارضة القرآن تعتبر في نظر الحكم من أبرز أنحاء العداء والمخالفة .

وحين انتهت السلطة الى الامويين الذين لم يكونوا مهتمين بالحفاظ على الاسلام والالتزام به الامر الذي كان يفسح المجال لمن يريد ان يعارض القرآن الكريم ان يظهر معارضته .. كان القرآن في ذلك الحين قد أصبح أمرا معروفا في حياة الامة مألوفا لديها بأسلوبه وطريقة عرضه بسبب رشاقة ألفاظه ومتانة معانيه فانصرف الناس عن التفكير بمعارضته لانه أصبح من المرتكزات الموروثة لهم .

الرق في الاسلام

محمد بحر العلوم

أطل الاسلام وكانت الجاهلية تزخر بالرقيق ، وكان نظامه دعامة ترتكز عليها جميع نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، وتعتمد عليها جميع فروع الانتاج في مختلف أمم العالم ، فلم يكن من الاصلاح الاجتماعي في شيء أن يحاول مشرع تحريمه تحريما باتا مرة واحدة لان محاولة كهذه كان من شأنها ان تعرض أوامر المشرع للمخالفة والامتهان واذا اتبع لهذا المشروع من وسائل القوة والقهر ما يكفل به ارغام العالم على تنفيذ ما امر به فانه بذلك يعرض الحياة الاجتماعية والاقتصادية لهزة عنيفة ويؤدي تشريعه الى اضرار بالغة ، لان الرقيق – كما تمثله بعض المصادر – « كان بخار الالة الاقتصادية في تلك العصور » .

ولما كانت حالة الرق هي السائدة في المجتمع العربي ، كان من العسير على الاسلام ان يقف منه موقف الصارم المانع ، لانه حتما سينتهي به الى الفشل الذريع .

ولهذا اقره ، ولكنه خطط لانهائه بصورة تدريجية ، والقضاء عليه بدون ان يحدث اثرا في المجتمع الذي يطلب اصلاحه . وقد وضع الاسلام عدة طرق لمعالجة هذا الامر ، وتخفيف حدته ، بحيث يضمن

معالجة المشكلة بصورة لا تحدث رد فعل معاكس في ذلك المجتمع الزاخر بالرق .

ومن تلك الطرق ، ما تناولته هذه السورة الشريفة التي نحن بصدد التحدث عنها وقد تناولت وسيلتين لتحرير الرقيق ، وهما :

١ ـ الزواج والاستمتاع .

٢ ـ الفدية .

وهاتان الوسيلتان من أهم الوسائل التي اعتمد عليهما الاسلام لتحرير البشر من الرقية ، والعبودية والاستغلال .

اولا ـ التزاوج والاستمتاع :

كانت الامة في الجاهلية ، أو الجارية سلعة تباع وتشترى للعمل والكد ، ولم يكن يفكر ان تكون في مصاف النساء اللاتي يستمتع بهن الرجل يوما ما .

ولكن الاسلام عندما اشرف كان اول ماقاله في الكتاب الكريم ان رفع هذا النوع من البشر في نظر المجتمع ، فقال :

« ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بايمانكم بعضكم من بعض . فانكحوهن باذن اهلهن ، وآتوهن اجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان فاذا احصن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ، ذلك لمن خشى العنت منكم ، وان تصبروا خير لكم ، والله غفور رحيم » .

سورة النساء الآية : ٢٥

« ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ماملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات ، والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض »..

المراد ـ بالطول : الغنى ، وهو المروى عن الامام ابي جعفر عليه السلام ، ومختار الشيخ الطوسي ، واكثر الفقهاء[1] .

المحصنات : الحرائر .. بقرينة مقابلته بالفتيات[2] .

والمقصود بالآية الكريمة : ان المسلمين اذا لم يجدوا سعة في الغنى ليوفر لهم الزواج من المحصنات الحرائر المؤمنات ، فعليهم بما ملكته ايمانهم من الآماء المؤمنات دفعا للحرج الذي يصيب الامة عند فقدانهم القدرة على التزوج بالحرائر . وتعريضهم للمخاطر الكثيرة التي تترتب على العزوبة ، ومن اهمها الانحدار بالفحشاء ومخاطرها .

وفي الآية لفتة رائعة جدا عندما وصفت الاماء المملوكات «بفتياتكم» وهذا التعبير الدقيق يدل على الانسانية العظيمة التي تلطف بها الله على هذا النوع من الانسان ليرفعه الى مصاف البشرية الحقة ، التي لا تختلف بواقعها عنه وما الرق الا صفة عارضة نتيجة ملابسات ثانوية ، ناتجة عن حرب ، أو غزو ، أو ما شاكل ، وليست صفة أصلية تطعن في أصل الانسان وطبعه ، لتميزه عن الآخرين .

ولهذا فان تعبير « فتياتكم » بدء تلك الصورة البشعة التي خلفتها الاجيال السابقة دون رحمة أو رأفة .

ثم استرسلت الآية بقولها : « والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض» وفي معناها ذكر شيخنا الطوسي : قولين :

احدهما ـ كلكم ولد آدم .
الثاني ـ كلكم على الايمان .

---

(١) التبيان : ٣/١٦٨ .

(٢) الميزان : ٤/٣٩٤ .

ويجوز ان تكون الامة افضل من الحرة ، وأكثر ثوابا عند الله ، مع اشتراكهم بانهم من ولد آدم ، وفي ذلك صرف عن التغاير بالانساب[٣] .

وعلى القولين ، فقد ازاحت الآية الشعور الضيق الذي تحكم عند الناس وأكدت على وحدة الانسان احرارا وارقاء ، وانهم من صلب واحد لا تفريق بين أسود وأبيض الا بالتقوى . .

ثم أملت الآية بعد هذا شروطا على نكاح الاماء ، فقالت :

« فانكحوهن باذن أهلهن ، وآتوهن اجورهن بالمعروف ، محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان » .

والشروط التي تقررها الآية ان يكون الاستمتاع عن طريق النكاح الشرعي ، لا عن طريق السفاح[٤] والخدانة[٥] وبعد هذا لابد ان يتوفر:

اولا ـ موافقة اهل الفتاة على العقد ، فلا يجوز نكاح الامة بغير اذن وليها الذي هو مالكها .

ثانيا ـ فرض المهر لها : فلا يجوز الزواج بها دون صداق ، وهو ما يقع عليه العقد والتراضي . ومهر الامة لسيدها .

ان الامة لا تختلف بطبيعتها الانثوية عن أي امرأة حرة ، ولم تتطوق بهذه الصفة الا بحكم الظروف والملابسات التي فرضتها عليها .

ولدفع هذه الصفة أكدت أكثر من آية على التزويج بهن ، فقد

---

(٣) التبيان : ٣/١٧٠ .

(٤) السفاح : ان تكون المرأة لكل من يريدها عن طريق غير شرعي .

(٥) الخدن : الصديق . والخدانة . ان يكون للمرأة صاحب واحد يزنى بها سرا ، وقد كان مشهورا عند العرب في الجاهلية . وكان فيهم من يحرم ما ظهر من الزنا ، ولا يحرم ما خفي منه . ذكر ذلك ابن عباس ، وغيره من المفسرين .

سبق في الآية الثالثة من هذه السورة ، ان قررت الحق للانسان اذا لم يتمكن من العدالة في الجمع بين الزوجات ، ان يعاشر من ملكت ايديهم حتى لا يحتاج الى تحديد ، ولا التقسيم في الليالي بينهن .

وبهذه الفقرات الكريمة من الآية اشارة واضحة الى ضرب فكرة الرق ، وان تلك الفكرة السائدة التي تنظر هذه الطبقة من الناس بالهوان والخسة ، والذلة والانكسار ليس لها أي واقع في عرف الاسلام . فالمسلم كفؤ المسلم مهما كان لونه .

ثم بعد ان قررت الآية هذه الحقيقة ، انتقلت الى تقرير العقاب على السقوط في الفاحشة « فاذا أحصن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب » .

واختلف في المراد بالاحصان في قوله : (فاذا أحصن) .

١ ـ اذا قرئت بالضم معناه تزوجن .

٢ ـ واذا قرئت بالفتح : معناه اسلمن .

والاقوى ـ عند المفسرين المختصين ـ ان يأخذ بها معا يحصنها الزوج والاسلام [٦] .

ولابد ان نلتفت ان ـ القرآن ـ يضع في حسابه حالة الرق التي تجعل الامة اقل قدرة على صيانة نفسها من الحرة ، ويقدر ان الرق يقلل من الحصانة النفسية ، وانه نقص من الشعور بالكرامة ، والشعور بالكرامة عصمة ، لأنه يثير الاباء في نفس الحرة كما يقدر الحالة الاجتماعية والاقتصادية ، واختلافها بين الحرة والامة ، وأثرها في جعل الاخير أكثر تسامحا في عرضها ، وأقل تقديرا للمعنويات ، لأن هبوط المستوى

---

(٦) التبيان : ٣/١٧١ .

الاجتماعي ، والاقتصادي يقلل من الشعور بالمعنويات .

يقدر الاسلام هذا كله فيجعل حد الرقيقة ـ بعد احصانها ـ في الفاحشة نصف حد الحرة التي لم تتزوج ـ وهو خمسون جلدة ـ فأما قبل أن يحصن فعليهن التأديب لا الحد .. كل ذلك رعاية لواقع حياتهن السيء ، وتقديرا لما يحيط بهن من ملابسات في هذه الحياة .

« ذلك لمن خشى العنت منكم ، وأن تصبروا خير لكم ، والله غفور رحيم » .

والمراد بالعنت هنا الزنا ـ على حد رأي ابن عباس ، وسعيد بن جبير ـ وهو مختار الشيخ الطوسي[٧] .

« وان تصبروا خير لكم » .

عن نكاح الاماء ، لما فيه من حقوق مواليهن ، واولادهن ، لا لذاتهن[٨] .

واذا لاحظنا هذا الجانب فالآية نراها تصرح ان الانسان الذي لم يملك السيطرة على دوافعه الفطرية ، ولم يتمكن من نكاح الحرائر ، فله ان يركن الى الاماء ليخفف المشقة وتجنبها خير له للملابسات التي تحيط بهن من نواحي أسيادهن ومواليهن .

أما الآمة اذا كانت في حبالة الزوج الحر ، أو عبد لغير سيدها، لم يكن لمولاها التفرقة بينهما ، فان كانا جميعا له كانت التفرقة .

ان الزواج من المملوكة يتضمن عملية رد اعتبار لها ، ودعم لكرامتها الانسانية فهو طريق من طرق التحرر لها ، ووسيلة من وسائل فك قيد

---

(٧) التبيان : ٣/١٧١ .

(٨) الميزان : ٤/٢٩٨ .

العبودية عن نسلها .

فالمرأة المملوكة كانت النظم السائدة في الجاهلية تحكم على ولدها بالرقية ، بقطع النظر عن حالة أبيه ، فولد الامة كان يولد رقيقا مملوكا لسيدها ، ولو كان ابوه حرا ، ولو كان ابوه السيد نفسه[٩] .

ولكن الاسلام لم يقر هذا النظام ، فالجارية التي تتزوج من سيدها فهي منذ اليوم الذي تلد فيه ذكرا كان أو انثى تسمى (أم ولد) ويمتنع على سيدها بيعها ، وتصبح حرة منذ وفاة سيدها من نصيب ولدها،وولدها حر منذ مولده .

ولو كان أحد الزوجين حرا فالولد مثله ، ولو اشترط المولى رقيته فالاقوى الغاء شرطه[١٠] .

ولسنا في صدد تعداد احكام الاماء ، ولكن الذي نستطيع ان نبين منه ان تأكيد الاسلام على المعاشرة الزوجية من الاماء كان مجالا يؤدي بالنتيجة الى حريتها ، وحرية نسلها .

خاصة اذا لاحظنا في الاعم الاغلب ان أولاد الجواري ينحدرون من اسيادهم انفسهم لان هذه الطبقة من الناس كانت تقتني الجواري لمتعتهم الخاصة .. ونستطيع ان نتلمس الاسباب الظاهرية للسماح بالاستمتاع بالجواري بالغا ما بلغ عددهن ، ودون تحديد ، فان هذا العمل منفذ من منافذ تفتيت الرقية التي سلكها الاسلام من أجل رفع شان هذه الطبقة من الناس التي فرضت الظروف عليهن بان يتميزن بهذا الطابع الطارىء .

ثانيا ـ الفـــدية :

وهذا هو الاسلوب الثاني الذي عالجته السورة المباركة في تحرير

---

(٩) بيت الطاعة وتعـــدد الزوجات الدكتـــور علي عبدالواحد وافي : ٦١ .

(١٠) منهاج الصالحين ـ السيد محسن الحكيم : ٢/١٥٤ .

الرق من ضيم العبودية والاستغلال ، واعادته الى حضيرة البشرية الطبيعية التي تمتع بها جنس البشر ، وحكمت الظروف على هذا النوع بأن يتميز وتصنف حسب الاحكام الطارئة عليه .

« وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ، ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ، ودية مسلمة الى اهله ، الا ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم ، وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة . وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما » الآية : ٩٣/النساء .

ولكننا من أجل ان نقف على معالجة الاسلام لمشكلة الرق نتناول ماله علاقة في بحثنا هذا .

فالقرآن رسم طرقا عديدة للتخلص من الرقية امام المجتمع ، ومنها طريق الفداء .. فقد قررت الآية بان الذي يقتل انسانا مؤمنا خطأ او عمدا ، فلابد من فدية يفتدى بها القتيل ونفسه ، ومن جملة تلك الغرامات التي يفرضها الاسلام ، هي تحرير رقبة مؤمنة .

ان تحرير الرقبة المؤمنة تعويض للمجتمع المسلم عن قتل نفس مؤمنة باحياء نفس مؤمنة فهو طريق لتحرير الرقاب بهذه الواسطة التي فرضها الاسلام للتخلص من العبودية والاستغلال .

لوحللنا هذه العملية وتوخينا علاقة تربط بين عملية القتل ، وبين الفدية المنصبة على تحرير الرقبة لعثرنا على رابطة انسانية بينهما ، فهي موت ، واحياء . موت لذلك الانسان المسلم الذي وقع عليه القتل ، واحياء لنفس مسلمة ترزح تحت كابوس الرقية والعبودية ، فهي يمكن ان نطلق عليها عملية تعويض . تعويض لهذا النوع من البشر الذي فرضت عليه ظروفه الاستثنائية ان يكون مغلولا بهذا القيد الطارىء ، فينقذ ويعاد له اعتباره المسلوب .

التكافل والتعاون بين المجموعة الانسانية المسلمة :

« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، وبذى القربى ، واليتامى ، والمساكين ، والجار ذى القربى ، والجـــار الجنب والصاحب بالجنب ، وابن السبيل ، وما ملكت أيمانكم • ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا » •

الآية : ٣٧/النساء

تقرر هذه الآية الكريمة طبيعة التكافل والتعاون اللذين هما موضع القوة النامية في هذا المجتمع ، والذي يجب ان يسود المجموعات في الاسرة الانسانية المسلمة والعلاقات الطيبة بينهما •

« واعبدوا الله •• ولا تشركوا به شيئا »

في هذه الفقرة من الآية الكريمة أمـــران : **الاول ـ عبـــادة الله** والاخلاص له فيها ، وان يكون طلبا لمرضاته ، وابتغاء لمثوبته ، **كما عبر** عنها الامام علي (ع) (آلهي ما عبدتك طمعا في جنتك ، ولا خوفا من نارك ولكن وجدتك أهلا للعبادة فعبدتك) وهي كما يطلق عليها **عبادة الاحرار** الثاني ـ النهي القاطع عن الاشراك بعبادته شيئا سواه •

وبعد أن أمر الله سبحانه بعبادته وحده لا شريك له عقبه **بالاحسان** بالمجموعة الانسانية والتي يؤكد عليهم التعاون والتكافل • قال : وبالوالدين احسانا) •

وقد خص الله سبحانه الوالدين بالذكر في هذه الآية ، في آيـــات متعددة من القرآن الكريم ، وقدمها على سائر المجموعات الانسانية ،وأتى بهما بعد ذكره دلالة على اهمية الامر • وذلك لان فضلهما على الابناء كبير فهما السبب الظاهر في وجود الولد ونموه بما يبذلان من الجهد والطاقة في تربيته بكل رحمة واخلاص ، حتى يكون انسانا سويا •• ثم :

« وبذى القربى » •

والمقصود بهم أقرب الناس بعد الوالدين ، الذين يلونهما في الحقوق ، وهم الذين يرتبطون بوشائج الرحم • فاذا عاون الانسان ذوى قرباه كان لكل منهم قوة أخرى تتعاون مع هذه الاسرة • ثم :

« واليتامى والمساكين » ••

أما اليتيم : فانه فقد الناصر والمعين ، وهو الاب ، وقلما تستطيع الام مهما اتسعت امكاناتها ان تقوم بتربيته تربية كاملة •• واذا بقي اليتيم مهملا كان وجوده جناية على الامة وخطرا على من يعاشره من أبناء مجتمعه •

وكذلك المساكين فانه لا ينتظم حال المجتمع الا بالعناية بهم ،وصلاح حالهم والا كانوا وبالا عليه •• ونصت المصادر على تحديد المساكين بانهم الفقراء مع ضعف يرثى فيه لحالهم •• ثم :

« والجار ذى القربى » ••

قال ابن عباس : الجار ذى القربى ـ القريب في النسب • وقال بعضهم : هو الاقرب منك دارا •

(والجار الجنب) •

الجار الجنب : الذي ليس بينك وبينه قرابة • وفي بعض المصادر اللغوية ان الجنب بمعنى الاجنبي • واختار صاحب الكشاف الجوار القريب ، والبعيد ، قال ابن عباس :

الجار الجنب : الغريب ، أي عن غربة •

وروى عن النبي (ص) انه قال: الجيران ثلاثة : جار له ثلاثة حقوق:

حق الجوار ، وحق القرابة ، وحق الاسلام ، وجار له حقان : حق الجوار ، وحق الاسلام • وجار له حق الجوار فقط المشرك من أهل الكتاب[11] •

« والصاحب بالجنب » •

وقيل معناه ثلاثة أقوال :

الرفيق : وهو قول ابن عباس ، وسعيد بن جبير وغيرهما •

الزوجة : قول علي (ع) وابن مسعود ، وغيرها •

المنقطع : الذي يرجو رفدك • رواية ابن عباس • وزاد بعضهم الخادم الذي يخدم • قال الشيخ الطوسي : وقيل : انه في جميع هؤلاء وهو أعم فائدة[12] •

« وابن السبيل » ••

قيل معناه اقوال :

المسافر : عن مجاهد وغيره •

الضيف : عن قتادة وغيره •

وقال أصحابنا : يدخل فيه الفريقان وقد يكون المنقطع في سفره عن مدد قومه ووطنه ، ومورد نفعه •

« وما ملكت ايمانكم » ••

المراد به العبيد والاماء بقرينة عده في عداد من يحسن اليهم ، وقد كثر التعبير عنهم بما لملكته الايمان •

هذه هي المجموعة الانسانية التي أوصى بها الله سبحانه وتعالى،

---

(١١) التبيان : ١٩٤ ـ ٣/١٩٥ •

(١٢) آلاء الرحمن : ٣/١١٠ •

وقرن وصيته بها بالوصية بعبادته ، وعدم الاشراك به • تعزيزا لهـا واهتماما بأمرها •

« ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا » •

عقب على الامر بالاحسان ، بتقبيح الاختيال والفخر ، والبخل ، والتبخيل ، ولكتمان نعمة الله وفضله •

ان هذه الاوامر لا يحيد عنها الا من اعجبتـه نفسـه الساقطة بخيلائها الممقوت ، والله يكره التائه المتبختر المسخر لخياله ، قـد غفل انه عبد مخلوق لأله واحد قهار • وانه الذي رزقه ، يمكنه ان يسـلبه نعمه اذا لم يعمل على اسعاف هذه المجموعة الانسانية المسلمة •

ان المختال الفخور مبغوض عند الله ، لانه احتقر جميع الحقوق التي أوجبها للناس ، وأوجبها لنفسه من الشعور بعظمته وكبريائه ،فهو كالجاحد لصفات الالهية التي لا تليق الا لها •

وقد أكدت بعض المصادر : ان الاختيال ، وكثرة الفخر من لوازم التعلق بالمال والجاه ، والافراط في حبهمـا ، ولذلك لم يكن الله ليحب المختال الفخور لتعلق قلبه بغيره تعالى[١٣] •

•• متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً

لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً •

مفهومان عن الحرية في الاسلام

(١٣) الميزان : ٤/٣٧٨ •

أثر القرآن ... في الصحيفة السجادية

كمال صدر الزيدي
ماجستير آداب

تعتبر « الصحيفة السجادية » للامام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، من أروع النصوص الاسلامية التي وصلت الينا وذلك لتسامي أغراضها ، وقوة معانيها ، ورقة أسلوبها ، وهي بعد من النصوص الثابتة له عليه السلام • وقد كان الامام الصادق يجلها ويكبر ما فيها فيقول : أملاها جدي وكتبها أبي • يريد بجده الامام زين العابدين وبأبيه الباقر عليهما السلام • وكانت هذه الصحيفة ، منذ أن كانت ، محط أنظار الاسلاميين من العابدين والباحثين على السواء • وقد تنولت بالدراسة والشرح • وهي في واقعها زبدة مفهومات الامام عن الاسلام وقيمه ومقاصده وعقائده وأصوله وفروعه ، تلك المفهومات التي لم تشب بكدر الجاهلية ، ولم تخالط بأوضار العصبية • كل ذلك يدرك من خلال دعائه الرقيق المنساب في الصحيفة بصفاء وشفافية وصدق وحرارة •

واذا ما أردنا أن نتحدث عن هذا النص الثمين ، وندرسه من جميع نواحيه دراسة وافية ، احتجنا الى بحث ضاف قد يستلزم كتابا برأسه • ومن هنا تراءت فكرة دراسة الصحيفة على شكل موضوعات شيئاً معقولا ،

لنجتمع هذه الدراسات بعد ذلك فتكون نواة لكتاب نرجو أن يضمها جميعا .

وقد بدأنا هذه الدراسات بأهمها في رأينا وهو : أثر القرآن في الصحيفة ، ذلك الأثر الذي يتبينه القارىء ويستشعره بقوة حين يقرأ الادعية الكثيرة الرائعة التي تزخر بها فيحس يروح من كتاب الله تسري في كيانها ، فتجعلها تعبق ندية بأشذاء العقيدة الصافية ، والفكرة الخيرة المعطاءة .

واذا كان سعد زغلول زعيم مصر الاسبق الراحل قد وصف كتاب « وحي القلم » تحفة الكاتب الاسلامي الكبير والاديب الراحل المعروف مصطفى صادق الرافعي بأنه : « بيان كأنه تنزيل من التنزيل أو قبس من نور الذكر الحكيم »[1] فأني لأومن أن هذا الوصف ينطبق على الصحيفة كل الانطباق ، وأنها الاحرى بأن توصف به وتحظى بسمته .

والحقيقة هي أن أثر القرآن لم يكن ليقف عند حد الصحيفة السجادية حسب ، بل انه ليتجاوز الى نصوص اسلامية لا تقل روعة عنها ، ومن ذلك : « نهج البلاغة » ، فان تأثير القرآن فيه لمما لا ينكره حس قارىء ولا فكره . ولعلنا نوفق الى دراسة هذا الجانب منه في المستقبل ان شاء الله .

وأبين ما يتراءى لنا من أثر القرآن في الصحيفة السجادية هو :

١ ـ الاستشهاد بالآيات القرآنية :

على المعاني التي يتضمنها الدعاء في الصحيفة ويتجلى ذلك بوضوح في أدعية كثيرة يدعو بها الامام ، ثم يأتي بآية كريمة ليدعم المعنى الذي بدأ الكلام به ، أو انتهى به اليه، كقوله في دعاء التحميد لله تعالى : «والحمد لله الذي لو حبس عن عباده معرفة حمده على ما أبلاهم من سننه المتتابعة،

(١) ينظر : وحي القلم ، للرافعي : صفحة العنوان .

وأسبغ عليهم من نعمه المتظاهرة ، لتصرفوا في منه فلم يحمدوه ،وتوسعوا في رزقه فلم يشكروه ، ولو كانوا كذلك لخرجوا من حدود الانسانية الى حد البهيمه ، فكانوا كما وصف في محكم كتابه : « ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا »[٢] . فقد ذكر الآية الكريمة : « ان هم كالانعام بل هم أضل سبيلا » الواردة في سورة الفرقان[٣] عند وصف الكافرين المعرضين عن استعمال العقل وتحكيمه في شؤون حياتهم ووجودهم .

ومن مثله أيضا قوله : « فقلت تبارك اسمك وتعاليت : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي الا مثلها »[٤] .

٢ ـ تضمين الآي :

ومن أثر القرآن في الصحيفة السجادية « تضمين الآي » وله صور متباينة ، وأساليب متنوعة هي :

أ ـ قد تضمن آية قرآنية تضمينا لفظياً فيضم نصها الى جملة نص الدعاء الوارد في الصحيفة ، حتى يكاد الكلام يبدو كله في سمت واحد ونسق واحد ، لولا أن القارىء يستطيع أن يتبين الفرق بين الكلامين ، حين يكون حافظا لما تيسر من كتاب الله ، أو عارفا بأسلوبه ، بحيث يميز ماهو قرآن عما هو ليس كذلك . ومن مثل ذلك ما جاء في دعاء التحميد لله سبحانه : « حتى اذا بلغ أقصى أثره واستوعب حساب عمره ، قبضه الى ما ندبه اليه من موفور ثوابه ، أو محذور عقابه ، ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى عدلا منه تقدست أسماؤه وتظاهرت آلاؤه »[٥] . فانظر كيف جاء قوله

---

(٢) الصحيفة السجادية :ـ ص ٤ من مطبوعات مكتبة كرم بدمشق
(٣) آية : ٤٤
(٤) ينظر دعاؤه في وداع شهر رمضان :ـ ص ٢٠٣ .
(٥) المصدر نفسه .

تعالى : « ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى » الوارد في سورة النجم[٦] ، بين قوله أولا : « أو محذور عقابه » ، وقوله بعد ذلك : « عدلا منه تقدست اسماؤه .. » وهو قد يخفى على من لا علم له بأسلوب القرآن المتميز ، أو لم يحفظ ما تيسر منه .

ومثل ذلك ما ورد في دعائه عند الصلاة على حملة العرش اذ يقول : « .. ورضوان وسدنة الجنان والذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون »[٧] . فان عبارة « لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون » جزء من قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون »[٨] وهي مما قد يخفى على القارىء اذا لم يؤت ادوات تبينها ومعرفة أنها قرآن . ومثل ذلك كثير في الصحيفة السجادية[٩] .

ب ـ وقد يضمن لفظ الآية مع التصرف فيه تصرفاً جزئياً

وهو مما قد يضم على القارىء العادي ، ولكن الحافظ الفطن يستطيع ان يتبين اللفظ القرآني بغير عناء ، بعد التأمل في النص . فمن مثل ذلك تحلية ألفاظ : « كرام بررة » و « كرام كاتبين » بالألف واللام الواردة في قوله تعالى : « بأيدي سفرة . كرام بررة »[١٠] ، وقوله : « وان عليكم لحافظين . كراما كاتبين »[١١] . فقد وردت هذه الألفاظ منكرة في القرآن معرفة في قول الامام : « السفرة الكرام البررة والحفظة

---

(٦) آية : ٣١ .
(٧) ينظر دعاؤه في التحميد لله : ص ٣ .
(٨) التحريم : ٦ .
(٩) انظر مثلا : دعاؤه في التحميد لله ص ٥ ودعاؤه في الصلاة على حملة العرش ص ١٨ .
(١٠) عبس : ١٥ ـ ١٦ .
(١١) الانفطار : ١٠ ـ ١١ .

الكرام الكاتبين »[١٢] .

ومن مثله أيضا قوله في صفة النفس الانسانية : « فانها مختـارة للباطل الا ما وفقت أمارة بالسوء الا ما رحمت »[١٣] . فأن المقطع الاخير من هذا النص تضمين لفظي جزئي لقوله تعالى في سورة يوسف عـلى لسان امرأة العزيز :

« وما أبرىء نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الا مارحم ربي ان ربي غفور رحيم»[١٤] .

جـ ـ وقـد يضـمن معنى الآيـة القرآنيـة وليس لفظهـا

فيكون تعبيرا عن مفهومات ومعان قرآنية بأسلوب متأثر بالقرآن . كقوله مثلا في بيان قدرة الله على تكون الليل والنهار وتعاقبهما : « يولـج كل واحد منهما في صاحبه ويولج صاحبه فيه بتقدير منه للعبـاد فيما يغذوهم به وينشئهم عليه . فخلق لهم الليل ليسكنوا فيه عن حركـات التعب ونهضات النصب ، وجعله لباسا ليلبسوا من راحته ومنامه .. وخلق لهم النهار مبصرا ، ليبتغوا فيه من فضله وليتسببوا الى رزقه ...»[١٥] .

فهنا نجد أن قوله السالف الذكر : « يولج كل واحـد منهما في صاحبه ويولج صاحبه فيه » تضمين معنوي لقوله تعالى : « يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل»[١٦] ، وقوله : « ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل »[١٧] وقوله : « ألم تر ان الله يولـج

---

(١٢) ينظر دعاؤه في الصلاة على حملة العرش : ص ١٧ .
(١٣) دعاؤه في الأشتياق الى طلب المغفرة : ص ٤٠ .
(١٤) يوسف : ٥٣ .
(١٥) ينظر دعاؤه عند الصباح والمساء : ص ٢٧ ـ ٢٨ .
(١٦) فاطر : ١٣ .
(١٧) الحج : ٦١ .

الليل في النهار ويولج النهار في الليل »[١٨] . وأمثالها من آيات تعاقب الليل والنهار وحدوثهما .

وأيضا فان قوله : « وجعله لباسا .. وخلق لهم النهار مبصرا » تضمين معنوي لقوله تعالى : « وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا »[١٩] وقوله : « هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا »[٢٠] .

ولذلك مثل في الصحيفة وافرة .

ان هذه الكملات التي تضمنت معنى الآيات هي في حقيقتها « تفسير أدبي » رائع لآيات من كتاب الله ، يبسط معنى الآية ويوضحه ، في أوجز عبارة وأنصعها ، وأدق لفظة وأفصحها ، ويبين محتواها ويكشف عن معناها .

٣ ـ مراعاة النسق القرآني :

وتلك ميزة للصحيفة أخرى : وسمة من سماتها ، وأثر يبدو عليها من آثار كتاب الله المبين . ذلك أن الامام زين العابدين عليه السلام كان كما هو المشهور عنه ، دائب القراءة للقرآن ، حافظا لآياته البينات ، عارفا لمعانيه ، فليس بدعا ان يكون له من مراعاة التعبير ما يشهد له بهذا التأثر في كلامه وتعبيره . ومن ذلك مراعاة النسق القرآني في التعبير اذ هو واضح في صحيفته الرائعة ، كتقديم ماقدم القرآن ، وتأخير ما أخر ، كما في تقديم الازواج على الذريات في قوله تعالى :

« اللهم صل على التابعين من يومنا هذا الى يوم الدين وعلى أزواجهم

---

(١٨) لقمان : ٢٩ .
(١٩) النبأ : ١٠ .
(٢٠) يونس : ٦٧ .

وذرياتهم وعلى من أطاعك »[٢١] .

وهذا الترتيب جار على نمط الترتيب القرآني الوارد على لسان المؤمنين القائلين :

« ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما »[٢٢] .

وقوله : « يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدو لكم فاحذروهم »[٢٣] . ونحو ذلك مما قدم فيه الازواج على الاولاد . ومن مثله أيضا تقديم الليل على النهار الوارد في القرآن كثيرا . وهو من خصائص الأسلوب القرآني[٢٤] . وقد التزم به الامام في تعبيره[٢٥] .

٤ ـ التأثر بالوصف القرآني :

والقارىء للصحيفة ، يجد الوصف القرآني ذا أثر جلي فيها ، وبخاصة صور القرآن الوصفية للمتع الحسية في اليوم الآخر ، اذ هي كثيرة الورود فيها ، حتى لتبدو متناثرة هنا وهناك بحسب المناسبة والمقام ، بحيث تتضمن صور تلك النعم بأسلوب الامام . كما في وصف الجنة وما فيها من نعيم مقيم ، وأنهار جارية ، ومنازل كريمة ، وحور حسان ،وغير ذلك مما يتجلى في دعائه مثلا لأهل الثغور المرابطين للدفاع عن حوزة الاسلام ، اذ يقول :

« ... واجعل الجنة نصب أعينهم ، ولوح منها لأبصارهم ،ماأعددت فيها من مساكن الخلد ، ومنازل الكرامة ، والحور الحسان ، والانهار

---

(٢١) أنظر دعاءه في الصلاة على اتباع الرسل ومصدقيهم : ص ٢٢ .
(٢٢) الفرقان : ٧٤ .
(٢٣) التغابن : ١٤ .
(٢٤) أنظر مثلا : البقرة : ١٦٤ ، ٢٧٤ ، آل عمران : ٢٧ ، ١٩٠ . الانعام : ١٣ ، ٦٠ ...
(٢٥) أنظر مثلا دعاءه عند الصباح والمساء : ص ٢٧ ، ٢٨ .

المطردة بأنواع الاشربة ، والاشجار المتدلية بصنوف الثمر ، حتى لا يهم أحد منهم بالادبار ، ولا يحدث نفسه عن قربه بفرار »[٢٦] . فهذا النص الوصفي بيان بليغ لشيء مما ورد في القرآن من وصف الجنة وما فيها من متع وخيرات . فقوله : « الحور الحسان » تفسير وتبيين لقوله تعالى: « وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون »[٢٧] .

وقوله : « فيهن خيرات حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام »[٢٨] .

ومثله قوله : « والاشجار المتدلية بصنوف الثمر » ، الذي هو تفسير وتبيين لقوله تعالى :

« وجنى الجنتين دان »[٢٩] .

وقوله : « دانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا »[٣٠] .

ومن هذه الصور الوصفية ، ذات النفس القرآني في الصحيفة السجادية ، وصف الانسان في مراحل تطوراته الخلقية المختلفة . نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم خلقا آخر مبينا ، له قدرات عجيبة وامكانات واسعة غريبة . نقرأ ذلك في قوله :

« حتى انتهيت بي الى تمام الصورة ، واثبت فيّ الجوارح كما نصت في كتابك نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما ، ثم كسوت العظام لحما ، ثم

---

(٢٦) أنظر دعاءه لأهل الثغور : ص ١٢١ ـ ١٢٢ .
(٢٧) الواقعة : ٢٢ .
(٢٨) الرحمن : ٧٠ ـ ٧١ . وانظر « الحوري في : الدخان : ٥٤ ، الطور : ٢٠ .
(٢٩) السورة نفسها : ٥٤ .
(٣٠) الانسان : ١٤ .

أنشأتني خلقا آخر كما شئت ... »[٣١]

فكلامه السالف الذكر صورة مستقاة من الوصف القرآني لتطور الانسان الخلقي في قوله تعالى :

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين • ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين »[٣٢] ولذلك مثل في الصحيفة وافرة نجتزىء منها بما ذكرنا •

٥ ـ الدعاء القرآني في الصحيفة :

ولما كانت الصحيفة السجادية نص دعائي يشتمل على مجموعة متنوعة من أدعية الامام زين العابدين في مقاصد متباينة ، فان من المعقول بل اللازم أن تضم شيئا من « الدعاء القرآني » وتتضمنه ، وذلك ما نجده متناثرا في أرجاء الصحيفة هنا وهناك كألواح الزهور في الروض الأنف •

فاذا تأملنا في هذا النوع من الدعاء ، أي الدعاء القرآني ، ألفيناه قسمين :

أ ـ ما دعا به الامام لنفسه •

ولمن ود أن ينالهم الدعاء ، مضمنا اياه كلامه كقوله : « اللهم صل على محمد وآله كأفضل ما صليت على أحد من خلقك قبله ، وأنت تصل على أحد من بعده وآتنا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة وقنى برحمتك عذاب النار »[٣٣] •

ففيه دعاء المؤمنين القائلين في القرآن الكريم :

---

(٣١) أنظر دعاءه بعد صلاة الليل : ص ١٥٢ •
(٣٢) المؤمنون : ١٢ ـ ١٤ •
(٣٣) ...

« ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار »[٣٤]

ب ـ وما حكاه الأمام من دعاء قرآني

ورد على لسان بعض من دعا من الأولين ، كالتابعين باحسان لمن سبقهم من أهل الايمان ، اذ نراه مضمنا دعاءهم كلامه ، وحاكيا ايـاه شهم اذ يقول :

« اللهم وأوصل الى التابعين لهم باحسان الذين يقولون : ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، خير جزائك ، الذين قصدوا سمتهم ونحروا وجهتهم ومضوا على شاكلتهم ... »[٣٥] .

فهو يذكر هنا قوله التابعين الواردة في القرآن الكريم : « ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان »[٣٦] .

٦ ـ الأشارة الى آيات قرآنية :

وكثيرا ما تشير الصحيفة السجادية الى آيات قرآنية ، دون أن تصرح بها . وهذه الاشارات قد تخفى على من لم يحفظ ما تدل عليه ، أو تشير اليه من الآي . ولذلك فان كفاية حفظ الآيات القرآنية عنصر هام في تبينها والوقوف على المراد منها . ومن مثل ذلك ماورد في هذا الدعاء : « وأنـا يالهي عبدك الذي أمرته بالدعاء فقال لبيك وسعديك »[٣٧] أو هـذا الدعاء :

« ولا تحجب دعائي عنك وقد أمرتني به »[٣٨] .

---

(٣٤) البقرة : ٢٠١ .
(٣٥) ينظر دعاؤه في الصلاة على اتباع الرسل : ص ٢١ .
(٣٦) الحشر : ١٠ .
(٣٧) ينظر دعاؤه اذا استقال من ذنوبه : ص ٦٣
(٣٨) ينظر دعاؤه لولده : ص ١١٦ .

أو هذا :

« فكما أمرت بالتوبة وضمنت القبول وحثثت على الدعاء ووعدت الاجابة فصل على محمد وآله واقبل توبتي »[٣٩] .

فان في جميعها اشارات الى قوله تعالى في آية الحث على الدعاء :

« وقال ربكم ادعوني استجب لكم »[٤٠] .

وقد صرح بهذا الدعاء القرآني الحاث المؤمنين على الدعاء ، في عدد من أدعيته كقوله :

« فها أنا قد جئتك مطيعا لأمرك فيما أمرت به من الدعاء متنجزا وعدك فيما وعدت به من الاجابة اذ تقول ادعوني استجب لكم »[٤١] .

ومن هذا الوادي قوله :

« ويامن ضمن لهم اجابة الدعاء »[٤٢] .

فهو اشارة الى قوله تعالى :

« واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعاني »[٤٣] .

وقد يوغل خفاء ما يشير الى قرآن ، حتى لا يكاد يبين الا بعد لأي وطول تأمل ، كقوله :

« ويا من وعدهم على نفسه بتفضله حسن الجزاء »[٤٤] .

---

(٣٩) ينظر دعاؤه في ذكر التوبة وطلبها : ص ١٤٢ ـ ١٤٥ .
(٤٠) غافر : ٦٠ .
(٤١) ينظر دعاؤه السابق : ص ١٨٣ .
(٤٢) ينظر دعاؤه في الأعتراف وطلب التوبة : ص ٤٨ .
(٤٣) البقرة : ١٨٦ .
(٤٤) ينظر دعاؤه في طلب الأعتراف : هى ٤٨ .

ففيه اشارة الى قوله تعالى مثلاً :

« والله عنده حسن الثواب »[٤٥] والى مثيلاتها من آيات الجزاء .

ومن هذا القبيل قوله :

« تمدحت بالغناء عن خلقك وأنت أهل الغنى عنهم »[٤٦] .

ففيه اشارة الى قوله تعالى :

« ان الله لغني عن العالمين »[٤٧] .

وقوله :

« ان تكفروا فان الله غني عنكم »[٤٨] . وأمثال ذلك .

ومنه أيضا قوله :

« ونسبتهم الى الفقر وهم أهل الفقر اليك »[٤٩] .

الذي فيه اشارة الى قوله تعالى :

« يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد »[٥٠] .

ومن ذلك قوله أيضا :

« وأنا حينئذ موقن بأن منتهى دعوتك الى الجنة »[٥١] .

فهو يشير الى قوله تعالى :

« والله يدعو الى دار السلام »[٥٢] .

وأمثال ذلك كثير نجتزىء منه ما ذكرناه .

---

(٤٥) آل عمران : ١٩٥ .

(٤٦) ينظر دعاؤه في طلب الحوائج : ص ٥٣ .

(٤٧) العنكبوت : ٦ .

(٤٨) الزمر : ٧ .

(٤٩) ينظر دعاؤه في طلب الحوائج : ص ٥٣ .

(٥٠) لقمان (٢٦) .

(٥١) ينظر دعاؤه اذا استقال من ذنوبه : ٦٦ .

(٥٢) يونس : ٢٥ .

٧ ـ الحوار القرآني :

قد حفلت الصحيفة بحوار المتحاورين في القرآن الكريم ، وكان ذلك يجري مجرى الحكاية والنقل لصورة ذلك الحوار ونصه • ومن مثله حوار الملائكة الذين يتلقون المؤمنين في الجنة بالسلام والترحاب ، نقرأ ذلك في هذا النص :

« •• وسدنة الجنان والذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون والذين يقولون سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار »(٥٣) فان « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » من كلام الملائكة الوارد في سورة الرعد(٥٤) ، وهم يدخلون على أهل الجنة من كل باب مهنئين مسلمين •

ومثله ما يقال لزبانية جهنم في اليوم الآخر ، وهو الذي ذكرته الصحيفة بقولها : « الذين اذا قيل لهم خذوه فغلوه ، ثم الجحيم صلوه ابتدروه سراعا ولم ينظروه(*) (٥٥) •

فان « خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه » ، جزء من الامر الالهي الوارد في سورة الحاقة ، في أخذ الكافر وايداعه جهنم وتصليته اياها •

٨ ـ الوحدة الموضوعية للآي :

وفي الصحيفة آيات تتسم « بالوحدة الموضوعية » ، أعني أنها آيات « ذات موضوع واحد » ، مجموعة على صعيد واحد • وقد ذكرت لتحقيق هدف من أهداف الدعاء السجادي في الصحيفة ، ومن ذلك آيات الحث على الانفاق في سبيل الله ، الواردة في دعاء وداع شهر رمضان المبارك ، شاهدا وثيقا على ما قدمت له الصحيفة من بيان فضل الانفاق في سبيل الله ،

---

(٥٣) ينظر دعاؤه في الصلاة على حملة العرش : ص ١٧ ـ ١٨ •
(٥٤) آية : ٢٤ •
(*) لم ينظروه : لم يمهلوه •
(٥٥) ينظر دعاؤه في الصلاة على حملة العرش : ص ١٨ •

وترغيب الخالق سبحانه عباده فيه ، ووعده اياهم في اجزال الثواب لهم ، فنحن نقرأ فيه :

« وأنت الذي زدت في الصوم على نفسك لعبادك تريد ربحهم في متاجرتهم لك وفوزهم بالوفادة عليك والزيادة منك ، فقلت تبارك اسمك وتعاليت : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها . وقلت : مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة(**) حبة والله يضاعف لمن يشاء . وقلت : من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة . وما انزلت من نظائرهن في القرآن من تضاعيف الحسنات »(٥٦) .

والصحيفة بعد لم تورد الآيات الدالة على « الموضوع » ـ موضوع الانفاق في سبيل الله وفضله وجزائه عند الله ـ جميعها ، بل اجتزأت منها بما فيه كفاية الشاهد وسطوع الرهان ، وأشارت بعد ذلك الى « نظائرهن » من الآيات اللواتي يتحدن واياهن في الموضوع . وذكر الشاهد والاشارة الى النظير ، منهج من مناهج التأليف درج عليه القدامى ، وأولوه عنايتهم واهتمامهم في تصانيفهم ، وقد رأينا ، كما تقدم ، له آثارا في الصحيفة السجادية بينة .

٩ ـ القرآن وعوامله :

وفي الصحيفة وصف للقرآن شامل يتناول طبيعة القرآن ككتاب

(**) في النسخة التي اعتمدنا عليها من الصحيفة ـ وهي المطبوعة في (دمشق) ـ رسمت اللفظة بهذه الصورة : (مأة) . وهي صورة نادرة لهذه اللفظة ولاقيمة لها اليوم . ولابد أن يكون ذلك من الناسخ . والصورتان المشهورتان هما : « مئه » و « مائه » بغير ألف وبائباتها والاولى عندي أولى الصورتين بالاعتبار والاعتماد ، لتلائمها مع لفظ الكلمة وقياسها في الرسم اولا ومع الوجهة الحديثة السليمة في تيسير الأملاء العربي ثانيا .

(٥٦) ينظر دعاؤه في وداع شهر رمضان : ص ٢٠٣ .

سماوي ، وحكمة نزوله ، وعلاقته بما قبله من كتب الله المنزلة على أنبيائه ، وموقف المسلم من محكمه ومتشابهه ، وصورة نزوله من حيث اجماله وتفصيله ، ودور الرسول (ص) في تفصيل المجمل وتبيينه • ودور أهل البيت (ع) في تفسيره والكشف عن معانيه • الى غير ذلك من موضوعات ومسائل تعنى بها الدراسات القرآنية قديما وحديثا ، مكونة ما نسميه « علوم القرآن » •

فنحن نعلم مما ورد في الصحيفة أن القرآن :

١ـ نور ٢ـ ومهيمن على كل كتاب انزله الله ٣ـ وفضله الله على كل حديث ٤ـ وهو فرقان فرق به بين حلاله وحرامه ٥ـ وقرآن أعرب به عن شرائع أحكامه ٦ـ وكتاب فصله لعباده تفصيلا ٧ـ ووحي أنزله على نبيه ٨ـ وجعله نوراً يهتدى به من ظلم الضلالة والجهالة باتباعه ٩ـ وهو شفاء لمن أنصت ، بفهم التصديق ، الى استماعه ١٠ـ وهو ميزان عدل لا يحيد عن الحق لسانه ١١ ـ ونور هدى لا يطفأ عن الشاهدين برهانه ١٢ـ وعلم نجاة لا يضل من أمّ سبيله ١٣ـ لا تنال أيدي الهلكات من تعلق بعروة عصمته[٥٧] •

وقد ذكر الامام « تلاوة » القرآن في صحيفته ، ودعا الله في أن يعينه على أدائها[٥٨] ، وقد ذكر التلاوة دون القراءة ، لان المأمور به هي التلاوة لا مجرد القراءة ، لصريح الامر القرآني المؤكد بالمصدر : « ورتلوا القرآن ترتيلا » •

ومما ورد في الصحيفة حول القرآن لصيقا بعلوم القرآن ما يلي :ـ

١ ـ أن القرآن أنزل على النبي (ص) مجملا •

٢ ـ وأن الله سبحانه الهمه علم عجائبه مكملا •

٣ ـ وجعل آل محمد الخزان له •

---

(٥٧) انظر دعاءه عند ختم القرآن : ص ١٧٩ ـ ١٨٠ •

(٥٨) دعاء ختم القرآن : ص ١٨٠ فوق •

٤ ـ وعرفهم بشرفه وفضله .

٥ ـ وأنه ألهم آل بيته علمه مفسرا[٥٩] .

وهـذا الاخير يستفاد من قول الامام « والهمتنا علمه مفسرا » . والضمير « نا » يحتمل وجهين : شيئا من الخصوصية ، بحيث يراد به أهل البيت عليهم السلام . أو العموم ، فيشمل كل دارس للقرآن تال له . والوجه الاول هو القوي ، لانه ليس كل أحد يلهمه الله علـم الكتاب وتفسيره ، بل ينبغي أن تكون لذلك « الملهَم » خصوصية وكرامة ومنزلة رفيعة ، ولا يستكثر على أهل البيت ـ الذين أذهب الله عنهـم الرجس وطهرهم تطهيرا في محكم كتابه وبين آياته ـ أن يكونوا ممن يلهم علم الكتاب ، ان لم يكونوا هم من يلهمه . والا لما احتجنا الى مفسرين أصلا ، لان كل أحد ـ على الفرض الثاني ـ يكون قادرا على تفسير القرآن الهاما ، وهذا بعيد ، بل محال .

وأيضا فانه لا يمكن أن يراد بالضمير « نا » الوارد في نص الامام السالف الذكر ، الامام وحده فحسب ، بحسب أصول الاعتقاد ومقتضياته ـ لانه اذا كان الامام ممن يلهم علم الكتاب ، فان ذلك ينبغي أن يسري الى بقية أهل البيت عليهم السلام من غير تفريق بينهم . فيقتضي أن يراد بالضمير « نا » اذن أهل البيت جميعا .

ولقد دعا الامام أن يجعله الله :

١ ـ ممن يرعى القرآن .

٢ ـ ويوفق للاعتقاد والتسليم لمحكم آياته .

٣ ـ والاقرار بمتشابهه .

٤ ـ وأن يجعله ممن يعترف بأنه من عند الله .

٥ ـ وممن يعتصم بحبله ويأوي من المتشابهات الى حرز معقله ،

---

(٥٩) الدعاء نفسه : ص ١٨٠ أسفل .

ويسكن في ظل جنانه ويهتدي بضوء صباحه[٦٠] .

٦ ـ وأن يجعل القرآن وسيلة لآل محمد الى أعلى منازل التكريم والتشريف ، وسلما يصعدون فيه . الى محل السلامة ، وحبلا يكون جزاؤهم بسببه الى النجاة يوم القيامة . ووسيلة يصلون بها الى الجنة . وأن يحط بالقرآن عنهم ثقل الذنوب ، وأن يعطيهم حسن أخلاق الابرار ، وأن يجعلهم على نهج الذين قاموا(*) لله بالقرآن ، آناء الليل وأطراف النهار[٦١] . وأن يجعل القرآن لهم في ظلم الليالي مؤنسا ، ومن نزغات الشيطان حارسا ، ولاقدامهم عن اقتراف الخطايا حابسا . لألسنتهم عن الكلام في الباطل مخرسا ، ولجوارحهم عن اقتراف الآثام زاجرا ... الى آخر ما هنالك من دعوات صادقات منطلقات من نفس كلفة بذكر الله ، دائبة عن تفهم كتابه ، ، والعمل به[٦٢] .

فهذه دراسة في الصحيفة السجادية ، نأمل أن نكون قد وفينا شيئا مما هفت اليه نفوسنا منها . ولنا اليها عودة ان شاء الله ، في بحث مقبل باذن الله .

الصدق في اقوالنا اقوى لنا

والكذب في افعالنا اقوى لنا

« البدري»

(٦٠) الدعاء نفسه : ص ١٨١ .

(*) أي صلوا به .

(٦١) الدعاء نفسه : ص ١٨١ .

(٦٢) ينظر بقية الدعاء ، وهو طويل في ص ١٨٣ ـ ١٨٧ ، .

التخطيط السياسي

في السيرة النبوية

محمد مهدي الآصفي

مدرس التفسير والفلسفة الاسلامية

هناك حقيقة في تاريخ هذا الدين وظهوره يجب ان تضعها موضع دراسة واهتمام قلما تناولها الباحثون والمؤلفون في السيرة النبوية بالدراسة والبحث وذلك هو التخطيط السياسي في حياة النبي (ص) وسلوكه في مكة بعد البعثة وفي المدينة المنورة بعد ما انتقلت الرسالة الاسلامية اليها ، وتحولت الى قاعدة حصينة لهذا الدين ومنطلقا لدعوته . فان سلوك النبي (ص) في مكة وفي المدينة المنورة ينم عن تخطيط سياسي دقيق ، يستهدف القضاء على الجاهلية والاستيلاء على الحكم ، فيما يستهدف من عملية تغيير واسعة للحياة الجاهلية بكل ابعادها وأجزائها .

سرية العمل :

وقد تضمن هذا التخطيط مرحلتين من العمل السياسي التغيري ، تفصل بينهما (الهجرة) . ففي المرحلة الاولى حيث تبدأ الرسالة ممارسة مسؤولياتها التغييرية في مكة بدأ النبي (ص) باعداد الطلائع المؤمنة لتحمل هذه المسؤولية والقيام بها في سرية وخفاء فلم يعلن النبي (ص) الرسالة اعلانا ، وانما كان يتكتم بها ، ولم يمارس عمله الا في كتمان وحذر شديدين ، حرصا على الرسالة التي لم تترسخ بعد في المجتمع الجاهلي ، ولم تقطع بعد شوطا من الطريق الطويل ان تتعرض لأذى المشركين ومعارضتهم التي كان يقدر صاحب الرسالة ان تكون قوية وشديدة ، وتحمل كل احقاد الجاهلية واضغانها .

فلم تكن الدعوة في هذه المرحلة من وجودها تتحمل معارضة قوية كتلك المعارضة التي اعلنتها قريش في وجه الرسالة الجديدة بعد اعلانها ، وكان من الحكمة ان يتحفظ النبي (ص) ما امكنه التحفظ من ان يعرض هذا الدين لضغط من جانب قريش أو حرب من جانب اليهود • وتوفر لهذا الدين ـ خلال فترة سرية العمل ـ العدد الكافي من الطلائع التي تحمل مسؤولية هذه الرسالة بجدارة وقوة ، وفي ايمان واخلاص كبيرين • وكان محل اجتماع هذه الطليعة بقائدها خلال هذه الفترة في الغالب دار ارقم بن ابي الارقم الذي جعل من بيته محلا لالتقاء النبي القائد (ص) بطلائع الرسالة والمؤمنين به • وفي هذه الدار كان النبي (ص) يوجه أصحابه ويخطط لهم العمل ، ويوزع عليهم المسؤوليات في حدود ما تقتضيه المرحلة من عمل ، ثم ينتشرون في مكة قاعدة الدعوة الاولى ليمارسوا مهامهم ومسؤولياتهم •

اعلان الدعوة :

واذ وجد النبي (ص) العدد الكافي الذي يضطلع بهذه المهمة ويحمي الرسالة ويدافع عنها بدأ باعلان الدعوة في مكة بالتدريج ، وبدأ بتسفيه قريش فيما يعملون من عبادة الاصنام وفي اعرافهم وتقاليدهم •

وقد اثار ذلك موجة من النقد العنيف في وجه النبي (ص) وأصحابه وعرضهم لاذى قريش وتعذيبها • وكانت قريش قد لمحت في هذا الوقت خطر هذه الرسالة على كيانها ووجودها مما دعاها الى ان تقف بكل قوة في وجه الرسالة الجديدة للقضاء عليها قبل ان تترسخ في مجتمع مكة •

سياسة اللاعنف :

ولم يكن من الحكمة في هذه المرحلة ان يرد النبي (ص) الاذى بالمثل ، والقوة بالقوة ، والعنف بالعنف • فقد كانت الرسالة لا تزال تقطع

بدايات الطريق • ورغم انها كانت قد قطعت شوط السرية في العمل ، فانها لم تكن تقوى على مواجهة العنف بالعنف ، وتصعيد المواجهة والحرب مع قريش •

ولم يجد النبي (ص) بدآ من ان يردهم باللين ويتغاضى عما يصيبه من الاذى ، ويأمر أصحابه بالصبر واللين والتغاضي •

وكانت هذه السياسة ـ سياسة اللاعنف في مواجهة العنف الذي كانت تستعمله قريش ـ تؤذي قريش وتربكها أكثر من أي شيء آخر ، وتقطع عليها سبيل العنف والمقاومة المسلحة •

ورغم كل ذلك فقد كانت قريش تصعد المقاومة ، وتعرض أصحاب النبي (ص) للتعذيب والاذى اكثر من ذي قبل • وقد بلغت هذه المواجهة قمتها في مقاطعة قريش النبي (ص) وأهل بيته وأصحابه فترة طويلة من الزمن ، تحمل المسلمون خلالها كثيرا من الاذى والعنت •

التخطيط لأعداد قاعدة جديدة :

وكل ذلك دعا النبي (ص) ان يخطط لاعداد قاعدة جديدة للدعوة ، حتى اذا ما اشتدت الازمة ، وتعرضت الرسالة لخطر جدي ، ينتقل اليها ويجعلها قاعدة لعمله ومنطلقا للرسالة ، فتوجه النبي (ص) الى الطائف ليبشر فيها برسالته ، وليجد فيها أنصارا وأعوانا يهيئون المنطقة لتكون القاعدة الجديدة التي كانت تشغل تفكير النبي القائد (ص) في هذه الفترة •

واذا لم يقدر للنبي (ص) ان يجد في هذه المنطقة غايته وجه جمعا من أصحابه الى الحبشة ليهيئوا هذه المنطقة ، لتكون المنطلق الجديد للرسالة ، ولم تكن الغاية من هذه الهجرة ان يريح النبي (ص) أصحابه من أذى قريش وتعذيبهم كما يحسب ذلك بعض المؤرخين لسيرة النبي (ص) •

فقد بعث النبي (ص) جمعا من كبار أصحابه ، وممن كانت تحميهم عشائرهم ومكانتهم في مكة من ملاحقة قريش وأذاها ، من امثال جعفر بن أبي طالب وغيره ، وأبقى في مكة آخرين من الضعفاء الذين لم تكن تحميهم عشيرة أو مكانة • وقد أدركت قريش ما كان يريده النبي (ص) من وراء هذه الهجرة فبعثت الى الحبشة نفرا منهم بهدايا يحملونها الى ملك الحبشة لاحباط المهمة التي بعث النبي (ص) أصحابه من أجلها •

ولم يهدأ النبي (ص) مع ذلك فقد كانت فكرة الانتقال بالدعوة الى قاعدة جديدة تشغل تفكير النبي (ص) • فقد وجد (ص) ان مكة لا تصلح ان تكون القاعدة الحصينة التي تتطلبها الرسالة ، ولابد لهذه الرسالة من قاعدة جديدة تتمتع بالحصانة الكافية ولا تجد قريش اليها سبيلا •

فمكة قد شعرت بالخطر بوضوح ، وهي على وشك ان تنقض على الدعوة بكل قواها وامكاناتها • والاسلام قد اتسعت رقعة نفوذه ، ووجد العدد الكافي من المؤمنين برسالته ، والرصيد الكافي لاقامة المجتمع الاسلامي الذي كان يخطط له النبي (ص) ضمن هذه المرحلة في صبر وحكمة • واذا كانت مكة لا تصلح ان تكون القاعدة المطلوبة ، فلابد من التفكير في قاعدة جديدة ينتقل اليها القائد برسالته وعمله وانصاره • فأخذ النبي (ص) يعرض نفسه للحجاج الذين يأتون بيت الله الحرام في موسم الحج من كل سنة ، ويعرض عليهم الرسالة بمفاهيمها وأفكارها الجديدة ، ويدعوهم الى الايمان بها • ولم يكن الغرض من هذه المحاولة فقط ان يكسب النبي (ص) أنصارا جدد للرسالة ، وانما كان النبي (ص) يبتغي أيضا من وراء هذه المحاولة ان يجد القاعدة الجديدة التي كان يفكر بها خارج مكة •

الهجـــرة :

وقد قدر الله لرسوله بعد كل هذه المحاولات ان يجد في حجاج يثرب غايته التي كان ينشدهـا ، فانتقـل النبي (ص) الى يثرب برسالته

وأصحابه بعد ان مهد لذلك • وفي يثرب اقام النبي (ص) المجتمع الاسلامي الذي يخطط له الاسلام ويحكمه • وهنا تبدأ المرحلة الثانية في حياة النبي (ص) وجهاده ، وهي مرحلة تختلف كل الاختلاف عن المرحلة الاولى من حياة النبي (ص) وعمله •

ففي هذه المرحلة تدخل الرسالة مرحلة استلام الحكم ، ويستلم النبي (ص) كقائد أول لهذه الرسالة زمام الحكم في المجتمع الجديد ، بكل ما يرتبط بالحكم من شؤون القضاء والادارة والسياسة والمال والاقتصاد والجيش ، ويدخل المدينة حاكما يقر له المجتمع بهذا الحق وينقاد له • وكان هذا اعلانا بانتهاء فترة وبدأ مرحلة أخرى من العمل ، واعلانا لطبيعة هذه الرسالة واصالة الحاكمية فيها ورأيها في الحكم ، وأن (من لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون) ، وقد كان هذا المعنى واضحا للمسلمين من المهاجرين والانصار الذين اقاموا هذا المجتمع ، فلم يستغرب احد منهم ان يقيم النبي (ص) دولة ، وأن يتولى في هذا المجتمع شؤون الحكم والادارة والسياسة والحرب • وكان واضحا لغير المسلمين أيضا • فقد عرفوا من طبيعة هذه الرسالة أنها رسالة حاكمة ، وأن النبي (ص) اذا ما تحول الى المدينة فسيدخلها حاكما ويستلم فيها زمام الحكم والادارة والحرب والسلم والمال •

الموقف الجديد :

وقد تغير شيء كثير من موقف هذا الدين تجاه اعدائه ومناوئيه • فبينما كان الموقف في مكة يتسم بكثير من اللين والمرونة من جانب المسلمين تحول الموقف في المدينة الى موقف القوة ، ورد العنف بالعنف ، والاعتداء بمثله ، وكان من الطبيعي جدا ان ينطوي التخطيط النبوي على هذا التفكيك في المرحلة من حيث موقف المسلمين ازاء اعدائهم ومناوئيهم • فقد كان المسلمون في مكة ضعفاء لا يقوون على مواجهة الاعتداء بمثله •

وأي عنف في المواجهة من جانب المسلمين كان يؤدي الى احتدام الصراع بين الرسالة الجديدة والجاهلية الحاقدة ، والى القضاء على الطليعة المؤمنة التي كانت تحمل مسؤولية الرسالة في هذه المرحلة من حياة النبي (ص) .

وحينما تحول المسلمون الى المدينة تغير الوضع وأصبح المسلمون يشكلون قوة في الجزيرة العربية . اذن فلابد ان يتغير الموقف من لين الى عنف ، ومن ضعف الى قوة ، ولابد ان يتكيف المسلمون مع الوضعية الجديدة التي تتطلبها المرحلة . فليس من رسالة الاسلام في شيء استعمال العنف في الوصول الى غاياته وأهدافه ، بل الاقناع هو الاداة المفضلة لهذه الرسالة في تحقيق الشخصية الاسلامية والمجتمع الاسلامي . الا انه اذا قدر لهذا الدين ان يصطدم بعقبة من العقبات التي تضعها الجاهلية في طريق هذه الرسالة وبمشكلة من المشاكل التي تسببها الجاهلية لهذا الدين ، فان الدعوة لا تتردد في ازاحة هذه العقبة عن طريقها وتذليل هذه المشكلة بكل ما لديها من قوة ، وبكل ما تملك من عنف . فقد كانت الجاهلية لابد ان تزاحم كلمة الله وسلطانه في المجتمع ، وتتحكم في مصير المجتمع وعلاقاته ، وتأخذ بيدها زمام المبادرة ، في ذلك كله .

وأي لين أو مرونة في مواجهة العدو في هذه المرحلة يؤدي من دون ريب الى فسح المجال لها بمصادرة الغايات والاهداف التي يتوخاها هذا الدين في تحكيم كلمة الله ، وتحكيم شريعته ودينه على وجه الارض ، ولذلك فقد كان الاسلام في هذه المرحلة جدّيا في مواجهة المشركين واليهود ، وفي تفويت الفرص عليهم ، وفي تصفية قواعدهم . فقد كانت مسألة الحكم صراعا بين الاسلام والجاهلية . وكان لابد في هذا الصراع من شيء كثير من القوة ومن الجدية ومن العنف أيضا حينما كان الامر يتطلب العنف والجد .

* * *

التخطيط العسكري :

وقد كانت الحروب التي خاضها النبي (ص) في مواجهة قريش واليهود والقبائل العربية الموالية لهما في الجزيرة آية في التخطيط العسكري ، وقمة في القيادة والتخطيط ، مما يدل على ان مسألة القيادة والحكم والادارة مسائل جوهرية في هذا الدين ، وأن القيادة والحكم جزء أصيل من منهج هذا الدين .

فقد بدأ النبي (ص) يخطط للاستيلاء على الجزيرة وتحكيم شريعة الله فيها منذ أن دخل المدينة ، وكانت قريش تشكل عقبة كبيرة في سبيل تحقيق هذه الغاية ، كما كان اليهود يشكلون العقبة الثانية ، وقد كان يلتف حول قريش بعض القبائل المحالفة لها . فبدأ النبي (ص) العمل على تصفية قواعد العدو ، وكانت مكة من أقوى هذه القواعد التي كانت تصمد في وجه النبي (ص) .

الحصار الاقتصادي :

وللقضاء على صمود مكة وقوتها بادر النبي (ص) بتهديد الطريق التجاري الذي كان يربط مكة بالشام والذي كان يقع على ساحل البحر الأحمر . وقد كان هذا الطريق هو العصب الذي يمد مكة بكل ما تريده من متطلبات الحياة في ذلك الوقت ، من سلاح ، وعتاد ، وتجارة ، وقد كانت تجارة قريش تعتبر موردا ماديا ومعنويا لها في أوساط الحجاز . فقد كانت القبائل العربية المحيطة بمكة تقصد مكة بما لديها من مال وحاصلات زراعية ومواشي لتشتري من مكة ما تحتاجه من سلاح وبضائع مستوردة من الشام .

وحين خطط النبي (ص) لتهديد هذا الطريق وتهديد تجارة قريش كان يعلم أنه قد وجه بذلك ضربة قوية لشخصية قريش من الناحية المادية والمعنوية وفعلا نفذ النبي (ص) هذا التخطيط في حرب بدر ، ونجح

المخطط في تهديد تجارة قريش •

ولان عادت قريش في عام مقبل لأستعادت مكانتها ، وأعادة الامن الى تجارتهـا ، واصيب المسلمون ببعض الخسارة في هـذه الحرب (حرب احد) • فان الطريق لم تعد لقريش ، ولم تسلم قريش على تجارتها ، وتحطمت قريش اقتصاديا ومعنويا كذلك ، حيث انقطعت عنها البضائع التي كانت تأتي بها تجارتها من الشام ، وفقدت أسواق مكة مركزيتهـا التجارية •

ولئن لم ينتبه المسلمون يومذاك الى أهمية العمل الذي قام به النبي (ص) من ناحية سياسية وعسكرية وتأثيره الكبير في شل الحياة الاقتصادية لمكة ، فقد عرفت اوربا بعد قرون أهمية هذا العمل في احراج العدو ، وارهاقه ، ومباشرة الضغط عليه اقتصاديا ، وعرفت هذه العملية بعد ذلك بـ (الحصار الاقتصادي) واستعملها نابليون ضد بريطانيا ، كما استعملت مرات أخرى من قبل القادة العسكريين في الحروب •

تصفية قواعد المشركين واليهود :

وبعد ان تم للنبي (ص) ارهاق العدو واذلاله ، وبعد ان فشلت آخر محاولة للعدو في التجمع للقضـــاء على المعسكر الاسلامي في حـــرب (الاحزاب) ••• بدأ بضرب قاعدة العدو ، وتصفية ما تبقى له من النفوذ في الجزيرة ، وسقطت القاعدة امام الزحف الاسلامي • وصفح النبي (ص) عن كل جرائم قريش وعدوانها في كرم ونبـل ، واستمر الزحف على سائر مراكز تجمع العدو في أطراف الجزيرة ، وانهارت هـذه المراكز واحدا بعد آخر أمام الجيش الاسلامي الفـاتح ، واستسلمت الجزيرة للدين الجديد وفرضت الدعوة سلطانها على اطراف الجزيرة •

تحصين القاعدة الاسلامية :

وفي خلال هـذه الاعمال كان النبي (ص) يعمل لتحصين المدينـة

بتطهيرها من العناصر المخـربة والمنافقين واليهود الذين كانوا يكيـدون للاسلام وللمسلمين •

فكان النبي (ص) يعمل في وقت واحد لضرب معاقل العدو وقواعده في الجزيرة ، ولتحصـين القاعـدة الاسلامية في الجزيرة وتطهيرها من المنافقين واليهود ، ويمارس خلال هذه المهمة وتلك مسؤولياته الرسالية في تربية الشخصية الاسلامية ، وتكوين المجتمع الاسلامي ، وترسيخ العقيدة الاسلامية في النفوس • واستطاع النبي (ص) بعد هذا الشوط الطويل الذي قطعه في ثلاث وعشرين سنة بعد البعثة من اخضاع الجزيرة كلهـا لشريعة الله ، والاستيلاء فيها على زمام وادارة المجتمع ، بما في ذلك من شؤون الادارة والمال والجيش والقضاء ، وانقادت الجزيرة بكل أطرافها للرسالة واستسلمت لها في انقياد ، وانتظمت في مجتمع واحد يحكمه الاسلام •

* * *

هذا اجمال من تفصيل عن الجانب القيادي من حياة النبي (ص) والتخطيط القائد الذي امتد على مدى ربع قرن من حياته (ص) • والذي يدرس السيرة النبوية والاعمال التي قام بها النبي (ص) بامعان ودقة في مكة وفي المدينة يجد انها كانت تنتظم جميعا في مخطط واحد وينتهي هـذا المخطط الى استلام الحكم في الجزيرة ، وتحكيم شريعة الله فيها ، واشاعة الرسالة الاسلامية ، وترسيخها في نفوس الناس ، ويرى ان مسألة الحكم كانت مسألة جوهرية في هذه الرسالة ، وليست مسألة مؤقتـة ، أو امرا هامشيا في هذا الدين • وان هذا الدين لا تنتهي رسالته عند دعوة الناس وابلاغهم شريعة الله واحكامه ، وردعهم عن الخضوع للاوثان والعبـادة لغير الله • بل ان من صميم هذه الرسالة ان يتولى المنهج الالهي الحكم في حياة الناس وليس هـذا الدين مجموعة من (الاقتراحات الطيبـة) و (النصائح والمواعظ الدينية) التي تلقى على المنابر ويتلقاها الطيبـون من

الناس بالقبول ، ويعرض على غيرهم من الناس في الاسلام ، وانما هو منهج في التشريع ومشروع للتنفيذ ، ومخطط للتحكيم ، ورسالة ودولة ، وقوة وصلابة في تحقيق ذلك كله .

التآمر على هذا الدين :

ولم يختلف هذا الوضوح الا بعد جهد كبير بذله الاستعمار في تغيير ملامح هذا الدين لدى العامة من المسلمين ، وتحويله الى دين يشبه المسيحية (التي تؤمن بها اوربا وامريكا) يقنع من الارض بما تحيطه جدران الكنائس ، ويقنع من حياة الناس بالساعات القليلة التي يقضيها الناس في هذه الكنائس من أيام الاحاد ، ويقنع من الاسهام في الحياة الاجتماعية بما تتطلبه التقاليد الاجتماعية حين يموت احد ويجرى تشييعه ودفنه .

وقد حاول الاستعمار ان يعطي نفس الطابع للاسلام في نظر المسلمين ويفقده اصالته وحيويته واهتمامه الكبير بمسائل الحياة وشؤونها ، ويفصل الدين ، الدولة وعن شؤون الحياة الاخرى .

ومنذ هذا التاريخ اخذ هذا الوضوح بالاختفاء واخذ المسلمون في الغالب لا يعون من الدين الا هذه الطقوس التي تجرى أحيانا عن ايمان واخلاص ، وتجرى احيانا اخرى كعادات وتقاليد اجتماعية لابد من الاتيان بها بصورة روتينية .

ولا يستعيد المسلمون ، بعد حياتهم وشخصيتهم على وجه الارض ولا يمكن ان تنطلق هذه الرسالة في تحقيق رسالة الله ، الا حينما يعي المسلمون حقيقة دينهم وواقع هذه الرسالة ، والا حينما ينبثق من هذا الوعي قوة اسلامية على وجه الارض وكيان اجتماعي ذو جذور وابعاد رسالية وعقائدية .

التبادر وأقسامه

غازي سعيد السعد

ان التبادر عند علماء الاصول من مصادر العلم بالوضع « وضع اللفظ لمعناه » ، فهو علامة كون اللفظ مستعملا في معناه « الحقيقي الخاص الموضوع له في أصل اللغة » على نحو الحقيقة ، كما أن عدمه علامة على كون اللفظ مستعملا في المعنى أو في غير ما وضع له في أصل اللغة مجازا وتجوزا .

ولذالك[1] كان التبادر وعدمه من مصادر العلم بالوضع بل من علامات الحقيقة والمجاز . والتبادر في الاصطلاح العلمي الاصولي هو : انصراف المعنى وانسباقه وانتقاله الى الذهن من اللفظ عند اطلاقه أو من ظاهره أو من ظهوره فيه مجردا من القرينة على ارادته وقصده وتعينه ، فالمتبادر هو المعنى المنصرف المنسبق المنتقل الى ذهن السامع أو المستمع أو القارىء أو المخاطب من نفس اللفظ عند الاطلاق أو من ظاهره أو من ظهوره فيه بلا توسط قرينة على ارادته وتشخيصه .

والانصاف أن تبادر المعنى وانصرافه وانتقاله الى الذهن من اللفظ « المجرد

---

(١) كتبنا « لذالك » بابقاء الالف اتباعا لقاعدة اثبات الحرف في الخط والكتابة لثبوته في عالم التلفظ ، فكل ماثبت لفظا ونطقا يجب رسمه، وكل ما لم يثبت في عالم اللفظ يجب اسقاطه من مقام الرسم والكتابة . وهذا هو الاصل . وانما جرى اعتبارهم على حذف ما ثبت في اللفظ وكتب ما لم يثبت في اللفظ لكثرة الاستعمال . ومن شاء فليرجع الى كتابنا (من أصول قواعد الاستملاء العربي) ليعرف القاعدة الاصلية في رسم الكلمات وحروفها .

من كل قرينة على ارادته وتعيينه » أو من ظاهره أو من ظهوره فيه بغير قرينة ، علامة على كونه حقيقة فيه وعلى أن هذا اللفظ الخاص قد استعمل في هذا المعنى « المتبادر الى الذهن » على وجه الحقيقة وأنه موضوع له في أصل اللغة ، والا فلو كان استعماله فيه على سبيل التجوز والمجاز لاحتاج الى نصب قرينة لعلى ارادة المعنى المجازي . فلما أطلق اللفظ وتبادر المعنى عند الاطلاق وانسبق الى الذهن من نفس اللفظ مجردا من كل قرينة دل التبادر عندئذ على أن اللفظ قد استعمل فيه حقيقة وأنه هو المعنى الحقيقي الموضوع له اللفظ في أصل اللغة ، وحينئذ يحصل لنا العلم من طريق التبادر بأن هذا اللفظ موضوع لهذا المعنى أصلا وأنه مستعمل فيه حقيقة وواقعا .

فحقيقة التبادر يا أخي ما هي الا : (انتقال معنى اللفظ وانصرافه الى ذهن السامع أو المخاطب بغير قرينة عليه وعلى تشخيصه) ، أو (انسباق المعنى من نفس اللفظ أو من ظاهره أو من ظهوره فيه عند اطلاقه وتجريده من كل قرينة على قصده وتعيينه) ، كما ذكرنا أولا .

ومن أجل ذلك اشتهر بين ألسنتهم أن التبادر علامة الحقيقة وأن عدمه علامة المجاز ، ولاكن من يتأمل كلمات الاصوليين ويقفو أثارهم يجدهم فسروا التبادر بتعبيرات شتى بحسب ما نطقت به ألسنتهم وما انتهت اليه أنظارهم وأفكارهم .

ففي كفاية أصول المحقق الخراساني أنه : « تبادر المعنى من اللفظ وانسابقه الى الذهن من نفسه وبلا[٢] قرينة[٣] » ، وهو علامة كون المعنى

---

(٢) لا حاجة به الى استعمال واو العطف ها هنا واقحامها في ميدان ليست هي من فرسانه .

(٣) أية قرينة مقالية او حالية ولو كانت مقدمات الحكمة .

حقيقة في اللفظ لبداهة « أنه لولا وضعه له[٤] لما تبادر » . وفي حقائق أصول آية الله العظمى السيد محسن الحكيم « أن التبادر عبارة عن انسباق المعنى من اللفظ بحيث يكون سماع اللفظ موجبا لحضور المعنى في الذهن ، وهذا الانسباق هو الدلالة التصورية ، وحينئذ يتكل ترتبه على الوضع أو العلم به . أما على الاول فواضح ، وأما على الثاني فلأن حضور المعنى حاصل من جهة العلم بالوضع لا من جهة اللفظ . نعم قد يترتب على العلم بالوضع[٥] الدلالة التصديقية[٦] المتقدم بيانها ، لكنها غير التبادر ، فلا يبعد اذن أن يقال : ان تبادر المعنى من اللفظ انما يكون بتوسط الملازمة الذهنية بينهما[٧] الحاصلة من كثرة استعماله[٨] فيه[٩] سواء أكان عن وضع اللفظ له[١٠] أم مجازا بقرينة حتى يبلغ حدا يوجب فهم المعنى عند سماع اللفظ ، فالتبادر دائما يكون علامة لهذه الملازمة الذهنية التي هي وضع تعيني لو لم يكن اللفظ قد وضع للمعنى » .

وفي كتاب أصول فقه شيخنا محمد رضا المظفر « قدس سره » أن

---

(٤) أي وضع اللفظ للمعنى .

(٥) بل على نفس الوضع ، لأنه علة وسبب لحصول الدلالة التصديقية ، أو لان الدلالة التصديقية معلومة للوضع ومترتبة عليه وناشئة منه .

(٦) الدلالة التصديقية هي دلالة اللفظ على أن المعنى اراده المتكلم وقصد استعمال اللفظ فيه لتفهمه الغير وابرازه له ، فهي تابعة للارادة والقصد . وهذه الدلالة الوضعية اللفظية الحقيقية .

(٧) أي بين اللفظ والمعنى .

(٨) يعني استعمال اللفظ .

(٩) أي في المعنى .

(١٠) أي للمعنى .

(المقصود من كلمة التبادر هو • انسباق المعنى من نفس اللفظ مجردا[11] عن كل قرينة) • وفي تهذيب أصول سيدنا الخميني « آغا روح الله » أن (المراد منه : ظهور المعنى من اللفظ بنفسه من غير قرينة ، لا سرعة حصول المعنى في الذهن بالنسبة الى معنى آخر ، أو سبقه عليه) • وفي مصابيح أصول سيدنا المحقق آية الله السيد الخوئي أنه : (انتقال الذهن من اللفظ الى المعنى من دون قرينة ، ولابد لهذا الانتقال من موجب[12]) • وفي محاضراته أيضا أن التبادر (حظور المعنى في الذهن بمجرد سماع اللفظ واطلاقه من دون لحاظ أية قرينة وعناية في البين من حالية أو مقالية • ومن الواضح أن مثل هذا التبادر معلول للوضع[13] لا محالة وكاشف عنه[14] كشفاً آنياً[15]، والوجه في ذلك هو أن دلالة اللفظ لا تخلو اما أن تكون ذاتية[16] أو تكون جعلية[17] ، وعلى الثاني[18] اما أن تكون

---

(١١) المعروف «منه» •

(١٢) أي سبب موجب لحصول هذا الانتقال الذهني من اللفظ الى المعنى بلا قرينة ، أو علة موجبة له • وليس الموجب له الا الوضع ، فهو معلول للوضع حتما •

(١٣) يريد أن الوضع سبب وعلة لهذا التبادر ، فالتبادر حاصل وناشىء من وضع اللفظ للمعنى •

(١٤) أي عن الوضع •

(١٥) أراد : كشفا بطريق الأن • والدليل الاني هو الاستدلال بوجود المعلول على وجود علته ، بخلا فالدليل اللمي فانه استدلال بوجود العلة على وجود معلولها • فالاستدلال هنا هو استدلال اني ، أي استدلال بالمعلول الذي هو التبادر على العلة التي هي الوضع ، بناءا على ان الوضع علة للتبادر وسبب لوجوده •

(١٦) كدلالة الدخان أو الحرارة على النار •

(١٧) أي مجعولة ثابتة بالجعل والوضع •

(١٨) أي على القول يكون دلالة اللفظ على معناه مجعولة موضوعة من قبل الجاعل الوضع ، لا ذاتية عقلية •

الدلالة مع القرينة أو بدونها .

وفي هاذا القول اشارة من السيد الحجة الى الخلاف بين من يقول بدلالة اللفظ على المعنى بالوضع والجعل والتخصيص ، أي بكون دلالة اللفظ على معناه وضعية جعلية ناشئة من وضع واضع وجعل جاعل ، وبين من يقول بكون دلالة اللفظ على معناه ذاتية عقلية غير ناشئة من الوضع والجعل .

والحق أن اللفظ يدل على المعنى بوساطة الوضع والجعل والاعتبار من الواضع الجاعل المعتبر ، وأنه لو كانت دلالته عليه ذاتية لاشترك فيها وفي فهمها وادراكها ومعرفتها جميع الناس على اختلاف لغاتهم وأعرافهم وعاداتهم وبلدانهم بلا سبق تعلم ودرس ، وهذا خلاف الوجدان الشاهد على أنه لا يمكن معرفة لغة من اللغات ولا اتقانها ولا فهم معاني ألفاظها ومفرداتها ولا ادراك دلالات ألفاظها على معانيها الا بعد درسها وتعلمها والتخرج فيها على أيدي أساتذة من أهل الفن ، فمثل الفارسي لا يعرف اللغة العربية أصلا ولا يفهم معانيها ولا دلالات ألفاظها على المعاني الا اذا جد واجتهد في دراستها وممارستها وتعلمها . بل لو كانت الدلالة ذاتية لعرف الاعجمي معاني اللغة العربية وفهم الفاظها ومفرداتها ودلالاتها على معانيها بمجرد سماعها أو رؤيتها أو الاطلاع عليها من دون أن يعلمه أحد أو يدرسه ، وهذا أمر يكذبه الوجدان الحاكم عليه بالفساد والبطلان والخذلان .

قلت : والظاهر أن تفسيرهم للتبادر اصطلاحا وان اختلف لسانا ولهجة يكاد يرجع الى المعنى الذي أشرنا اليه ابتداءاً ، فهو كقول الشاعر :

عباراتنا شتى[٢٦] وحسنك واحد وكل الى ذاك الجمال يشير

---

(٢٦) أي مختلفة . وقوله : « شتى » خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الالف منع من ظهورها التعذر .

ومعنى كون التبادر علامة على الحقيقة عندهم أن ظهور اللفظ في المعنى عند اطلاقه عاريا من كل قرينة ولو قرينة مقدمات الحكمة ، وانصراف المعنى منه الى الذهن بلا قرينة ، دليل على أن اللفظ قد استعمل حقيقة في معناه الخاص الحقيقي الموضوع له الذي تصوره الواضع في ذهنه واراده وقصد افهامه للغير فوضع له اللفظ واستعمله فيه للدلالة عليه . وكنا بينا أن دلالة اللفظ على معناه الحقيقي الخاص الموضوع له في أصل اللغة انما نشأت وحصلت من وضع اللفظ للمعنى الذي تصوره الواضع في ذهنه وقصده وأراد تفهيمه للغير واظهاره له ، فهي وضعية جعلية معلولة للوضع ومسببة منه ، فان حقيقة وضع اللفظ للمعنى : أن يتصور الواضع معنى معينا أراده وقصده في ذهنه بل قصد تفهيمه الغير وابرازه له ثم يضع له لفظا خاصا ليدل عليه ، كما أن الملازمة القائمة بين اللفظ والمعنى لم تنشأ الا من الوضع والعلم به .

هذه لمحة في بيان معنى التبادر الاصطلاحي . فأما أقسامه فذكروا منها أربعة ، لان التبادر اما (حاقي اجتهادي) وهو تبادر المعنى الى الذهن من حاق اللفظ وذاته كتبادر المعنى الموضوع له ، وهذا هو علامة الحقيقة. واما (قريني) كتبادر الرجل الشجاع من قولهم : « رأيت أسدا يرمي » ، لان كلمة « يرمي » قرينة على أن المراد بالاسد : خصوص الرجل الشجاع ، لا الحيوان المفترس المعروف . فقرينة « يرمي » صرفت ظهور لفظ « الاسد » في معناه الحقيقي الخاص الموضوع له الذي هو الحيوان المفترس المعروف وكشفت عن المراد الجدي المجازي المقصود للمتكلم وشخصته واقعا . وانما سمي التبادر قرينيا لأنه تبادر بالقرينة وبتوسطها ، لا تبادر بغير قرينة ، ولذلك لا يكون علامة الحقيقة . واما (انصرافي اطلاقي) كانصراف المطلق الى الفرد الشائع . واما (ظهوري فقاهتي) كقولنا : الظاهر من الاسد هو ارادة المعنى الحقيقي الخاص الموضوع له

الذي هو الحيوان المفترس المعروف ، لاصالة عدم القرينة .

وقد ذكر الاصوليون أن علامات الحقيقة والمجاز ـ وهي التي تعين الحقيقة من المجاز ويعرف بهـا أحدهما من الآخر ـ أربع : (التبادر وعدمه) ، و (الاطراد وعدمه) ، و (عدم صحة السلب[1] وصحته ، وصحة الحمل[2] وعدم صحته) ، و (تنصيص أهل اللغة) .

ونقل عن السيد المرتضى (رض) أنه زاد عليهـا (لاستعمال أي استعمال اللفظ في المعنى) فصارت خمسا . وقد عد (التبادر ، والاطراد ، وعدم صحة سلب اللفظ من المعنى ، وصحة حمل اللفظ على المعنى ، ونص اللغويين ، والاستعمال) من علامات الحقيقة بل من مصادر العلم بالوضع . وضع اللفظ لمعناه . أي من الاسباب الموجبة للعلم بأن هـذا اللفظ الخاص موضوع لهذا المعنى الخاص ، كما عد (عدم التبادر ، وعدم الاطراد ، وصحة السلب ، وعدم صحة الحمل) من علامات المجاز ، ولكن لا يخلو بعضها من نقاش وخدش ، فأن الاطراد والاستعمال لا يصح أن يجعلا من علامات الحقيقة ، لان الاول ان كان بمعنى عـدم اختصاص صحة استعمال اللفظ في المعنى المشكوك في وضع اللفظ لـه بمقام دون مقام أو بحالة دون أخرى أو بمورد دون آخر فصحة استعمال اللفظ في معنى بما له من الخصوصيات مرة واحدة ـ كما يقول بعض أساتذتنا المتأخرين ـ تستلزم صحته دائما سـواء أكان حقيقـة أم كان مجازا . فليس الاطراد خاصا بالحقيقة حتى يكون علامة عليها .

فأما الثاني فلا ينبغي أن يكون علامة على الحقيقة وعلى أن اللفظ استعمل في معناه الحقيقي الخاص الموضوع له أو في ما وضع له في أصل اللغة بمجرد استعماله فيه ، لان استعمال اللفظ كمـا يصح في المعنى

---

(١) أي سلب اللفظ مما وضع له او من معناه الموضوع له .
(٢) أي حمل اللفظ على المعنى .

الحقيقي الموضوع له يصح في المعنى المجازي الذي لا يتعين ولا يتشخص الا بأقامة قرينة على ارادته •

وما يدريك لعل المستعمل اعتمد على قرينة مقالية أو حالية لتفهيم المعنى المقصود له فاستعمل اللفظ في المعنى على وجه المجاز والتجوز ، ولهذا قيل : « الاستعمال أعم من الحقيقة والمجاز » • وما ذلك الا أنه ليس استعمال اللفظ في معنى علامة على الحقيقة من دون المجاز ، اذ اللفظ كما يصح استعماله في المعنى الحقيقي يصح استعماله في المعنى المجازي • وبالجملة فانه لا يكفي في اثبات أوضاع اللغة أية لغة أن نجد في كلام أهل تلك اللغة استعمال اللفظ في المعنى الذي شك في وضع اللفظ له ، بل يجب الرجوع الى العلامات المثبتة للحقيقة أو المجاز ـ أي المثبتة للوضع أو عدمه ـ لاثبات وضع اللفظ وتحصيل العلم بوضعه • وقد علمت أن هذه العلامات لا يرجع اليها الا عند الشك في وضع اللفظ لمعنى من المعاني ، بخلاف أصالة الحقيقة التي كان السيد المرتضى يجريها في الاستعمال خطأً ، وأخواتها ، فأنها تجري ويرجع اليها عند الشك في المراد باللفظ بعد العلم بوضعه لمعنى من المعاني •

من نظـــام الكليـــة

م ٤ : يدرس في الكلية القرآن وعلومه ـ الحديث وعلومه ـ العقيدة الاسلامية مـع المقارنة بالديانات الاخرى والمذاهب المعاصرة ـ نظام الاسلام ـ التاريخ الاسلامي والحضارات التي تفاعلت مع الحضارة الاسلامية ـ المنطق ومناهج البحث ، الفلسفة ، الفقه ، أصول الفقه ، اللغة العربية ، لغات أجنبية •

طريق الخلاص
عند اللامنتمي وعند الشخصية الاسلامية

في العاصفة وحين تقتلع الاكواخ متطايرة جذاذا وحين يشب الحريق في أطراف الغابة ويهرع البعض الى فرق الاطفاء والآخر الى التهستر أو البكاء أو الانتحار أو النهب لاتملك الا الالتزام « بموقف » ما ، فربما تبكي للأطفال والزهور أو تقاتل الذين يلقون على النار زيتا أو تصفع من يجاذبك توبك ليسلبك أو حتى تضحك حين يكسر قفص القرود وأنت تراها وأذنابها محترقة تعدو فتشيع الهرج والفوضى ، وفي الاحتمالات البعيدة تجلس في زاوية مقهى على الحطام تقلب عينيك وتفكر بعقل « قشي » ـ نسبة الى القش ـ .

أحد هذه المواقف ينبغي لانسان القرن العشرين ان «يلتزمه» .

في نظرة خاطفة الى هذه الكتلة الضئيلة من اللحم والعظم مضافاً اليها مشاعر محطمة التي نصطلح عليها « انسان » تجعلنا نؤمن بأنه فارغ من حيث المضمون ومحتقر من حيث الشكل ، جاهلي السلوك والتفكير. ولكنه مع كل ذلك مجبر على اختيار طريق يفضي به الى خارج النفق المظلم ، فأين الخلاص ؟ وما هو طريقه ؟

سنقوم بدراسة مقارنة ـ عزيزي القارىء ـ لهذين السؤالين من خلال أجوبة الانسان الاوربي الذي قاسى أهوال العاصفة والحريق فبدأ بالسؤال عن الحل ، وأجوبة الشخصية الاسلامية التي رأت قبل غيرها بداية اللهيب المدمر وشمت الرائحة .

قبل البدء ينبغي لنا تعريف اللامنتمي مجملا مما كتبه كولن ولسن، فهو « الانسان العاصي المتمرد على مجتمعه الفاسد الذي طغت عليه المادية القلق بسبب انعدام الجانب الروحي ، الذي يهمه ان يعرف أين هو ذاهب؟ ومن هو ؟»[1] .

اذن ماهي الخطوة الاولى على طريق الخلاص ؟ وما هي مصادر الوقود الدافعة لخطواتي على الطريق ؟

« أهم ما يركز عليه (ولسن) كبداية للحل هي « قابلية الانسان على تغيير نفسه ، ولكن كل العلماء والمصلحين الاجتماعيين أخفقوا في ادراك هذه الحقيقة وهم يعتقدون ان الامر الوحيد الذي يحتاج الى تغيير هو الظرف الذي يعيش فيه الانسان أي محيطه وهذا يقود الى التقدم وبذلك يصبح الانسان كاملا ، ان كل بحث في هذا الكتاب ـ سقوط الحضارة ـ وكذلك اللامنتمي موجه نحو اظهار هذا الخطأ الضحل »[2]

من هنا من النفس تبدأ أولى الخطوات من هذا « العدو النهائي الذي يحمله كل رجل وكل امرأة معه ، الا ان النضال مع هذا العدو يجب ان يكون خالصا بالفرد ذاته غير متعلق بالافراد الآخرين على الاطلاق »[3].

---

(١) سقوط الحضارة : كولن ولسن ص ٥ ، ٢٣٩ ، ٣٣٢ ، ١٩١ اللامنتمي : كولن ولسن ص ٢٤٩ .

(٢) سقوط الحضارة ١٩١ .

(٣) اللامنتمي ٢٤٤ .

لقد بلغ (ولسن) حين قرر انه مكتشف قاعدة (التغير الذاتي أولا) و ـ على سبيل التمثيل ـ (توينبي) الذي جعلها القاعدة الاولى حين حاول الاجابة على سؤال : كيف ولماذا تتقدم الحضارات ؟ في كتابه « دراسة للتأريخ »[٤] ، وكذلك (اشبنجلر) في كتابه « الاعوام الحاسمة » وغيرهم . وقبل كل هذا نطالع القرآن الكريم حين يعلنها « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » بل واكثر من هذا فهو يقرر أيضا صعوبة هذا التغير في قوله تعالى « ففروا الى الله » فيرسم الصورة حية متحركة عنيفة يكشفها لفظ « ففروا » والقرآن على طريقته المعهودة حين يتعرض للمعارك فهو يتفق مع الفطرة الانسانية في صعوبتها ولكنه يقول : انه الطريق الوحيد . وفي قوله تعالى « كتب عليكم القتال وهو كره لكم » مصداق لهذه الحقيقة ، حين يضع الانسان في ايجابية « وجودية » بين أمرين ، اما أن (ينفعل) بهذا الضغط الحيواني نحو الاسفل وبالتالي (ينفرش) على الارض أو نحو الاعلى في حركة لولبية عنيفة «ففروا» ليستعلي على الاستسلام للحرارة .

اذن فهد فاللامنتمي الاول هو «ان يجد طريقا للعودة الى نفسه»[٦] ولكن عليه أن يجد وسيلة معينة ليفعل بها ذلك أي أنه يجب أن يجد نظاما معينا فما هو هذا النظام أو الطريقة ؟ هل هو الانعزال ؟ يجيب (سورم) ـ بطل قصة طقوس في الظلام ـ « لم اكن واثقا من اني سأستمتع بكوني راهبا واشك في ان أهداف مجتمع الرهبان هي نفس الاهداف التي ابغيها»[٧]، هل هو الانغماس بالواقع المادي الحيواني ؟ أيضاً (لا) كما ندركه من تعريفنا لـ « اللامنتمي » فلم يبق لنا ـ في رأي ولسن ـ الا النظام

---

(٤) راجع كذلك لتوينبي المقال المنشور في مجلة رسالة الاسلام العدد (٧ ، ٨) للسنة الرابعة .

(٥) اللامنتمي ١٦٩ .

(٦) سقوط الحضارة ١٩١ .

(٧) طقوس في الظلام لكولن ولسن ١٧٣ .

المتلخص في :

أ ـ الهدفية الكامنة في « الدين الحر والبعيد المدى بالفعل »[٨] .

ب ـ الايجابية تجاه العالم .

أ ـ الهدفية : يقرر (ولسن) « ان الانسان حيوان هادف »[٩] وانه « لا يمكن ان تكون هناك حياة بدون معنـــى الهدفية »[١٠] وان « اللامنتمي يعتقد بأن الحياة تهدف الى حياة اكثر ، الى شكل اعلى من اشكال الحياة ، الى شكل اكثر من مجرد السوبرمان (الانسان المثالي عند نيتشة) الذي ليس غير رمز شعري له »[١١] ، ولكن ماهو الشيء الذى يمنح هذا الهدف الكبير ؟ يعتدل ولسن في جلسته الفكرية ليقول « الدين يمنح الانسان هذا الهدف النهائي الهدف الذي لا ينتهي حتى ولو عـاش مليونا من السنين»[١٢] ، ونسأل مرة اخرى : أي دين هذا الذي يباركنا بهدف جبار ؟ هل هو المسيحية مثلا ؟ يستدرك ولسن فيقول « صحيح ان اللامنتمي الفرد يصل الى حل ديني من حيث الاساس حين يكشف حاجته الى سلوك يتصف بالرؤى (الايجابية) وبمعاداة الانسانية (الانســـانية المادية الحيوانية) الا ان مثل هذا السلوك ما يزال بعيدا كل البعـد عن الكنيسة مثلا خاصة في عصر مثل عصرنا يلوح فيه ان الكنيسة قد فقدت كل صلة لها بالمشاكل التي تواجهنا فيه »[١٣] ، هو يبعد المسيحية من مجال الحل لا جزافا وانما بناءا على انها لم ترتكز على تعاليم المسيح تعاليم

---

(٨) سقوط الحضارة ٣١٩ .

(٩) ما بعد اللامنتمي لكولن ولسن ١٦٤ .

(١٠) سقوط الحضارة ١٧٢ .

(١١) اللامنتمي ٢٢٧ .

(١٢) سقوط الحضارة ٢٨٧ .

(١٣) سقوط الحضارة ١٢٥ وراجع كذلك لنفس المؤلف خاتمة كتابه « أصول الدافع الجنسي » .

النبي اللامنتمي (كذا) وانما ارتكزت على عقيدة ميتافيزيكية اخترعهـا بولس وصارت أساساللكنيسة الكاثوليكية التيحملت بذرة فنائهامعها»[١٤] وهي عقيدة التواكل حيث لم تعد المسيحية بعد بولس فـكرة (خلص نفسك) وانما صارت فكرة (دعني اخلصك) »[١٥] ، ففي فكرة (دعني اخلصك) يقترف المسيحي ما يشاء من الذنوب وفي نهاية الاسبوع يقف امام القس فيعترف بذنوبه فيقول القس (قد غفرت لك) هذا المنطق من اختصاص الله ، أي ان القس صار (ربا) حين يسرق هذا الحق ، ولتوضيح الفرق بين « خلص نفسك »و « دعني اخلصك » نقتبس ما يوضحها من (جبريل مارسيل) الفيلسوف الوجودي الفرنسي المؤمن ، يقول « هناك مجال واسع للتفكير في ان المثالية [المسيحية] جنحت الى التمادي فـي الاضرار منذ اللحظة التي فقدت فيها اتصالها مع الوحي العلوي .... اللحظة التي اتجهت فيها نحو تأليه الانسان للانسان وليس نحو انتقال نعمة الهية انحدرت للقاء الانسان عن طريق الانسان »[١٦] ، ففي حالة (خلص نفسك) أي « ولا تزر وازرة وزر أخرى » يكون التوكـل المتحفز المنطلق « الفاعل » بينما في (دعني اخلصك) يكون « التواكل » المشلول المتراخي المنفعل « القابل » .

وانما اسهبنا في شرح هذه النطقة لانها جوهرية جدا بينالاسلام « ولا تزر وازرة وزر اخرى » وبين الفكرة المسيحية المبتدعة « المسيح الفادي ، المخلص ، المحرر من الخطايا " .

وفي انتقالة سريعة للشخصية الاسلامية الحقة لا نلحظ هذا القلق

---

(١٤) ن٠م ١٨٩ .

(١٥) ن٠م ١٨٣ .

(١٦) من مقدمة على قصة الساعة الخامسة والعشـرين لجيورجيـو

المرتعش بالتساؤلات كما عند اللامنتمي في ايجاد الهدفية ، لانها تبدأ عند ـ المسلم ـ من اعمق مفهوم ترتكز عليه العقيدة الاسلامية ذلك هو "مفهوم التوحيد ، الذي يتيح المجال للحرية في السلوك والتفكير ولكن مع حدود جانبية وظيفتها انها تمنع عن الذات التبعثر واللاجدوى واللامعنى وتقودها في حركة لولبية مضغوطة الجوانب مدببة الطرف الى اعلى ، الى السمو نحو المطلق ، نحو الله الواحد . على العكس من حرية دون اله ، هنا تكون الحرية مضغاطا يدفع ضحاياه للالتصاق بالارض موزعين على وهاد التشتت والاحساس بالتفاهة والتمرد من أجل التمرد كما هو « سول » بطل قصة الغريب لألبير كامو الفيلسوف الوجودي الملحد ولزيادة التوضيح نقتبس من « ولسن » : « الحرية تعني الارادة » .. الا ان هذه الارادة لا تستطيع ان تعمل الا حين يكون هناك دافع ، ان الدافع ينشأ عن الاعتقاد فأنك لن تفعل شيئا مالم تعتقد بأنه ممكن وذو معنى ، ويجب ان يكون هذا الاعتقاد اعتقادا في وجود شيء أي ان هذا الاعتقاد يعني بما هو حقيقي »[١٧] .

حين تكون عقيدة التوحيد عند الشخصية الاسلامية أساسا ومنطلقا للتفكير تعني ان هنالك اتصالا بين هذه النفس الانسانية وبين الله الواحد القوي ، هذا الاتصال كاف لتبديد وحشة الطريق أمام الارادة ومن ثم يكون دافعا نحو الحرية الحقيقية ، الحرية الخالية من الجبر والقهر ، من الآلهة المتعددة ومن عبودية التراب ، ربما تستنكر هذه العبودية ـ لله ـ من قبل من هم على شاكلة (المعلم زيطة)ـ صانع العاهات لمن ليس له عاهة في قصة زقاق المدق ـ ولكن هذا الاستنكار لا يغير شيئا من جلال وقدسية هذه الحقيقة العملاقة لان هناك « صلة بين اثبات حرية دون اله وبين تأليه الانسان وهذا شأن الحرية الظاهرة التي تمارسها ارادة تعسفية

---

(١٧) اللامنتمي ٤٢ .

تؤكد نفسها كاستقلال مطلق مزعوم بقولها فقط (أريد) »[١٨] . ان هذه الصلة تضعنا على مفترق طريقين :

١ ـ طريق الحرية دون اله وهي تساوي بالتالي القبول بالآلهة المتعددة ومن ثم الحيرة والوحشة والضياع في فراغ تسوده اللاهدفية « ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين » .

٢ ـ الحرية الحقيقية المنسجمة مع الفطرة « ليست هناك الا طريقة واحدة يكون المرء فيها مقودا من قبل الله وهذا الطريق يمر بالحرية نفسها[١٩] ، هذا الطريق الذي يفتح باب الامل الى هدف كبير لا ينتهي « لقد كان الاسكندر الكبير يؤمن بشيء منحه قوة هادفة هائلة اذ آمن بأنه سيحكم العالم كله ، ولما حكم العالم جلس يتساءل يائسا : ماذا سأفعل الآن ؟ أجل هذا هو محك كل ايمان ، فاذا انتهى مفهوم الهدف عند حد معين فأنه ليس هدفا حقيقيا ، اذن ليس هدفا نهائيا ، ولكن الدين يمنح هذا الهدف النهائي [الهدف الكبير السامي اذ يبدو ان المؤلف لا يتقيد بالتفريق بين (النهائي) و (اللانهائي) فلسفيا] الهدف الذي لا ينتهي ولو عاش مليونا من السنين »[٢٠] ، وهنا يتدخل مفهوم « العالم الآخر » عند الشخصية الاسلامية ، هذا المفهوم الذي « يوسع من ميدان الانسان ويفرض عليه نظرة أعمق الى مصالحه ومنافعه ويجعل من الخسارة العاجلة ربحا حقيقيا في هذه النظرة العميقة ومن الارباح العاجلة خسارة حقيقية في نهاية المطاف »[٢١] .

---

(١٨) الفيلسوف الالماني الوجودي المؤمن كارل ياسبرز في كتابه « مدخل الى الفلسفة » ص ٥٦ .

(١٩) ن.م ٨٥ .

(٢٠) سقوط الحضارة ٢٨٧ .

(٢١) فلسفتنا لآية الله السيد محمد باقر الصدر ٤٦ .

ان معنى الحياة الحقة هي ان تعيش من أجل شيء وتموت ـ ان تطلب الهدف الكبير ذلك ـ من أجل شيء ، ولا يوجد شيء أعلى واغلى من أن يعيش الانسان أو يموت من أجل الله ، هذا هو معنى الهدفيـــة الصحيحة ، ما أروع هذا المقطع من أحد مسرحيات برناردشو .

« ـ الكابتن : وهل سيكون موتك من أجل لا شيء ؟

ـ لافينيا : لا اعرف ولو كان امرا صغيرا بحيث نستطيع ان نعرفه فلن يستحق أن نموت من أجله أيضا ، انني سأموت من اجل الله ، اذ لا شيء حقيقي هنالك غير هذا يستحق ان يموت من اجله الانسان .

ـ الكابتن : وما هو الله ؟

ـ لافينيا : حين تعرف هذا سنكون آلهة انفسنا »[٢٢] .

ب ـ الايجابية تجاه العالم :

هناك ـ كما يقرر ولسن ـ كره عنيف بين اللامنتمي والحضـارة التي يعيش بين احضانها ، الحضارة التي تريد ان تسحقه وتودي بوجوده بين ملايين الارقام المحطمة ، يبدأ هذا الصدام بين ذاته وبين العالم الزاخر بالفساد فهو حين يتطلع الى العالم الخارجي « يرى فوضى وفسادا ، اما في عالمه الداخلي ـ في اللحظات التي يشتد ادراكه فيها لايجابيته ـ فانه يرى النظام والجمال والتأكيد »[٢٣] ومشكلته وحيرته هي « ان يجد زاوية في العـــالم يستطيع ان يفرض عليها نظامه المطلق ليجعلها تعكس عالمـــه الداخلي »[٢٤] ، يحل (ولسن) عقدة الكره هذه بأن يقنع اللامنتمي نفسه بأن « الاشياء جميلة وان العالم جميل لا نهـــاية لجماله وحدودنا

---

(٢٢) سقوط الحضارة ٣٣٥ .

(٢٣) ن.م ٢٢٤ .

(٢٤) ن.م ٢٢٥ .

الانسانية هي التي تمنعنا من رؤيته ولذا فالمشكلة الوحيدة هي تجاوزك بطريقة ما (حدود الرؤية الانسانية) وذلك ما تشاهده العين في العالم ، وبعدها مباشرة سيظهر العالم مؤلفا من الخير مع قليل من الشر »[٢٥] ، او ان يصب جام غضبه « على شيء ما مثل اليهودية أو مؤامرات الاستعمار ليخلص شعور عدم الانصاف تجاه العالم »[٢٦] وهـــذه الطريقة بدائية ساذجة كما يلاحظ .

ثم يبتدأ بالخطوة المباشرة المهمة وهي الايجابية لان اللامنتمي هو انسان الرؤى « الرؤى تعني فقط ذلك الذي يرى العالم ايجابيا »[٢٧] ، هذه الايجابية تفتح عينيه على حقيقته وتجسم له دوره الحقيقي كمصلح . ما هي علة الانسان الذي لا يستطيع الخلاص ؟ انه كسول وتنقصـه المثل العليا ولا يستطيع ان يرى ابعد من الغد ، فما هو خلاصه اذن ؟ انه ان لا يخشى من الاهداف العليا ولا يخاف من الشعور بأن وشاح الشعراء والانبياء الذين عاشوا قبله قد استقر على كتفيه وحـــده وان مستقبل البشرية جمعاء متوقف عليه ، اننا نعلم ان اللامنتمي هو بالدرجة الاولى ناقد ، واذا شعر الناقد شعورا عميقا كافيا بالشيء الذي يقوم بنقده فانه يصبح نبيا »[٢٨] ، حين يتخلص من عقدة الكسل ونقصان المثل العليا ينفتح على العالم ويتركز شعوره في عاطفة واحدة « تلك هي الايمان ، الايمان بنفسه والايمان بالحياة والايمان بالله وأحس كأنه يقول [سوردم بطل القصة] اني اقبل الحيـــاة « قبل كل شيء »[٢٩] حين ننتقـل الى

---

(٢٥) ما بعد اللامنتمي ٢٤٠ .
(٢٦) ن.م ٢٣٨ .
(٢٧) اللامنتمي ٢٨٤ .
(٢٨) اللامنتمي ٢٥٢ ، ٢٦١ .
(٢٩) طقوس في الظلام ٢٧٢ .

الشخصية الاسلامية لا تلاحظ هذا التردد في قبول المسؤولية ولا هذا الكره للعالم ، ان وصية والد الدكتور محمد اقبال لولده « يا بني اقرأ القرآن كأنه نزل عليك » لتضطرم في صدر كل مسلم برسالة الاسلام ، مؤمن بأن خلاص العالم متوقف عليه ، مؤمن ان الخلاص له طريق واحد يمر بدموعه وآلامه ، انه نفس الطريق الذي سلكه الانبياء والمصلحون فهو حين يحشر نفسه مع هذه العصبة الخيرة انما يشرف نفسه حين يسير على هديهم ويفتح صدره للموت الذي يتخطفه من كل جانب وهو يسير على الطريق مع المجاهدين من أجل الحب الكبير « الله » والخبز والحرية ، واذا كان اللامنتمي شخصية محتاجة الى عملية تكرير واسعة من اجل اعادة انبثاق نظرة الجد والشفقة تجاه العالم والشعور العميق بالمسؤولية ، فالشخصية الاسلامية لتمتلك ديناميكية الانطلاق نحو الاعلى وانبثاقة التمرد على اللاهدفية منذ اول لقاء على الطريق مع الاسلام ومن دون وحشة ولا ضياع « واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان » .

ولا يفوتني ـ وقد وصلنا الختام ـ ان انبه الى ان البحث في الخلاص كان يتناول الخلاص الفردي ، اي ان الحل الذي قدم هنا هو للخلاص الفردي بواسطة رسائل عبادية معينة والخلاص الاجتماعي بواسطة نظام الاسلام الذي يضم كل جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ... الخ ، بينما لا يمتلك اللامنتمي الشطر الثاني من الخلاص .

سلام عبدالقاهر المنشاوي

الشيخ الطوسي

الدكتور حسين علي محفوظ

استاذ الحديث والتجويد في الكلية

ألف شيخنا العلامة المؤرخ المحدث المحقق المقدس ، الشيخ أغا بزرك الطهراني رسالة جامعة في ترجمة الشيخ الطوسي ، نشرت في صدر كتاب التبيان في تفسير القرآن بالنجف ، كما طبعت مفردة • وهي خلاصة ما يحتاج اليه من أحواله وآثاره •

وقد صنفت أنا ـ أيضا ـ في سيرة الشيخ الطوسي فأوسعتها دراسة وتحقيقا ، وخصصتها بكتاب كبير مفصل تضيق عنه المجلة • ولكني رأيت تبجيلا لذكر الشيخ اغا بزرك ـ رحمة الله عليه ـ واحياء لذكرى الشيخ الطوسي الألفية ان اختصر كتاب حياة الشيخ الطوسي الذي دونه شيخنا الفقيد العظيم ، وأن أبدأ أولا بنشر موجزه هذا •

اسمه ونسبه :

هو : أبو جعفر ، محمد بن الحسن بن علي بن الحسن ، الطوسي ، الملقب « شيخ الطائفة » ، و « الشيخ » مطلقا •

مولده وميلاده :

ولد في بلدة طوس ـ في خراسان ـ في شهر رمضان سنة ٣٨٥هـ •

هجرته الى العراق :

هاجر الى العراق ـ في طلب العلم ـ فهبط بغداد ، سنة ٤٠٨هـ

وسكن الكرخ ولازم الشيخ المفيد ، ثم المرتضى • وقد أدرك الحسين بن عبيدالله بن الغضائري شيخ المفيد ، وشارك النجاشي في جماعة من مشايخه •

الهجرة الى النجف :

اضطر الشيخ الطوسي أن يقابل غي العامة ، وجهالة الجهلاء ، وفتن السلجوقية بالفرار الى النجف سنة ٤٤٨هـ ، فقد نهبت داره ، وأحرقت كتبه وكرسيه • وبارك الله النجف فأضحت مدينة العلم ، ومثابة العلماء ، ومحط الفقهاء ، ومنتجع الافاضل ، ومرتاد المشايخ • وكانت حلقاته ومجالسه مدارسها الاولى • وظلت كتبه ورسائله ، وآراؤه وفتاواه ، وأحاديثه ورواياته معول الشيعة ، وحجتهم أحقابا طوالا •

الثناء عليه :

قال العلامة الحلي ، في خلاصة الاقوال : « شيخ الامامية ، ووجههم ، ورئيس الطائفة ، جليل القدر ، عظيم المنزلة ، ثقة ، عين ، صدوق ، عارف بالاخبار والرجال والفقه والاصول والكلام والادب • وجميع الفضائل تنسب اليه • صنف في كل فنون الاسلام • وهو المهذب للعقائد في الاصول والفروع ، الجامع لكمالات النفس في العلم والعمل ••• »[1]

وقال المجلسي ، في الوجيزة : « ثقة وفضله وجلالته أشهر من ان يحتاج الى البيان ••• »[2]

وقال السيد بحر العلوم ، في الفوائد الرجالية : « شيخ الطائفة المحقة ، ورافع أعلام الشريعة الحقة • امام الفرقة بعد الائمة المعصومين ، وعماد الشيعة الامامية في كل ما يتعلق بالمذهب والدين ، محقق الاصول

---

(١) خلاصة الاقوال ص ٧٢ •

(٢) الوجيزة ص ١٦٣ •

والفروع ، ومهذب فنون المعقول والمسموع • شيخ الطائفة على الاطلاق ، ورئيسها الذي تلوى اليه الاعناق • صنف في جميع علوم الاسلام ، وكان القدوة في كل ذلك والامام •• »[٣]

تآليفـــه :

١ ـ الابواب ، ويسمى « كتاب الرجال » • وهو في تراجم الرجال الذين رووا عن النبي ـصـ والائمة ـعـ ومن تأخر عنهم[٤] •

٢ ـ اختيار الرجال • وهو منتخب من كتاب « معرفة الناقلين » ، للكشي[٥] •

٣ ـ الاستبصار فيما اختلف من الاخبار ، في الحديث[٦] •

٤ ـ اصول العقائد[٧] •

٥ ـ الاقتصاد الهادي الى طريق الرشاد ، في الاصول والعبادات[٨] •

٦ ـ الامالي ، في الحديث[٩] •

٧ ـ أنس الوحيد ، مجموع[١٠] •

٨ ـ الايجاز ، في الفرائض[١١] •

---

(٣) رجال السيد بحر العلوم ج ٣ ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ •

(٤) الذريعة الى تصانيف الشيعة ج ١ ص ٧٣ ، و ج ١٠ ص ١٢٠ ، مادة « رجال » •

(٥) الذريعة ج ١ ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦ •

(٦) الذريعة ج ٢ ص ١٤ ـ ١٦ •

(٧) الذريعة ج ٢ ص ١٩٨ •

(٨) الذريعة ج ٢ ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠ •

(٩) الذريعة ج ٢ ص ٣٠٩ ـ ٣١١ ، و ص ٣١٣ ـ ٣١٤ •

(١٠) الذريعة ج ٢ ص ٣٦٨ •

(١١) الذريعة ج ٢ ص ٤٨٦ •

٩ ـ التبيان في تفسير القرآن[١٢] .

١٠ـ تلخيص الشافي ، في الامامة[١٣] .

١١ـ تمهيد الاصول ، وهو شرح كتاب حمل العلم والعمل[١٤] .

١٢ـ تهذيب الاحكام ، في الحديث[١٥] .

١٣ـ الجمل والعقود ، في العبادات[١٦] .

١٤ـ الخلاف ، في الاحكام[١٧] .

١٥ـ رياضة العقول ، شرح المقدمة في المدخل الى علم الكلام[١٨] .

١٦ـ شرح الشرح في الاصول[١٩] .

١٧ـ العدة ، في اصول الفقه[٢٠] .

١٨ـ الغيبة ، في غيبة الامام الحجة المهدي المنتظر[٢١] .

١٩ـ الفرق بين النبي والامام ، في علم الكلام .

٢٠ـ الفهرست ، في تراجم اصحاب الكتب والاصول[٢٢] .

---

(١٢) الذريعة ج ٣ ص ٣٢٨ ـ ٣٣١ ولاحظ ج ٤ ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .

(١٣) الذريعة ج ٤ ص ٤٢٣ .

(١٤) الذريعة ج ٤ ص ٤٣٣ .

(١٥) الذريعة ج ٤ ص ٥٠٤ ـ ٥٠٧ .

(١٦) الذريعة ج ٥ ص ١٤٥ .

(١٧) الذريعة ج ٧ ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦ .

(١٨) الذريعة ج ١١ ص ٣٤٠ .

(١٩) الذريعة ج ١٣ ص ٣٣٢ .

(٢٠) الذريعة ج ١٥ ص ٢٢٧ .

(٢١) الذريعة ج ١٦ ص ٧٩ .

(٢٢) الذريعة ج ١٦ ص ٣٨٤ .

٢١ـ ما لا يسع المكلف الاخلال به ، في علم الكلام[٢٣] .

٢٢ـ ما يعلل وما لا يعلل ، في علم الكلام[٢٤] .

٢٣ـ المبسوط ، في الفقه[٢٥] .

٢٤ـ مختصر أخبار المختار بن ابي عبيد الثقفي[٢٦] .

٢٥ـ مختصر المصباح ، في الادعية والعبادات[٢٧] .

٢٦ـ مختصر في عمل يوم وليلة ، في العبادات .

٢٧ـ مسألة في الاحوال .

٢٨ـ مسألة في تحريم القفاع .

٢٩ـ مسألة في العمل بخبر الواحد ، وبيان حجيته[٢٨] .

٣٠ـ مسألة في وجوب الجزية على اليهود والمنتمين الى الجبابرة .

٣١ـ مسائل ابن البراج .

٣٢ـ المسائل الالياسية ، وهي مائة مسألة[٢٩] .

٣٣ـ المسائل الجبلائية ، في الفقه . وهي ٢٤ مسألة[٣٠] .

٣٤ـ المسائل الحائرية ، وهي نحو من ٣٠٠ مسألة في الفقه[٣١] .

---

(٢٣) الذريعة ج ١٩ ص ٢٥ ـ ٢٦ .

(٢٤) الذريعة ج ١٩ ص ٣٦ .

(٢٥) الذريعة ج ١٩ ص ٥٤ ـ ٥٥ .

(٢٦) الذريعة ج ١ ص ٣٤٨ ـ ٣٢٩ ، مادة « أخبار المختار » .

(٢٧) لاحظ الذريعة ج ٨ ص ١٧٦ ، مادة « الدعاء » .

(٢٨) الذريعة ج ٦ ص ٢٧٠ ، مادة « حجية الاخبار » .

(٢٩) الذريعة ج ٥ ص ٢١٤ ، مادة « جوابات » .

(٣٠) الذريعة ج ٥ ص ٢١٨ ، مادة « جوابات » .

(٣١) الذريعة ج ٥ ص ٢١٨ ، مادة « جوابات » .

٣٥ـ المسائل الحلبية ، في الفقه[٣٢] .

٣٦ـ المسائل الدمشقية ، وهي ١٢ مسألة ، في تفسير القرآن[٣٣] .

٣٧ـ المسائل الرازية ، وهي ١٥ مسألة في الوعيد[٣٤] .

٣٨ـ المسائل الرجبية ، في التفسير .

٣٩ـ المسائل القمية[٣٥] .

٤٠ـ مصباح المتهجد ، من أعمال السنة ، والادعية ، والزيارات[٣٦] .

٤١ـ المفصح ، في الامامة .

٤٢ـ مقتل الحسين ـ عليه السلام ـ .

٤٣ـ مقدمة في المدخل الى علم الكلام .

٤٤ـ مناسك الحج ، في مجرد العمل .

٤٥ـ النقض على ابن شاذان في مسألة الغار .

٤٦ـ النهاية ، في مجرد الفقه والفتوى .

٤٧ـ هداية المسترشد وبصيرة المتعبد ، في الادعية والعبادات .

مشايخه :

١ ـ أبو الحسين الصفار .

٢ ـ أبو الحسين بن سوار المغربي .

---

(٣٢) الذريعة ج ٥ ص ٢١٩ ، مادة « جوابات » .

(٣٣) الذريعة ج ٥ ص ٢٢٠ : مادة « جوابات » .

(٣٤) الذريعة ج ٥ ص ٢٢١ ، مادة « جوابات » .

(٣٥) الذريعة ج ٥ ص ٢٣٠ ، مادة « جوابات » .

(٣٦) لاحظ الذريعة ج ٨ ص ١٧٥ ـ ١٧٦ ، مادة « الدعاء » .

٣ ـ أبو طالب بن غرور .

٤ ـ القاضي ، أبو الطيب الطبري ، الحويري .

٥ ـ أبو عبدالله ، اخو سروة .

٦ ـ ابو عبدالله بن الفارسي .

٧ ـ أبو علي بن شاذان ، المتكلم .

٨ ـ أبو منصور السكري .

٩ ـ أحمد بن ابراهيم القزويني .

١٠ـ أبو عبدالله ، أحمد بن عبدالواحد بن أحمد البزاز ، المعروف بابن الحاشر ، وابن عبدون ، المتوفى سنة ٤٢٣هـ .

١١ـ أبو العباس ، أحمد بن علي ، النجاشي ، صاحب كتاب الرجال ، المتوفى سنة ٤٥٠هـ .

١٢ـ أحمد بن محمد بن موسى ، المعروف بابن الصلت الاهوازي .

١٣ـ جعفر بن الحسين بن حسكة ، القمي .

١٤ـ الشريف ، أبو محمد ، الحسن بن القاسم ، المحمدي .

١٥ـ أبو علي ، الحسن بن محمد بن اسماعيل بن محمد بن أشناس ، المعروف بابن الحمامي ، البزاز ، المتوفى سنة ٤٣٩هـ .

١٦ـ ابو محمد ، الحسن بن محمد بن يحيى بن داود ، الفحام ، المعروف بابن الفحام السر من رائى .

١٧ـ أبو الحسين ، حسنبش ، المقرىء .

١٨ـ أبو عبدالله ، الحسين بن ابراهيم ، القزويني .

١٩ـ أبو عبدالله ، الحسين بن ابراهيم بن علي القمي ، المعروف بابن الخياط .

٢٠ـ أبو عبدالله بن عبيدالله بن الغضائري ، المتوفى سنة ٤١١هـ .

٢١ـ الحسين بن ابى محمد هارون بن موسى ، التلعكبري .

٢٢ـ أبو محمد ، عبدالحميد بن محمد ، المقرىء ، النيسابوري .

٢٣ـ أبو عمرو ، عبدالواحد بن محمد بن عبدالله بن محمد بن مهدي .

٢٤ـ أبو الحسن ، علي بن أحمد بن عمر بن حفص ، المقرىء ، المعروف بابن الحمامي المقرىء .

٢٥ـ أبو الحسين ، علي بن أحمد بن محمد بن ابي جيد .

٢٦ـ السيد المرتضى ، علم الهدى ، أبو القاسم ، علي بن الحسين ابن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن الامام موسى الكاظم ، المتوفى سنة ٤٣٦هـ .

٢٧ـ أبو القاسم ، علي بن شبل بن أسد ، الوكيل .

٢٨ـ القاضي ، أبو القاسم ، علي بن ابي علي المحسن بن أبي القاسم علي بن محمد بن ابي الفهم داود بن ابراهيم بن تميم ، القحطاني ، التنوخي ، المتوفى سنة ٤٤٧هـ .

٢٩ـ أبو الحسين ، علي بن محمد بن عبدالله بن بشران ، المعروف بابن بشران المعدل .

٣٠ـ محمد بن أحمد بن ابي الفوارس ، الحافظ .

٣١ـ أبو زكريا ، محمد بن سليمان الحراني ، من أهل طوس .

٣٢ـ محمد بن سنان .

٣٣ـ أبو عبدالله محمد بن علي بن حموي ، البصري .

٣٤- محمد بن علي بن خشيش بن نضر بن جعفر بن ابراهيم ، التميمي .

٣٥- أبو الحسن محمد بن محمد بن محمد بن مخلد .

٣٦- أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان ، الشيخ المفيد ، المتوفى سنة ٤١٣هـ .

٣٧- السيد أبو الفتح ، هلال بن محمد بن جعفر ، الحفسار ، المتوفى سنة ٤١٤هـ .

تلاميذه :

١ - آدم بن يونس بن ابي المهاجر ، النسفي .

٢ - أبو بكر ، أحمد بن الحسين بن أحمد ، الخزاعي ، النيسابوري .

٣ - أبو طالب ، اسحاق بن محمد بن الحسن بن الحسين بن محمد بن علي بن الحسين بن بابويه ، القمي .

٤ - أبو ابراهيم ، اسماعيل بن محمد بن الحسن بن الحسين بن محمد بن علي بن الحسين بن بابويه ، القمي .

٥ - أبو الخير ، بركة بن محمد بن بركة ، الاسدي .

٦ - أبو الصلاح ، تقي بن نجم‌الدين ، الحلبي .

٧ - أبو ابراهيم ، جعفر بن علي بن جعفر ، الحسيني .

٨ - شمس الاسلام ، الحسن بن الحسين بن بابويه ، القمي ، المعروف بحسكا .

٩ - أبو محمد ، الحسن بن عبدالعزيز بن الحسن ، الجبهاني .

١٠ـ أبو علي ، الحسن بن محمد بن الحسن ، العلوسي ، وهو ابن المترجم .

١١ـ الحسن بن مهدي ، السليقي .

١٢ـ موفق‌الدين ، الحسين بن الفتح ، الواعظ ، الجرجاني .

١٣ـ محيي‌الدين ، أبو عبدالله ، الحسين بن المظفر بن علي بن الحسين الحمداني ، نزيل قزوين .

١٤ـ عمادالدين ، أبو الصمصام ، وابو الوضاح ، ذو الفقار بن محمد بن معبد ، الحسيني ، المروزي .

١٥ـ السيد ، أبو محمد ، زيد بن علي بن الحسين ، الحسيني .

١٦ـ السيد ، زين بن الداعي ، الحسيني .

١٧ـ سعدالدين بن البراج .

١٨ـ أبو الحسن ، سليمان بن الحسن بن سليمان ، الصهرشتي .

١٩ـ شهراشوب السروي المازنداني ، جد ابن شهراشوب صاحب كتاب (المناقب) و (المعالم) .

٢٠ـ صاعد بن ربيعة بن ابي غانم .

٢١ـ عبدالجار بن عبدالله بن علي ، المقرىء ، الرازي ، المعروف بالمفيد .

٢٢ـ أبو عبدالله ، عبدالرحمن بن أحمد ، الحسيني ، الخزاعي ، النيسابوري ، المعروف بالمفيد ـ أيضا ـ .

٢٣ـ موفق‌الدين ، أبو القاسم ، عبيدالله بن الحسن بن الحسين بن بابويه .

٢٤- علي بن عبدالصمد ، التميمي ، السبزواري .

٢٥- الامير ، غازي بن أحمد بن ابي منصور ، السامائي .

٢٦- كردي بن عكبر بن كردي ، الفارسي ، نزيل حلب .

٢٧- جمال‌الدين محمد بن ابي القاسم ، الطبري ، الآملي .

٢٨- الامين ، أبو عبدالله ، محمد بن أحمد بن شهريار ، الخازن ، الغروي .

٢٩- السديد ، محمد بن الحسن بن علي ، الفتال ، النيسابوري ، صاحب كتاب (روضة الواعظين) .

٣٠- أبو الصلت ، محمد بن عبدالقادر بن محمد .

٣١- فقيه الاصحاب ، أبو الفتح ، محمد بن علي ، الكراجكي .

٣٢- أبو جعفر ، محمد بن علي بن الحسن ، الحلبي .

٣٣- أبو عبدالله ، محمد بن هبةالله ، الطرابلسي .

٣٤- صدر الاشراف ، السيد المرتضى ، أبو الحسن ، المطهر بن ابي القاسم علي بن ابي الفضل محمد ، الحسيني ، الديباجي .

٣٥- السيد ، المنتهى بن ابي زيد بن كيابكى ، الحسيني ، الجرجاني .

٣٦- الوزير ، ذو المعالي ، زين الكفاة ، أبو سعيد ، منصور بن الحسين الآبي .

٣٧- السيد ، أبو ابراهيم ، ناصر بن الرضا بن محمد بن عبدالله ، العلوي ، الحسيني .

وفاته وقبره :

توفي الشيخ الطوسي ـ في النجف ـ ليلة الاثنين ٢٢ المحرم ، سنة ٤٦٠هـ ، عن ٧٥ سنة ، ودفن في داره ـ التي هي مسجد الطوسي حاليا ـ في محلة المشراق ، شمالي صحن الحضرة العلوية .

وقد جدد هذا المسجد في حدود سنة ١١٩٨[٣٧] ، ثم في سنة ١٣٠٥هـ[٣٨] . وعمر اخيرا بعد فتح شارع الطوسي ، سنة ١٣٦٩هـ .

الشيخ أبو علي الحسن بن الشيخ الطوسي :

خلف أباه في العلم والعمل والتدريس والتحديث والافتاء . وكان من مشاهير الرجال ، وكبار الرواة . قرأ على والده ، وأجازه أبوه في سنة ٤٥٥هـ .

ذكره والثناء عليه :

قال الشيخ منتجب‌الدين بن بابويه ، في الفهرست : « فقيه ، ثقة ، عين . قرأ على والده جميع تصانيفه . أخبرنا الوالد عنه »[٣٩] .

وقال ابن حجر العسقلاني ، في لسان الميزان : « سمع من :

والده ،

وأبي الطيب الطبري ،

والخلال ،

والتنوخي .

---

(٣٧) رجال السيد بحر العلوم ج ٣ ص ٢٣٩ .

(٣٨) تحفة العالم ج ١ ص ٢٠٤ .

(٣٩) فهرس الشيخ منتجب‌الدين ـ بحار الانوار مج ٢٥ ص ٤ .

ثم صار فقيه الشيعة ، وامامهـــم بمشهد علي ـ رضى الله عنه ـ سمع منه :

أبو الفضل بن عطاف ،

وهبةالله السقطي ،

ومحمد بن محمد النسفي .

وهـــو ـ في نفســـه ـ صدوق .. وكان متدينا ، كافاً عـــن السب»[٤٠][٤١] .

واشار اليه ابن شهراشوب ، في معالم العلماء[٤٢] .

وقال الحر العاملي ، في تذكرة المتبحرين ، من امل الآمل : « كان عالما ، فاضلا ، فقيها ، محدثا ، جليلا ، ثقة . له كتب .. »[٤٣] .

وقال عبدالله الافندي ، في رياض العلماء ـ المخطوط ـ : « الفقيه ، المحدث ، الجليل ، العالم ، العامل ، النبيل ، مثل والده ... وكان شريكا في الدرس مع :

الشيخ أبي الوفاء عبدالجبار بن عبدالله بن علي الرازي ،

والشيخ ابي محمد الحسن بن الحسين بن بابويه القمي ،

والشيخ عبدالله محمد بن هبةالله الوراق الطرابلسي ـ عند قراءة كتاب « التبيان » على والده الشيخ الطوسي ... وروى عن والده ، وطائفة

---

(٤٠) لسان الميزان ج ٢ ص ٢٥٠ ، الترجمة ١٠٤٦ » .

(٤١) ومن مشايخ الشيخ ابي علي : ابو يعـــلى ، حمزة ، المعروف بـ « سلار » بن عبدالعزيز الديلمي ، وأبو الحسن ، محمد بن الحسين ، المعروف بابن الصقال .

(٤٢) معالم العلماء ص ٣٢ .

(٤٣) امل الآمل ـ تذكرة المتبحرين ص ٤٦٩ .

من معاصريه ... »[٤٤] .

وقـــال الشيخ اسدالله التستري ، في مقابس الأنوار : « الشيخ المحدث ، الفقيه ، الفاضل ، الوجيه ، النبيه ، المعتمد ، المؤتمن ... كان من أعاظم تلامذة والده ، والديلمي ، وغيرهما من المشايخ .

وتتلمذ عليه جماعة كثيرة من أعيان الافاضل . واليه ينتهي كثير من طرق الاجازات الى المؤلفات القديمة والروايات ... »[٤٥]

وقال الميرزا حسين النوري ، في مستدرك الوسائل : « الفقيه الجليل ، الذي ينتهي اكثر اجازات الاصحاب اليه .. العالم الكامل ، المحدث النبيل .

يعبر عنه تارة ـ بأبي علي ، ابى علي الطوسي ، واخرى بالمفيد ، أو المفيد الثاني »[٤٦][٤٧] .

تلاميـــذه :

١ ـ أبو الفتوح ، أحمد بن علي ، الرازي .

٢ ـ اردشير بن أبي الماجد بن أبي المفاخر ، الكابلي .

٣ ـ اسماعيل بن محمود بن اسماعيل الحلبي .

٤ ـ الياس بن هشام الحائري .

٥ ـ بدر بن سيف بن بدر ، العربي .

٦ ـ بواب البصري .

---

(٤٤) رياض العلماء ـ خزانة الشيخ أغا بزرك ، صاحب الذريعة ـ في النجف ـ ص ٩٣ « مخطوط » .

(٤٥) مقابس الانوار ص ٩ .

(٤٦) مستدرك الوسائل ج ٣ ص ٤٩٧ .

(٤٧) ولاحظ الكنى والالقاب ، مادة « المفيد الثاني » ج ٣ ص ١٦٥ .

٧ ـ أبو عبدالله ، الحسين بن أحمد بن محمد بن علي بن طحال ، المقدادي .

٨ ـ موفق‌الدين ، الحسين بن فتح‌الله ، الواعظ ، البكرآبادي ، الجرجاني .

٩ ـ أبو طالب ، حمـــزة بن محمد بن أحمـــد بن شهريار ، الخـــازن .

١٠ـ جمال‌الدين ، الحسين بن هبةالله بن رطبة ، السوراوي .

١١ـ أبو الفضل ، الداعي بن علي ، الحسيني ، السروي .

١٢ـ أبو سليمان ، داود بن محمد بن داود ، الحاسي .

١٣ـ أبو النجـــم ، الضياء بن ابراهيم بن الرضـــا ، العلوي ، الحسني ، الشجري .

١٤ـ طاهر بن زيد بن أحمد .

١٥ـ أبو سليمان ، ظفـــر بن الداعي بن ظفـــر ، الحمداني ، القزويني .

١٦ـ عبدالجليل بن عيسى بن عبدالوهاب الرازي .

١٧ـ موفق‌الدين ، عبيدالله بن الحسن بن بابويه ، والد الشـــيخ منتجب‌الدين ، صاحب الفهرست في الرجال .

١٨ـ أبو الحسن ، علي بن الحسين بن أحمد بن علي ، الحاسي .

١٩ـ علي بن شهراشوب ، المازنداني ، السروي ، والد صاحب (المناقب) و (المعالم) .

٢٠ـ ركن‌الدين ، علي بن علي .

٢١ـ علي بن علي بن عبدالصمد •

٢٢ـ أبو علي ، الفضل بن الحسن بن الفضل ، الطبرسي ، صاحب (مجمع البيان) •

٢٣ـ أبو الرضا ، فضل‌الله بن علي بن عبيدالله ، الحسيني ، الراوندي •

٢٤ـ لطف‌الله بن عطاءالله أحمد ، الحسني ، الشجري ، النيسابوري •

٢٥ـ عمادالدين ، محمد بن ابي القاسم بن علي ، الطبري ، الآملي ، الكجي •

٢٦ـ محمد بن الحسن ، الشوهاني •

٢٧ـ أبو جعفر ، محمد بن علي بن الحسن ، الحلبي •

٢٨ـ محمد بن علي بن عبدالصمد ، النيسابوري •

٢٩ـ أبو علي ، محمد بن الفضل ، الطبرسي •

٣٠ـ محمد بن منصور ، الحلي ، الشهير بـ « ابن ادريس » •

٣١ـ مسعود بن علي ، الصواني •

ومن العامة[٤٨] :

٣٢ـ أبو الفضل ، محمد بن عطاف •

٣٣ـ محمد بن محمد ، النسفي •

---

(٤٨) لسان الميزان ج ٢ ص ٢٥٠ •

٣٤- هبةالله السقطي .

تآليفـــه :

١ - الامالي[٤٩] .

٢ - المرشد الى سبيل التعبد ، في شرح النهاية[٥٠] .

توفى الشيخ أبو علي ، بعد سنة ٥١٥هـ .

ابنتا الشيخ الطوسي :

كانتا عالمتين فاضلتين ، من أهل الرواية والدراية . أجاز لهما أبوهما الشيخ الطوسي رواية ما صنف .

« حـكمة العـدد »

إصنع المعروف ، في اهله ، وفي غير اهله
فـان اصبت اهـله ، فقد اصبت اهـله
وان لـم تصـب اهله ، فـانت من اهـله

« حديث شريف »

---

(٤٩) الذريعة ج ٢ ص ٣٠٩ - ٣١١ .

(٥٠) معـــالم العلماء ص ٣٢ ، وأمل الآمل - تذكـــرة المتبحرين ص ٤٦٩ .

جنينة الشعر

يا سبا التوحيد

وأطـل الصبـاح يرفـل بالنـور ويسـقي اجيـالنا من هداه
يحمـل الدف والصـلاح نقيـا ، ورؤانا تحـوم عبـر سناه
ويهش الربيـع للالق المسـكوب في كاسـه فيروى ظمـاه
حامـلا للحيـاة سفر خلـود ، يرتمي المجـد حالما في رؤاه

* * *

لفـع الليل رأسه مذ أطلت ، آية الفجر ، هاربا مدعـورا
سوطها يلفح الظـلام فتحكي حمـرة المشرق الدم المهـدورا
ودمـاء الضلال مهمـا اريقت فهـو ما زال حاقـدا موتورا
حـربه شنها قرونا على الحـق ليضـرى فينشر الديجـورا

* * *

يا رمال الصحراء تيهي دلالا قد كستك يد الاله جـلالا
ونهلت من النبـوة كأسـا دافقـا بالحياة خمرا حلالا

لنما في ربوعك الخضر مجد زانه العدل والهوى فاستطالا
وردت خيلك العراق ودكت معقل الكفر في رباه فزالا

* * *

يا رمال الصحراء اين خيول الفتح تعدو الى الشام استباقا
حاملات الى الاماني رجالا دونها الاسد عزمة وانطلاقا
تحسب السيف في اللقاء عروسا عانقتها تطلعا واشتياقا
اين تلك الجموع هل بددتها لغة الكفر فرقة وشقاقا

* * *

يا رمال الصحراء هل جف نبع كان يروي الحياة عذبا نميرا
ام رفيف الطموح مات على الشوط وانفاسه استحالت سعيرا
ام رجال الامس الموشح بالنور وقد وقعوا النشيد المثيرا
اخرستهم لذاذه تزدهيهم فانحنوا يرتضون عيشا مريرا

* * *

يا رمال الصحراء اين نسور ملأوا الافق عدة وعديدا
حين يضرى الدمار في زحمة الركب نراهم لدى الهياج اسودا
فرشوا الدرب للشموخ نثارا من قلوب وعبدوه كبودا
لتكون العقيدة البكر نبعا عنده يحسن الظماء الورودا

* * *

يا لهزء الاقدار كيف استحمت في دمانا مواكب الاشباح
داهمتنا من صاعقات الليالي ، غصص تملأ الفضا بالنواح
ورأينا الطريق ينذر بالرعب ولم يفتتح بغير الاضاحي
فهدانا والموت يفغر فاه ، وهفونا على صليل السلاح

* * *

وانتبهنا نخوض في الفتنة الرعناء لم تمتلك سوى الامال
وشربنا الركود سما زعافا ، واكتسينا بأخلق الاسمال
وانحنى الدرب وافترقنا شتاتا نتغنى بدولة في الخيال
كان آباؤنا يعيشون في القمم الشامخات فلنبق في الاوحال

هكـذا تخـدع الجماهير حتى تحتسي الظلـم ذلة وركودا
وتعيش الوجـوم في رهبـة الظـن وتجتـاز حظهـا المنكودا
فهي صرعى خرافة زوقتهـا ، كف اعدائهـا لتبقـى عبيـدا
لتظن الجديد في كل فكـر ، مبـدءا ناجعا ورايا سـديدا

* * *

يا دعاة التجديد شلت قوانا ، كل يوم نغزى بفكر وليـد
صيرتنا مبادىء الكفر حمـلا فاقد الوعي بين ايدي الاسود
لـم تثر وعينـا مخـالب وحش ، سـملت أعينـاً وعاثت بجيـد
وانتشينا نغـط في الحلـم المعسول في أننا بوضع جديد

* * *

يا دعاة التجديد ما اخضر روض الفتح الا على نزيف الجـراح
ورمال الصحراء تنطق ان الوحي في ربعهـا عظيـم السـماح
صير الجدب في ربانا حقـولا راقصـات بعطـره الفـواح
وسقاها دم الشهادة روحـا طيب العرف نابضا بالصلاح

* * *

يا دعاة التجديد هل صاغ ذاك الجـد الا اسلامنـا الخلاق
وهو ما زال زاخرا بالاماني غايتـاه تقـدم وانعتـاق
حين نمضي على هداه ونروى ، من ينابيعـه يعـم الوفـاق
وتعـود الفتـوح تنبىء أنـا ، نحـرز السبق مذ يقـام السباق

* * *

يا شباب التوحيد ما افتـر ثغر المجد الا على شموخ ربانا
يوم كنا نعانق البيض حبـا في لقاها فترتوي من دمانـا
ووعينـا الاسلام يخلق منـا أمـة تمقت الذليـل الجبانا
وحملنا القرآن نورا الى الناس فساروا الى العـلا في هـدانا

* * *

يا شباب التوحيد يا حاملي النور الى الخلق في دياجي الظلام
أنقـذوا جيلنا فقد عاش في التيه ليبني الامجاد في الاحـلام

غازلته من الظنون امـــان ، خادعات فعاش في الاوهـــام
ضل عن واقع الحياة بعيدا فهو في صرعة الهوى والمدام

* * *

يا شـــباب التوحيد يا موكب النصر مغـدا يهفو لوحي السماء
فجر الصخر كوثرا وازرع الدرب ورش الربيـــع في البيـــداء
لتعود الرمال تنبض بالعـــزم وتدعـــو لثـــــورة بيضـــاء
تخلـق الفكـر رائـدا تتهـاوى تحت اقدامـه ذرى الجـــوزاء

* * *

يا شباب التوحيد مذ غاب عنا نبع قرآننا عشـــقنا السرابا
غازلتنا رؤاه حتى وجـــدنا اننـــا نحتسي اللظى والترابا
قال الفجر امتي من جـــديد ننهل النـــور سلسبيلا مـذابا
ويعـــود الصبح المجنح يسقي كل سهل من ارضنا والهضابا

* * * *

ومهما فعلتم ، فلسنا هنا
لنحقد ، لكن لنصفح حسنا
فنحن نرى انكم تجهلون
انطلاق الحقيقة فيما دعونا
وسوف ترون بان الضجيج
سيخفت ٠٠ ان اشرق الحق منا
رب ، حنانا بهم
وهديا لهم ، ولنا ، ٠٠٠ كيف كنا

مع ابي الشهداء في ذكراه

ذكراك عانقهـا الخلود الموجع ... والدمع يشرب من دماه فيشفع
ذكراك يعصف بالنفوس لهيبها ... فتذوب هاتيك النفوس وتصرع
ذكراك تسخر بالشموخ فينحني ... ذلا فيغمض ناظريه ويركع
ذكراك تهزأ بالحياة فتنثني ... خجل يجلببها الحياء فتقبع
ذكراك تبرز للاباء فيرتمي ... اسفا على اقدامها يتضرع
ذكراك تعترض الطغاة تهزهم ... هزا وتظهر للعتاة فيصدعوا
ذكراك جسدها الفداء حقيقة ... يفنى الوجود وهامها لا يهطع

* * *

لاك الزمان الحادثات جميعها ... هونا وذكرك شمس هدى تسطع
والدهر قوض كل مجد سامق ... هدا ومجدك مستطيل امنع
أكرمت مصرعك الكريم مجسدا ... بالطف ترمقه الحلوم فتخشع
أكبرك مشهدك العظيم مباركا ... تهوي النجوم على ذراه فتلمع
فاخلد فمشهدك المبارك كعبة ... في النائبات لها نحج ونرجع

* * *

وكتبت ملحمة الفداء وانها ... سفر يضيء لنا الطريق ويوسع
وفلعت للدين الحياة أعزها ... من نصل سيفك وهو جد يقطع
ووهبت جسمك للسيوف تلوكه ... وعليه تنهل من دماك وتكرع
كيما تهب من الرقاد عزائم ... اغفت فتعصف بالطغاة وتدفع
ورضيت ان الراس منك مضرجا ... بدماك ما فوق الاسنة يرفع
حتى تدين الظالمين بخزيهم ... فتحط اقدار اللئام وتوضع

ورضيت للطفل الرضيع ينوشه سهم يلامس راحتيه فتـــزع
ليـــرى الجبابرة الملوك بجرمهم تهتـــز تحتهم العروش فتخلع
ورضيت ان تسبى حرائر هاشم كيما يماط عـــن الرذيلة برقـع
فاخلد فديتـــك فالفؤاد مولـه ينهـــاك والعـــين القذية تدمع

* * *

آه ابـــا الشـــهداء اي فجيعة نلقـى واي كؤوس هـــم نجرع
القدس في ايـــدي اليهود وتربنا نهـب وغـــير المســلمين مضيـع
والـكفر اطبـق والهـوى متفرق منا وشـــمل بني الفتوح موزع
والبدعـــة النكراء سوط شنيعها يدمي قلوب المؤمنـين ويوجـــع
فالام يا هذي الجمـوع يلفنـــا خزي وبالـــذل المخيـم نقنـــع

* * *

هبـــوا فان النصر نصر مجاهـد بالسيف يغشى النازلات فترجعوا
هبـــوا لنبني المجد من هاماتنا صرحا على الاشـــلاء منا يرفـع
والعـــرب اوشك ايشب اوارها فالخيـل ترجف بالرباط وتفزع
والرمح يكفـــر بالسلام والقـله من ذلـــة فيه فانـ ى يشـــرع
والسيف قارب ان يحطـم غمـده لم عطلوه عن الجهـــاد فروعوا
والقدس تهتـــف بالفداء نداءها اطبق فعهـــدك للعـدا لا تخضع

* * *

عـــودوا الى الاســلام يا ابناءه عـودا تضار به العداة وتفجـــع
فهو الرباط بـــه تشـــد قلوبنا شـــدا ومنا كل شمـل يجمـع
وهـــو الصراط المستقيم المهيـــع وهو العطـــاء المستراد الانفـع

عبدالمجيد محمود الدجيلي

ومن لم يصانع في أمـــور كثيرة
يضرس بانيـــاب ويوطأ بميسم

لقاء ورسالة

شعر : عدنان عبيد العلي

وهناك حدثني الخبر
وسمعت أنباء السحر
بين الشفاه الناطقات بلا حذر
بين العيون الذابلات بلا سهر :
اني أحبك والولاء يشدني
ولمحت بين السطر قلبا يعتصر
قلبا ذوى وقت السحر
من فرط آلام السهر
وفهمت أنباء الرسالة
وقراتها حتى الثمالة
وقراتها عشرين اخرى في حذر
ماذا يريد السطر ذاك
وذي الصور
أارى حروفا صاغها دمع العيون
أم تلك آهة قلبها فيها شجون
أم صورة شعرية فيها ظنون
ورجعت اسأل في حذر
وطفقت أبحث ما الخبر
وسألت نفسي والمطر
عن ذكريات الليل
عن ذاك السهر
وقت السحر

اترين يا احلام في هذي القصيـدة
صورا وئيدة
صورا تراقص ظلهـا
صغرى وليدة
لا تعرف الحب الخنوع
ولا صنوده
بيضاء ناصعة جديدة

وماذا فعلنا ؟
نثرنا الحنان على كل كلمة
وصغنا النشيد بأعذب نغمة
وعشنا ٠٠ ودعوتنا في الطريق
نشق الحياة ٠٠ لأرفع قمة
ونزرع في كل درب هنا ٠٠٠
وفي كل منعطف ٠٠٠ غرس نجمة

ايادرب الحسين

« انا ما جئتكم اشرا ..»
يقول ابو الفداء لنا :
« ... ولا بطرا .. »
« ولكن جئت للاصلاح»
وخط بدربنا اثرا
خط بدربنا اثرا ..
خط بدربنا اثرا ..

* * *

تجيش معاول الاحداث ...
كي تمحـــوه .. تمحو بعض ما سطرا !
لتجني صفوه كدرا .. !!
وتخفيـه وان ظهرا .. !!
وتطمسه وان بهرا ... !!
لقد شطت .
وقد غفرا .

* * *

ايادرب الحسـين .. اقـم ..
بوجه العالم العبرا .
وصب له الهدى درا ،
وان عثرا !
ايا درب الحسين فقد

يعيد الناظر النظرا .
وقد ياتي لدرب الحق من قد ظل
او كفرا .

* * *

مضى هدرا .. ابـــو الاحرار ؟
افصح . هـــل مضى هـــدرا ؟
ام انتصرا ؟
ام انتصرت مبادؤه ؟
ولاحت انجما زهرا
اهل ظفرت ؟ وهـــل ظفـرا ؟
لقد ظفرت .. وقـــد ظفـرا ...

* * *

قضى وطرا ابو الاحرار
اذ نحرا !!
ووفى كل ما قدرا .
لقد وترا . وقـــــد شـــعرا ..
بصوت الحق اذ دثرا .
وقد سفرا ، بوجـــه وجوده قمـرا .
وقد ذكرا ، بوقـــت غيره هجرا .

* * *

لمن نفرا .. ابـــــو الاحرار ؟
هل للملك قد نفـرا ؟
ام الجاه الذي غمرا ؟
أم المال الذي نشرا ؟
لاجل الدين قد نفـرا ، ابو الاحرار .
معتمرا .
وحج وطاف ، بـــل وســـرى .

وهب كما يهب الحـــق اعصارا وقد هدرا .
كرعد من بطون الغيـــم
لنجني ماءه ثمـرا ٠٠ ابو الاحرار ٠
يهمي صوته مطرا ٠
نجني «موته» ثمرا ٠

(ابو بهاء)

كالاساليب القديمة
كحكايات (ابي جهل) اللئيمة
عندما مرت خطى الايمان في اول درب
وحنت تحتضن الانسان في اطيب قلب
واذا بالصوت محموم الصدى بالاثم ٠٠ ساخر
انها دعوة « صعلوك » ٠٠٠ وساخر
هو شاعر
ثم عدنا وابتدانا ٠٠
دربنا عبر الرسالات العظيمة
فالتقينا بالاساليب القديمة

الجاهلية
أهي حالة أم مرحلة؟

كتب الكثيرون عن الجاهلية • فاختلفوا في تحديد مفهومها ومدلولها اختلافا يتحدد بين خطين متعاكسين هما المرحلة والحالة • وقد اتفق كثير من البعيدين عن مدلولها ومفهوم معاكستها احدهما للآخر على وصفها بالمرحلة وهو تعريف لفظي لا صلة له بالمفهوم العقائدي •

فيقول ابن منظور : « الجاهلية : هي الحال التي كانت عليها العرب قبل الاسلام من الجهل بالله سبحانه وشرائع الدين والمفاخرة بالانساب والكبر والتجبر وغير ذلك »[1] • وهو في هذا التعريف للجاهلية قد خلط بين المفهومين بأسلوب ساذج لا يقع في فخه مسلم واع لان الجاهلية ان كانت حالة لا يكون تحديدها بأسلوب [العرب قبل الاسلام] لان الحالة لا تحدد بزمن • واما اذا كانت مرحلة فمن المحال أن يكون [الجهل بالله سبحانه وشرائع الدين] خاصا بها لا يخرج عن نطاقها • وبذلك يكون ابن منظور في هذا التعريف للجاهلية قد ناقض نفسه •

اما الزمخشري فيقول : « ••• وفي مثل (كفى بالشك جهلا) وكان ذلك في الجاهلية الجهلاء ، وفي القديمة »[2] • وهو هنا يصفها بالمرحلية خطأ أيضا • وسوف نذكر بعد قليل ما هي اوجه الخطأ في هذه الاقوال •

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، مادة : جهل •

(٢) الزمخشري : أساس البلاغة ، مادة جهل •

ويذكر لويس معلوف الجاهلية في كتابه فيقول : « الجاهلية : حالة الجهل • الوثنية في بلاد العرب قبل الاسلام • وتطلق الجاهلية على أحوال العرب قبل الاسلام أو الزمن الذي تقدمه »[٣] •

ويقول توتل : « الجاهلية : هي حقبة تأريخ العرب قبل الاسلام »[٤]. وحينما نرى هذه التعاريف التي تتفق على معنى واحد للجاهلية وهي تحديدها بفترة زمنية واحدة أي وصفها بالمرحلية لا يسعنا الا أن نحكم على أصحابها بالجهل في حقيقة الجاهلية وطبيعتها وهم هنا قد عرفوها تعريف لفظي فقالوا بانها من الجهل ضد العلم[٥] •

والانسان الجاهلي : هو الانسان الجاهل الذي ليس له اطلاع في العلوم • واذن فان العصر الجاهلي هو الذي سبق ظهور الدعوة الاسلامية الى غير رجعة[٦] •

وهذه الاقوال ـ وهي مع كل الاسف شائعة بين أغلبية الكتاب محل نظر السببين :ـ

أولا : ان المجتمع الجاهلي لم يعدم المعرفة والعلم ولكن جاهليته هي في توجيه ذلك العلم وتلك المعرفة ، وهم آنذاك أصحاب الفن القولي والبلاغة في الشعر والخطابة والحكم المأثورة[٧] •

وقد يتبادر الى الاذهان أن اولئك البدو كانوا أهل جهالة لبعدهم عن المدن وانقطاعهم للغزو والحرب •• ولكن يظهر مما وصل الينا من

---

(٣) معلوف : لويس ، المنجد في اللغة مادة : جهل •
(٤) توتل : فردينان ، المنجد في الادب والعلوم ص ١٣٠ •
(٥) رسالة الاسلام : كلية أصول الدين ، العدد ٣ ، ٤ السنة ٣ •
(٦) رسالة الاسلام : كلية أصول الدين ، العدد ٣ ، ٤ السنة ٣ •
(٧) المرجع نفسه •

أخبارهم انهم كانوا كبار العقول أهـل ذكاء ونباهة واختبار وحنكـة • وأكثر معارفهم من ثمار قرائحهم ، وهي تدل على صفاء أذهانهم وصدق نظرهم في الطبيعة وأحوال الانسان مما لا يقل عن نظر أعظم الفلاسفة • فان قول زهير بن أبي سلمى في معلقته :

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمتـه ومن تخطيء يعمر فيهـرم
ومن لم يصـانع في أمور كثـيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسـم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتـق الشـتم يشتم
ومن يصنع المعروف في غير أهله يعـد حمده ذما عليه ويندم
ومن لا يزل يستحمل الناس نفسه ولا يعفها يوما من الدهر يسأم
ومهما تكن عند امرىء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

لا يقل شيئا عن أحكام أكابر الفلاسفة •• وانك تجد كثيرا من أمثال ذلك في أشعارهم ، كأن الشعر وصلهم ناضجا بعد أن عولج قرونا متطاولة ذهبت أخبارها •• فهم لذلك يشكون من أن أسلافهم لم يتركوا لهم معنى لم يطرقوه كقول عنترة :

« هل غادر الشعراء من متردم »

وقول زهير :

ما أرانا نقول الا معارا أو معادا من قولنا مكرورا[٨]

ثانيا : ان القرآن الكريم لم يصف ذلك المجتمع بالجاهلية لعـدم معرفته بالعلوم ـ ولو أنه حث عليها المسلمين ـ ولو كان قصده هذا لنزل القرآن كتابا علميا صرفا والواقع يخالف هذا فقد جاء القرآن كتابا يجمع بين العقيدة والتشريع[٩] • ولكنـه اطلق على ذلك العهد أوجز كلمـة

(٨) زيدان : جرجي ، تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٣٤ •
(٩) رسالة الاسلام : كلية أصول الدين العدد ٣ ، ٤ السنة ٣ •

وأوفاها لاظهار معنى ذلك الهرج العجيب الذي يبرز في كل عدة معدودة منهم بلون ويظهر في كل ناحية من أرض شبه الجزيرة في شكل مع الرسوم العجيبة والاعتقادات الخرافية الدائرة بينهم وأضف الى ذلك بلاء الامية وفقدان التعلم والتعليم في بلادهم فضلا عن العشائر والقبائل فسماه بعهد الجاهلية »[١٠] .

هكذا كانت الجاهلية كما تكون اليوم . كانت مجتمعا متخلفا معتقدا ، وهابطا خلقا ، وضحلا فكرة . قالت عائشة بنت أبي بكر تصف النكاح في الجاهلية الذي كان يمثل صورة من الصور الهابطة الحيوانية المزرية ، وهو جانب من جوانب تلك الجاهلية المشابهة لجاهلية القرن العشرين فلنستمع الى عائشة في وصف هذا المجتمع الفاسد :

« ان النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء . فنكاح منها نكاح الناس اليوم : يخطب الرجل الى الرجل وليته أو بنته ، فيصدقها ، ثم ينكحها .. والنكاح الآخر كان الرجل يقول لامرأته اذا طهرت من طمثها : ارسلي الى فلان فاستبضعي منه . ويعتزلها ولا يمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه . فاذا تبين حملها أصابها زوجها اذا احب . وانما يفعل ذلك رغبة في نجابة الرجل . فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع .. ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة ، فيدخلون على المرأة ، كلهم يصيبها ، فاذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت اليهم ، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع ، حتى يجتمعوا عندها ، تقول لهم : قد عرفتم الذي كان من أمركم ، وقد ولدت ، فهو ابنك يا فلان ، تسمي من أحبت منهم باسمه ، فيلحق به ولدها . ولا يستطيع أن يمتنع منه الرجل . والنكاح الرابع : يجتمع الناس الكثير ، فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها ـ وهن البغايا ،

(١٠) الطباطبائي : الميزان ج ٤ .

كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما • فمن أرادهن دخل عليهن فاذا حملت احداهن ووضعت حملها ، جمعوا لها ، ودعوا لهم القافة ، ثم الحقوا ولدها بالذي يرون ، فالتاطه ، ودعي ابنه ، لا يمتنع من ذلك »[١١] •

وهذا الجانب الذي عرضناه لم يكن الجانب الفاسد الوحيد ، بل كانت كل جوانب الجاهلية التي قبل الاسلام فاسدة ، وسميت الجاهلية لهذا السبب أي الجهل بأحكام الله وشرائعه الخيرة •

وجاهليتنا التي نحياها اليوم شبيهة بالجاهلية التي كانت قبل الاسلام من جميع الوجوه ومثالا على ذلك فالجانب الذي عرضته لنا عائشة تعرضه اليوم احدى المجلات الكبرى بهذا الشكل الواضح الذي هو تحليل للمرأة الحديثة :

« ••• كيف تعيش ؟ لماذا تهتم بجسمها دائما ولا تهتم بأي قيمة أخرى كأنما كل حياتها مكرسة لتربية هذا الجسم ؟ ان المرأة الحديثة ، امرأة المدن الصناعية ، تعيش وسط علاقات « حميمة » كثيرة : فهناك معاهد التجميل واستشارات الاطباء والنايلون ، ووسائل التدليك والجوارب والملابس الداخلية • وهذه الاشياء كلها قد أصبحت تنافس الفنون والآداب ، وتمثل الدور الذي كانت تحتله في العصور الوسطى • فهناك الابحاث والتجارب التي تجرى على فلسفة الجوارب والقيم الجمالية للسوتيانات ، هل يعني ذلك أن المرأة الحديثة قد أصبحت «شيئا » ، أي كائنا مجردا من الوعي الانساني ؟ »[١٢] •

ألا ترى في هذه النصوص تشابها بين جاهليتنا والجاهلية التي قبل

---

(١١) البخاري : أبو عبدالله ، الصحيح ، كتاب النكاح ج ١ •
(١٢) مجلة الطليعة القاهرية العدد ٣ السنة ١٩٦٥م •

الاسلام ؟ فانها قد تشابهت في الجانب الاجتماعي الذي عرضناه ، وهكذا تتشابه في جميع الجوانب كل الجاهليات على حد سواء • ولقد أصبحت جاهلية القرن العشرين من أعقـــد الجاهليات التي عرفت في التأريخ الانســـاني ، وذلك لأن الفســـاد والانحطاط الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والعقائدي والثقافي قد دخل في كل جانب من جوانب حياتنا ، فالجاهلية تتراءى اليوم لنا في المدرسة والبيت والمذياع والشاشة البيضاء « الرائي ، السينما » والمسرح والصحيفة والمجلة والكتاب ••• الخ • فجاهليتنا أعقد جاهلية عرفها التأريخ الانساني •

ولقد ابتلي عالمنا الاسلامي بشر وبيل أحاط به من جراء استيلاء الغرب الكافر طاغوت الجاهلية الحديثة على جميع أقطاره •

وكما نعلم ان الاستيلاء على الارض يتم بقوة السلاح ، أما الاستيلاء على البشر فلا يجدي فيه الاسلحة ولا تغني الجيوش والاساطيل • فلابد ـ اذن ـ من عمل منظم « لتغريب » العالم الاسلامي حتى يقبل الاستعمار الغربي ويهضم حضارته •

ولهذا رسم خطته بدهاء ومكر ، وشرع ينفذها بأناة وصبر • لم يصنع ما كان يصنع الفاتحون الاولون من تدمير المساجد ، أو تحريف المصاحف ، أو القاء الكتب في البحار والانهار •

لقد صمم الغرب الزاحف أن يهدم ويدمر ، ولكن بأسلوب غير اسلوب التتار والصليبيين القدماء ، لقد اتجه الى تدمير العقائد والافكار ، وهدم القيم والاخلاق ، وتحطيم الآداب والتقاليد ، بمعاول خفية لا تراها الأعين ، ولا تلمسها الايدي ، وبأساليب ماكرة ، لا تثير الشعوب ولا تغضب الجماهير ، وبهـذا نجح في قتل الشعوب ولكن بغير اطـلاق الرصاص ، وضرب السيوف ، بل بطريقة السم البطيء ، يوضع في الدسم والحلوى •

ويجب أن نعلم بأن مصدر هذه الجاهلية التي نحياها من تركنا عقيدتنا العظيمة واستماعنا الى لقلقة الاستعمار الكافر والاستجابة لتلويحاته .

فالجاهلية اذاً كانت تعطي مفهوم العقائد والافكار والعادات والمفاهيم بغض النظر عن الزمن والبيئة فهي حالة لا محالة .

« فمن مظاهر الجاهلية الرومانية ـ مثلا ـ ذوبان أسس الفضيلة وانهيار دعائم الاخلاق وكثرة الاضطرابات . ومن مظاهر الجاهلية الفارسية ، انتشار الحركات الهدامة وتقديس الاكاسرة وعبادة النار ومن مظاهر جاهلية الحبشة ، عبادة الاوثان مع بعض عبادات النصرانية ومن مظاهرة جاهلية الهند ، كثرة المعبودات وانتفاوت الطبقي والوثنية المتطرفة »(١٣) .

ويقول سيد قطب : « ان الجاهلية هي الجاهلية . ولكل جاهلية أرجاسها وأدناسها . لا يهم موقعها من الزمان والمكان . فحيثما خلت قلوب الناس من عقيدة الهية تحكم تصوراتهم ، ومن شريعة منبثقة من هذه العقيدة ـ تحكم حياتهم ، فلن تكون الا الجاهلية في صورة من صورها الكثيرة .. والجاهلية التي تتمرغ البشرية اليوم في وحلها ، لا تختلف في طبيعتها عن تلك الجاهلية العربية أو غيرها من الجاهليات التي عاصرتها في أنحاء الارض ، حتى أنقذها منها الاسلام وطهرها وزكاها .

ان البشرية اليوم تعيش في ماخور كبير .. ونظرة الى صحافتها وأفلامها ومعارض أزيائها . ومسابقات جمالها ، ومراقصها ، وحاناتها ، واذاعاتها . ونظرة الى سعارها المجنون للحم العاري ، والاوضاع المثيرة ،

---

(١٣) قطب : محمد ، جاهلية القرن العشرين .

والأيحاءات المريضة ، في الادب ، والفن وأجهزة الاعلام كلها .. الى جانب نظامها الربوي ، وما يكمن وراءه من سعار للمال ، ووسائل خسيسة لجمعه وتثميره ، وعمليات نصب واحتيال وابتزاز ، تلبس ثوب القانون .. والى جانب التدهور الخلقي والانحلال الاجتماعي ، الذي أصبح يهدد كل نفس وكل بيت ، وكل نظام ، وكل تجمع انساني .. نظرة الى هذا كله تكفي للحكم على المصير البائس الذي تدلف اليه البشرية في ظل هذه الجاهلية »[١٤] .

حينما نفهم من هذا العرض الذي سردناه عن واقع الجاهليات المتكررة المتلونة بألوان مختلفة ، تدلف الى المنطلق الذي أراده الاسلام من اطلاق لفظ الجاهلية والمعنى الذي اراده الله سبحانه من هذا اللفظ . فالمراد من لفظ الجاهلية في المفهوم الاسلامي هو الجهل بأحكام الله والبعد عن منهج الله في الحياة .

وها نحن نسرد آراء الكتاب الاسلاميين واحدا تلو الاخر وذاكرين المصادر التي استقيناها منها :

قال سيد قطب : « هي حالة نفسية ترفض الاهتداء بهدى الله ، ووضع تنظيمي يرفض الحكم بما أنزل الله »[١٥] .

وقال الساعدي : « حالة اجتماعية لها أبعادها الخاصة وانها النقيض الاوحد للاسلام فهي اذن وصف يرد على جميع الفكر التي تستمد عطاؤها من الارض وتفتقر الى حبل السماء »[١٦] .

وقال سيد قطب : « ان الجاهلية ليست فترة ماضية من فترات

---

(١٤) قطب : سيد ، في ظلال القرآن ج ٤ ص ١٣٢ .
(١٥) قطب : محمد ، جاهلية القرن العشرين .
(١٦) الساعدي : محمد عبد ، الاسلام ومعركة المصير الانساني .

التأريخ • ان الجاهلية كل منهج تتمثل فيه عبودية البشر للبشر ، وهذه الخاصية تتمثل اليوم في كل مناهج الارض بلا استثناء • ففي كل المناهج التي تعتنقها البشرية اليوم ، يأخذ البشر عن بشر مثلهم : التصورات والمبادىء والموازين والقيم ، والشرائع ، والقوانين ، والاوضاع والتقاليد •• وهذه هي الجاهلية بكل مقوماتها • الجاهلية التي تتمثل فيها عبودية البشر للبشر ، حيث يتعبد بعضهم بعضا من دون الله »[١٧] •

وقد ذكرت سمات تشترك فيها الجاهليات قديمة كانت أم حديثة وهي :

١ ـ عدم الايمان بالله ، ويستوي في ذلك الايمان العقيدة والتشريع بلا افتراق •

٢ ـ اتباع الاهواء وهذا ناشيء من عدم الحكم بما أنزل الله (وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم) • فكل نظام غير نظام الاسلام هو هوى ، وشرع الله وحده البريء من الاهواء • (ما أريد منهم من رزق ، وما أريد أن يطعمون) •

٣ ـ وجود الطواغيت وهي سمة ملازمة للبعد عن نظام الله ، والطواغيت دائما يقفون موقف الاعداء للعقيدة الحقة ودعاتها لانها تجعل الولاء لله لا لهم •

٤ ـ الانجراف مع تيار الشهوات • (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الدنيا •) • نعم ان قدرا من هذه الشهوات أمر ضروري لادامة حياة الانسان ولكنها اذا زادت عن حدها تصبح

---

(١٧) قطب : سيد ، في ظلال القرآن ص ٢٠٥ •

(...) ... طاره وتخرج عن مهمتها الفطرية التي من أجلها وجدت ، وصبح مطرداً بعد أن كان ضرورياً لوجوده . ولا شيء يحدد ويهذب هذه الشهوات ، الا العقيدة[١٨] .

... خلص الى نتيجة حتمية وهي أن الجاهلية حالة يوصف به العصر الذي اتسم بالبعد عن منهج الله وهيمنة الكافر . وذلك لان الجاهلية عقيدة والعصر لا تكون مرحلية في المجتمع .

عبدالكريم كاظم

كلية اصول الدين ـ السنة الثانية

المصـــادر :

١ ـ لسان العرب ـ ابن منظور .
٢ ـ أساس البلاغة ـ الزمخشري .
٣ ـ المنجد في اللغة ـ لويس معلوف
٤ ـ المنجد في الادب والعلوم ـ فرديناند توتل .
٥ ـ رسالة الاسلام ـ كلية أصول الدين .
٦ ـ تأريخ آداب اللغة العربية ـ جرجي زيدان .
٧ ـ الميزان ـ محمد حسين الطباطبائي .
٨ ـ صحيح البخاري ـ أبو عبدالله البخاري .
٩ ـ مجلة الطليعة القاهرية .

---

(١٨) مجلة رسالة الاسلام ، كليـــة أصول الدين العدد ٣ ، ٤ السنة ٣ .

ردود إسلامية
على بعض المستشرقين

قال سبحانه وتعالى :

« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » صدق الله العظيم .

قاعدة أصيلة لا تتغير وركن قويم لا يزول جاء في القرآن الكريم لتبيان الخط المستقيم أمام الناس وارشاد الضالين الى السبيل وأخذ التائهين في مدارج الحياة وهديهم الى الحقيقة التي لا تقبل الشك .

هذا الركن القويم يقر في القرآن بأن الاسلام هو الدين والدين هو النظام والقانون وهما الدستور العام الشامل الذي ينظم حياة الناس في جميع مجالاتها بشكل منسق ومرتب بحيث يضمن لهم سعادة الدنيا ونعيم الآخرة وأمن العيش واطمئنان النفس وثقة المجموع .

« ان الدين عند الله الاسلام »

والاسلام بعد كل هذا بما له من مرونة مع تطورات الحياة وتغيرات الزمن وملائمة مع كل الاحوال والظروف والامكنة ، فانه لم ينتشر بقوة العنف والبطش والاكراه كما يتصور بعض المستشرقين .

« لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي »

وانما بدأ فجر الاسلام يبزغ في ربوع جزيرة العرب وجد نوره العظيم الى القلوب القلقة والنفوس الحائرة فيجعلها مستقرة استقرار أمواج البحر في يوم هادىء ومطمئنة اطمئنان الارض الى رحمة السماء الدائمة وينتشر المبدأ ويأتي الناس من مختلف الاقوام والديار ليعلنوا أمام الرسول الاكرم (ص) اسلامهم وولاءهم لهذه العقيدة بلا ضغط وانما اندفاعا من أعماقهم ورغبة في جوارحهم وحبا للواقع وتشوقا للعمل في أمة واحدة ومبدأ واحد وقانون واحد .

هؤلاء هم مواكب الاسلام الاولى من أمثال عمار بن ياسر وسلمان الفارسي وبلال الحبشي وصهيب الرومي وأبي ذر الغفاري ، جاءوا جميعا واعلنوا اسلامهم بلا أي مكر أو حيلة أو خداع أو ضغط كما يتمشدق المتفرقون بذلك الهراء الفارغ حيث قال أدولف فيزمار :

« كان محمد يحمل الناس بالقوة والقهر على الايمان برسالته بدليل الآية (٩٩) من سورة يونس (أفأنت تكره الناس على أن يكونوا مؤمنين) .

ان هذا المستشرق عكس معنى الآية تماما ، لان النبي (ص) لم يكن يريد اكراه الناس على الايمان بهذا الدين بدليل الآية التي ذكرناهاوهي:

« لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي »

ثم ان النبي (ص) كان يدعو الناس الى الاسلام بكل ماله من وسائل اللين والمنطق والعقل وبما له اخلاق عظيمة وصفات فاضلة وخلال حميدة فانه عندما كان يلاحظ منهم الاعراض والاستهزاء والسخرية فانه كان يقول :

« اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون »

ان هذه العبارات ان دلت على شيء فانما تدل على اللطف والانسانية والمنطقية والرحمة التي بها دعي الرسول (ص) والثواب والتوحيد والالتزام بالسماء والتمسك بالنداء الرباني ، لا كما يقوله المستشرقون الذين يحاولون الطعن بالاسلام واساليبه في الانتشار وبالنبي (ص) وشخصيته والمقصود من الآية (٩٩) من سورة يونس ، ان الله سبحانه وتعالى أراد بها تسلية النبي (ص) والتخفيف من آلامه واخوانه عندما لاحظ عليه التحسر على حرص قومه وحرصه على هديهم الى الطريق الصالح لوحدتهم وسعادتهم وازدهارهم كما يقول (ص) .

« ياويح قريش قد أكلتهم الحرب ماذا عليهم
لو خلوا بيني وبين الناس »

ونفهم من هذه العبارة بأن النبي الكريم (ص) كان شديد التأثر بأحوال قومه وأوضاع أمته لما عليها من التفكك والضياع والبغضاء والحرب المستمرة .

ونلاحظ كذلك الانسانية في سيرة الرسول (ص) وفي دعوته الى الاسلام حينما فتح مكة ، فقال (ص) لهم .

« يا معشر قريش ان الله قد أذهب نخوة الجاهلية ، وتعظمها بالاباء الناس من آدم وآدم من تراب . ثم قال : يامعشر قريش ما تظنون انني فاعل بكم ؟ قالوا خيرا . أخ كريم وابن أخ كريم . قال اذهبوا فانتم الطلقاء » ومن كل هذا نستدل المعاني الانسانية والمثل العليا في التسامح والعفو واللين في وسائل الدعوة التي اتبعها الرسول (ص) أثناء قيامه بالجهاد العظيم في سبيل بناء المجتمع الاسلامي .

- ٢ -

فالاسلام اذن لم ينتشر بالقوة والاضطهاد كما يعتقد هؤلاء

المستشرقون . وهنا نورد قولا آخر لمستشرق درس التاريخ الاسلامي دراسة وافية وجال في آفاقه الشاسعة ومع هذا يقول أرنولد

« ينبغي أن يعلم القارىء اننا لم نضع هذا الكتاب لدراسة تاريخ الاضطهادات الاسلامية ، تأمل قليلا وتفكر بعيدا ليتضح لنا ما لهذا القول من معان كثيرة وكأن الاسلام في تأريخه الطويل مليء بموجات الاضطهاد ولكننا اذا درسنا هذا التاريخ بنزاهة حقيقية وعقل متبصر متزن نجد انه فارغ من كل ما قيل ويقال ، وانه انتشر بالتغيير الفكري والروحي وتحول جمهرة الناس من حالة جاهلية رعناء الى حياة اسلامية صافية يرفرف عليها الهناء والراحة والوحدة .

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

وان الحروب التي جرت في مراحل اقامة الدولة وتوسيع حدودها لم تكن حروبا وحشية همجية تمتاز بالقتل والتمثيل كما نلاحظها اليوم في الحروب أو الحروب الاهلية التي جرت في أوربا سبب النزاع المذهبي والانشقاق داخل الكنيسة ، وانما امتازت قبل كل شيء بأنسانيتها لأن العقيدة الاسلامية حلقة متكاملة في كافة مجالات الحياة ولا يمكن تجزئتها والاخلاق هي القاعدة الرئيسية في كل أعمال الانسان المسلم في سلوكه وجهاده وحركاته وتنسيقه لتصرفاته في المجتمع وعلاقاته مع الناس وواجباته تجاه غيره من أفراد أسرته أو (أمته) أو (دولته الاسلامية) واتصافه بالاخلاق العالية في الاخلاص والوفاء والمحبة والمودة والاتحاد والتعاون والامانة والعهود والمواثيق .

« وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا »

« وأدوا الامانات الى اهلها »

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على

الاثم والعدوان » ••

« أما والذي نفس محمد بيده انكم لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تتحابوا ولن تتحابوا حتى تتحدوا » •

ويثبت التاريخ لنا كيف طبق المسلمون هذه القواعد والاسس فالاسلام اذن هو الموجه الحقيقي للانسان المسلم في سيرته والمنظم لأخلاقه والمحرك بعواطفه نحو كل شيء في الحياة حتى الرفق بالحيوان فلكل شيء حقوقه وقيمته في الاسلام •

فقد كان قائد الحملةالاسلامية يتلقى توجيهات قيمة قبل مغادرة الحملة وهي من منطلقات الايمان والعقيدة • بعدم قتل العزل من الرجال والاطفال والنساء • وعدم قطع الاشجار الخضراء والمثمرة الا لضرورة حربية ومصلحة دينية تقتضيها الظروف وتتطلبها الاحوال وعدم ذبح الحيوانات أيضا الا لضرورة كذلك • ثم ان الحرب في النظرية الاسلامية لم تكن تبدأ على شكل مفاجأة أو مباغتة وانما كانت تتم على مراحل تدريجية حيث تعرض العقيدة الاسلامية على سكان المنطقة أو الاقليم فاذا أمنوا بها لا تقع الحرب ويكون لهم ما للمسلمين من واجبات واذا لم يقبلوا بها عند ذلك تعلن الحرب •

وتراعى فيها تلك النصائح والتوجيهات والهدف منها ليس القتل والتخريب والتشريد والاضطهاد وانما تنوير العقول وتفتح الاذهان لتقبل الاسلام عن علم وبصيرة وتفكر •

ولنا مثال واحد مهم عن العدل الاسلامي في الفتوحات والغزوات وهو ان جيشا اسلاميا فتح مدينة سمرقند بدون توجيه الانذار ثم جاء الخليفة عمر بن عبدالعزيز الى الحكم فتشكل وفد من أهالي سمرقند

وجاءوا الى الخليفة وقدموا حكم القاضي بأخراج الجيش الاسلامي من سمرقند ووافق الخليفة على الحكم ولكن السكان عندئذ رفضوا تنفيذ الحكم على الجيش وأصروا على بقائه نظرا لما امتاز به الاسلام من عدالة حقيقية ومساواة انسانية ومثل اخلاقية عليا • فالاضطهاد اذن لم يقع في التاريخ الاسلامي وانما مراعاة الشعور وحفظ الحقوق وصيانة المصالح وبث الأمن بين الناس كانت الظاهرة الاولى في المجتمع الاسلامي وانطلاقته العظيمة ولم يكن الارهاب صفة عامة يوما ما في التاريخ الاسلامي وتلك سير الصحابة والخلفاء والاولياء واضحة امامنا وتلك هي خطط الجيوش الاسلامية بارزة وهي تبين لنا كيف ان المسلمين دائما كانوا يعطون الفرصة الاولى في الحرب للأعداء •

- ٣ -

وان كثيرا من هؤلاء المستشرقين عندما يكتبون عن تاريخ الاسلام• فانهم لا يتحرون الحقيقة فكيف اذن عندما يكتبون عن العقيدة الاسلامية ومفاهيمها ؟

ان الدس والتزوير نلاحظه في كثير من كتابات هؤلاء المستشرقين •

فهذا (وان لوان) وهو أحد كبار المؤرخين في أوربا للتاريخ وهو باحث هولندي حيث ترجمت كتبه ومؤلفاته الى حوالي تسع وعشرين لغة ، يقول في كتابه (قصة البشر) ما يلي :

« وقد تولى الخلافة بعد أبي بكر عمر بن الخطاب وجعل دمشق عاصمة لاول دولة اسلامية ، وبعد عمر نهض بأعباء الخلافة علي بن ابي طالب » •

ونستطيع أن نحال هذه العبارة على مائدة التشريح بكل دقة

استنادا الى الواقع • فان الخليفة عمر لم يتخذ دمشق عاصمة لدولته • ثم ان دولة عمر لم تكن الدولة الاسلامية الاولى وانما حلقة من حلقات الحكم الاسلامي • فقد قامت قبلها دولة الاسلام الكبرى في ظل زعامة الرسول الاعظم (ص) في المدينة وبعد كل هذا يذكر المؤرخ الهولندي الكبير بان علي بن ابي طالب قد تولى الخلافة بعد عمر ، فاين اذن خلافة عثمان بن عفان ؟ ومن هنا يعكس هذا المؤرخ وامثاله صورة مشوهة عن تاريخ الاسلام ، فتتقبل أفكاره ناقصة وخاطئة الى الاذهان بينما التأريخ الاسلامي ناصع في صفحاته • أخلاقي في ميادينه ، لان هذا التاريخ صفة وأمامه رجال لهم قواعدهم الخلقية وسلوكهم المتزن وعقيدتهم الصالحة بحيث يرجعون كل أفعالهم الى مصدر واحد أصيل وهو رضاء الله سبحانه تعالى • فان الله تعالى لا يرض بالظلم والاضطهاد والعذاب وانما الرحمة والشفقة والعطف •

« وما أرسلناك الى رحمة للعالمين » •

فان الاسلام رحمة السماء الى الارض وحنين الفضاء الى الصحاري وعطف النجوم على البراري ولقاء الخير في التراب المتعثر •

— ٤ —

ومؤرخ آخر للتأريخ الاسلامي ، واسع الاطلاع ، عميق الفكر ، بعيد التأمل وهو (فيليب حتي) والذي كتب كتابه (تاريخ العرب) • فقد وجه الطعن من خلال مواضيعه الى الاسلام في جهاده الطويل ، وقال :

« ان الجهاد سبيل للنهب والسلب ، واستنزاف الامم المغلوبة ، والتسلط عليها بالقهر وتقسيمها طبقات يستذل بعضها — كالمسلمين من غير العرب مثلا — ويسترق الآخر لخدمة الفاتحين وملذاتهم » •

هذه كلمات جوفاء واتهام لاذع ، ونقد مرير وطعن أرعن ، توجه به هذا المؤرخ الى تاريخنا الاسلامي الزاهر ودوافعه الحقيقية وكل ما يتعلق بقواعد الحرب في الشرع الاسلامي .

ويتفق مع فيليب حتي في توجيه هذه الطعنات الى الانطلاقة الاسلامية العظيمة كل من (كارل بيكر) و (كايتاني) . حيث يرى الاخير بان شبه جزيرة العرب غنية في بعض الازمان وأمطارها كثيرة وانتاجها وفيراً وسكانها قليلين ولكن مع امتداد الوقت وتبدل الاحوال وقلة الانتاج وكثرة السكان ومجيء الاسلام في مثل هذه الظروف دفعهم الى غزوات خرجية وانه اذن حسب رأي كايتاني :

« لولا سوء الحالة الاقتصادية لما لبى العرب نداء الاسلام للفتوح » .

وهكذا تتوجه الاتهامات وتتوفر الادلة التافهة لاصحاب هذه النظرية التي تقول بأن الفقر الاقتصادي هو الذي دفع بالمسلمين للقيام بالفتوح .

والآن نستعرض بعض البراهين التي تدحض هذه النظرية وتبين خطأها الظاهر وخلوها من المنطقية .

اذا كان المسلمون يبحثون عن المادة ويرغبون في الحصول عليها بأية وسيلة ، كان لابد لهم الا يتركوا مجالا الا اقتحموه ولا فرصة الا اغتنموها من أجل هذا الهدف ولكننا نجد أن (القاعدة الاخلاقية) في الاسلام هي الاساس و (الايمان بالله) هو الدافع لكل عمل وخطوة ، ثم ان المسلمين في مكة أيام الدعوة الاسلامية تركوا ما لديهم من أموال وأملاك وهاجروا الى بلاد الحبشة ثم الى يثرب ولم يهتموا بالمادة ، بل كانت العقيدة هي (المحرك الفعال) لهم وكم تعذبوا وتحملوا ألوانا من الاذى في هذا السبيل ؟ وكما لاحظنا فيما تقدم بأن القاعدة الخلقية والاصول الانسانية كانت تراعى في الحروب الجهادية لا كما يقول فيليب حتي :

« أن الجهاد سبيل للنهب والسلب » .

وفي الفتوح الاسلامية خارج الجزيرة ، لو كان المسلمون طامعين في جمع المال وراغبين في السلب والنهب لما تركوا الاراضي المفتوحة بأيدي أصحابها الحقيقيين يزرعونها ويستفيدون منها مقابل ضريبة لا يدفعونها الى الدولة الاسلامية ، ولو كان القول كما يقول فيليب لحولوا هذه الملايين الى عبيد في الاراضي وخدم في البيوت والقصور ولكن العكس هو الصحيح فقد عومل أهالي البلدان المفتوحة معاملة حسنة وصانت الدولة الاسلامية كل حقوقهم ومصالحهم وتركت حرية اقامة الشعائر الدينية وطقوس العبادات لكل من لا يرغب في الاسلام دينا بل يدفع ضريبة الخراج والجزية وكذلك يقول فيلب :

« وتقسيمها طبقات يستذل بعضها ـ كالمسلمين من غير العرب مثلا ـ ويسترق الاخر لخدمة الفاتحين وملذاتهم » .

ان الاسلام حارب الطبقية بكل صرامة وأزال الفوارق بين المسلمين وجعل (التقوى) هو الميزان لجميع أعمال المسلم ، وكم من رجال رفعهم الاسلام الى درجات عالية في قوة الشخصية وصلابة العقيدة ومهارة القيادة والابداع ؟ ولم يميز الاسلام اذا كان هذا الشخص من أصل فارسي أو بربري أو حبشي لان المؤمنين أخوة :

« انما المؤمنون اخوة » .

حتى قال الرسول (ص) :

« سلمان منا أهل البيت » .

وكذلك رفع الاسلام آخرين الى منازل عظمى أيام الفتوح الاسلامية في قيادة الجيوش واعتلاء المناصب وكراسي القضاء وغيرها . لان الكفاءة والايمان والتقوى هي الصفات الرئيسية والشروط الضرورية للحكم في

كل المجالات الاسلامية . فالفتوح الاسلامية لم تكن للسلب والنهب والاسترقاق والظلم وانما كانت فتوح الشعاع الاسلامي وانطلاقات الانسان العاقل وكما يقول الاستاذ الزيات :ـ

« لم تكن الفتوح الاسلامية اذن فتوح استعمارية وجباية وانما كانت فتوح تحرير وهداية . كانت فتوحا في الارض للحرية والعمران .

وفتوحا في العقيدة للتوحيد والايمان ، وفتوحا في الشريعة للحق والعمل ، وفتوحا في السياسة للاحسان والعدل ، وفتوحا في اللغة للأدب والبلاغة ، وفتوحا في العلم للاحياء والتجديد وفتوحا في الفن للابتكار والطرافة » .

وهكذا تأتي الفتوح الاسلامية منورة للقلوب وموضحة للطرق وباتية لاسس الانسانية وراسية لقواعد الاخلاق وتاركة الحرية للعمل والعمران والابداع والابتكار ، وبهذا تكون هذه الفتوح نقطة انطلاق جبار في حياة الانسان وبداية عهد جديد وبوادر حياة عظيمة تسودها الطمأنينة ويعمها السلام وتعززها الثقة ألا وهي الحياة الاسلامية الوادعة .

ـ ٥ ـ

أما بروكلمان ، وهو مستشرق ألماني كتب كتابا في عدة أجزاء سماه « تاريخ الشعوب الاسلامية » وتبرز لنا فيه انتقاداته اللاذعة وطعنه المباشر في صميم العقيدة الاسلامية وجوهرها وأصلها وفي التأريخ الاسلامي كتاريخ عقائدي مبدئي في قولهم :

« اذا كانت الحماسة الدينية قد غلبت في مكة على محمد الذي أحس في ذات نفسه أنه رسول و (نذير) الى ابناء موطنه ، فقد انتهى في المدينة الى أن يصبح زعيم جماعة سياسية ورجل دولة موهوبا لا يثنني عن هدفه النهائي وهو السيطرة على بلاد العرب » .

وهنا لا نريد أن نناقش الفقرة الاولى من عبارته هذه ، والذي طعن

فيها بالنبوة ولكننا سنناقش الفقرة الثانية وهي ان الرسول (ص) أراد حسب رأيه أن يكون زعيما لدولة وان يسيطر على بلاد العرب فقد شبهه في هذه العبارة بزعماء الحركات ورواد الثورات ورؤوساء الاحزاب التي تهدف خطواتهم للوصول الى الحكم والسيطرة ، ولكن الرسول (ص) لم يكن انسانا من هذا الطراز ولم يكن هدفه السيطرة على بلاد العرب وانما كان نبيا وواسطة بين السماء والارض وداعية لرسالة مقدسة ومبشرا بالخير والصلاح والرشاد .

واذا كان الرسول (ص) كما يقول بروكلمان لوصل الى هدفه من دون أي عذاب أو اضطهاد حيث عرضت أمامه مختلف أنواع الاغراء والطمع عندما قالت قريش له : « ان أردت أن تكون زعيما لجعلناك رئيسنا وان أردت المال لاعطيناك الاموال الطائلة على أن تترك دعوتك » .

ولكن الرسول (ص) رفض كل هذا العرض المغري لانه لم يكن يهدف الى جمع المال أو الى تسلم الرئاسة كما يتصور بروكلمان . وكذلك عندما جاء وفد قريش الى عمه أبي طالب فكان جوابه برهانا ساطعا على انه كان انسانا له هدفه البعيد ورسالته الشاملة وقرآنه العظيم ، اذ قال الرسول (ص) :

« والله يا عماه لو وضعوا الشمس على يميني والقمر على يساري على أن اترك هذا الامر لما تركته حتى انقذه أو أهلك دونه » .

انه تصميم جبار واصرار عقائدي وايمان راسخ من الرسول الكريم (ص) يبين لنا فيه الهدف والغاية من دعوته الكبرى ألا وهي اخراج البشرية من الظلمات الى النور ومن الضياع والتفكيك الى الوحدة والسعادة ، وانه لم يكن زعيما سياسيا فقط ولم يكن دستوره ضيقا في مجال معين ، وانما كان بشيرا ورحمة ودستوره قانونا عاما كاملا ومنظما لامور الحياة في كافة تطوراتها ومنسقاً لمظاهرها باكمل صورها الرائعة .

حول
الحركة الاستشراقية

بقلم صادق العيداني

هيت ـ الانبار

بالرغم من ان الحركة الاستشراقية حركة فكرية سياسية ، أرادت ان تصبغ تفكير المسلمين باللون الذي تريد ، فهي تحتل جانبا عظيما من تفكير المسلمين المعاصرين ، ولذلك نجد كثيرا من المسلمين ممن تتلمذوا على المستشرقين بصورة مباشرة أو غير مباشرة يرددون الافكار الاستشراقية بايمان عجيب • بل ان من المؤسف أيضا ان هؤلاء لم ينظروا الى التاريخ الاسلامي نظرة عميقة الا من خلال النظرة الاستشراقية ، مما طبع الحركة الاستشراقية طابعا جديا ومنحها اهتماما كبيرا في الذهنية العامة عند المسلمين المعاصرين ، والمثقفين منهم بصورة خاصة •

ولغرض دراسة الحركة الاستشراقية عموما ودراسة اثارها الفكرية والسياسية في العالم الاسلامي ، فلابد من التعرف على الاحداث التي سببت ظهور هذه الحركة ودفعتها بقوة الى العالم الاسلامي • ولذلك فعندما نريد ان ندرس الحركة الاستشراقية يقتضي ان ندرس هذه الحركة في جانبيها السياسي والفكري ، لا ان نقتصر على دراسة جانبها الفكري فحسب • لان دراسة الجانبين السياسي والفكري ـ تمنحنا فهما واعيا للاثار الفكرية والاجتماعية التي اوجدتها الحركة الاستعمارية عموما والحركة الاستشراقية بالاخص في العالم الاسلامي • والتي تبدو واضحة في مجتمعنا وضوحا جليا ، في افكاره ونظمه وعاداته وحتى في عقيدته •

ولان دراسة الجانب الفكري فقط من الحركة الاستشراقية ما هي في الحقيقة الا عملية (رد شبهات) وهي عملية قام بها كثير من الكتاب المسلمين امثال محمد قطب والعقاد ومحمد كرد علي وغيرهم • اضافة الى ذلك فان تكرار « رد الشبهات » يضفي على الحركة الاستشراقية أهمية اكثر في الذهنية المعاصرة • وهي على أي حال ليست العملية المقابلة التي يتذرع بها المسلمون حيال الحركة الاستشراقية •

ولكن الذي نصنعه ونحن ندرس الحركة الاستشراقية •• ان ندرسها من الجانبين السياسي والفكري •

فدراسة الجانب السياسي تعتمد على معرفة الاسباب السياسية التي اوجدت الحركة الاستشراقية ودفعت بالمستشرقين الى العالم الاسلامي وبذلك تتعرف على مسببات الافكار التي تعيش في مجتمعنا وهي تنخر في هذا المجتمع نخرا عجيبا • ولذلك يقتضي علينا ـ بصورة اوضح ـ ان نفهم السبب الاعمق للحركة الاستشراقية وهو السبب السياسي الذي يمكن تلخيص هدفه بـ (استعمار العالم الاسلامي) ، فلهذا الغرض تزايد المستشرقون في عالمنا فدرسوا أفكارنا ومجتمعنا ودينا بصورة خاصة حتى يتعرفوا على الكوى التي يستطيع المستعمر ان يدخل منها الى العالم الاسلامي ، اذا كانت هذه الكوى موجودة • وفي حالة عدم وجودها فتكون مهمة الحركة الاستشراقية هي ايجاد هذه الكوى •

اضافة الى ذلك فان الحقد الدفين الذي يكنه الاوربيون عامة تجاه العالم الاسلامي كأثر مباشر من آثار الحركة الصليبية قد ساهم في دفع الحركة الاستشراقية الى الامام • وقد اوضح كل من جوستاف لوبون ومحمد أسد ان أوربا ما زالت تنظر الى العالم الاسلامي نظرة ما بعد الحروب الصليبية ولم تتحرر منها •

اما دراسة الجانب الفكري من الحركة الاستشراقية ـ ففي نظرنا ـ يجب ان تكون على ضوء الجانب السياسي من هذه الحركة • أي دراسة الحركة في رجالها وأفكارها • وهي مهمة صعبة على أي حال • الا ان أصحاب الطموح لا يعرفون للصعوبات معنى •

ولذلك سنجد عندما نسير في هذه الدراسة ـ على هذا الترتيب ـ ان كل فكرة اوجدها المستشرقون في دراساتهم ، والتي تتعارض مع الاسلام ، هي بنت الجانب السياسي ، أو بكلمة اصرح ، هي بنت الاستعمار فهي تقدم له الاشارة ليعرف الطريق •

واذا تصفحنا كتابه « المستشرقون » بأجزائه الثلاثة نجد ان عددا ضخما من المستشرقين كانوا عسكريين ودبلوماسيين وموظفين يؤدون خدمات « استعمارية » في العالم الاسلامي • ونجد عددا آخر كانوا متفرغين للدراسة ، ظاهرا ، ومهمتهم هي استعمار العقول وهي المهمة التي تتقدم المستعمرين أو تعقبهم •

وعلى ذلك فكيف نثق بهؤلاء المغرضين ؟ وكيف نؤمن بأفكارهم مفصولة عن أشخاصهم وأعمالهم ؟

وهذا الترتيب من الدراسة نجده كفيلا بتقديم أدلة كثيرة وواضحة تقدم لنا مؤشرا نستطيع بهديه ان نفهم الحركة الاستشراقية عموما وعلى ذلك فليتنافس المتنافسون •

« ولقد علم حتى الابكم والأصم ، ان في كل قطر من اقطار العالم الاسلامي حيتا من حيتان الغرب ، وافعى من أفاعي الاستعمار فاغرا فاه لالتهام هذا القطر وما فيه » •

« الامام المصلح كاشف الغطاء » قدس سره

مكانة ابن عباس
في التفسير والأدب والفقه الأسلامي

بقلم عبدالشهداء غازي الزهيري

بكالوريوس آداب من كلية أصول الدين

نسبه ومولده :

هو عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هشام بن عبد مناف أبو العباس القرشي ، ابن عم الرسول (ص) زوج خالته ميمونه وابن خالة خالد بن الوليد[١] . أمه لبابة الكبرى بنت الحارث بن خزن الهلالية[٢] .

عرف ابن عباس بألقاب عدة منها : حبر الامة[٣] ، حبر العرب[٤] ، ترجمان القرآن[٥] ، البحر الزخار[٦] . كني بأبيه العباس وهو اكبر ولده .

---

(١) ابن الاثير ، أسد الغابة ، ج ٣ ، طهران ، الاسلامية ، ص ١٩٣ .

(٢) الذهبي ، التفسير والمفسرون ، ج ١ ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٦٥ .

(٣) الدياربكرى ، تاريخ الخميس ، ج ١ ، القاهرة ، الوهبية ، ص ١٦٧ .

(٤) ابن حجر العسقلاني ، الاصابة ، ج ٤ ، الشرقية ، ١٩٠٧ ، ص ٩٠ .

(٥) تاريخ الخميس ، ص ١٦٧ .

(٦) الاصبهاني أبو نعيم ، حلية الاولياء ، ج ١ ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧ ، ص ٣١٤ .

ولد بالشعب من مكة المكرمة[٧] ـ شعب ابي طالب ـ في السنة الثالثة قبل الهجرة[٨] وقيل قبلها بخمس سنوات[٩] . كان النبي (ص) واهل بيته يومئذ هناك فجاءت به امه الى الرسول (ص) فحنكه بريقه وضمه اليه داعيا له « اللهم علمه الحكمة »[١٠] وفي رواية أخرى « اللهم اعطه الحكمة وعلمه التأويل »[١١] .

فمنذ صغره لازم ابن عمه الرسول محمد (ص) وكان على اتصال دائم بكبار الصحابة حيث اخذ عنهم علوم الدين . ولما توفى الرسول (ص) كان عمره ثلاث عشرة سنة وقيل خمس عشرة سنة[١٢] .

هذا الاتصال الوثيق جعل منه داعيا للعلم والادب ، بذل جهدا كبيرا في تحصيل ما كان يصبوا اليه على أيدي كبار الصحابة حتى صار من الذين يعتمد عليهم حيث كان يسأل عن كثير من القضايا التي قد تستعصي على غيره . وكان الخليفة عمر بن الخطاب يقربه ويدنيه ويستشيره مع شيوخ الصحابة ويقول « نعم ترجمان القرآن ابن عباس »[١٣] .

مكانته العلمية في التفسير والادب والفقه :

أولى ابن عباس اهتماما كبيرا في التفسير وظهر اهتمامه فيما القاه

---

(٧) الصفدي صلاح الدين ، نكت الهميان في نكت العميان ، القاهرة ، ١٩١١ ، ص ١٨٠ .
(٨) ابن الاثير ، أسد الغابة ، ج ٣ ، ص ١٩٣ .
(٩) ابن حجر العسقلاني ، الاصابة ، ج ١ ، ص ١٩٣ .
(١٠) الاصبهاني ، الحلية ، ج ١ ، ١٩٣٢ ، ص ٣١٤ .
(١١) ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ، ج ١ ، حيدراباد ، الدكن ، ص ٣١٤ .
(١٢) ابن الاثير ، أسد الغابة ، ج ٣ ، ص ١٩٣ .
(١٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، م ١ ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ص ١٧٣ .

من المحاضرات والمحاورات والندوات التي دونها عنه كثير من المفسرين ، يضاف الى ذلك كله ان تفسيرا وصف بأنه من اوسع التفاسير نسب اليه وهو «تنوير المقياس من تفسير ابن عباس » الذي ذكر جامعه في آخره قوله « فلما كان كتاب الله هو المعجزة الخالدة لسيد البشر وكان فهم معانيه وتحقيق مبانيه تغمض على كثير من الناس وكان الصحابة الاجلاء هم أعلم الناس بالمنزل على محمد (ص) لذلك عنى الامام ابن عباس حبر الامة وترجمان القرآن بحل الفاظه واظهار معانيه فأزال اللثام عما غمض فيه واوضح ناسخه ومنسوخه حتى جاء تفسيره عمدة التفاسير ومرجع العلماء الراسخين ...

وشهرة ابن عباس وحفظه مما اجمعت الصحابة على حجته والأخذ برأيه ولما كان تفسيرا جامعا واسعا لا يتحقق للكثير الاطلاع عليه لذلك عمد العلامة الفيروز ابادي - صاحب القاموس - في جمعه وتحقيقه »[١٤] .

الاسباب التي ساعدت ابن عباس على البروز في علم التفسير :

هناك عدة أسباب مهمة ساعدته في هذا المجال :

١ - ملازمته للرسول محمد (ص) وابن عمه الامام علي بن أبي طالب (ع) وكبار الصحابة والتابعين حيث أخذ عنهم وروى لهم . والذي يؤيد ذلك قوله : كنت الزم الاكابر من أصحاب رسول الله (ص) من المهاجرين والانصار فأسألهم عن مغازي الرسول (ص) وما نزل من القرآن في ذلك وكنت لأتي احدا منهم الا سر بأتياني لقربي من الرسول (ص) فجعلت أسأل أبي بن كعب وكان من الراسخين في العلم

(١٤) قرآن كريم (بخط السيد مصطفى نظيف) وبهامشه تنوير المقياس في تفسير ابن عباس ، لابي طاهر الفيروزابادي ، ط ١ ، القاهرة ، ١٣٥٦هـ .

عما نزل من القرآن الكريم في المدينة فقال نزل بها سبع وعشرون سورة وسائرها بمكة[١٥] .

وبعد استرساله بالحديث عن تفاصيل أخرى تتعلق بنزول القرآن وكأنه شاهد وقائع النزول وعاش ظروف الدعوة في مكة والمدينة فقال : « نزلت بمكة خمس وثمانون ، وعشرون سورة نزلت في المدينة البقرة ثم الانفال ثم الاعراف ثم آل عمران ثم الممتحنة ... الخ ويقال نزلت المعوذات بالمدينة ثم سائر القرآن الكريم »[١٦] .

٢ ـ مقدرته في اللغة العربية واحاطته بأساليبها :ـ فقد اتخذ ابن عباس في ذلك منهجا خاصا مبنيا على عدة أمور :

ا ـ رجوعه الى الشعر القديم :

فقال ابن عباس « اذا تعاجم شيء من القرآن الكريم فانظروا في الشعر فان الشعر عربي » ، حتى لقد كان يفسر كثيرا من الآيات القرآنية بألفاظ وردت في الشعر الجاهلي . وسار على منواله تابعوه ومن جاء بعده الا ان كل ذلك كان يحدث من غير تنظيم[١٧] .

وعن عكرمة عن ابن عباس قال : « اذا سألتم عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر ، فان الشعر ديوان العرب »[١٨] .

واما قصة حوار نافع ابن الازرق معه في فناء الكعبة وكان قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن الكريم فهي مشهورة . فقال

---

(١٥) ابن سعد ، الطبقات ، ج ٢ ، ص ١٢١ .

(١٦) ابن النديم ، الفهرست ، القاهرة ، ١٣٤٨هـ ، ص ٣٩ .

(١٧) محي الدين توفيق ابراهيم ، ابن السكيت اللغوي ، بغداد ، دار الجاحظ ، ١٩٦٩ ، ص ٣٠ .

(١٨) السيوطي ، المزهر في علوم القرآن ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ .

نافع لنجدة بن عويمر قم بنا الى هذا الذي يجترىء على تفسير القرآن بما لا علم له به فقاما اليه فقالا : انا نريد ان نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقه من كلام العرب فان الله تعالى انما انزل القرآن بلسان عربي مبين فقال ابن عباس سلاني عما بدا لكما . فقال نافع اخبرني عن قول الله تعالى « عن اليمين وعن الشمال عزين » قال : العزون ـ حلق الرفاق . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم ـ اما سمعت عبيد بن الابرص وهو يقول :

فجاؤا يهرعون اليه حتى يكونوا حول منبره عزينا[١٩]

اسئلة نافع جاوزت الخمسمائة سؤال وابن عباس يجيب عنها دون ملل .

والمحاورة الاخرى التي جرت بينه وبين عمر بن ابي ربيعه الشاعر العربي المشهور مانصه : قال اخبرني الجوهري والمهلبي... عن عمر الركاء قال : بينا ابن عباس في المسجد الحرام وعنده نافع ابن الازرق وناس من الخوارج يسألونه ، اذ أقبل عمر بن ابي ربيعة في ثوبين مصبوغين موردين او حمصرين حتى دخل وجلس ، فاقبل عليه ابن عباس فقال دون ملل .

أمن آل نعم انت غاد فمبكر غداة غد ام رائح فمهجر

حتى اتى على آخرها . فاقبل عليه نافع ابن الازرق فقال : الله يابن عباس ! ان نضرب اكباد الابل من اقاص البلاد تسألك عن الحلال والحرام فتتثاقل عنا ويأتيك غلام مترف من مترفي قريش فينشدك :

رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت فيخزي واما بالعشي فيخسر

---

(١٩) السيوطي ، الاتقان ، ج ١ ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ص ١٢٠ .

فقال : ليس هكذا قال . قال : فكيف قال ؟ فقال : قال

رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت فيضحى واما بالعشي فيحضر

فقال : ما أراك الا وقد حفظت البيت قال : أجل وان شئت ان انشدك القصيدة انشدتك اياها . قال فأني اشاء ، فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها . وفي غير رواية عمر بن شبّة : ان ابن عباس انشدها من اولها الى آخرها ثم انشدها من آخرها الى اولها مقلوبة ، وما سمعها قط الا تلك المرة صفحا . قال : وهذه غاية الذكاء[٢٠] .

ولم يكن ذكاء ابن عباس مقتصرا في ناحية الأدب والتفسير ... فقد عرف عنه انه يجيب عن كل سؤال قد يبدوا لغيره غامضا بسرعة البديهة التي تدل على عمق تفكيره وعمق ثقافته العامة وقد قرض الشعر ونسب اليه هذه الابيات في مدح ابن عمه الامام علي (ع)

وصي رسول الله من دون اهله وفارسه ان قيل هل من منازل

فدونك ان كنت تبغي مهاجرا أشم كنصل السيف غير حلاحل[٢١]

وقال أبيات أخرى في الطائف عندما كان منفيا هناك وفقد بصره .

ان يأخذ الله من عيني نورهما ففي لساني وقلبي منهما نور

قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف مأثور

اهتمامه بالفقه :

كان المسجد في المدينة هو المدرسة التي يتلقى فيه دروس العلم كما يتلقون دروس التربية الدينية وربما خصص العلماء اياما لكل فن وعلم

---

(٢٠) ابي الفرج الاصبهاني ، الاغاني ، ج ١ ، كوستانوماس وشركاه ، ص ٧١ .

(٢١) الاميني محسن ، أعيان الشيعة ، ج ٣٨ ، الاتقان ، بيروت ، ١٣٧٥هـ ، ص ١٢٥ .

مما يدرسونه . وكان ابن عباس يجلس يوما ولا يذكر فيه الا الفقه ويوما التأويل ويوما المغازي ويوما الشعر ويوما ايام العرب »[٢٢] ولهذا امتاز ابن عباس بسعة أفقه في مجال الفقه حيث كان من حجام الفقهاء المرموقين في زمن عمر[٢٣] وكذلك ايام عثمان امير المؤمنين[٢٤] . واستمر على هذا الحال حتى أيام معاوية فكان يعتبر حجة في قوله فقد وصفه عبيدالله بن عبدالله بن عتبة « كان ابن عباس قد فاق الناس بخصال : بعلم ما سبقه وفقه فيما احتيج اليه من رأيه ... »[٢٥] .

واما في الحديث : فمقامه معلوم فقد ذكر الانباري وغيره أنه « لازم رسول الله (ص) وروى عنه الاحاديث الصحيحة »[٢٦] . واهتم ابن عباس في أواخر ايامه بالنواحي الثقافية بعد اعتزاله الحياة العامة . فقد ساهم مع غيره من الشخصيات الاسلامية المعروفة في تأسيس بعض المدارس التي وجدت في مكة والمدينة والكوفة والبصرة . فقد كان زعيم مدرسة مكة التفسيرية حيث ان هذه المدرسة « ترجع شهرتها الواسعة الى ابن عباس »[٢٧] فقد عرف عنه بتبحره في الحديث والفقه وتفسير القرآن ولقد لقبه الرسول (ص) بفارس القرآن بقوله : ولكل شيء فارس وفارس

---

(٢٢) سامي مكي العاني ، ديوان كعب بن مالك الانصاري ، بغداد ، مكتبة المثنى ، ١٩٦٦ ، ص ٤٧ .

(٢٣) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٢ ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ١٦١ .

(٢٤) أيضا ص ١٧٧ .

(٢٥) ابن الاثير ، أسد الغابة ، ج ٣ ، ص ١٩٣ .

(٢٦) ابي البركات الانباري ، اسرار العربية ، دمشق ، الترقي ، ١٩٥٧ ، ص ٤٣٦ .

(٢٧) حتي فيليب ، تاريخ العرب مطول ، دار الكشاف ، ١٩٦٥ ، ص ٣٠٤ .

القرآن عبدالله بن عباس »[٢٨] • ولهذا لقب (بحبر الأمة) وهذا لقب لم يحصل عليه من سبقه •

وقد تخرج من هـذه المدرسة من التابعين امثـال مجاهد بن جبر وعطاء ابن ابي رباح وطاووس بن كيسان وهؤلاء من الموالي •

واشتهرت أيضا مدرسة المدينة التي تعتبر من أهم المراكز العلمية باعتبارها دار هجرة الرسول (ص) ومركز الخلافة الاسلامية والتشريع وفيها الصحابة الذين شاهدوا وسمعوا كل ما قام به النبي (ص) وشاركوه الفتوح والغزوات • وقـد ساهم ابن عباس في حركتها العلمية مساهمة فعالة • فقد نقل الذهبي : وكان ابن عباس وابن عمر وأبو هريرة وجابر مع اشباه لهم يفتون بالمدينة ويحدثون عن رسول الله (ص)[٢٩] •

فكان ابن عباس يقيم المجالس العلمية ويحييها حسب الطريقة المتبعة آنذاك في مسجد الرسول (ص) أو في بيته مستغلا المناسبات الخاصة التي تقام لمثل هذه الاحتفالات والمناظرات ••

وروى الاصبهاني عن ابي حمزه الثمالي عن ابن صالح قال : لقد رأيت من ابن عباس مجلسا لو ان جميع قريش فخرت به لكان لها فخرا • لقد رأيت الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق فما كان احد يقدر على ان يجيء ولا ان يذهب ، قال فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه فقال لي ضع لي ضوءاً ، قال فتوضأ وجلس وقال اخرج وقل لهم من كان يريد ان يسأل عن القرآن وحروفه ومن أراد منـه فليدخل • قال فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء الا اخبرهـم به • وزادهم مثل ما سألوه عنه أو أكثر • ثم قال اخوانكم فخرجوا • ثم

---

(٢٨) ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ، ج ١ ص ٣١٨ •
(٢٩) الذهبي ، التفسير والمفسرون ، ص ١٨٤ •

قال اخرج فقل من اراد ان يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل فخرجت فقلت لهم قال فدخلوا حتى ملئوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء الا اخبرهم به وزادهم مثله • ثم قال : اخوانكم وهكذا قال لسائلي العربية والشعر والغريب من الكلام ••• قال ابو صالح فلو ان قريشا كلها فخرت بذلك لكان فخرا • فما رأيت مثل هذا لاحد من الناس »[٣٠] •

وهذا القول يكفي شاهدا على ما امتاز به ابن عباس على من سبقه بشخصيته وقابليته الفذة التي استحق على ان يلقب معها « بحبر الامة » •

ونستنتج من كل ما سبق :

أولا ـ ان ابن عباس كان عالما موسوعيا اي انه برز بطائفة من العلوم التي ورد ذكرها في صلب المقال •

ثانيا ـ لقد برز ابن عباس في علمي الحديث والتفسير بروزا ظاهرا • لذا ينسب اليه كتاب في التفسير ضاع أو كاد ان يضيع معظم محتوياته • وقد وصلتنا قطع منه عن طريق الرواة أي بصورة غير مباشرة •

اما في الحديث فقد اعتمده علمـاء الحديث واهتم البخاري ومسلم بالرواية عنه ، واعتمده اعتمادا كبيرا •

ثالثا ـ كان ابن عباس من علماء اللغة المشهورين وقد دونت آراؤه في اللغة والادب عن طريق مناقشاته وأقواله التي وصلنا اكثرها عن طريق غير مباشر وحسبك ان تطلع على ما اورده الدكتور ابراهيم السامرائي حول (سؤالات نافع ابن الازرق الى عبدالله بن عباس) في العدد (٥ ـ ٦) من مجلة رسالة الاسلام السنة الثانية ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ •

---

(٣٠) الاصبهاني ، الحلية ، ج ١ ، القاهرة ، ١٩٣٢ ، ص ٣٢٠ •

كتب جديدة في الميزان

حول الكتاب

«نقد الفكر الديني»

يحلو لبعض الافراد أن يكون همهم مواكبة « موضة » العصر ، وان يظهروا أنفسهم كناس « تقدميين » في وقت يجدون انفسهم قاصرين عن مواكبة التطور العلمي والتكنولوجي ، وبعيدين عن مجال الاكتشافات والاختراعات فيلتجئون الى طريق يسير بسيط للحصول على « وسام التقدمية » وهو التهجم على التراث الديني بما لهذا التراث من أثر عميق في نفوس الناس ، فيحدث القال والقيل ويثور الهرج والمرج • وفي وسط هذه الضجة يحصل هذا التهجم الذي غالبا ما يسمى نفسه « ناقدا علميا » على مبتغاه •

ولقد اعتدنا أن نرى مثل هـذا النقد يعتمد على المفاهيم الخاطئـة المشوهة التي تحملها اذهان اولئك الكتاب عن الدين • ولكن ـ مع ذلك ـ فان هذه المفاهيم الناقصة ـ غالبا ـ ما تعرض وتناقش بأسلوب علمي ومنهجة قويمة لا مجال للطعن فيها •

(*) اعتمدت في هذا الاستعراض على الطبعة الثانية من الكتاب ، بيروت ، ١٩٧٠ •

الا اننا نرى نوعا آخر من الكتب « النقدية » ومنها ـ الكتاب ـ الذي نحن بصدده لا تعتمد التحليل النقدي والمناقشة وطرح الادلة ، بل تستخدم أساليب الخداع اللفظي ، وتزييف الحقائق ، والسخرية اللاذعة ، كل ذلك لكي تصرف ذهن القارىء عن المناقشة العقلانية الهادفة الى حالة من الانبهار والتقبل اللا شعوري • ان ـ الكاتب ـ أراد لنفسه ، مع الاسف ، ان يقف الى صف كل القوى التي يهولها مجابهة الاسلام أيديولوجيا فتشبث بالاساليب السياسية ـ الشائعة في يومنا هذا ـ والزركشات اللفظية ، متخذة من العلم وسيلة للتهريج ، مستغلة فراغ الذهن وشعور النقص الذي تعاني منه شعوب المنطقة الاسلامية ، جاهلة أو متجاهلة العاقبة الوخيمة التي يجر وراءه هذا الاسلوب الغوغائي ، في وقت نحن أحوج ما نكون فيه الى مراجعة مخلصة وعميقة لتراثنا ، لتخليصه من الشوائب ، ومن ثم اتخاذ العلم وسيلة لدعم هذا التراث ، ولاثبات وجودنا كأمة ناهضة نريد أن تعيش تحت الشمس • أنا لا أريد في سطوري هذه أن أناقش الشبهات التي طرحها ـ الكاتب ـ ، كما وانني سوف لا أحاسبه عما وقع فيه من الاخطاء الواضحة نتيجة لعدم احاطته بمفاهيم الدين ، وان كانت هي مما يحاسب عليها باعتباره ـ ناقدا ـ للفكر الديني ، اذ ان الفهم الناقص لمفاهيم الدين لا يختص بها الكاتب فحسب ـ بل انها السمة التي تميز معظم الكتابات التي يريد أصحابها لها ان تكون بذهنية « علمانية » ، ولكني سأستعرض ما يتميز به هذا الكتاب من منهج ملتو واسلوب لا منطقي متوخيا في كل ما اكتب العرض السريع والاختصار •

ولا يفوتني أن أذكر بانني سوف لا أتطرق الى الاغراض الخفية والغايات الكامنة وراء كل ما عرضه الكاتب وان كانت هذه الغايات قد عبرت عن نفسها بفلتات صدرت منه في بعض سطور الكتاب •

كان لابد للكاتب قبل أن يدخل في موضوعه أن يحدد في مقدمته ما يقصده بالذهنية الدينية وبالفكر الديني ، ومن ثم تحديد وظيفة العلم

ومجـال عمله وأساليب استدلاله . لكي يحدد الاطار العـام للفكر الذي ينقده وللمنهج الذي يتبعـه في عملية النقد . وبديهي ان التحـديد في المقدمة يجب أن يكون خاليا من أي حكم ، اذ انه في الوقت الذي يواجه ذهنية متدينة يريد أن ينقدها ، يكون لزاما عليه ان لا يستفز هذه الذهنية في المقدمة ، وان يظهر حياده وتجرده لكي يتدرج في استدلاله من خلال فصول الكتاب ويصل بعدها الى النتيجة المطلوبة .

ولكن شيئا من هذا لم يكن في مقدمة المؤلف التي تواجهنا بهـذه التحديدات بشكل تعسفي غير متفق عليه ، تبدو وكأنها النتيجة التي حصل عليها الكاتب من خلال كل ما كتب . فيصف الذهنيـة الدينية « بطغيـان التقبل العفوي والانتظام اللاشعوري للانسان ضمن اطار الايديولوجيـة الغيبية الضمنية والسائدة » (ص ٧) .

ويحدد وظيفـة الانتاج الفكري الديني بانهـا « نقل الايديولوجية الدينية بقدر الامكان ، من حالتها الضمنية العفوية اللاشعورية الى حالة تتشبه ـ كذا ! ـ بالعرض الصريح والتنظيم الفكري والوعي المنطقي » (ص ٨) .

هذا من جهة ومن جهة أخرى فانه يحدد العلم الذي يزعم انـه منهجه النقدي من خلال وظيفته فيقول « وبمقابل الوظيفة التي يقوم بها الفكر الديني على هذا الصعيد يوجد الفكر العلمي التحليلي الذي يفترض فيه أن يمارس ، من ضمن ما يمارسه ، النقد المستمر للايديولوجية الغيبية السائدة على كافة المستويات » (ص ٨) .

فالايديولوجية الدينية اذن قد حددها الكاتب في مقدمته بانها « حالة ضمنية عفوية لا شعورية » والفكـر الديني ينطلق من هـذه القاعدة اللاشعورية العفوية ليتشبه بالعرض الصريح ... وبمقابل هذا فالعلم الذي يدعيـه الكاتب أساسـا لمنهجه هـو الذي يمارس النقـد المستمر للايديولوجية الغيبية على كافة المستويات !

هذه هي التحديدات التي لابد من قبولها لاتمام « تسلسل » فصول الكتاب !

أنا لا أريد أن أرد على هذه التحديدات ـ كما آليت على نفسي من قبل ـ ولكني أقول أية ذهنية دينية بل أية ذهنية منصفة تفهم أصول النقد وتدرك طرق الاستدلال والبرهان تتقبل هذه المقدمة الاستفزازية ؟

هل هذه هي طريقة « المناقشة العلمانية » و « المراجعة العصريه » التي يزعم الكاتب انه يتبعها ؟! .

وبعد .. فوظيفة الكتاب كما حددت في المقدمة هي « نقد الذهنية الغيبية على أساس من المراجعات العقلانية العلمية المباشرة لنماذج حية وملموسة من انتاجها ومزاعمها وتفسيراتها للاحداث » (ص ٨) .. لكن المقدمة وحدها كافية لتوضيح مجافات الكاتب لهذا الخط الذي يزعمه في نقده .. فالفكر الديني ينتقده الكاتب لانه « السلاح النظري بيد الرجعية في حربها المفتوحة » ! (ص ٩) ، كما انه « العكاز الذي تتكىء عليه بعض الانظمة التقدمية العربية في تهدئة الجماهير العربية .. » (ص ٩) .

وفي غير المقدمة تجد الكثير من هذا ولكن فيما ذكرته الكفاية .

وملاحظة أخرى حول « نقد النماذج الملموسة » يفهمها كل من له اطلاع يسير في التاريخ الاسلامي هي : ان الفكر الاسلامي مر في مراحل متعددة خلال القرون التي مرت عليه . فقد نشأت مدارس بعضها مفتعلة وبعضها منفعلة ، وفي مقابلها كانت هناك مدارس تمثل نقاد الاسلام وجوهره غير الملوث . ففي أيامه الاولى حدث اتجاه يسند السلطان ويبرر الظلم والاستبداد وفي مقابله كان اتجاه الثوار الذين كونوا سلسلة حلقات متصلة في التاريخ الاسلامي ، ومن ثم حدثت بعد ذلك اتجاهات بعضها مفتعلة من قبل السلطان وبعضها منفعلة بالفكر اليوناني الذي واجهته بغتة ، فحدثت

انحرافات في الفهم للدين والكون والحياة لا تخفى على كل من يتمتع بمقدار كاف من الفهم الاسلامي الصحيح ، وفي القرنين الاخيرين حدث الانفعال الجديد على أثر الانفتاح الجديد على الحضارة الاوربية ، في وقت تشكو فيه الامة من الفراغ ومن تراكم المخلفات ، فكان لابد من ظهور الهزيمة على ذهنية نفر من المسلمين المتأرجحين ، فحدثت اتجاهات الالحاد واتجاهات التنظير والتوفيق بين النظريات العلمية وبين الفكر الاسلامي . والفكر الاسلامي في هذا شأنه شأن كل ايديولوجية تمر في فترات تخلو من القادة المبدئيين أو تكاد .. ولذلك فاعتبار كل ما قيل، وكل ما افترى ، وكل ما دس ، ومن ثم كل ما كان مفتعلا ومنفعلا .. اعتبار كل هذا يصلح ان يكون نماذج حية صالحة للنقد فهو تجن على الدين .

ان اعتبار هذه النماذج صالحة لاثبات شيوع افكار غيبية وهمية ، وأخرى خاطئة في فترات معينة من تاريخنا ، وفي حاضرنا المعاش ، هو اعتبار صحيح تماما . الا انها لا تصلح وبأية حال من الأحوال لان تكون نصوص يؤاخذ الدين عليها .

أنا لا اقول هذا لاوضحه للكاتب ، اذ لا يمكنني ان اساق وراء حسن الظن لدرجة احسب معها الكاتب جاهلا بهذه الامور الواضحات .

ولكني اقولها للقارىء : هل هذه هي التي تسمى بطريقة « النقد العلمي ـ العلماني الصارم الذي يحلل تحليلا عميقا » !!؟

لنستعرض مواضيع الكتاب ، فقد نستطيع من خلالها أن نرى منهج الكاتب في « نقده » ونلمس « العقلانية العلمية » التي يراجع على اساسها « الفكر الديني » في وضوح اكثر . ان الموضوع الاول المطروح هو بعنوان « ـ الثقافة العلمية وبؤس الفكر الديني ـ ويتضح من العنوان

ان الكاتب يريد ان يصور « بؤس » الفكر الديني بسبب معارضتـــه المثقافة العلمية .. ولغرض تثبيته هذا البؤس يطرح الاسباب الآتية :

أولا : « انتقال الانسان من الموقف الايجابي الحازم نحو الدين ، لما بينه علماؤه وفلاسفته ، الى الموقف القلق المتردد الذي عبر عنـــه مزاج حضارة القرن العشرين وثقافته » (ص ١٩) .. وهنا اريد ان أتساءل :

هل ان الالحاد والتردد في الايمان حديث والايمان والطمأنينة أتساءل :

ان تاريخ الفلسفة الغربية يحدثنا عن ظهور فلاسفة ماديين سبقوا ميلاد المسيح بقرون من امثال : طاليس (٦٢٤ ـ ٥٤٦ ق م) وهو الذي جاء بنظرية فلسفية عن نشوء العالم تشبه الى حد بعيد الرأي الذى كان راجحا حتى اوائل هذا القرن ، وكذا انكسمندر (٦١٠ ـ٥٤٧ ق.م) وانكسمنس (٥٥٨ ـ ٥٢٤ ق.م) وهرقليطس (٥٤٠ ـ ٤٧٥ ق.م) الذي وصف ماركس بعض اقواله بانها " شـــرح رائع للماديـــة الديالكتيكية "[1] .

وتكشف لنا بعض آيات القـرآن عن وجـود معارضة ـ عاصرت زمن نزوله ـ ترفض الارتفاع عن مستوى الفهم المادي للكون والحياة كان القرآن في صراع معها »[2] .

ليس الموقف القلق المتردد ـ اذن ـ حديثا يعكس مزاج حضـارة

---

(١) راجع : برتراند رسل ، تاريخ الفلسفة الغربية . وكـذا : يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية .

(٢) (وضرب لنا مثلا ونسي خلقـه قال : من يحيي العظام وهي رميم) « يس : ٧٨ » ـ (وقالوا ان هي الا حيـاتنا الدنيا وما نحـــن بمبعوثين) « الانعام : ٢٩ » .

القـرن العشرين وثقافته وكذا ليس الايمان والطمأنينة قديمة ، اذ ان جميع علماء عصرنا من الذين لا تستخدمهم دوائر سياسية معينة ، ومن الذين يدركون حدود العلم يؤمنون بوجود الله • بل لعل الكثير منهـم يصرف جزءا من وقته ليكتب عما تثيره العلوم الطبيعية والرياضية في نفسه من تعميق لفكرة وجود الخالق ، وبين ايدينا اليوم كتب ومقالات لا حصر لها في هذا الخصوص •

ويعرض (السبب الثاني) للبؤس الديني بقوله : « لاننا تأثرنا الى أبعد الحدود باخطر كتابين في القرنين الاخيرين : رأس المال وأصـل الانواع » (ص ٢٠)

١ ـ يبدو لي ان ذكر اسماء الكتب فقط لا يوضح مافي الكتب من النظريات ، ولا يستطيع ان يقنع الذهنية الدينية التي يناقشها بل كـل ما يستطيع مثل هذا الاسلوب بهر العقليات الضعيفة واستغلال شـعور النقص الذي يعتري النفسيات المتأرجحة •

٢ ـ ان كتابي « رأس المال » و « اصل الانواع » فيهما من الدراسات العلمية التجريبية البحتة مالا تمس اطار الدين ، ولكن فيها من التفسيرات المذهبية التي تخرج عن اطار الاثبات المختبري الى اطار فلسفي عقلي مجرد ولذا فليس من حق الكاتب ان يطلب منا الايمان بكل ما ورد في الكتابين باسم " العلم » و «العلمية » •

٣ ـ ان الكتابين مع كونهما مجرد « نظريتين » فان فيهما اخـذا وردا من قبل العلماء في الجانب العلمي ذاته • وان الضجة التي احدثاها في اوربا قد اتت على رأس سلسلة من الضجات والتحركات في وجـه الكنيسة الاوربية التي كـانت تتحكم في عقول الناس ومصائرهم فتلك

الضحة اذن ظروفها الخاصة التي لايمكن انطباقها على واقعنا[٣] .

(السبب الثالث) الذي يعرضه ا لكاتب في مجال تصويـــره ـ للمؤنس الديني ـ هو تعارض الاراء والمعتقدات عن نشوء الـــكون وتركيبه وطبيعته التي يطرحها الدين الاسلامي « تعارضا واضحا وصارخا ـ كذا ! ـ مع معلوماتنا العلمية عن هـذه اوالمواضيع بالذات » (ص ٢٢) ثم « ان الخلاف بينهما يجرى الى اعمق من ذلك بكثير ! عندما يمســـان مشكلة المنهج الذي يجب أعتماده في الوصول الى قناعتنا ومعارفنا في هذه المواضيع المذكورة » (ص ٢٣) .

يتوقع قارىء الكتاب بعد ان يرى عبارة « التعارض » بين النظـرية الاسلامية والنظرية العلمية حول « نشوء الكون وتركيبه وطبيعته » ان الكاتب سوف يعرض « قانونا علميا ثابتا » عن نشوء الكون توصل اليـــه العلم وهو بذلك يتعارض مع النظرية الدينية . ولكن القارىء سرعان ما يفاجأ بأن الدليل ليس قانونا علميا ولا نظرية علمية ، انه ـ على حـد تعبير الكاتب ـ « قطعة ادبية جميلة » !! كتبها برتراند رسل « يشدد فيها على ان النهاية الحتمية لجميع الاشياء هي الفناء والعدم ، ولا أمل لكائن بعدها بشيء ، انه من السديم والى السديم يعود »(ص ٢٧)

وما ورد في «القطعة الادبية الجميلة » قد تخيله طاليس ـ كمـــا ذكرنا ـ منذ قرون طويلة خلت ثـم راج التصوير السديمي لنشوءالكون والحياة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ثم بدت هذه التصويرات الآن وكأنها وهميات تريد ان تفرض نفسها باسم العلم زاعمة انها تعارض « مسألة الغيب » القائمة على اسس منطقية وفلسفية ولها رصيدها العلمي

---

(٣) راجع في هذا الصدد : محمد قطب ، معركة التقاليد .

الضخم في كل التجارب والمشاهدات الكونية[٤] .

ان الذي اقوله هو اننا يجب ان نكون امناء في استخدام العلم فلا نجعله وسيلة للهوس والتهريج ، ولا نعتبر المعلومات التي نحصل عليها في مرحلة من مراحل تطوره وكأنها حقائق مسلمة غير قابلة للنقض والتبديل .

أما فيما يخص « المنهج » ففيه كلام طويل اختصره اختصارا فيما يلي :

١ ـ في حدود المسألة العلمية لا يوجد فيلسوف الهي وآخر مادي اذ ان منهجهما واحد في الوصول الى قناعاتهم ومعلوماتهم . ولكن الافتراق يبدأ حين تعرض مسألة الوجود فيما وراء الطبيعة ، وفي هذا المجال لا يستطيع المنهج التجريبي ان ينفي أو يثبت .

من هنا نفهم انه « لا توجد لدينا مادية علمية ، أي تجريبية ، لان العلم كما عرفنا لا يثبت المفهوم المادي للعالم ، لتكون المادية علمية ، بل كل ما يكشف عنه العلم من حقائق واسرار في عالم الطبيعة ، يترك مجالا لافتراض سبب « اعلى فوق المادة »[٥] .

٢ ـ يريد الكاتب من الذين يؤمنون بالعلم وبالمنهج العلمي أن يؤمنوا بكل الفلسفات التي تدعي « العلمية » اساسا لبحوثها بما في هذه الفلسفات من جوانب لا يمكن ان تخضع للتجربة العلمية . لذلك

---

(٤) لي امل اللقاء بالقراء ـ انشاء الله تعالى ـ على صفحات هذه المجلة لاستعراض النظريات القديمة والحديثة حول نشوء الكون والحياة ، وصلة هذه النظريات بالنظرة الالهية الواقعية .

(٥) راجع : محمد باقر الصدر ، فلسفتنا ، ص ١٩٧ ـ ٢٠٦ .

فالكاتب يجد تناقضا في اقوال « سيد قطب » الذي « يرد المنهج العلمي التجريبي الى روح الاسلام ويعتبر المنهج الاسلامي الاساس الذي قامت عليه النظرة التجريبية العلمية الحديثة » (ص : ٤٢) وهو في الوقت نفسه « يرفض نظرية التطور العضوي .. ونظرية فرويد .. ويرفض الماركسية والاشتراكية العلمية ! » (ص ٤٣)

غريب هذا الذي يريده الكاتب .. فهو اولا يدل على جهل تام في مجال التعارض بين المادية والالهية ـ كما ذكرنا في النقطة الاولى ـ وهو ثانيا يطالب « بنسم العلم !» ان نؤمن بنظريات بينها صراع وتناقض جوهريان . اذ لا يخفى على كل من اطلع على الكتب المدرسية في علم النفس والاقتصاد ، ان كلا من نظرية فرويد ونظرية ماركس تفسران اسس التطورات الاجتماعية والعوامل المحركة للتاريخ تفسيرا يختلف أحدهما عن الآخر اختلافا كبيرا .

هذه هي الاسباب التي يعرضها الكاتب ويراها أدلة كافية لان يعتبرها اسبابا للبؤس الديني ! ، ولا يحسب القارىء ان الكاتب يعرض هذه الاسباب بالشكل المتسلسل الذي عرضناه ، اذ انه يعرضها وسط هوس وضجيج من الانفعالات والشتائم والاتهامات والكلمات الرنانة الطنانة ، واساليب اللف والدوران والمغالطة .

فلا يكاد يخلو مقطع من هذه الغوغائيات ، فانت تشاهد الكاتب ـ حينا ـ يشن حملة على الاسلام محملا اياه تبعة الاوضاع السياسية الراهنة .

فالايديولوجية الدينية « على مستوييها الواعي والعفوي ـ كذا ! ـ هي السلاح النظري الاساسي والصريح بيد الرجعية العربية في حربها المفتوحة ومناوراتها الخفية على القوى الثورية والتقدمية في الوطن » !! (ص ٩) .

والاسلام اصبح « الايديولوجية الرسمية للقوى الرجعية المتخلفة في الوطن العربي وخارجه (السعودية ، اندونيسيا ، الباكستان) والمرتبطة صراحة ومباشرة بالاستعمار الجديد الذي تقوده امريكا »(ص ٢٣)واغرب من هذا فان الدين « المصدر الاساسي لتبرير الانظمة الملكية في الحكم لانه افتى فان حق الملوك تابع من السماء وليس من الارض » !! (ص ٤٤) وتارة اخرى يحتد مزاج الكاتب فترى سطورا « متحمسة !» ليس لها سابق مقدمة وانما هي هكذا معلقة تحسبها ولادة مخاض محموم •• ولا حاجة للاستشهاد بها فهي كثيرة تملأ صفحات الكتاب •

ومن ثم لا أحسبني مبالغاً لو قلت ان صفحة واحدة من الكتاب لا تخلو من مغالطات كلامية ـ عدا البيضاء طبعا ! ـ ولعل اوضحها في هذا الفصل ما يعتبره حلا لمشكلة المبدأ الاول ، فهو يقول بما ان المؤمن لا يعرف علة لوجود ـ الله ـ فمن حق الملحد اذن ان يدعي عدم معرفته لوجود علة « للمادة الاولى ، للكون ، وكلاهما متساويان في الجهل وعلى هذا فالاقتصار على المادة الاولى للكون كاف ولا حاجة لادخال « عناصر غيبية لا لزوم لها لحل المشكلة » (ص ٢٩) •

لندع كل ما تحدثت عن الفلسفة الاسلامية عن أنواع الوجود وعن انواع العلل وتسلسلها فهي كافية تماما للرد على زعم الكاتب ، ولكني ـ كما ذكرت ـ لا أريد في هذه السطور القليلة ان اناقش شبهات الكتاب ـ بل أريد ان أبين مغالطته في غض النظر تماما عن تطور المادة الاولى للكون العجيب ؟ أم ان وراء هذا التكوين يد اسمى من المادة نفسها هي ـ يد الغيب ـ ؟ •• هذا هو السؤال الذي يجب ان يطرح ، لا المسألة الساذجة والطريقة الملتوية التي تحدث بها الكاتب زاعما انه حل مشكلة المبدأ الاول •

انني لا استغرب من اقوال الكاتب بقدر ما استغرب من اقوال

بعض المخلصين البسطاء في اعطائهم الحق ـ للعظم ـ وامثاله بالتعبير عن آرائه فيما يشاء ، انطلاقا من مبدأ حرية الكلام وحرية التعبير عن الرأى .

ولكن هؤلاء السادة يجهلون أو يتجاهلون انهم يدافعون عن ـ حرية خداع البسطاء والسذج ـ و ـ حرية المغالطات ـ و ـ حرية التهوس والتهريج والطعن ـ وما كانت يوما هذه بحرية .

وفي نهاية الفصل ذاته ينتقل الى ما يسميه « المشكلة الخاصة » ويعني به « موقف المثقف ثقافة علمية من الدين وموقف المثقف ثقافة دينية من العلم » (ص ٣١) ولعل القارىء يستغرب حين يصل من جديد الى هذه المشكلة ، اذ ان الكاتب قد «فرغ من حل عقدتها ! » فرفض الدين نهائيا والتزم بالعلم التجريبي أساسا لكل شيء .. ولكن القارىء لا يعرف اسلوب تأليف الكتب على الطريقة العلمانية الجديدة .. اذ انها ذات مستوى عال جدا في المنهجة ، انها تعتمد على طريقة الثرثرة المستفيضة ! واللف والدوران الفني ! .. فليسكت القارىء اذن ان لم « يتثقف » بهذه المنهجة وليدور مع الكاتب كيفما دار وليصعد ولينزل معه وكان الله في عونه .

ولا أجد فيما قاله في هذه التكملة التي تستوعب الخمسين صفحة ! من شيء يذكر سوى هجومه على الذين يزجون القضايا العلمية التجريبية البحتة في الدين وعلى أساليب التنظير بين النظريات العلمية الحديثة وآيات القرآن الكريم . والواقع ان معظم الهجوم في محله وليس هو أول من هاجم اذ ان الكثير من الكتاب المسلمين الواعين قد هاجموا هذه الطريقة التي ان دلت على شيء فهي تدل على :

١ ـ الهزيمة الداخلية التي تخيل لبعض الناس ان العلم هو المهيمن والقرآن تابع .

٢ ـ سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته .

٣ ـ التأويل المستمر ـ مع التحمل والتكلف ـ لنصوص القرآن لي تجر قسرا وراء الفروض والنظريات التي لا تثبت ولا تستقر •

وهي صورة من صور الانفعال التي مر بها الفكر الاسـلامي في مختلف العصور من جراء انفتاحه على ثقافات وحضارات جديدة • وإلى جانب هذا الانفعال هناك الخط النقي المستقيم التفاعل الذي ذكر الكاتب اسماء بعض دعاته في مواضيع اخرى ولكنه أهمل رأيهم تماما في هـذا الموضوع •

اما باقي الخمسين صفحة فتجد فيها « انواع المعروضات » عنها رفضه لمن يقول ان الاسلام حث على طلب العلوم الطبيعية اذ ان الحديث النبوي « اطلب العلم ولو في الصين » يعني " العلوم الدينية والشرعية وما يتعلق بها ويتفرع عنها وليس الفيزياء والكيمياء مثلا » (ص ٤١) •

لقد تعودنا على هذا الاسلوب فيما سبق ان مر بنا من حديث مع ـ الكاتب ـ فلا تعجب حين يقول دون اثبات ولا برهان ، لكن المثير حقا قوله : « والعقل الذى طلب الاسلام من الانسان استخدامه كان الغرض منه التوصل الى معرفة الله من تأمل صنعته وخلقه •• وليس غرضه صياغة نظرية المادية الجدلية أو نظرية دوركهايم في الطقوس والعبادات الدينية أو نظرية الكون المحدب » (ص ٤١) الكاتب ـ اذن ـ يريد من الاسلام ان يرشد الناس الى « الالحاد » والى « السخرية بالاديان » والا فالاسلام لا يدعو الى طلب العلم !!!

وبعد •• ففي هذه الصفحات هجوم على فتـاوى وعاظ السلاطين وقضاة البلاط ، وهذا هجوم على « الانحراف » الذي يشكو منـه كل مسلم ، لا كما يحلو للكاتب ان يسميه نقدا للفكر الديني •• وفيها هجوم على محاولة التقريب بين المسيحية والاسلام ، ولا أعرف مبررا لوجود هذا

الكلام تحت عنوان ـ المشكلة الخاصة ـ التي حدد معناها الكاتب من قبل .. بعد .. من المغالطات الكلامية على طريقة المنهج العلماني في النقد « العصارم النفاذ » ما نحن في غنى عن الخوض فيه من خلال سطورنا القليلة .

اما الموضوع الثاني الذي طرحه الكاتب فهو ـ مأساة ابليس ـ ويقدم الكاتب حديثه عن ابليس بقوله : " لا أريد أن أتكلم عنه باعتباره كائنا موجودا وحقيقيا وانما أريد دراسة شخصيته باعتبارها شخصية ميثولوجية ابدعتها ملكة الانسان الخرافية وطورها وضخمها خياله الخصب » (ص ٨٣) ولعل القارىء يتساءل كما تساءلت من قبل : ما زال الشيطان كائن خرافي لا وجود له فعلام التحدث عنه ؟ يجيبنا الكاتب ـ على طريقته الرائعة : بان دراسته عن شخصية ابليس هي لغرض « احياء التراث !... واغناء الثقافة العربية حين نحاول ربط قصة ابليس التقليدية بالادب اليوناني وبالادب العالمي المعاصر .. » (ص ١٣٥ ـ الهامش) .. هذا ممتاز للغاية .. الكاتب يريد أن « يحيي التراث » عن طريق تحويله الى اساطير خرافية !

على أي حال ، فان مسألة ابليس استوعبت من الكتاب ثمان وستين صفحة ! تحدث فيها عن الفكرة التالية :

ان الله حينما أمر ابليس بالسجود لآدم كانت طبيعة خلقته تمنعه من السجود ، فلم يكن له اختيار في الامر ، اما سبب طرد ابليس ونبذه فكانت استنادا الى « المكر الالهي » وعندما ينتهي « مفعول » المكر سيعود ابليس الى الجنة .. هذا فقط .. واذا ما سألتني عن بقية ما في الصفحات المتعددة فأجيبك بانها استشهادات لادعائه السابق ، من كتب خاصة ذات اتجاه معروف تحمل كل شوائب عصرها وانحرافه هي : « تفليس ابليس للمقدسي ، و « تلبيس ابليس » لابن الجوزي و « كتاب الطواسين

للحلاج . ولكن هذه الكتب على ما فيها من الشوائب فهي لا تسند ادعاءات الكاتب فيلتجيء الى كتب اعمق منها ، فتراه يستشهد بما يقارب الاربع صفحات " بقصة طريفة وجميلة كتبها توفيق الحكيم » (ص ١٢٩) بعنوان « الشهيد » !!

موضوع – ابليس – يدور بأكمله على عدم وجود الاختيار لكل مخلوقات الله ، فالشر لا يمكن أن يصدر منهم وانما هم مجبرون عليه .

وبطبيعة الحال فان الكاتب باعتباره – ملحدا – لا يمكن ان ينسب هذا الرأي اليه ، وانما يعتبره اتجاه التراث الفكري في النظر لعلاقة المخلوقات بالله

ولكن هل من الامانة العلمية فرض الاتجاه « الجبري » على التراث ؟

أنا لا أقول بعدم وجود « اتجاه » في سلب الاختيار رافق الفكر الاسلامي منذ نشوءه ، ثم مر هذا الاتجاه بعد ذلك في أدوار كان « للسلطان » مصلحة في تثبيته ، ولكن الاتجاه المعروف والسائد في تراثنا النقي يرفض الاتجاه الجبري رفضا باتا ويعتبره « كفرا » لانه ينسب الظلم الى الذات الالهية .

ان الكاتب – يصر – على رفض أي اتجاه عدا الاتجاه « الجبري » فهو بالرغم من اعتماده على تفسير الطبري لاستخراج معاني بعض الكلمات، الا انه حينما يصل الى رأي الطبري في نفي – الجبر – يرفضه ! ويعتبره « اجتهادا ينسجم مع بعض النظريات الفلسفية التي تأثر بها المفكرون المسلمون أكثر بكثير مما ينسجم مع النظرة الدينية الخالصة للموضوع » (ص ١٢٧) .

لعل القارىء الكريم يتساءل معي باستغراب : ما سبب اعتبار كتب

التقليس والتلبيس والطواسين ، تمثـــل « النظرة الدينية الخالصـــة للموضوع » ؟

اما أنا فلا أدري ، وأقولها أيضا ـ انني لا أدري ما هي جدوى طرح مثل هذا الموضوع ! ولا أدري لماذا الدفاع الحار عن ابليس ليدخله في النهاية الى الجنة !

ولا أدري هل يتلاءم هذا التخبط والهذيان مع هدف الكتاب الذي نبّه الكاتب في مقدمته وهو « نقد الذهنية الدينية التي يرفضها على أساس من المراجعة العقلانية العلمية المباشرة » ؟!! .. اقولهـــا ـ لا أدري ـ متجاهلا ، لان اسدال الغطاء في حالة مثل هذه اولى !

والموضوع الثالث الذي يطرحه الكاتب هو حول « معجزة ظهور العذراء في كنيسة الزيتون في القاهرة » .

كتب الموضوع على طريقته في ـ نقد الفكر الديني ـ في تحميل هذا الفكر كلما يفتري المصلحيون والمغرضون والجاهلون .

كان الاولى أن يوجه الكاتب نقده في هذا الموضوع الى « الفكـــر الانتهازي » الذي أصبح « موضة » هذا العصر .. كما كان ينبغي أن يوجه النقـد الى الطرق « الجديدة » التي تتبعهـا مؤسسات السياحة في « الدعاية » !

ثم انه ليس من الامانة الفكرية اعتبار الجموع الغفيرة التي زحفت نحو كنيسة الزيتونة « جماهير متدينة » ، انها الجموع تطلق سيقانها نحو ضربات الطبل مهما كانت نوع معزوفة ذلك الضرب .. أنها الوقود الذي يعيش على دفء جهله وانصهار كيانه ولاة الامور .

وهذه فيما أخالها من الامور الواضحات لكل من له اطلاع يسير على

حقيقة الدين وعلى حقيقة الجموع التي تسمي نفسها متدينة ، ولكن الكاتب يأبى أن يرى هذه الحقيقة الواضحة لانه أصر مبدئيا أن يكون نقده « علمانيا » ويظهر من خلال مواضيع الكتاب ان الكاتب يفهم العلمانية بانها طريقة لمحاربة الدين بكل الوسائل الملتوية والتهريجية ، فالغاية تبرر الوسيلة !!

الموضوع الرابع في الكتاب بعنوان « التزييف في الفكر المسيحي الغربي المعاصر » وغرض الكاتب من هذا الموضوع هو « لاعطاء القارىء فكرة نقدية عن أوضاع الفكر المسيحي الحالية في الغرب بصورة عامة » (ص ١٨٣) .

لا أدري لماذا عرج الكاتب الى نقد « أوضاع الفكر المسيحي في الغرب » وهو الذي حدد في مقدمته هدف الكتاب لمناقشة « نواحي الفكر الديني السائدة حاليا ، بصوره المختلفة والمتعددة في الوطن العربي » (ص ٧) .

ولا أحسب انه يبتغي من وراء موضوعه هذا « تخليص الغرب من الغيبيات السائدة فيه » فالكاتب يعلم من خلال قراءته لكتاب :
"History of the Christian Church"

ـ ان سلوك الكنيسة المسيحية في الغرب تجاه العلم والعلماء وتجاه مصالح الطبقة الوسطى النامية أدى الى أن يحدث معها مجابهة سياسية ومصلحية ، وهذه بدورها أدت الى النفور من كل ادعاءات الكنيسة ومزاعمها وتفسيراتها ، بل من الدين بأجمعه .

لكني احسب ان الكاتب يريد ان يعكس صورة النزاع بين الكنيسة والعلم في العالم الغربي لتكون نموذجا يمثل النزاع في كل مكان حتى في عالمنا الاسلامي المعاصر .

وهذه طريقة ملتوية مجافية للواقع لا يمكن ان نسلم بها الا أن نغض الطرف عن موقف الكنيسة التعسفي من التقدم العلمي في الغرب ، وتظامها اللاهوتي الداخلي ، وعن طبيعة وجذور الصراع بين الكنيسة واتباعها في الغرب • واننا لا نرى شيئاً من هذا في موقف الحضارة الاسلامية ، لا أقول هذا باعتباري مسلما • ولكن هذا ما أجمع عليه كل من درس تاريخ الديانتين الاسلامية والمسيحية •

والذي يثير الانتباه في هذا الموضوع انه يدور بأجمعه حول التنازلات التي قدمتها وتفكر أن تقدمها الكنيسة المسيحية ويعتبرها صورة للدفاع بينها وبين العلم ! فالتنازل « عن العقيدة المريمية وعصمة البابا واللاهوت التوماني •• » يفسره بسبب عدم انسجامها مع « شروط الحياة في عصر الذرة والمعارف التي حققهـــا الانسان في عصر رحلات الفضـــاء » !! (ص ١٩٦) •

لقد تناسى الكاتب تماما مجابهة القرآن لهذه العقائد منـــذ قرون خلت[٧] • ثم ان الكاتب لا يبين لنا ـ كعادته ـ ما هي علاقة التنازلات عن افكار لا تنسجم مع العقل والمنطق بشروط الحياة في « عصر الذرة » وفي « عصر رحلات الفضاء » •

ليس هذا بالغريب فصفحات الكتاب مملوءة بالذرة والفضاء والعلمية والعلمانية والتقدمية والثورية لمناسبة وغير مناسبة ، ظانا ان الالفاظ وحدها تجعل منه ومن كتاباته في موكب علماء الذرة والفضاء !!

والموضوع الاخير الذي طرحه الكاتب هـو بعنـوان « مدخل الى

---

(٧) (اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله هو سبحانه عما يشركون) « التوبة : ٣١ » (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) « آل عمران : ٥٩ » •

التصور العلمي ـ المادي للكون وتطوره » .. ان موضوع الكاتب هـذا بذكرني بما كتبته مجلة واسعة الانتشار تحت عنوان « أفكار ماوتسي تونغ تقتحم باب لغز الحياة » وتحت هذا العنوان ذكرت فقط ان رجال العلوم الصينيين نجحوا في تركيب الانسولين البلوري[٨] ولم تشرح المجلة ما هو الانسولين ومم يتركم واين يوجد ولكنها اكتفت بتعليق سياسي اعقبه قولها : « ودائما ما ادعى المثاليون بان الله خلق الحياة ، بينما رأى الماديون ان الحياة قد نتجت عن حركة وتحول وتطور المادة غير العضوية . وقد اعلن النجاح في تركيب الانسولين اصطناعيا ، مرة أخرى ، (كذا !) افلاس خرافة المثالية المخالفة للعلوم الطبيعية كما اثبت بحجة دامغة ! ، الحقيقة العلمية الخاصة بالمادية الديالكتيكية » وبمثل هذا الاسلوب تماما يواجهنا الكاتب في موضوعه الاخير ، اذ استعرض فيه مقولات ـ الماديه الميكانيكية ـ واثرها ـ قبل انهيارها ـ على العلوم الاجتماعية وعلى دراسة الاحياء ، ثم ذكر عوامل انهيارها وتنازلها عن تفسيراتها للكون . وعلى أثر سقوط المادية الميكانيكية يخرج الكاتب باستنتاج فوري قائلا : « ومن المؤكد ان المادية الديالكتيكية هي أنجح محاولة نعرفها اليوم في صياغة صور كونية متكاملة ـ تناسب هذا العصر وعلومه » (ص ٢٣٠) .

أنا اتفق مع الكاتب حين يقول « ان المستوى العلمي منخفض جدا

---

(٨) هو مادة زلالية استطاع العلم أن يوجد نوعا اصطناعيا منها بهيئة مايكروجزيئات مواد ليفية مدينة ، وهذه نموذج مبسط جدا للمادة الزلالية المعقدة التركيب التي لم يستطع العلم أن يركبها حتى الآن . والمعروف في اوساط العلماء ان هذه النماذج المصغرة الاصطناعية تختلف عن مثيلاتها الطبيعيات اختلافا كبيرا لا مجال لتوضيحه . ثم ان من المسلم به أيضا ان الزلاليات على اختلاف درجة تعقيدها حتى الزلاليات النووية أو (Nucleo-Proteide) وهي ارقى أنواع الزلاليات الطبيعية هي شرط من شروط الحياة وليست هي الحياة !

في سائر أرجاء الوطن العربي » (ص ١٧٦) .. ولكني لا أظن ان هذا الانخفاض يصل بشعوب العالم العربي الى حد تنطلي فيه عليهم الاساليب اللاعلمية واللامنطقية التي استخدمها الكاتب للوصول الى غرضه .

ان المطلعين على الكتب المدرسية في تاريخ المادية يعرفون كم كانت المادية الميكانيكية تتبجح في فهمها للكون وفي معارضتها للنظرة الواقعية الالهية . وكم كان سقوطها انهياراً للمفهوم المادي للكون مما أدى بلينين الى وضع تعريف مطاط جدا للمادية بحيث يمكن ادخال كل الفلسفات الواقعية تحت هذا التعريف حين قال : « ان الخاصة الوحيدة للمادة ، التي يحدد التسليم بها المادية الفلسفية انما هي كونها ـ اي المادة ـ حقيقة موضوعية ، وانها موجودة خارج وعينا »[٩] .

وبعد فأقولها أخيرا ان طريقة دراسة العلوم بذهنية مملوءة بتفسيرات مسبقة هي طريقة فاشلة جدا ، استخدمها « روجيه غارودي » في العهد الستاليني ثم تراجع عنها اليوم نادما على كل ما كتب ، لقد ادرك هذا المفكر الماركسي المعروف طبيعة الزوبعة الالحادية التي اثيرت في القرن الثامن عشر ـ وهو قرن صدور كتابي رأس المال وأصل الانواع ، حين قال أخيرا :

« ان الحاد القرن الثامن عشر كان في جوهره سياسيا »[١٠] .

ومهما تحاول بعض الدوائر السياسية اضافة صفة العلمية على الالحاد ، فانه سوف يبقى في جوهره سياسيا ، لان مسألة ما وراء المادة هي من الامور التي لا يتعرض لها البحث العلمي السليم النزيه الذي يعرف حدوده بالفعل .

---

(٩) محمد باقر الصدر ، فلسفتنا ص ١١٢ ـ ١٣٤ .

(١٠) روجيه غارودي ، ماركسية القرن العشرين ، ترجمة نزيه الحكيم ، ص ١٤٣ .

حول النصوص الأدبية

ابو صالح

دراسة النصوص

لدراسة النصوص أهمية بالغة من ناحية أدبية وتاريخية فهي تمكن الطالب من الناحية الادبية من الاطلاع على اساليب مختلفة من التعبير • ومثل هذا الاطلاع من شأنه ان يقوى ملكة التعبير لدى الانسان ، ويجعله قادرا على الاستقلال في التعبير ، دون أن يتأثر بمدرسة أدبية معاصرة أو نهج أدبي معاصر من التعبير والاداء •

ومما يلاحظ ان كثيرا من الناشئين في الكتابة ممن لم يقدر لهم ان يطلعوا على مدارس أدبية مختلفة وألوان متعددة من التعبير لعهود أدبية مختلفة يعانون من أداء التأثر باسلوب أدبي معاصر ، يصعب عليهم ان يتخلصوا منه في الكتابة •

ويعود سبب هذه الظاهرة في نفوس الناشئين من الكتاب الى عدم الاطلاع على مدارس مختلفة في التعبير والاقتصار في القراءة على ما يكتبه الكتاب المعاصرون دون محاولة الاطلاع على نصوص أدبية سابقة وألوان سابقة مختلفة التعبير •

والقراءة الموفقة للنصوص الادبية ليست هي التي تجعل القارىء متأثرا باسلوب خاص في التعبير يفقد فيه شخصيته ككاتب ، ويذوب في غيره خلال ما يكتب أو ما يتحدث ، وانما القراءة الموفقة للنصوص يتفاعل مع ذهنية الكاتب وظروفه النفسية • ومثل هذه المهمة لا تأتى للكاتب

مالم يقدر له الأطلاع على ألوان مختلفة من التعبير ومدارس مختلفة في الاداء الادبي ، وما لم يقدر له ان يقطع قراءة عصور عديدة من التعمير .

ولا تقل فائدة دراسة النصوص من ناحية تأريخيـــة عن الجانب الادبي ففي النصوص المأثورة والمنقولة عن العصور المختلفة يجد المؤرخ صورة واضحة لحضارة الناس وحياتهم في هذه العصور ومســـتويات تفكيرهم وذهنياتهم وبأمكان المؤرخ الباحث ان يملأ كثيرا من الفجوات التاريخية بما يستوحيه من نصوص ذلك العصر . فالنص مرآة حاكيـة لحضارة عصره ولمستويات الثقافة وذهنية الناس في ذلك العصر .

ومن هنا نجد ان دراسة النصوص تعتبر اليوم حقلا هاما من حقول الدراسات التاريخية والادبية ، بعد أن كانت هذه الدراسة مهمـــلة في الأوساط العلمية والادبية من قبل .

دراسة النصوص الاسلامية :

ولدراسة النصوص الاسلامية ميزة ثالثة تجعلها حقيقة بشيء كثير من العناية . ففي النصوص الاسلامية تجد صورة واضحة عن تراثنـــا الاسلامي الفكري ، الذي قد يصعب علينا ان نطلع عليه في غير هـــذه النصوص .

ففي النصوص الاسلامية ثروة فكرية كبيرة في مختلف حقول الفكر الاسلامي من توجيه واخلاق ودعاء واحتجاج ومناهج لتنظيم الحيـــاة والادارة وأسس للسياسة والحكم والقضاء ولفتات نفسية واجتماعيـــة وتشريع وعقيدة وفلسفة وغيرها .

ومن الممكن أن يطلع الانسان على هذه الحقول من الفكر الاسلامي في غير النصوص الاسلامية المأثورة مما كتبه المحدثون من الكتاب الا أن الباحث يجد في هذه النصوص قوة واشراقا خاصا لا يجدها في غيرها من

مراجع الفكر الاسلامي .

ودراسة هذه النصوص تمكن الطالب بصورة خاصة من اعطاء الجوانب التي يريدها من الفكر الاسلامي عن مصادرها ، دون أن يستعين بغيره ، وذلك اذا تأتى له فهم هذه النصوص ودراستها بصورة وافية ومعمقة .

ولا يستغني الطالب الذي يدرس في حقول الدراسات الاسلامية عن دراسة النصوص وفهمها ومن دون محاولة فهم هذه النصوص ودراستها لا يتأتى له الاستقلال في فهم وتحديد ابعاد الفكر الاسلامي ، ويظل حتى الاخير عيالا على غيره في الدراسات الاسلامية .

وهذا ما جعلنا نعنى بدراسة النصوص الاسلامية وشرحها ضمن منهج كلية اصول الدين الدراسية .

شرح النصوص :

ولشرح النصوص أساليب مختلفة يخدم كل اسلوب منه هدفا خاصا . فهناك شروح ودراسات للنصوص العربية لا تعنى بغير اللغة والنحو والصرف من فنون الأدب العربي ، ويتمحض الشرح لمعالجة المشكلات اللغوية والنحوية والصرفية التي توجد في النص ، وينصب الشرح على معالجة هذا الجانب من الادب العربي اكثر مما ينصب على معالجة النص ذاته .

وهناك شروح ودراسات للنصوص لا تعنى بغير ابراز الجوانب البلاغية من التعبير ودراسة التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز وفنون التعبير البليغ .

والاسلوب الذي نتخذه نحن في شرح ما نستعرضه من النصوص

الاسلامية في هذا الدرس سوف يختلف عن الاساليب المتقدمة وعن الاساليب العلمية .

ففي هذه الدراسة نحاول ان ننفذ قبل كل شيء الى روح النص ، ونفهم النص ونستوحيه ونستوحي ما يلقيه من ظلال في نفوسنا .

ويفرض علينا هذا الاسلوب طبيعة الهدف الذي نتوخاه من هذه الدراسة ، فنحن ندرس هذه النصوص لا لكي نستعرض مدارس مختلفة في التعبير ، ولا لكي ندخل معتركا ونستوحي منها ونتأثر بروحها .

وهذا الهدف يتطلب منا ان لا نخرج في هذا الشرح عن حدود النص ، وعن حدود الظلال التي يلقيها النص ونأمل ان يجد الطلاب الاعزاء في هذه النصوص وفي هذا الشرح اشراق الرسالة وعطائها في مجالي الفكر والعاطفة .

ومن أدب العهود :

من عهد الامام أمير المؤمنين عليه السلام الى عامله على مصر مالك الاشتر رحمه الله .

(فالجنود باذن الله حصون الرعية ، وزين الولاة ، وعز الدين ، وسبل الامن ، وليس تقوم الرعية الا بهم ، ثم لا قوام للجنود ، الا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدوهم ، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ، ويكون من وراء حاجتهم ، ثم لا قوام لهذين الصنفين الا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب ، لما يحكمون من المعاقد ، ويجمعون من المنافع ، ويؤتمنون عليه من خواص الامور وعوامها ولا قوام لهم الا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ، ويقيمونه من اسواقهم ، ويكفونهم من الترفق بأيديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم ، ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم رضى الله لكل سعة ، ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه ، وليس يخرج الوالي من حقيقة ما الزمه الله تعالى من ذلك ، الا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل) .

نقرأ للامام (ع) في هذا النص الذي كتبه الى عامله على مصر قبل أكثر من ثلاثة عشر قرناً فنجد في كلامه فهما غريبا عن عصره للمجتمع ، وادراكا جديدا لواقع الحياة الاجتماعية ، يختلف كثيرا عما كان يعرفه عن المجتمع وواقع الحياة الاجتماعية في ذلك الحين .

فالمجتمع في نظر علي عليه السلام ليس مجموعة من الافراد ، تجتمع في مكان واحد ، وانما هو وحدة متماسكة ، يرتبط بعضها ببعض ويشد بعضها بعضا فلا قوام للجنود ، كما يقول الامام الا بما يخرج لهم من الخراج ، والا بما يسعى به أهل الخراج من العمل في الارض ، واستثمار الطبيعة ، ولا غنى لهؤلاء جميعا الا بالعمال والكتاب والقضاة والهيئات الادارية والقضائية ، التي تعالج ما تتعرض لها الحياة الاجتماعية لهؤلاء جميعا من المشاكل ، ولاقوام الحياة اولئك جميعا الا بما يقوم به التجار وذوى الصناعات من ضرب في الارض ، واعداد لما يحتاج اليه الناس من مرافق حياتهم . وكذلك الحياة الاجتماعية وحدة متماسكة ، لا يمكن ان يستغنى جانب منها عن الجانب الآخر ، ولا يمكن عزل طبقة عن الطبقة الاخرى ، مهما اختلفت وتباينت اعمالهم ومستوياتهم .

وليس اختلاف الاعمال والواجبات في الحياة مما يؤدى في نظر الامام الى تفكيك المجتمع وعزل الفئات الاجتماعية بعضها عن بعض ، وانما اختلاف الاعمال والمسؤوليات يجب ان يؤدى الى التفاعل بين مختلف طبقات الامة ، والى التعاون في حمل مسؤوليات الحياة .

فهناك الجنود ، وهم باذن الله ، حصون الرعية ، يحمون امن الوطن واستقرار الحياة فيه ، ويحافظون على هيبة الدولة وشوكتها من ان تتعرض للعدوان .

ولا يقوم المجتمع الا بهؤلاء الجنود الذين يدافعون عن المجتمع كلما

تعرض البلاد للعدوان ويحفظون للمجتمع شوكته وهيبته في نظر الاعداء ، ثم يحمون امن البلد واستقرار الحياة فيه .

ولولا هؤلاء الجنود لاختلت الحياة الاجتماعية ، واختل امنها واستقرارها ، وتصدعت شوكته وهيبته ، وتعرضت للكثير من العدوان .

ولا قوام للجنود الا بأهل الخراج من الفلاحين وأصحاب الاراضي الذين يعملون على الارض ، ويقضون ساعات طويلة في السقي والحرث تحت وهج الشمس الحار وفي شروط طبيعية قاسية ، ليعدوا الارض للزراعة ، وللانتاج ، وليستخرجوا ما في الارض من ثروات طبيعية ، تعيش بها الامة ، ويعتمد عليه الجند فيما يصلحهم من مال وقوة ومدد وغذاء .

فالجنود في صراع مع العدو ليحمو البلاد وليحافظوا على الامن ، ولتنشط حركة الانتاج في جو آمن والفلاحون في صراع مع الطبيعة ، ليهيؤا للامة غذائها ، وليعينوا الجنود في جهادهم مع العدو ... وكذلك الحياة في نظر الامام كل متماسك متكافل .

ثم لاقوام لهؤلاء جميعا جنودا وفلاحين الا بالقضاة والعمال والكتاب ، فلا يمكن ان تصفو حياة هؤلاء من خلاف يحدث فيما بينهم ، ولا يمكن ان لا يكدر صفو هذه الحياة تصادم يحصل فيما بين الافراد بين حين وحين وفي شيء من مسائل الحياة ، وفي بعض ما ينقلون فيه من مسالك الحياة ، ولابد لذلك من جهة عليا تحكم فيما بينهم بعدل ، وتفرض رأيها عليهم بقوة لتنهى الخلاف ، ولتعالج ما يحدث بينهم من مشاكل .

ثم لابد لهذه الحياة الاجتماعية من تنظيم وادارة ، وتنسيق لجهود

الافراد ونشاطهم ولابد لهذه المهمة من جهة عليها تعنى بذلك وهم الكتاب والعمال والمدراء الذين يعنون بتنظيم الحياة الاجتماعية وادارتها ، لتنتظم الحياة ، وتتوزع فيها المسؤوليات والواجبات •

ثم لاقوام لاولئك جميعا الا بطبقة التجار وأصحاب الحرف والمهن والصناعات الذين يعملون لتيسير الحياة لكل اولئك ، ولعامة فئات الامة ، ويعدون المرافق التي لابد منها في الحياة ، ويهيئون للناس ما لا يتوفر لهم من البضائع والسلع •

وكذلك الحياة وحدة متماسكة ، يشد بعضه بعضا ، ولا يمكن ان يستغني جانب منها عن الجانب الآخر ، دون ان تختل الحياة وتضطرب •

وليس هذا الاختلاف بين الفئات الاجتماعية لتنافر وتباعد فيما بينها ، وانما هو في النقطة المقابلة لذلك في نظر الاسلام لتتفاعل فيما بينها ولتنتظم في مسيرة الحياة الكبرى ، ولتحقق القسط الاكبر الممكن من الراحة والاستقرار لكل فرد يعيش في المجتمع ، بغض النظر عن مسؤوليته وعمله ومكانته في المجتمع •

وليس في هذه الحياة ، أو في هذه الصورة التي يرسمها النص العلوي عن الحياة مجال للفراغ أو للبطالة ، أو متسع للالقاب الضخمة والعناوين الفارغة التي لا تحمل محتوى حركيا أو مضمونا عمليا جادا ••• وانما هي حياة جادة عاملة ، يضطرب فيها الناس بمختلف فئاتهم في حركة جادة وعمل مخطط وسعي متواصل ، ثم تتفاعل كل هذه الجهود وكل هذه الوجوه الجادة من الحركة ، لتكون الوحدة الاجتماعية المتماسكة التي ينشدها الاسلام في تخطيطه للحياة • اليس يقول الامام : (واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها الا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض) •

ثم لا يخلو هذا المجتمع ، ولا سيما في دور التكوين والانشاء من اهل المسكنة والحاجة ، وهو واقع مر ، ولكنه واقع رغم مرارته ، وليس من الصحيح في مواجهة الجوانب غير المشرقة من الحياة الاجتماعية التنكر لهذا الواقع أو انكاره وانما الموقف الصحيح هو الاعتراف بهذا الواقع بكل ابعاده ومحاولة علاجه ، والتخطيط لذلك ، والعمل على تنفيذه .

والطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة واقع اجتماعي مر ، وحقيقة مؤلمة في الحياة الا انها حقيقة رغم مرارتها ، ولا يسعنا انكارها ولا يجدر بنا التنكر لها ، وانما يجب ان نعد العدة لانقاذ هذه الطبقة أولا مما تعلن منه من فقر ومسكنه ، ومكافحة الاسباب التي أدت الى ظهور هذه الطبقة في المجتمع ثانيا . وهو الموقف الحكيم الذي يتخذه الاسلام من كافة مشاكل الحياة .

والتعاون فيما بين الفئات الاجتماعية ، والتكافل بين الطبقات ليس يعد فضلا تمن به فئة على أخرى من المجتمع ، وانما هو حق ، بما لهذه الكلمة من سعة وعمق ، وواجب تتطلبه الحياة الاجتماعية ، ومسؤولية تفرضها طبيعة هذه الحياة .

فليس ما تقدمه الفئات الميسورة من المجتمع الى الفئات الفقيرة والطبقة السفلى ، فضلا ، تنفع به ، وتمن به عليها ، وتتلقاها اليد الفقيرة على حساب كرامتها وعزتها ، ليست اليد البارة هي اليد العليا واليد الفقيرة هي السفلى ، وانما هو بعض ما يجب القيام به من الحق ، وبعض ما يجب بذله من الانفاق (ثم الطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة الذين يخف رفدهم ومعونتهم) .

ثم (وفي الله لكل سعة) ، ولم يكن الله ليضيق عن رزقهم فيوكل رزقهم الى غيره – وتعالى الله عن ذلك علواً كبيرا ، وانما هي طبيعة الحياة

الاجتماعية ، وما اجرى الله في هذه الحياة من سنة ثابتة لا تتغير من ضرورة التكافل والتعاون والتفاعل لئلا تنفصم عرى الحيـــاة • وتتفتح أواصر الجماعة ، وتتحول الحياة الاجتماعية التي أراد الله لها ان تكون متماسكة حياة مفككة الجوانب •

وليس يملك الفرد ما يقع بيده من متاع الدنيا ، وانما هي ودائع لله ، خلف الانسان عليها ، انطلاقا من مبدأ الخلافة الانسانية في الاسلام (اذ قال ربك اني جاعل في الارض خليفة) ليتصرف الانسان فيما خلفه الله عليه بما يرضي الله ، وعلى المخطط الذي رسمته له شريعة الله ، فليس ما يبذله الفرد في سبيل الله فضلا يعطف به على الفقير ، وانما هو جزء من مسؤوليته فيما خلفه الله عليه ، ليختبره فيما يصنع بما اودع عنده ، وقد كان مقدورا لله ان يوسع على الفقير رزقه ، كما اوسع على الميسور رزقه من متاع الدنيا •

ثم لابد من جهـــة عليا تشرف على سير هـــذه الحياة الاجتماعية وانتظامها ، وتشرف على هذه الحركة الاجتماعية الدائبة التي يسهم فيها كل فرد في المجتمع من جنود وفلاحين وقضاة وعمال وكتاب وتجـــار وأصحاب الصنائع والحرف ، ليتحقق من انتظام هذه الحركة ، ومن تناسق الجهود والاعمال ، ومن سلامة البيئة الاجتماعية من وجـــود خلل أو اضطراب في المحتوى الداخلي من هذه البنية أو في شكلهـــا الظاهر • وهذه الجهة هي جهة السلطة والجهاز الحاكم في البلد •

وعلى قدر ما قدر للوالي من السلطان على الامة تقع عليه مسؤولية حياة الامة وسلامة الحياة الاجتماعية •

فليس فقط يحدد شخصية الحاكم سلطانه على كل فرد من المجتمع وانما تقع عليه في قبال هذا السلطان الواسع مسؤولية حيـــاة كل فرد

ومسؤولية سلامة هـــذه الحياة بنفس النسبة (ولكل على الوالي حق) وليس هناك صيغة لتحديد شخصيته الحاكم في هذا النص العلوي الحكيم • فليست الســـلطة ، كما يتصور الناس خطا ، وكمـــا تتصور الطبقات الارستقراطية من المجتمع ، هي حق الهي لفرد أو لجهة خاصة يتسلط بها على رقاب الناس ، وانما هـــو حق في الحكم ومسؤولية في الرعاية والاصلاح ، تقيد هذه المسؤولية حدود سلطة الحاكم ونفوذ حكمـــه ، ويحدد هذا السلطان مسؤوليته عن رعاية الامة واصلاحها • (ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه) •

ولا يخرج الوالي عن عهده هذه المسؤولية الالهية الا بالاهتمـام والعمل الجاد والسعي المتواصل لتحقيق العدالة الاجتماعية بين صفوف الامة ، والمحافظة على سلامة المجتمع من الاختلال والاضطراب ثم الاستعانة بالله تعالى ، فيما يقدم عليه ، وفيما يقوم به ثم توطين النفس للصبر وتحمل متاعب العمل والاستقامة على طريقة الحياة ، فيما خف عليه أو ثقل ، وفيما شق عليه أو تيسر له •

والمنطلق الصحيح للقيام بالمسؤولية والخروج عن عهـده مسؤولية الحكم والرعاية هو هـــذه القاعدة الثلاثية التي يضعها الامـــام للحكام والمسؤولين •

عمل جاد واهتمام بشؤون الرعايا وسعي متواصل لتحقيق العدالـة الاجتماعية في المجتمع •

واستعانه بالله واعتماد عليه فيما يقدم عليه الحاكم من شؤون الحكم والرعـــاية •

ونفس متوطنه للصبر ولتحمل متاعب الحكم والرعاية وللاستقامة على الحق •

فلا يجدى الاستعانة بالله وتوطين النفس على تحمل متاعب العمل ما لم تصدقه جدية العمل ، ولا يجدى العمل والحركة الدائبة ما لم تنطلق عن قاعدة الاستعانة بالله وعن نفس متوطنه للعمل ومؤمنة بامداد الله وعونه • فلا تكاد تثبت هذه الجدية في العمل ازاء عقبات الحكم والادارة ومتاعب الرعاية ما لم تنطلق عن هذه القاعدة التي يرسمها النص العلوي •

(وليكن احب الامور اليك اوسطها في الحق ، واعمها في العدل ، واجمعها لرضى الرعية • فان سخط العامة يجحف برضى الخاصة ، وان سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة • وليس احد من الرعية اثقل على الوالي مؤونة في الرخاء واقل معونة له في البلاء ، واكره للانصاف ، واسأل بالالحاف ، واقل شكرا عند العطاء ، وابطأ عذرا عند المنع ، واضعف صبرا عند ملمات الدهر من أهل الخاصة • وانما عمود الدين • وجماع المسلمين ، والعدة للاعداء العامة من الامة ، فليكن صغوك لهم ، وميلك معهم) •

وليكن احب الامور اليك اوسطها في الحق ، فليس من الحق ما يرضى فئة خاصة من المجتمع أو طبقة خاصة ، وانما الحق هو ما يأخذ حاجات الجميع بنظر الاعتبار ، ولا يجامل فئة على حساب الاخرى ، ولا يحابي طبقة على حساب طبقة أخرى • والحق الذي ينبغي ان يأخذه الحاكم قاعدة للحكم وسلوكه مع المجتمع هو الوسط الذي لا يحابي جانبا على حساب جانب آخر ولا يقرب من طرف على حساب مصالح الطرف الآخر •

وليس بعد هذا كلما في الامر ففي المجتمع قلة مترفة من الناس ، تعيش في رغد من العيش وعامة مرهقة في حياتها ، تعيش بجهدها وعملها ، وتجتهد في تحصيل قوتها •

ومن الحق ، تطبيقا لمبدأ الوسطية في الحق ، ان تكون عناية الحاكم

بهذه الطبقة اكثر من عنايته بالقلة المترفة في حياتها من المجتمع • فان هذه الطبقة لفقرها وحاجتها وقلة ما في يدها تعتبر اولى بالعناية من الطبقة المترفة التي تعيش في بذخ وراحة من حياتها من الناحية (الكيفية) وهي لكثرتها تعتبر بعد ذلك اولى بالعناية من الطبقة الخاصة الميسورة التي لا تكون الاقلة قليلة في المجتمع من الناحية (الكمية) •

فلو أراد الحاكم ان يحافظ على سير الحق والعدالة الاجتماعية في البلد فلا يسعه الا ان يبذل القسط الاكبر من جهد الدولة للعناية بالطبقة العامة من المجتمع ولرعاية عامة الناس اما القلة الميسورة من المجتمع فلا تستحق مثل هذا الاهتمام فليست هي بمستوى هذه الطبقة من حيث الحاجة المادية التي تتطلب العناية والرعاية من قبل الدولة ، ولا هي بمستواها من حيث العدد والكم •

ذلك من زاوية العدالة الاجتماعية التي يلخصها الامام في عهده الخالد بقوله (وليكن احب الامور اليك اوسطها في الحق واعمها في العدل ، واجمعها لرضى الرعية) •

وليس مما تقدم بشيء اجمع لرضى الرعية ، عامة الرعية ، ولا اعم وابسط منه العدل •

واما من ناحية سياسية وادارية فليس ينبغي للحاكم ان يفضل رضى الخاصة على رضى العامة ، ولا ان يجلب لنفسه سخط العامة وسخط الرأي العام ليكسب رضى القلة الميسورة من المجتمع • فلا تملك الخاصة رغم قدراتها المادية ومكانتها الاجتماعية شيئا من امر المجتمع ، وكما تملك الطبقة من المجتمع ، وكما يملك الرأي من تغيير مصير الحاكم والحكم • فليس ينبغي للحاكم ان يضحي برضى العامة والرأي العام ليكسب رضى هذه القلة المترفة في الحياة ، التي لا تعني في حياتها بغير شهواتها ومصالحها واهوائها •

ثم يتحدث الامام الى عامله بضرورة الاعتماد في الحكم على (العامة) من الناس ، وخدمة هذه الطبقة اكثر من أي طبقة أخرى ، وكسب تقدير الرأي العام واحترامه له ، ولا يهمه بعد ذلك ان الخاصة ترضى عنه او لا ترضى ، ما دام هو لم يتجاوز حدود الحق ، ولم يتعد حدود الله في ذلك كله .

وأول ما ينبه عليه النص العلوي الخالد (ان سخط العامة يجحف برضى الخاصة ، وان سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة) فلا ينفع الحاكم ولا ينفع السلطة رضى الخاصة ، والقلة الموفورة والمترفة من المجتمع اذا كان ذلك يحصل بسخط العامة ، وبسخط الرأي العام ، واذ كان في استرضاء الطبقة الخاصة من الناس وخدمة مصالح تحد لارادة العامة وتحد للرأي العام ، واغفال لمصالح عامة الامة .

وماذا تنتفع السلطة من رضى الخاصة اذا كان الرأي العام ساخطا عليها ؟ وماذا تملك الخاصة من اخماد ثورة الرأي العام ، لو لم يحاول الحاكم استرضاء هذه الطبقة وخدمة مصالحها والعناية بها في الحدود المشروعة قبل أي طبقة أخرى .

وليس يهم السلطة بعد ذلك أن ترضى الخاصة عنه أو لا ترضى ، اذا كان هو لم يتجاوز حدود الحق ، واذا كن هو لم يحاب فئة على حساب الاخرى .

فلا تملك الفئات الموفورة والمتوفة من المجتمع ما تملكه العامة من مصير الامة ومصير السلطة .

ثم يعقب النص العلوي هذا الجانب السياسي من مداراة الرأي العام بدراسة طبيعة الفئات الخاصة في المجتمع ونفسياتهم وذهنياتهم وحدود استعدادهم للعمل والتضحية ، فيما اذا تطلب الامر شيئا من العمل أو شيئا

من التضحية ، ليوكد لعامله مرة بعد أخرى ان لا تغره ما يظهر على هذه الطبقة من مكنة مالية ومكانة اجتماعية ، فلا يعتمد عليهم بقدر ما يعتمد على كسب الرأي العام لصالحه ، وكسب ثقة الجمهور وتقديره له .

(وليس احد من الرعية اثقل على الوالي مؤونة في الرخاء ، واقل معونة له في البلاء واكره للانصاف ، واسأل بالالحاف ، واقل شكرا عند الاعطاء ، وابطأ عذرا عند المنع ، واضعف صبرا عند ملمات الدهر من اهل الخاصة) .

فليس احد من الرعية اثقل على الوالي مؤونة وطلبا في الرخاء من هذه الفئات الميسورة في المجتمع اذا وجدوا من الوالي صدرا رحبا لطلباتهم ، واذا استجاب الوالي استجابة مطلقة لرغباتهم ، ولا تنتهى طلباتهم ورغباتهم عند حد معقول أو حدود معروفة ، واما تتجاوز كل حد معقول ، فيثقلون الحاكم بطلباتهم ورغباتهم التي تتجدد كل يوم ، ويثقلون الخزانة والسلطة بحاجاتهم الكثيرة ، مفترضين في السلطة ان تتفسرع لخدمتهم والاستجابة لحاجاتهم وحدهم . ولا تفتح السلطة صدرها لطلبات هذه الطبقة وحاجاتها غير المحدودة ، وتسير في ركبها حتى تنقلب الحكومة عن خدمة عامة الامة بكافة فئاتها الى جهاز خاص لخدمة مصالح هذه الطبقة وتوفير حاجاتها ، والدفاع عنها ، وتتحول أجهزة الحكم من مسؤوليتها السياسية والادارية الى العناية بخدمة مصالح هذه الطبقة ومكاسبها .

ولا نجد بعد عند هذه الطبقة شيئا من الوفاء للسلطة أو للحاكم يوازي بعض هذه الطلبات ، فليس في فئات الامة فئة أقل معونة في البلاء من هذه الطبقة التي تكثر من السؤال في الرخاء وتثقل كاهل السلطة بطلباتها في اليسر ، فاذا جد الجد ، واقبل البلاء كانوا أول من ينهزم من المعركة ، وأول من يتخلى عن مساندة السلطة ، والصمود في وجه البلاء .

فلا يصمد في وجه البلاء الا هذه الطبقة العامة من الامة التي تعودت على خشونة الحيـــاة وجشوبة العيش وتحمل المتاعب ، واما الفئات المترفة والموفورة التي تعيش في رغد من العيش وتنعم بطيبات الحياة فلا تستطيع ان تثبت في وجه المحنة وتصمد امام البلاء وتحمل من المتاعب ما لا عهد لها بهـا .

ولا تقف أطماع هذه الطبقة عند حـدود الانصاف والعدل ، فان العدل والانصاف من الحاكم لو كان يحقق لعامة الامة وللجمهور رغباتها ومطاليبها في الحياة فلا تجد هذه الطبقة في الانصاف والعدل تحقيقا لشيء من اطماعها ، ولا تجد في العدل مكسبا لها .

فلا يمكن ان يقنع الفرد الميسور والمترف في حياته بما يقنع به فرد من عامة الناس بما تحققه العدالة الاجتماعية والانصاف ، ولا يرضى ان يحظي من عناية السلطة ، بنفس المستوى الذي تتيحه السلطة لاي فرد آخر من عامة الناس .

واذا شاء الحاكم ان يستجيب استجابة مطلقة لطلبات هذه الطبقـة ورغباتها ، فلا يمكنه بعد ان يستقيم على الحق ، أو يحافظ عـلى الانصاف والعدل في سلوكه مع الامة .

وتجد هذه الفئة في نفسها انها القلة الممتازة التي اختارها الله لتكون سعيدة مترفة في الحياة ، دون غيرها من فئات الامة ، وان من واجب الامة ومن واجب أجهزة الدولة الاعتراف بحقها هذا وتقدير مكانتها الممتازة من المجتمع فهي ترى ان من حقها ان تثقل كاهل السلطة واجبها ازائها ، وهي لا ترى غير نفسها وغـــير حاجاتها الشخصية الخاصة من زاوية شهواتها واهوائها فلا تقبل عذرا للسلطة في عدم الاستجابة لشيء من حاجاتها وفي عدم تحقيق شيء من رغباتها فهي بذلك (اسأل بالالحاف ، وأقل

شكرا عند العطاء ، وابطأ عذرا عند المنح) وهذه هي طبيعة هذه الفئة الموفورة والمترفة من الناس في المجتمع ، وهي منتزعة من واقع هذه الطبقة ومن حياتها .

وفئة هذه قيمتها الاجتماعية وقيمتها النفسية وقيمتها السياسية ، وقيمتها في ميزان الحق والانصاف لا يجوز ان يعتمد عليها الحاكم في الحكم .

ولا بأس ان نذكر بهذه المناسبة كلمة للكاتب الاجتماعي الانكليزي (ج. هـ. ولز) في كتابه (الاغنياء) عن طبيعة هذه الفئة ، يقول ولز (لا نكاد نرتاب في ان الطبقة الموسرة غير المسؤولة التي تشغل من الحياة مكانة ظاهرة تفرط في تبديد موارد الانسان وتنشر نزعات الخيال الطائش وتفسر أخلاق الذين كان يرجى منهم الانتاج . هذا فضلا عما يستتبعه وجودهم من امكان التدخل القوى الاحمق في حياة المجتمع السياسية والعقلية بصفة عامة) .

(وانما عمود الدين ، وجماع المسلمين ، والعدة للاعداء العامة من الامة ، فليكن صغوك لهم ، وميلك معهم) .

والطبقة التي يجب ان تعتمد عليها السلطة في حكمها وتكسب ثقتها وتعتبرها هي العامة من الناس والجمهور من الامة فهي الكثرة الغالبة من الامة ، وهي الى جنب ذلك تتمتع بارادة قوية تثبت لمشاكل الحياة وما تعرض على الامة من المحن بين حين وحين .

فهي القوة العاملة ، والقوة البناءة في الامة ، والقاعدة التي يجب ان تنطلق عنها السلطة في الحكم والادارة ومواجهة مشاكل الحياة ومشاكل الحكم .

ولا تملك السلطة ان تعيش او ان تستقر على حال لو كان يستخف بقيمة الرأي العام أو اذا شاءت له نزواته ان يصطدم بالرأي العام .

فلا يملك احد أو فئة من امر الحكم والسلطة ومن امر الامة

ومصيرها ما يملكه الرأي العام .

ولا تستطيع السلطة بكافة امكاناتها وطاقاتها ان تقضى على الرأي العام ، وان تخنق الرأي العام ، ولو اعانتها الظروف في تغطية الرأي العام بالقوة فترة من الزمان . فلا تطول هذه الفترة كثيرا ، ولا تعمر طويلا .

والسياسة الحكيمة هي التي تستطيع ان تكسب ثقة الجمهور ، وتوجه الرأي العام توجيها صحيحا لئلا ينحرف عن الحق .

والسلطة التي لا تستطيع كسب هذه القوة لصالحه وتوجيه هذه القوة توجيها صحيحا فهي فاشله في أداء مهمتها وليس ينفع السلطة ان تنكر هذه القوة أو تتغاضى عنها أو تتنكر لها فهي كما يقول الامام عليه السلام (عمود الدين وجماع المسلمين والعدة للاعداء) .

ولا يمكن ان تستغنى السلطة عنها ، ولا يمكنها ان تبقى طويلا فيما لو خسرته .

ولا تملك الفئات الميسورة والمترفة من المجتمع هذه القوة وهذه الارادة الحازمة وهذا التأثير الكبير في حياة الامة التي يملكها الجمهور والرأي العام .

وقد لا يبدو غريبا على حياة الانسان المعاصر السياسية والاجتماعية هذه العناية الكبيرة بالرأي العام والجمهور بعد ما تطورت الحياة الاجتماعية وتحولت أساليب الحكم والادارة ، واثبت الجمهور جدارته وقوته في التأثير على مصير الامة وحياتها ، ولكننا نقف امام نص يعود تأريخه الى ما يقرب من أربعة عشرة قرن من الزمن . ونجد في هذا النص كلما تمخضت عنه تجارب الحكم والسياسة وكلما تمخضت عنه تطورات الحياة السياسية والاجتماعية خلال هذه الفترة الطويلة من الزمن . فلا تملك انفسنا ألا ان ننحني أمام هذا الفكر الجبار ، تاركين للزمن ولتطورات الحياة ان يكشف لنا أسرارا جديدة من خطبه وحديثه .

وشـــهد شـــاهد من اهلهـــا

قال البروفسور كريستان برنارد • رائد عمليات زرع القلب الشهيرة ان المدنية الغربية والثقافة المسيحية في بلاده قد فشلتا فشلا ذريعا فيما زعمتاه من أن تحقيق المساواة هو في توفير الفرص لسكان البلاد كافة •

وفضح الجراح المشهور ، الذي كان يتحدث أمام مؤتمر طبي عقد في مدينة جورج بجنوب أفريقيا ، حقيقة أن حكومة العنصريين قد نجحت في تحقيق مستوى جيد من الرفاه للسكان البيض فقط على حساب معاناة الملونين •

وقال ان الحديث باسم المسيحية والمدنية الغربية من جانب حكومة افريقيا • هو ضرب من الخداع يتطلب أكثر من الجرأة •

جريدة الثورة

العـدد ٨١٤ ٢٨-٤-١٩٧١

* * *

الصليبية الجديدة ••• ستار للأنفصالية

وظهرت الى الوجود عدة منظمات انفصالية كانت أولاها منظمـة السودان المسيحي •• وقد اعلن قيامها عندما لجـأ بعض الانفصاليين الى اوغندا وكان على رأسهم الاب ساتريتوا وهو ووليم دنج واتخذت هـذه الرابطة من الدين ستارا •• واستغلت الطائفية الدينية سلاحا لتلقى العون

المادي من المنظمات المسيحية في مختلف بلدان العالم ... ولم تمض ٩ شهور الا وتحولت المنظمة الى حركة سياسية تعمل في سفور لفصل جنوب السودان عن الشمال .

العـــربي

العدد ١٤٩ ص ١٠٦

* * *

غدونا أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام !!!

ذلك لاننا ما زلنا نتسكع على اعتاب الامم المتحدة ونستجدي الحلول من يوثانت ويارنغ والاربعة الكبار ننتظر الترياق على يد هذا أو ذاك ، ونعد الايام والشهور ونحن ننتظر بلاهة وغباء أن يقدم الناس لنا حقنا على صحن من ذهب .

ويصرخ أحدهم في أقصى الدنيا بكلمة فيها شيء من الاشفاق والعطف على قضيتنا ، فنصفق ونفرح كالصبية وتروج اذاعاتنا تردد تلك الكلمة ليل نهار كالببغاء .

الاسبوع العربي

ص ٧ العدد ٦٢٠ - ٢٦-٤-١٩٧١

قالت الضفدع قـــولاً
صدقتـــه الحـــكماء
في فمي مـاء وهـــل
ينطق من في فيه ماء ؟!

خاطر في خواطر نعيمه

عبد السلام ابراهيم الزبيعي

لعل من دواعي القلق وعدم النضج حين يتحدث مدعي الادب وحامي حماه بنشر العامية سواء في نطاقها الخاص أو في النطاق العام الشامل اذ ليس بين الخطوتين من تفاضل الا بمقدار الجرأة على ازاحة الحياء بعد غمض الجفنين فالهذر بما لا يتفق ومنطق العقل السليم • وفي هذا المجال يقول الدكتور محمد محمد حسن : (فالمسألة لا تحتمل حلا وسطاً اما ان نتمسك بديننا وبوحدتنا فنتمسك بالعربية كتابة ولغة ونحوا وادبا وثقافة واما ان نسقط هذه الاعتبارات من حسابنا وعند ذلك يستوي ان يكون الذي نعدل اليه هو هذا او ذاك مما يقترحون) اهـ[1] .

لا أدري اذا كان نعيمه يعرف ان الدعوة الى العاميه بدأها الانكليز في مصر عام ١٨٨١م حين دعى المقتطف الى كتابة العلوم بلغة الحديث[2] ثم هاجت المسألة سنة ١٩٠٣ حين الف احد قضاة محكمة الاستئناف الاهلية في مصر المدعو (دلور) الانجليزي كتابا اسماه (لغة القاهرة) وضع لها فيه قواعد واقترح اتخاذها لغة العلم والادب كما اقترح كتابتها باللغة اللاتينية فحملت عليه الصحف وقت ذاك[3] .

وثارت المسألة من جديد حين دعا انجليزي آخر وهو المهندس وليم

ويكوكس سنة ١٩٢٦ الى هجر اللغة العربية وخطا بهذا الاقتراح خطوة عملية فترجم الانجيل الى ما اسماه (اللغة المصرية) واثرت الدعوة حيث اجتذبت الانصار والمؤيدين من القتلة والهدامين فاتخذت اللهجة السوقية في المسرح الهزلي فالمسرح الجدي فالسينما .

والشيء الغريب الذي لم يكن ينتظره الناس من مؤسسة تحمل اسم (مجمع اللغة العربية) ان تحمل لواء الدعوة المذكورة ولكن الغرابة تتلاشى وتذوب حين تعرف انها مؤسسة انكليزية ليس للعربية فيها نصيب سوى الاسم اتخذ هو الاخر شعارا للتضليل وتسهيلا لسير الدعوة الخبيثة في النفوس : فاعضاؤها المستر (جب) الانجليزي والسيد عيسى اسكندر المعلوف المعروف بعدائه للعربية حيث نشرت له الهلال سنة ١٩٠٢ مقالا دافع فيه عن اللهجات السوقية واكد في مقاله ان اختلاف لغة الحديث عن لغة الكتابة هو من أسباب تخلفنا الثقافي ، ودعا الى اتخاذ أي لهجة عامية كالمصرية أو السورية لغة لكتابه وانها ستكون أسهل للعرب من لغتهم الفصيحة حسب زعمه ودعا الهلال ان تأخذ بالمبادرة الى ذلك حيث يقول (وهـــذا اعـــده اعظم خطوة نحو النجاح وهـــو غاية املي ومنتهى رجائي)اهـ[٤] .

وفي سنة ١٩٤٣ تقدم ثالثة الاثافي في مجمع اللغة العربية المذكور وهو السيد عبدالعزيز فهمي باقتراح كتابة العربية بالحروف اللاتينية خلال هذه الايام ولكن هل تعرف عزيزي القارىء ماذا قال عنها نعيمه حين اطلع عليها « ولقد عانيت من المشقة في قراءة صفحة واحدة منه ما جعلني استغني عن متابعة القراءة واكفر بهذه البدعة) اهـ[٥] .

وفي سنة ١٩٥٥ نشر في الجامعة العربية وكأنها تبنت امسها لا يعنيها من امر هذا التحول العظيم في حياة الامة العربية شيئا حتى غاب عنها

احتضان امها لها لا الانكليز ولا غيرهم فأصدرت كتابا لأنيس فريحه في (اللهجات واسلوب دراستها) .

ثم انتقلت هذه الدعوة الى سوريا ولقيت من عنت المخلصين وغيرتهم ما اضعفها وهدها هذا ملخص التطور العام لهذه الحركة الاستعمارية التي اريد بها تبديد القوى العربية والمسلمة وتشتيتها عن طريق اضعاف اللغة والابتعاد عنها ـ كحلقة من مخطط عام ـ بصورة تدريجية لقطع الصلة بين العربي وقرآنه وتراثه فاذا تحقق ذلك ابتعد عن اخوانه وعز بينهم التواصل والتآزر في المحن والشدائد فمحاربة العربية هي محاربة الاسلام ومحاربة الاسلام هي محاربة العربية لان الاسلام للعربية روح يبعث فيها النماء والحياة ويمنعها عن الفناء ، والعربية للاسلام درع يحصنه من عوامل الانحلال والتفسخ فأي اساءة للعربية هو قتل لروح الاسلام وهدم لمعانيه وكل نزعة الى الالحاد في هذه الديار فيها اكثر من معنى الالحاد ذاته : فيها تقطيع الجسم العربي لئلا ينهض ويتبوء مكانته بين امم الارض لرد سابق عزه ومشاركته بنصيب وافر في مجال الخدمة الانسانية وبالتالي مقتض الطريق على الاجنبي من استغلال ثرواته .

لا اظن بنعيمه الجهل بذلك ولكن كيف رغب لنفسه في ان يدور في هذا الفلك الاستعماري البغيض الذي هيأ له ولاخوانه أسباب الهجرة الى الديار الغربية البعيدة عن أرض الوطن حين يروح مصرحا بآراء يصفق لها الاجنبي في سره ويبارك عليها لانها غاية ما يرجو ومنتهى ما يريد يصرح نعيمه في معرض حديثه عن الرواية التمثيلية بقوله : (الرواية التمثيلية من بين كل الاساليب الادبية لا تستطيع ان تستغني عن اللغة العامية)[٦] .

ويقول أيضا :ـ « وانه لمن الجهل الفادح والجهل المطبق ان ننكر على العامية عبقرية تستمدها من حيوية الشعوب الناطقة كتلك التي استمدتها

الفصحى في ما معنى من حيوية القبائل الناطقة بها)[٨] .

ثم يروح فيتحدث أكثر من هذا واخطر حين يقول : « لكن اكبر عقبة صادفتها في تأليف الآباء والبنون وسيصادفها كل من طرق هذا الباب سواي هي اللغة العامية والمقام الذي يجب ان تعطاه في هذه الروايات »[٧] .

ويقول أيضا :ـ (يا ليت الفصحى تأخذ بعض القواعد من العامية فهي لو فعلت ذلك لاستغنت عن الكثير من القواعد التي ما برحت تتمسك بها جيلا بعد جيل)[٩] .

لا أدري كيف يوفق السيد نعيمه بين هذه الاقوال المملوءة بالعداوة للوطن ونكران الواجب له وبين ما يقوله مخاطبا بني قومه بقوله :ـ (يا ابناء بلادي لا يبهرنكم برق يلمع في عيون المدنية الغربية انه لبرق خلب)[١٠] .

ويقول أيضا :ـ (احبوا بلادكم لا بشفاهكم بل بقلوبكم) .

ويقول أيضا : (وانتم يا ابناء بلادي ليس يؤلمني من امركم شيء قدر ما يؤلمني تطلعكم الى الغرب وجهدكم تقليد مدنيته المحتضرة واحتقاركم لانفسكم ولكل ما فيكم من غنى فطري وروى روحي)[١١] .

هكذا وجدنا نعيمه انه لا يقف عند دعوته الى اتخاذ العامية في التمثيلية وانما دعا الى اتخاذها كلغة أساسية وان لم يدع الى ذلك جهرة ولم يفرد لها موضوعا فقد رأيناه كيف يمجد العامية وما تستدعيه الضرورة الى اخذ القواعد عنها . ولعل بقية حياء بين عينيه منعته من اظهار سلاطته وجرأته في الدعوة علناً الى العامية والا فماذا تفسر أقواله المار ذكرها وماذا يفسر قوله هذا (ويل لشعب لا يتغير ولا تتغير لغته في عالم سرّه التغير)[١٢] .

أليست هذه الدعوة التي أراد لنفسه ان تكون داعية لها هي من اثار السوء التي جلبها الغرب للشرق وانه خدع بها قبل غيره وبعد غيره والا فما حمله لان يعرّض سمعته الى التدهور ويشارك الاجنبي في تصييهم من اللعنة الابدية التي تصبّها الاجيال عليه عبر الحياة حين تذكر له فعائل سوئه وتفيره وتكيره على الوحدة الوطنية المتمثلة في اقوى اربطتها في لغته وادبه وأخلاقه ودينه .

والدليل الاخر الذي يؤيد عندي دعوته الضمنية الى اتخاذ العامية لغة اساسية هو كثرة استعماله المفردات العامية التي لا يبرر استعماله اياها الا رغبته في اشاعة العامية والا فما معنى استعماله اللفظة العامية وحصرها بين قوسين بحراسة اللفظة الفصيحة ، وبالعكس كقوله (وفي كل منهم معوله وفي يده (زودانه) أو منجله)[١٣] .

وقوله (حتى وجدتني واقفا امام بخاصه برية (أأقول كمثرى برية)[١٤] .

الا يعني ان اللفظة الفصيحة اكثر شيوعا من تلك العامية ؟ والا يعني أيضا ان تلك اللفظة العامية معروفة من قبل البعض ومجهولة الدلالة على معظمهم ؟ واذا كان هذا واضحا ـ وهو امر لا نستبعده ـ فكيف يدعو الى العامية كلغة أساسية ؟

لا شيء ولكنه القلق الذي ملأ نفسه جعله يسلك في دروب وعرة وضيقة يتخبط فيها هكذا .

ومما يؤكد ما اسلفنا من رغبته في ذيوع العامية لا في التمثيلية وحدها وانما في اللغة عموما حتى تغدو لغة أساسية هو عدم اهتمامه في اللغة اذ يقول : (وفي استطاعة العامة ان تتفاهم كل التفاهم بدون هذه الشعوذات اللغوية ... في حين ان الفصحى تعاند ناموس التطور)[٤٥] .

فالنحو بنظره شعوذة واللغة الفصيحة مشاكسة لناموس التطور وعليه فانه يرى من الواجب التحرر من اتباع قواعد اللغة القديمة والتكلم بما هو معروف ومألوف ولو خالف طالما اوجدها الانسان ولم توجده . هكذا يريد التطور ولكن في رد العقاد له في مقدمة غربالة ما فيه الاجابة لنعيمه اذ قال :ـ

(ولكن يجب ان نذكر ان اللغة لم تخلق اليوم فتخلق قواعدها وأصولها في طريقنا وانما التطور يكون في اللغات التي ليس لها ماض وقواعد وأصول ومتى وجدت القواعد والاصول فلماذا نهملها أو نخالفها الا لضرورة قاسره لا مناص منها)[١٦] .

ولم يكتف نعيمه بهذا القدر مما قاله في اللغة وانما راح يدعو حماة اللغة بالضفادع طالما لا يسمحون له بالتصرف في اللغة كما تصرف بها عرب الجزيرة ومتاع عليه ان ذلك الاعرابي الذي استقر النحاة اقواله واستنبطوا القواعد النحوية والصرفية واللغوية منه وقاسوا الصحيح من المخطوء عليه لانه لم يكن قد استعجم لسانه بخلاطة اجنبية ولم يألف سمعه رطانتها ولهذا فما دار لسانه على غير فصيح صحيح ولا الف سمعه من تلك الرطانة شيئا .

فرغبة نعيمة ظاهرة هي رغبة الفرزدق حين طلب الى النحاة ان يؤولوا ما يقول يوم انشد بيته ملحونا :

وعض زمان يابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او محلف

ولما سمعه عبدالله بن اسحق المتوفى سنة ١١٧هـ عابه عليه وخطأه وسأله يوما على م رفعت (محلف) في بيتك فقال : على ما يسوؤك وينوؤك علينا ان تقول وعليكم ان تتأولوا)[١٧] .

فنعيمة يريد ان يقول للنحاة ما لنا لا نقول كما قالت العرب البادية

وليؤل النحاة أقوالنا كما فعل النحاة القدامى مع اعرابهم . اللهم لا تبلغه مراده فان في ذلك ابعادا عن سلامة اللغة وسبيلا الى الوضع عليها من كل فج الفكر فل العقل وايشتهي ويرغب فيضيع بذلك تراث السماء والارض . اذ لو اردنا ان نبيح له ولغيره لضاعت مؤلفات الجميع على الجميع بمرور الزمن ولاحتاج كل عربي ان يتعلم اللهجات الاخرى لا بل لهجات كل كاتب حتى تفهم اثاره ولكان شأن القارىء والمتتبع لاثارهم اصعب وأشكل منه نفسه على تعلم اللغات الاجنبية والاطلاع على تراثها فماذا يقول السيد نعيمة في هذا ؟

ويعلل نعيمة صحة دعواه بادلة لا تقبل انها منسوبة اليه وهاك ما يقول اولا :ـ

(الفكر كائن حي قبل اللغة والعاطفة قبل الفكر فهما الجوهر وهم القشور)[١٨] . ولكن هل يستطيع الانسان باترى ان يظهر هذا الكائن كما هو والعاطفة كما هي أو هما بجوهرهما بزي مقبول فيه مشوق اليه دون اللغة السليمة والالفاظ المتناغية التي تعرض جوهر الفكر والعاطفة دون جهد أو عناء بحيث تصل الى ذهن السامع ولما يحس بمدخلها من الاذن فليعرف نعيمه اذا شاء ان تقرأ كتاباته والا فليفتح له مدرسة يعلم بها لنفسه الخاصة وليضمن لنفسه ثبات هذه المدرسة ما دامت الحياة في تغير كما يقول لتقرأ آثاره دوما والا فلا يكلف نفسه عناء الطبع والنشر وليبق في صومعته التي اختارها لنفسه بعيدا عن الناس .

ودليله الثاني قوله :

(ان كل القواميس وكتب الصرف والنحو في العالم لم تحدث يوما نورة ولا أوجدت يوما امة لكن الفكر والعاطفة يجددان العالم في كل يوم)[١٩] .

هذا صحيح ياسيد نعيمه ولكن هل استطاع الفكر أو العاطفة أو هما معا ان يحدثا ثورة أو يوجدا امة أو يجددا العالم بدون هذه الرموز حين يقول (لا قيمة للرمز في ذاته انما قيمته مكتسبة مما يرمز اليه لذلك فلا قيمة للغة في نفسها)[٢٠] .

أرى كيف هذا الرمز (اللغة) يكون مع الفكر والعاطفة جسما واحدا وروحا واحدة وان كل واحد منهما بنفسه جسد وروح ولا يظهر أثرهما الا سوية حين يحسن نظم الكلام وتأليفه عن الفكرة والعاطفة وكان كلما أحسن اختيار الرموز للافكار والعواطف كان التغيروالتبديل لمعالم الكون العام اسرع . والا فاذا كانت اللغة عديمة الفائدة ومثلها مثل القشور من اللب كما يدعى فهل باستطاعته ان يعطينا مثلا واحدا لاخرس ابكم قاد امه وغير معالم الحياة ولو في جزء من المعمورة مع وجود الفكر والعاطفة فيه ؟ .

طبعا لا يستطيع نعيمه ولا من يدور في فلكه لا مفردا ولا جمعا أن يعطينا هذا المثل كما لا يستطيعونه مجتمعين مع قدرة العصر الحاضر على الخلق والابداع .

فهل بعد هذا يا سيد نعيمه من أمر جديد يطالعنا به في اخريات حياتك أم ماذا أم انك ستظل تقول :ـ

وكان من الواجب ان تذهب القيود والحدود بذهاب الغاية التي وجدت من أجلها[٢١] . الظاهر ان السيد نعيمه لحد الآن لم يرغب أن يتخلى عن مثل هذه الاقوال كما فاه به لمندوب جريدة الاخبار البغدادية ردا لسؤال وجهه اليه بصدد المفاضلة بين مؤلفاته فقال :ـ

(فانا ماوضعت حتى الآن مؤلفا واحدا ثم ندمت على تأليفه)[٢٢] .

المصادر والمراجع

(١) محمد حسن محمد ، الاتجاهات الوطنيـة ، ج٢ ، القاهـرة ، ١٩٥٦ ، ص ٣٥٩ ٠

(٢) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٤٣٤ ٠
(٣) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٤٣٥ ٠
(٤) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٣٩ ٠

(٥) جريدة الاخبار العراقية ، بغداد ، الاربعاء ، ٥ كانون الاول ، ١٩٦٢ ، العدد ٦١٤٧ ٠

(٦) ميخائيل نعيمة ، الغربال ، القاهرة ، ١٩٤٦ ، ص ٢٨ ٠
(٧) ميخائيل نعيمة ، مذكرات الارقش ، بيروت ، ١٩٥٩ ، ص ٤٣٠

(٨) ميخائيل نعيمة ، في مهب الريح ، بيروت ، ١٩٥٣ ص ١٣٢ـ ١٣٣ ٠

(٩) نفس المصدر ، ص ١٣٢ ٠
(١٠) ميخائيل نعيمة ، زاد المعاد ، القاهرة ، ١٩٣٦ ، ص ٣٦ ٠
(١١) نفس المصدر ، ص ٣٤ ٠
(١٢) ميخائيل نعيمة ، مذكرات الارقش ، المصدر السابق ،ص٤٣٠
(١٣) ميخائيل نعيمة ، في مهب الريح ، المصدر السابق ، ص ٩٢٠
(١٤) نفس المصدر ، ص ٩٣ ٠
(١٥) نفس المصدر ، ص ١٣٣ ٠
(١٦) ميخائيل نعيمة ، الغربال ، المصدر السابق ، ص ٨ ٠
(١٧) ابراهيم مصطفى ، احياء النحو ، القاهرة ، ١٩٥٩ ،ص٩٤٠
(١٨) ميخائيل نعيمة ، الغربال ، المصدر السابق ، ص ٨٨ ٠
(١٩) نفس المصدر ، ص ٩١ ٠
(٢٠) نفس المصدر ، ص ٤٠ ٠
(٢١) ميخائيل نعيمة ، في مهب الريح ، المصدر السابق ،ص ١٣٠٠

(٢٢) جريدة الاخبار العراقية ، بغداد ، الاربعاء ٥ كانون الاول ، ١٩٦٢ ، العدد ٦١٧٤ ٠

أساطير ...
تشوش على المسلمين وتدس الخرافات في عقائدهم وتاريخهم

بقلم : « باحث اسلامي كبير »

خالد لا يؤثر فيه سم ساعة :

روى الطبري عن سيف في خبر فتح الحيرة من حوادث سنة ١٢ : ان خالد ابن الوليد حاصر بعض حصون الحيرة فخرج عمرو بن عبدالمسيح ابن قيس بن حيان بن بقيلة يفاوض خالدا في أمر الصلح ومعه كيس متعلق بحقوه ونثر ما فيه في راحته وقال : ما هذا يا عمرو .. قال : هذا وامانة الله سم ساعة .. قال : ولم تحتقب السم ؟ قال : خشيت ان تكونوا على غير ما رأيت والموت أحب الي من مكروه ادخله على قومي : فقال خالد (انها لن تموت نفس حتى تأتي على أجلها) وقال (بسم الله خير الاسماء رب الارض ورب السماء الذي ليس يضر مع اسمه داء الرحمن الرحيم) فاهووا اليه ليمنعوه منه فبادرهم فابتلعه .. فقال عمرو : (والله يامعشر العرب لتملكن ما أردتم مادام منكم احد ايها القرن)[1] .

ثم ذكر كيفية جري الصلح بينهم .

ذكر سيف في هذا الخبر اسم مفاوض خالد (عمرو بن عبدالمسيح) ودس في الخبر اسطورة تناول خالد السم وعدم تأثيره السم به .

بينما أورد البلاذري[2] خبر صلح الحيرة في فتوحه وذكر اسم المفاوض (عبدالمسيح بن عمرو) وليس عنده ذكر السم وكذلك روى الطبري[3] خبر الصلح عن ابن الكلبي وليس فيه خبر الاسطورة

---

(١) الطبري (التسلسل ١/٢٠٤٠ ـ ٢٠٤٤) .

(٢) فتوح البلدان للبلاذري : ص ٢٥٢ .

(٣) الطبري (التسلسل ١/٢٠١٩) ومختصر جمهرة أنساب ابن الكلبي مخطوطة مكتبة آية الله النجفي ص ١٩ من جمهرة نسب قحطان .

واسم المفاوض عنده (عبدالمسيح بن عمرو)وورد أيضا في انساب ابن الكلبي فيجمهرة أنساب العرب[٤]اسمه (عبدالمسيح بن عمرو) مع ذكر نسبه. العرب[٤] اسمه (عبدالمسيح بن عمرو) مع ذكر نسبه .

روى الطبري عن سيف هذه الاسطورة مع تحريم المفاوض وأخذ من الطبري كل من ابن الاثير[٥] وابن كثير (أ)[٦] وذلك في تأريخيهما .

مناقشة السند :

ورد في اسناد أحاديث سيف عن صلح الحيرة .

(١) الفصن بن قاسم عن رجل من بني كنانة ويرد هذا الاسم في اسناد ١٣ حديثا لسيف في تاريخ الطبري ولما لم نجد له ذكرا في ما بحثنا من كتب الحديث والتاريخ ومعرفة الرواة اعتبرناه من مختلقات سيف من الرواة . وبالاضافة اليه يروى الحديث عن (رجل من بني كنانة) ولاندري ماذا تخيل سيف اسم هذا الرجل الكناني لنبحث عنه في مصادر علم معرفة الرواة والتاريخ .

(٢) محمد ، ومحمد في اسناد أحاديث سيف هو ابن عبدالله بن سواد بن نويرة وقد ذكرنا في فصل استلحاق زياد انه من مخترعات سيف من الرواة .

نتيجة البحث :

حرف سيف اسم المفاوض من (عبدالمسيح بن عمرو) الى (عمرو ابن عبدالمسيح) وكرر ذكره محرفا في ١٦ مكانا من أحاديثه في تاريخ الطبري[٧] بينما ورد اسمه في فتوح البلاذري وجمهرة ابن حزم وحديث

---

(٤) جمهرة انساب العرب لابن حزم : ص ٣٥٤ .

(٥) ابن الاثير في تاريخه ط . المنيرية (٢/٢٦٦) .

(أ) اورد الخبر ابن كثير في تاريخه مع حذف اسطورة السم .

(٦) ابن كثير في تاريخه (٦/٣٤٦) .

(٧) الطبري (١/٢٠٣٩ ـ ٢٠٤٤ و ٢١٩٧ و ٢٢٥٥ و ٢٢٥٦ و ٢٣٨٩ .

ابن الكلبي عند الطبري (عبدالمسيح بن عمرو) ودس في خبر الصلح اسطورة تناول السم ولم يرد عند غيره أي ذكر عنها .

ولماذا ادرج هذه الاسطورة في هذا الخبر لان الناس في عصره يرغبون في سماع أمثال هذه المثاقب عن السلف الصالح وله فيه مآرب أخرى فانه ادرج بوضع هذه الاسطورة السخف في مدونات التاريخ الاسلامي وبتحريف الاسم التشويش عليها بدافع ما اتهم به من الزندقة .

سلسلة رواة الحديث :

أ ـ من روى عنه سيف :

(١) النضر بن قاسم وهو من مختلقاته من الرواة وهذا يروى عن (رجل من بني كنانة) ولا يُدرى ماذا تخيل سيف اسم هذا الراوي ؟

(٢) محمد بن عبدالله بن سواد بن نويرة من مختلقاته من الرواة .

ب ـ من أخذ عن سيف :

(١) الطبري في تاريخه وذكر سنده الى سيف .

(٢) ابن الاثير في تاريخه بواسطة تاريخ الطبري .

(٣) ابن كثير في تاريخه بواسطة تاريخ الطبري .

تهدم دور حمص من تكبير المسلمين :

حكي الطبري في حوادث سنة ١٥ ثلاث روايات عن كتاب سيف في فتح حمص(أ) قال في الاولى : لما نزل المسلمون عليها لفتحها اوصى هرقل(ب) أهلها ان يقاتلوا المسلمين في كل يوم بارد وقال لا يبقى منهم الى

(أ) حمص من مدن الشام .

(ب) هرقل : كان حاكم بسوريا يوم ذاك .

الصيف أحد فكان أهل حمص يقاتلون المسلمين في كل يوم بارد .

وروى في الثانية عن ابي الزهراء القشيري ان أهل حمص تواصوا فيما بينهم وقالوا : تمسكوا بمدينتكم الى الشتاء فانهم حفاة فاذا أصابهم البرد وتقطعت أقدامهم مع مايأكلون ويشربون فكانت الروم تراجع من القتال وقد سقط أقدام بعضهم في خفافهم وان المسلمين في النعال ما أصيب اصبع أحد منهم فلما انتهى الشتاء قام شيخ منهم ودعاهم الى مصالحة المسلمين فلم يجيبوه ثم دعاهم شيخ آخر منهم الى الصلح فلم يجيبوه .

وفي الثالثة روى عن اشياخ من غسان وبلقين ان المسلمين ناهدوهم (ج) بعد الشتاء وكبروا تكبيرا زلزلت معها الروم في المدينة وتصدعت حيطانهم ففزعوا الى من كانوا يدعونهم الى المسالمة فلم يجيبوهم واذلوهم بذلك .

ثم كبر المسلمون ثانية فتهافتت (د) دور كثيرة وحيطان ففزعوا الى رؤسائهم وذوي رأيهم فقالوا : الا ترون الى عذاب الله ؟ فأجابوهم لا يطلب الصلح غيركم فاشرفوا فنادوا الصلح ، الصلح ، ولا يشعر المسلمون بما حدث فيهم فأجابوهم وقبلوا منهم على مثل صلح دمشق[1] .

هذا ما حكاه سيف في ثلاث روايات عن فتح حمص أما غيره فقد قال البلاذري[2] في كيفية فتحها : ان المسلمين جاؤوا اليها بعد فتح دمشق فلما توافوا بحمص قاتلهم أهلها ثم لجأوا الى المدينة وطلبوا الامان والصلح

(ج) ناهد عدوه : ناهضه في الحرب .

(د) التهافت التساقط قطعة قطعة .

(١) روايات سيف الثلاث في فتح حمص أوردها الطبري في ذكر حوادث سنة ١٥ من تاريخه تسلسل (١/٢٣٩١) .

(٢) البلاذري : ذكر صلح أهل حمص في فتوحه (١٣٧) .

وكانوا منخوبين (هـ) لهرب هرقل عنهم وما يبلغهم من قوة كيد المسلمين وبأسهم وظفرهم .

نتيجة المقارنة :

كان بسبب صلح أهل دمشق فرار حاكمهم هرقل مع ما بلغهم من قوة المسلمين وبأسهم وظفرهم وسيف يزعم ان سبب طلبهم الصلح ـ بعد ان حاربوا طوال الشتاء حتى تقطعت أقدامهم من البرد ـ تصدع حيطانهم وتهدم دورهم على أثر تكبيرتين للمسلمين . هذا ما كان في متن روايات سيف وفي سندها ما يأتي :

مناقشة السند :

روى سيف حديث تقطع أقدام أهل حمص عن (ابي الزهراء القشيري)[٣] .. ويروى عنه سيف خمس روايات في الطبري واستنادا الى تلك الروايات ترجم له في عداد الصحابة ابن عساكر في تاريخ دمشق وابن حجر في الاصابة واعتبرتاه من مختلقات سيف من الصحابة .

وروى حديث تصدع حيطانهم وتهدم دورهم من أثر تكبير المسلمين عن شيوخ من غسان وبلقين وكيف السبيل الى معرفة اسماء من تخيلهم سيف من شيوخ غسان وبلقين رواة لحديثه لنبحث عنهم ؟

سلسلة رواة الحديث :

أ ـ من روى عنه سيف .

ورد في اسناد حديث سيف في هذه الاسطورة .

(هـ) المنخوب : الجبان لا فؤاد له .

(٣) روايات ابي الزهراء القشيري في تاريخ الطبري (تسلسل ١/٢١٥٤ و ٢٣٩١ و ٢٣٩٥ و ٢٣٩٦ و ٢٥٧٣ وترجمته في الاصابة (ج ٤/٨١) .

(١) ذكر شيوخ من غسان وبلقين ولم يذكر اسماء من تخيلهم رواة لحديثه .

(٢) اسم ابي الزهراء القشيري احد مختلقاته من الصحابة .

ب ـ من أخذ عن سيف .

(١) الطبري في تاريخه مع ذكر سنده الى سيف .

(٢) ابن الاثير في تاريخه أخذ عن الطبري .

(٣) ابن كثير في تاريخه أخذ عن الطبري .

الدجال (أ) يفتح السوس (ب)

روى الطبري[١] عن سيف في حوادث السنة السابعة عشرة : ان القائد ابا سبرة (ج) نزل على مدينة سوس واحاط بها المسلمون وناوشوهم القتال مرات ويصيب أهل السوس في المسلمين كل مرة فاشرف الرهبان والقسيسون فقالوا « يا معشر العرب .. ان مما عهد الينا علماؤنا انه لا يفتح السوس الا (الدجال) او قوم فيهم (الدجال) فان كان (الدجال) فيكم

(أ) ورد في بعض الاحاديث من كتب الصحاح ان (صاف بن حياد) ولد بالمدينة في عصر الرسول وانهم كانوا يرون انه (الدجال) ويظهر ان قصة الدجال كانت مشهورة في عصر سيف فاستفاد منها ووضع هذه الاسطورة متناسبة مع مايروى من غرائبه .. راجع صحيح البخاري (٣/١٦٣) و (٢/١٧٩) ومسند احمد (٣/٧٩ و ٩٧) .

(ب) السوس تعريب الشوش : كانت من بلاد خوزستان بايران

(ج) ابو سبرة : ابن ابي رهم العامري القرشي قديم الاسلام شهد مشاهد الرسول كلها ورجع الى مكة بعد النبي وسكنها حتى توفي بها في خلافة عثمان راجع ترجمته في الاستيعاب بهامش الاصابة (٤/٨٢) وأسد الغابة (٥/٢٠٧) والاصابة (٤/٨٤) وله ترجمة في طبقات ابن سعد (٣ ق ١/٢٩٣) مختصرا ومفصلا في (ج ٥/٣٢٨) من باب من نزل مكة .

(١) الطبري (تسلسل ١/٢٥٦٤ ـ ٢٥٦٥) .

فستفتحونها وان لم يكن فيكم فلا تعنوا بحصارنا .. وناوشهم مرة أخرى فاشرف عليهم الرهبان والقسيسون واعادوا القول وصاحوا بالمسلمين وغاضوهم وكان (صاف بن حياد) (ا) يومئذ معهم فأتى (صاف) باب السوس برجله وقال (انفتح بظار) (د) فتقطعت السلاسل وتكسرت الاغلاق .. وتفتحت الابواب ودخل المسلمون فالقى المشركون بايديهم وتنادوا (الصلح .. الصلح) وامسكوا بأيديهم فاجابهم المسلمون الى ذلك بعد ان دخلوها عنوة .

هذا ما رواه الطبري عن سيف في فتح السوس ونقل عنه ابن الاثير[٢] وابن كثير[٣] في تاريخهما : أما غير سيف فقد روى ـ أيضا ـ الطبري[٤] عن المدائني انه قال : كان ابو موسى محاصرا للسوس حين جاءهم خبر فتح جلولاء (هـ) من قبل المسلمين وفرار ملكهم يزدجرد فسألوا أبا موسى الامان فصالحهم .. وقال البلاذري[٥] في فتوح البلدان ان ابا موسى قاتل أهلها ثم حاصرهم حتى نفذ ما عندهم من الطعام فضرعوا الى الامان يقتل ابو موسى من المقاتلة من لم يدخل الامان واسر وغنم .. وذكر ذلك ـ ايضا ـ الدينوري[٦] في الاخبار الطوال بايجاز وقال ابن الخياط[٧]

(د) البظر : بفتح فسكون : مابين الاسكتين من المرأة و (البظارة) طرف حياء المواشي من اسفله .

(٢) ابن الاثير في تاريخه (٣٨٦/٢) .

(٣) ابن كثير في تاريخه (٨٨/٧) .

(٤) الطبري (تسلسل ٢٥٦٢/١) .

(هـ) جلولاء : من مدن العراق القديمة .

(٥) البلاذري في فتوح البلدان (ص ٣٨٦) .

(٦) الدينوري في الاخبار الطوال (ص ١٣٢) .

(٧) ابن خياط في تاريخه (١١١/١) .

تاريخه ان أبا موسى فتحها صلحا في السنة الثامنة عشرة .

مناقشة السند :

ورد في سند حديث سيف عن السوس اسم محمد وقد ذكرنا غير مرة انه من مختلقاته من الرواة وفي سنده مجهولون اخرون كطلحه وعمر ولا نطيل الكلام في مناقشتنا فيهم .

نتيجة المقارنة :

كان سبب فتح السوس عند سيف وجود (الدجال) في جيش المسلمين كما أخبر بذلك رهبان السوس وقسيسوهم ، او بدقة باب السوس برجله وقوله (انفتح بظار) ولما فعل ذلك اذا بالسلاسل تتقطع والاغلاق تتكسر .. والابواب تتفتح .. ويمسك أهل السوس بأيديهم .. ويتنادون (الصلح .. الصلح) وكان القائد العام ابا سبرة القرشي العدناني .

بينما ذكر غيره : ان سبب الفتح وصول نبأ فتح جلولاء وفرار ملكهم ونفاذ ما عندهم من الطعام ولذلك ضرعوا الى المصالحة وكان قائد المسلمين ابو موسى الاشعري اليماني وليس بابي سبرة العدناني .. تتضح استجابة سيف لنداء العصبية العدنانية في سلبه مكرمة الفتح عن ابي موسى القحطاني واسنادها الى ابي سبرة العدناني ولكن ما الداعي لسيف ان يضع اسطورة فتح السوس بقول (الدجال) (انفتح بظار) وبدق بابها برجله وليس فيها موضع فخر لتميم قبيلته ولا لعدنان التي يتعصب لها وليس فيها ـ ايضا ـ منقبة للسلف الصالح ؟

ما الدافع لسيف في وضع هذه الاسطورة غير ما رمي به من الزندقة ؟.. وما الدافع له في تغيير سنة الفتح ان لم يكن قصده التشويش بدافع الزندقة ؟ .

سلسلة رواة الحديث :

أ ـ من روى سيف عنه .

روى سيف حديثه في فتح السوس عن محمد من مختلقاته من الرواة وعن مجهولين آخرين .

ب ـ من روى عن سيف .

(١) روى الطبري حديث فتح السوس عن سيف في تاريخه وذكر سنده .

(٢) نقل ابن الاثير اسطورة سيف في فتح السوس من تاريخه عن الطبري .

(٣) نقل ابن كثير اسطورة فتح الدجال السوس في تاريخه عن الطبري .

قصة الاسود العنسي :

روى الطبري في قصة الاسود العنسي[1] عدة روايات عن سيف تتلخص في ما يلي : ان الاسود لما ادعى النبوة وتغلب على اليمن وقتل ملكها شهر بن باذان وتزوج امرأته كتب النبي الى قيس بن عبد يغوث وكان قد اسند اليه الاسود أمر الجند والى فيروز وداذويه وكان الاسود اسند اليهما أمر الابناء وهم ابناء الفرس باليمن كتب النبي اليهم بقتال الاسود اما مصادمة أو غيلة ما اتفقوا على اغتياله فاخبره شيطانه فارسل الى قيس وقال يا قيس ما يقول الملك ؟ قال قيس (وما يقال ؟) قال : يقول (عمدت الى قيس فأكرمته حتى اذا دخل منك كل مدخل وصار في العز مثلك مال ميل عدوك

---

(١) نسبة الى عنس بن مذحج وهم حي من زيد بن نهلان بن سبأ ترجمتهم في انساب ابن حزم (٣٨) .

وحاول ملكك واضمر على الغدر انه يقول : يا اسود ، يا اسود يا سوءة .. اقطف قنته[٢] وخذ من قيس اعلاه والا سلبك أو اخذ قنتك) .. فقال قيس وحلف به وكذب[٣] ، وذى الخمار لانت أعظم في نفسي وأجل عندي من احدث بك نفسي ، قال الاسود (ما اجفاك .. اتكذب الملك ؟ .. وعرفت الآن انك تائب مما اطلع عليه منك) يعني ما اطلع شيطانه الذي يسميه الملك وقال سيف ثم خرج قيس واخبر جماعة بما جرى له مع الاسود وتواطؤوا على انفاذ ما اتفقوا عليه من قتله فدعا الاسود قيسا ثانية وقال له (ألم اخبرك الحق وتخبرني الكذابة انه يقول ـ يعني شيطانه الذي يسميه الملك ياسوءة .. ياسوءة .. الا تقطع من قيس يده يقطع قُنَّتك العليا) فقال له قيس (ليس من الحق ان اقتلك وانت رسول الله فمر لي بما أحببت فاما الخوف والفزع فانا فيهما مخافة .. اقتلني .. فموته أهون علي من موتات اموتها كل يوم) قال سيف فرق له فأخرجه .. وقال دعا الاسود بمائة جزور بين بقرة وبعير وخط خطا فاقيمت من وراء الخط وقام من دونها فنحرها غير محبسة ولا معقلة ، ما يقتحم الخط منها شيء ثم خلاها فجالت الى ان زهقت ونقل سيف عن الراوى انه قال (ما رأيت أمراً كان أفظع منه ولا يوما اوحش منه) .

قال سيف وتواطؤوا مع زوجته على اغتياله ـ ليلا ـ فلما دخلوا عليه ليقتلوه بادره فيروز فانذره شيطانه بمكانه وايقظه فلما ابطأ تكلم الشيطان على لسانه وهو يغط في نومه وينظر الى فيروز قال له (مالي ولك يا فيروز) فدق فيروز رقبته وقتله .

ثم دخل الباقون ليحتزوا رأسه فحركه شيطانه فاضطرب فلم يضبطوا أمره حتى جلس اثنان على ظهره وأخذت المرأة شعره فجعل يربر بلسانه

---

(٢) اقطف قنته أي أقطع رأسه وقتنة كل شيء اعلاه مثل القلة .
(٣) كان الاسود يلقب ذا الخمار او ذا الحمار ويأتي بيان سببه .

فاحتز الآخر رقبته فخار كأشد خوار ثور سمع قط فابتدر الحرس الباب وقالوا : ما هذا ؟ فقالت المرأة : النبي يوحي اليه فخمد .. الحديث .

روى الطبري هذه القصة عن سيف في احدى عشرة رواية من رواياته واورد الذهبي روايتين منهما في كتابه تاريخ الاسلام الكبير .

مناقشة السند :

تكرر في اسناد روايات سيف في هذه القصة اسم سهل بن يوسف عن عبيد بن صخر في روايتين وعروة بن غزية تكرر في ثلاث منها يروى سيف اثنتين منهما على المستنير بن يزيد عن عروة بن غزية .

وما أوردناه سابقا خلاصة مما رواها سيف عن هؤلاء الرواة وهم كل من :

أ ـ سهل وتخيله سيف : ابن يوسف السلمي ورد اسمه في سند سبع وثلاثين رواية لسيف في تاريخ الطبرى والسلمي نسبة الى عدة احياء في العرب ونرى سيفا تخيله من بني سلمة بن سعد من الخزرج ولم نجد له ذكرا عدا ما ذكره ابن حجر في لسان الميزان قال : سهل بن يوسف ابن سهل بن مالك الانصاري مجهول الحال قال ابن عبدالبر لا يعرف ولا ابوه ـ الى قوله ـ هكذا أخرجه سيف بن عمر في الفتوح ـ . وان كان سهل هذا هو السلمي الذي نبحث عنه فهو راو واحد اختلقه سيف وان كان غيره فهما اذن اثنان من مختلقات سيف من الرواة .

ب ـ عبيد بن صخر بن لوذان السلمي من مختلقات سيف من الصحابة وله ترجمة خاصة بكتاب (خمسون ومائة صحابي مختلق) .

جـ ـ عروة بن غزية الدثيني، هكذا تخيله سيف وروى عنه ست روايات في أربعة منها يروى عروة عن الضحاك بن فيروز ولم نجد له ذكرا عدا ما ذكره السمعاني والحموي .. قال السمعاني (الدثيني هذه النسبة الى

الدئينة وظني انها من قرى اليمن منها عروة بن غزية الدئيني يروى عن الضحاك بن فيروز ذكره سيف بن عمر في الفتوح) .

واورد ابن الاثير في اللباب مختصر قول السمعاني .. وقال الحموي بترجمة دئينة (وقد نسبوا اليها عروة بن غزية الدئيني يروى عن الضحاك بن فيروز) .

وهذان الخبران مصدرهما روايات سيف صرّح السمعاني بذلك واهمل الحموي تعيين مصدره .

د ـ المستنير بن يزيد تخيله سيف تخيا ورد اسمه في سند ثمان عشرة رواية لسيف في تاريخ الطبري ولم نجد له ذكرا في غيرها ولذلك اعتبرناه مع من سبق ذكرهم من مختلقات سيف من الرواة .

هذا ما كان في اسناد خبر سيف عن الاسود العنسي ولمعرفة متن خبر سيف نرجع الى غيره لنرى كيف ورد الخبر عنده ثم نقارن بين الروايتين قال البلاذري في فتوح البلدان ما ملخصه :

« كان الاسود بن كعب بن عوف قد تكهن وادعى النبوة واتبعه عنس واتبعه ـ ايضا ـ قوم غير عنس وسمي نفسه رحمان اليمن وكان له حمار معلّم يقول له : اسجد لربك فيسجد ويقول له : ابرك فيبرك وقال بعضهم: هو ذو الخمار لانه كان متخمرا[1] معتما ابدا وقيل : كان اسود الوجه فسمي الاسود لسواد لونه وان اسمه عبهلة . قال واتى صنعاء فغلب عليها وأخرج عامل رسول الله منها واستذل الابناء وهم أولاد الفرس الذين كانوا بها وتزوج المرزبانه امرأة باذام ملكهم فوجه رسول الله (ص) قيس بن هبيرة بن المكشوح المرادي لقتاله ، وأمره باستمالة الابناء فلما صار الى اليمن

(١) متخمر : لابس الخمار والخمار ماتغطى المرأة رأسها ومعتم : لابس العمامة .

أظهر للاسود انه على رأيه حتى خلى بينه وبين دخول صنعاء فدخلها في جماعة من مذحج وهمدان وغيرهم ثم استمال فيروز أحد الابناء وداذويه رأس الأبناء واسلم الابناء فتطابق هؤلاء جميعا على قتل الاسود واغتياله ودسوا الى المرزبانة امرأته من أعلمها بأمرهم وكانت شائقة له فدلتهم على جدول يدخل اليه منه وقيل : بل نقبوا جدار بيته ثم دخلوا عليه في السمر وهو سكران نائم فقتله فيروز واجهز عليه قيس واحتز رأسه وعلى سور المدينة حين أصبح وقال : الله أكبر الله أكبر أشهد ان لا اله الا الله ، أشهد ان محمداً رسول الله وان الاسود كذاب عدو الله ، فاجتمع أصحاب الاسود فالقى اليهم الاسود رأسه فتفرقوا الا قليلا منهم فقتلوهم الا من اسلم منهم ...) .

وذكر قريبا منه في البدء والتاريخ (٥/١٥٤ - ١٥٥) وموجزه اليعقوبي في تاريخه (٢/١٠٨) .

نتيجة البحث والمقارنة :

ذكر سيف في رواياته اسم ملك اليمن الفارسي الذي تزوج الاسود امرأته (شهر بن باذان) وذكر غيره انه (باذان) نفسه . وذكر سيف اسم والد قيس (عبد يغوث) قال غيره (هبيرة بن المكشوح المرادي)[1] .

وذكر ان الاسود كان قد اسند الى قيس أمر الجند وان الرسول كتب اليه والى غيره من الابناء بقتل الاسود وذكر غيره ان الرسول وجه قيسا لقتال الاسود وامره باستمالة الابناء وانه لما صار الى اليمن اظهر انه على رأي

---

(١) هو : قيس ابن المكشوح على ماذكره ابن حزم في نسب مراد بالجمهرة (ص ٣٨٢) .

واسم المكشوح : هبيرة بن عبد يغوث واوهم قول سيف بعض المؤرخين فترجم لقيس مرتين راجع اسد الغابة (٤/٢٢٢) و (٤/٢٢٧) والاصابة (٧٣١٥) .

الاسود حتى سمح له بدخول اليمن •

كان ما ذكرنا ما حرف سيف من هذا الخبر ، أما مادس فيه وتفرد بذكره فما روى : ان الاسود كان له شيطان يوحي اليه ويخبره بالغيب وان الاسود كان يسميه « الملك » وان شيطانه هذا اخبره مرة بعد أخرى بأن قيسا الذى جعله في العز مثل نفسه سيقتله •

وما ذكر الاسود خط خطا أقيمت وراءه مائة جزور بين بقرة وبعير وانه قام من دونها ينحرها وهي غير مجلسة ولا معقلة وما يقتحم الخط منها شيء •• ثم خلاها فجالت حتى زهقت •• ثم أيد وقوع هذه المعجزة بما نقل عن الراوي انه قال : ما رأيت أمرا أفظع منه ولا يوما اوحش منه •

وما ذكر ان الشيطان الذى كان يسميه الاسود (الملك) تكلم على لسانه الاسود عندما اقتحموا مخدعه وهو يغط في نومه •

وما ذكر ان شيطانه حركه بعد قتله فاضطرب ولم يضبطوا أمره حتى حبس اثنان على ظهره واخذت المرأة شعره فأخذ يبربر بلسانه فاحتز الآخر رقبته •

ذكر سيف للاسود هذه المعجزات الخارقة لطبيعة الاشياء •• وما الذي دعاه الى ذلك ؟ وهو الذي رأيناه لا يحرف ويختلق الا لتحقيق غاية فهل أراد ان يختلق بذلك للاسود مناقب ؟ والاسود عنسي من قحطان وسيف يختلق لبني قحطان المعايب لا المناقب ؟ ثم انه لم يذكر ما ذكر للاسود على صورة فضيلة فان الذى كان يخبره بالغيب كان شيطانا ولكن الاسود كان يسميه الملك ••

فهذا الملك الشيطان هو الذي أنبأه بالغيب في أمر قيس وهو الذى تكلم على لسانه وهو يغط في النوم وهو الذي جعله يضطرب بعد قتله فلم يستطيعوا من ضبط أمره حتى اجتمع عليه أربعة ••

اذن فهذا المتنبي الكاذب يخبره الشيطان بالغيب ويقوم بأعمال خارقة للنظام الطبيعي على لسانه وبدنه انه شيطان في حقيقته والمتنبي يسميه الملك ويدين له جمع كثير من الناس •

لعل سيفا أراد ان يضرب مثلا في مادس في هذا الخبر للوحي والملك والانباء بالغيب وتدين الناس بالنبي دفعه الى هذا الدس والاختلاق ما اتهم به من الزندقة ليشوش على المسلمين دينهم فما الفرق بين هذا المتنبي الكاذب وملكه الشيطان وما ينبئه بالغيب وتدين الناس به والنبي الصادق وملكه وانباءه بالغيب وتدين الناس به •

ومهما يكن زمن قصد سيف فانه استطاع ان يدس الخرافات في عقائد المسلمين بما دس واختلق •• ؟

سلسلة رواة الخبر :

أ ـ من روى عنه سيف :

حرف سيف خبر الاسود العنسي ودس فيه ما اختلق ثم ذكر خبره على صورة أحاديث ووضع لها اسنادا وجدنا في اسنادها ممن اختلقهم من الرواة :

١ ـ سهل بن يوسف السلمي •

٢ ـ عبيد بن صخر بن لوذان السلمي الانصاري •

٣ ـ عروة بن غزية الدثيني •

٤ ـ المستنير بن يزيد النخعي •

ب ـ من أخذ عن سيف :

١ ـ الطبري في تاريخه وذكر اسناده الى سيف •

٢ ـ الذهبي في تاريخه وذكر اسناد سيف .

٣و٤ ـ ابن الاثير وابن كثير في تاريخهما عن الطبري .

٥ ـ السمعاني في الانساب اخذ شيئا من هذا الخبر وذكر انه اخذه من سيف .

٦ ـ ابن الاثير في اللباب .

٧ ـ الحموي في معجم البلدان ولم يذكر سنده .

مصادر البحث

١ ـ الطبري (١/١٨٥٣ ـ ١٨٦٧) .

٢ ـ الذهبي في تاريخ الاسلام الكبير (١/٣٤١ ـ ٣٤٢) .

٣ ـ ابن الاثير في تاريخه (٢/٢٢٩) واسد الغابة (٢/٢٢) و (٤/٢٢٧).

٤ ـ ابن كثير في تاريخه (٦/٣٠٧ ـ ٣١٠) .

٥ ـ ابن حزم جمهرة الانساب (ص ٣٨٢) .

٦ ـ ابن حجر لسان الميزان (٣/١٢٢) بترجمة سهل بن يوسف .

٧ ـ السمعاني في الانسان ورقة (١/٢٢٣) .

٩ ـ البلاذري في فتوح البلدان ط السعادة بمصر عام ١٩٥٩ (ص ١١٣ ـ ١١٥) .

١٠ـ البدء والتاريخ المنسوب للمقدسي (٥/١٥٤ ـ ١٥٥) .

١١ـ اليعقوبي تاريخه ط. النجف ا(٢/١٠٨) .

١٢ـ ابن حجر في الاصابة ترجمة (٧٣١٥) .

اساطير اشترك في روايتها سيف مع غيره :

ذكرنا في ما سبق اساطير تفرد بروايتها سيف وفي المدونات التاريخية أساطير اشترك في روايتها سيف وغيره كالاسطورة التالية :

روى سيف : ان الخليفة عمر بعث سارية بن زنيم الدئلي (أ) الى فساو داربجرد فحاصرهم سارية ثم ان الفرس تداعوا وشهروه واصحروا له واتوه من كل جانب فنادى عمر وهو يخطب جمعة (يا سارية بن زنيم .. الجبل .. الجبل) فسمع جيش المسلمين نداء عمر (ب) وكان الى جنبهم جبل ان لجؤا اليه لم يؤتوا الا من وجه واحد فلجؤا اليه ثم قاتلوا الفرس فهزموهم فأصاب سارية مغانمهم وفي المغانم سقط فيه جوهر فاستوهبه المسلمين لعمر فوهبوه له فبعث به وبالفتح مع رجل فقدم على عمر وهو يطعم الناس فأمره عمر فجلس وأكل فلما انصرف عمر الى بيته تبعه الرسول فلما جلس عمر اتى بغدائه خبز وزيت وملح جريش فوضع فقال عمر ـ لزوجته أم كلثوم ـ (ألا تخرجين يا هذه .. فتأكلين ؟) .

قالت (اني لاسمع حس رجل) .

فقال (أجل) .

فقالت (لو اردت ان ابرز للرجال اشتريت لي غير هذه الكسوة).. فقال « او ما ترضين ان يقال : أم كلثوم بنت علي وامرأة عمر » .

(أ) الديلي : نسبة الى الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، ذكر ابن حزم نسبهم في جمهرته (ص ١٧٤) ومنهم سارية بن زنيم وترجمته في الاصابة (٢/٢) و (فسا) من مدن دارا بجرد بفارس كان قريبا من مدينة شيراز .

(ب) وردت هذه الجملة في آخر رواية سيف واقتضى سياق الخبر ان نذكرها هنا وفي ألفاظ سيف وجملة في هذا الخبر ركة تعبير وعدم انسجام .

فقالت (ما أقل غناء ذلك عني) .

فقال عمر للرجل (اذن فكل فلو كانت راضية لكان أطيب مما ترى) قال سيف : فأكلا فلما فرغا .. قال الرجل أنا رسول سارية فقال عمر (مرحبا وأهلا) ثم أدناه حتى مس ركبته وسأله عن المسلمين فبشره بالفتح وأخبره بقصة السقط ، فصاح به وقهره وأمره ان يرده الى الجند ويقسمه بينهم ..

الحديث ..

روى سيف هذا الخبر بسندين في فتح فسا ودارابجرد من أرض فارس ونسب فيهما بعث السقط الى سارية ، وروى خبر السقط وحده بسند آخر في ذكر حرب سلمة بن قيس الاشجعي (أ) مع الاكراد ونسب هناك مبعث سقطين من الجواهر الى سلمة وانه كان قد غنمها من الاكراد .

هذا ما وجدنا من روايات سيف في هذا الخبر وروى الخبر غير سيف باسناد آخر .

ولا ندري هل وضع سيف هذا الخبر واقتبسه غيره منه أو ركب عليه اسنادا غير اسناد سيف .. او وضعه غير سيف واقتبسه سيف منه ووضع له عدة اسناد .. مهما يكن الامر فانا لا نريد ان نناقش اسناد هذا الخبر ونبحث عن منشئه ولا نريد ان نبحث عن مدى انتشاره في كتب الحديث والتاريخ فانه يطول ويمل بل نريد ان نناقش قليلا ما متن الخبر الذي رواه سيف وغير سيف ونقول : ان كان الله الهم الخليفة في هذه المعركة كيف يواجه قائد جيشه ليتحرز من العدو وسخر الهواء ليبلغ نداءه

(أ) الاشجعي : نسبة الى اشجع بن ريث بن غطفان بن قيس عيلان من عدنان نسبهم في جمهرة (ابن حزم) (ص ٢٣٨) وترجمة سلمة في اسد الغابة (٢٠/٣٣٩) والاصابة (٢/٦٥) .

الى مسامع الجيش كي يسلموا من التهلكة .. فلم لم يلهمه في واقعة جسر ابي عبيد ليوجه جيشه الا يعبروا الجسر فيسلموا بتلك الهزيمة المنكرة ..

ولم لم يسدد نبيه في غزوة احد لينادي الرماة الا يتركوا أماكنهم في أصل الجبل رغبة في الغنائم كي لا يباغت خيل المشركين المسلمين من خلفهم فتقع الهزيمة في جيشه ويستشهد منهم من استشهد .. ونقول : كيف أجل الرسول بشارة الخليفة بالفتح حتى اكتمل أمر الطعام ؟ وكذلك لم يخبره بشيء وهما يسيران الى بيت الخليفة ؟ .. ولم يخبره في البيت حتى فرغا من الاكل ؟ كيف أجل الرسول البشارة بالفتح كل هذه المدة ؟ واين كان جمله وعليه سفط الجواهر او سفطا الجواهر كل تلك المدة ؟.

ونقول : من هو القائد المرسل للجواهر عند سيف اهو سارية الديلي ام سلمة الاشجعي ومع من كانت الحرب ؟ مع الفرس في فسا ؟ ام مع الاكراد واين وقعت الحرب مع الاكراد ؟ .

ونقول : كيف طلب الخليفة من زوجه ام كلثوم ان تخرج وتجلس مع الرجل الاجنبي وتؤاكله ؟ وهل صح انها هي التي أبت ذلك لان كسوتها كانت غير لائقة للبروز للرجال وفي كتاب الله « ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آباء بعولتهن او آبائهن او ابنائهن .. » الآية : ٣ من سورة النور .

وهل كانت مدينة الرسول في ذلك العصر كبلادنا في هذا العصر ؟ وكان الخليفة كرجال عصرنا ممن يصحبون نساءهم الى نواديهم ويبرزونهن للرجال ويخالطن الرجال ؟ وهل كان يفعل ذلك اى رجل غير الخليفة في مدينة الرسول ؟

لست ادري ماذا قصد واضع هذا الخبر ان لم يقصد التشويش على عقائد المسلمين من طريق التحدث عن سيرة الصحابة والخلفاء بما يروق

العامة سماعه ، كالحديث عن زهد الخليفة وكرامته .. والخليفة غني عن هذه المنقبة المزيفة ؟ ويبدو ان بعض العلماء السابقين قد فطن الى زيف هذا الخبر كابن الاثير في تاريخه فانه حذف محاورة الخليفة مع زوجته في أمر مؤاكلة الرجل الاجنبي من خبر سارية بن زنيم وخبر سلمة الاشجعي مع ان هذه الفضيلة هي بيت القصيد لواضع الخبر .. ومثل ابن حزم في جمهرته فقد قال في ذكر نسب بني الديل « وسارية بن زنيم .... الذي يذكر قوم ان عمر ناداه وهو بعيد ... » .

هذا ما ورد في خبر السفط عند هؤلاء ومن أخذ منهم وقال البلاذري في فتوحه ما خلاصته « ان الخليفة عمر ولى السائب بن الاقرع (أ) الغنائم في حرب نهاوند فجمعها وقسمها ثم اصاب ـ بعد تقسيم الغنائم ـ كنزا فيه سفطان فأخذهما الى عمر مع خمس الغنائم وذكر له شأن السفطين فقال اذهب بهما فبيعهما ثم اقسم ثمنها بين المسلمين ـ يقصد خبر المسلمين ـ فذهب بهما الى الكوفة وباعهما من عمرو بن حريث ... » الحديث .

وقال مثل هذا الدينوري في الاخبار الطوال واعثم في فتوحه (ب) ويظهر هذا الخبر ان السائب اعتبر السفطين مما لم يوجف عليهما خيل أو ركاب فحملها مع الخمس الى الخليفة واعتبرهما الخليفة من غنائم الحرب فردهما الى الجيش .

هذا ما كان من خبر السفط اما فتح دارابجرد فقد ذكر البلاذري ـ ايضا ـ في فتوحه : ان عثمان بن ابي العاص الثقفي هو الذي فتحها صلحا

(أ) من ثقيف دخل مع أمه ملكيه على النبي (ص) وهو غلام فمسح برأسه ودعا له ، ولي اصبهان ومات بها أسد الغابة (٢/٢٤٩) والاصابة (٢/٨) .

(ب) ان راوى الخبر عند اعثم قد زين الخبر ـ أيضا ـ باطار اسطوري .

وكان القائد العام أبا موسى الاشعري .

نتيجة البحث والمقارنة :

لم يفتح (فسا) و (دارابجرد) سارية بن زنيم بل فتحها عثمان ابن ابي العاص وكان القائد العام أبا موسى الاشعري ، ولم يبعث السفط سارية ولا سلمة الاشجعي بل حمله السائب بن الاقرع بنفسه ، ولم يستوهب السفط من الجند أحد بل كان كنزاً حسبه السائب من الخمس ورده عمر الى الغنائم .. اذن لم يبعث سلمة رسولا مع السفط الى المدينة كما لم يذهب سارية لفتح (فسا) و (دارابجرد) ليبعث هو ـ ايضا ـ رسولا فيرغب الخليفة ان تؤاكله زوجه رسول هذا او ذاك .. وكذلك شأن باقي الاسطورة .. وقد فطن بعض السابقين لبعض هذا الزيف فحذف أحدهم بعض الخبر واستبعد الاخر بعضه غير ان الاسطورة انتشرت بذيولها في كتب التاريخ والحديث انتشارا واسعا حتى اليوم ، وذلك لان واضع القصة أوردها على صورة فضيلة للخليفة في زهده ومنقبة له في غيره ، فاعجب بها الاسطوريون والمنقبيون وغضوا النظر عما في اسنادها من ضعف وفي متنها من مخالفة لنص القرآن الكريم .

خاتمة البحث :

رأينا فيما سبق من اساطير سيف ان خالد بن الوليد لا يؤثر فيه سم ساعة .. ودور حمص تتهدم بتكبيرتين من المسلمين .. ويرى المنقبيون في أمثالها للسلف الصالح فيذيعون اخبارها ويغيب عنهم دس سيف المتهم بالزندقة فانه أراد ان يسفه عقول المسلمين ويسخر بمعجزات الانبياء والا فما زاد دعاه ان ينسب للدجال معجزة تكسر اغلاق مدينة سوس وفتح بابها بقوله (انفتح بطار) وينسب للاسود المتنبي الكذاب ان الملك الشيطان يوحي اليه وينبئه بالغيب وتصدر منه المعجزات .. وما الفرق اذن بين هذا المتنبي الذي ينبئه شيطانه الذي يسميه الملك وبين النبي الذى ينبئه الملك

كلاهما يسمي من ينبئه بالغيب ملكا وما القصد من نسبة رغبته بروز الزوجة للرجل الاجنبي الى عمر ان لم يكن التشويش على عقائد المسلمين وادخال مالبس دينهم في عقائدهم ، وما القصد من اختراع المؤتمر الثلاثي الذي عقده بين الله ونبيه وكسرى (أ) ، وما القصد في ذكر من نطق الحيوانات بلسان عربي مبين ماذكر عن نطق اطلال فرس بكير عندما قال لها (اطلال) فنطقت وقالت « وثبا وسودة البقرة » (ب) ونطق الابقار وقولها لعاصم بن عمرو عندما انكر راعيها علمه بوجود الغام هناك « كذب والله عدو الله وها نحن أولاء (ج) » .

مصادر البحث :

(١) الطبري تسلسل (١/٢٧٠١ و ٢٧١٤ ـ ٢٧٢١) .

(٢) جمهرة ابن حزم (ص ١٧٤) و (٢٣٨) .

(٣) معجم البلدان لغة (فسا) ودارابجرد .

(٤) ابن الاثير . ط المنيرية ، القاهرة عام ١٣٤٩ .. (٣/٢١ و ٢٥) .

(٥) فتوح البلدان البلاذري .ط. بيروت دار النشر للجامعيين ، ١٣٧٧ ، (ص ٣٠٢ و٣٨٠) .

(٦) الاخبار الطوال للدينوري . ط الاولى ، القاهرة ص ١٣٨ .

(٧) فتوح اعثم . ط . حيد آبار (٥٩ ـ ٦٢) .

(أ) البحث التمهيدي الاول بكتاب خمسون ومائة صحابي مختلق .

(ب) في ليلة الهرير من القادسية بترجمته القعقاع من كتاب خمسون ومائة صحابي مختلق .

(ج) المصدر السابق في ترجمة عاصم فصل(مع سعد بن ابي وقاص).

صوت المرأة المسلمة

كلمتنا

بنت الهدى

من البديهي ان عملية انتزاع الانسان من عقيدته والابتعاد به عن خط رسالته الاسلامية التي تنسجم مع طبيعته وتتفق مع فطرته هي عملية تحتاج الى الكثير من الجهد والمراس ، فأن ينتكر الانسان لأمه أو لابيه أو لصاحبته وبنيه أو لفصيلته التي تؤيه لهو أهون منطقيا من تنكر الانسان وتجرده عن عقيدته التي بها يدين وفكرته التي ترسم له وجوده وكيانه في الحياة ، فقد يتمكن الانسان ان يعيش بدون عطاء عاطفي متمثل في الاهل والولد وقد يتمكن الانسان ان يحيى خلوا من الشد العشائري المنطلق من القبيلة والاسرة ولكنه لا يستطيع ان يعرف معنى الحياة اذا كانت مفتقرة الى العطاء الروحي النابع عن عقيدة صالحة ومثل خيره تحدد له معنى وجوده في هذا الكون ، فهو بتجرده عن هذه العقيدة سوف يفتقد واقع كيانه ويجهل واقعه مادام يجهل حقيقة هذا الكون الذي ما هو الا جزء منه ، ولهذا اتجه أعداء الاسلام أولا وبالذات الى هذا النوع من التضليل والخداع لانه كما علمنا أشد قساوة وأعمق تأثيرا في تفكيك قوى الامة الاسلامية وضعضعة جوانبها وفعلا كانت أساليب التضليل وطرق الخداع متنوعة ومختلفة في ظاهرها ولكنها في الواقع لا تهدف الا الى غاية واحدة وهي تجريد الامة من العطاء الروحي والابتعاد بها عن الدين السماوي ، وكان من بين تلك النغمات المسمومة هي نغمة تطور الدين مع الحياة وقولهم ان الانسان في

الدين الاسلامي كمنهج صالح لكل زمان ومكان يتطلب تطويره مع الحياة وفق تطورها الاجتماعي ، فما الذي يعنيه هذا يا ترى ؟ انه يعني استغلال الدين وتسخيره مع المصالح الشخصية ومحاربة الرسالة عن طريق التأويل كما حوربت من قبل عن طريق التنزيل ـ كالاساليب القديمة ـ والآن ، فما هي الحقيقة التي تقف أمام هذه النغمة الخادعة ؟ انها الحقيقة التي تقول ، صحيح ان الدين والتشريع الاسلامي صالح لكل زمان ومكان ولكن ليس على حساب محتواه ومضمونه الحقيقي فان الصلاحية لكل زمان ومكان ان كانت نتيجة لأفراغ الدين من محتواه بين حين وآخر واعطائه مدلولا جديدا فهذا لا يعني الصلاحية وانما هو العجز بعينه واما الصلاحية الحقيقية للأسلام في الأمتداد مع الزمان والمكان فهي نتيجة ما تحتويه الرسالة الاسلامية من مرونة تتيح لها مواصلة دورها في كل حين ، ولكن هذه المرونة ليست مرونة تبعية ومواكبة للعصر كلما استجد عصر وللانسان كلما تطور الانسان بل هي مرونة قيمومة ، فالاسلام دين قيم وقيمومته تفرض عليه ان يكون مرنا لكي يشمل كل ابعاد الزمان والمكان .

وهذه المرونة تتمثل في أمرين رئيسيين الاول ـ منطقة الفراغ التي تركها الاسلام وجعل ملأها من صلاحيات ولي الأمر وفقا لمتطلبات الظروف في كل حين مع الأكتفاء باعطاء الخطوط التشريعية العامة ومثال ذلك ، ان الاسلام وضع قاعدة . ان من احيى الارض فهي له ولم يحدد كمية الاحياء المسموح بها وترك لولي الامر هذا الشأن يدبره تبعا لما يقدره من مصالح التوازن الاجتماعي واغراض الانتاج والتوزيع ، الثاني وضع قواعد تشريعية تتحكم في سائر ما تزخر به الشريعة من أحكام وتبدل منها وتكيفها وفق ما يستجد من ظروف ومثال ذلك قاعدة لا ضرر ولا ضرار وقاعدة نفي العسر والحرج فان هاتين القاعدتين لهما سلطان واسع في تعديل مجرى الاحكام الأخرى وضمان عدم تصلبها بالصورة التي تتعارض مع طبيعة الموقف ،

اذن ، فالرسالة الاسلامية مرنة منذ وجدت وقد شاء الله ان يجعلها كذلك لتبقى حين مع حياة الكون ولهذا ترك فيها مجالات فراغ يمكن للامام ان يملها وفق مصالح الأمة ولهذا نرى ان المجتمع مهما كان زمانه او مكانه ومهما كانت ظروفه الاجتماعية والاقتصادية فهو لن يفتقد في الاسلام نظاما وضعه الله تبارك وتعالى له ليهديه سواء السبيل .

من أقوال السيد الحكيم ـ قدس سره ـ

ارادة القتال

ولابد للحكام في العالم الاسلامي ان يعلموا ان استنقاذ القدس والاراضي السليبة الاخرى من براثن الاعداء لا يمكن الا باتخاذ موقف اسلامي صارم يتمثل فيه الاصرار الهائل المستميت على تطهير البقعة المقدسة والارض الطاهرة من الاعداء الغاصبين ، ورفض اية محاولة يقوم بها المستعمر الكافر لتمييع الموقف ، أو تقديم انصاف الحلول او استغلال المأساة الراهنة لطرح فكرة التدويل .

١٥ جمادى الاخرة ١٣٨٧

المؤتمر الاسلامي ـ عمان

فتاوى منهاج

مسائل متفرقة

اجاب عليها المرجع الاسلامي الاعلى الامام الحكيم
قدس سره

س١) هل يجري الربا في الاوراق النقدية أم لا وهل يجوز التفاضل في البيع بها ؟

ج١) الاوراق النقدية لما لم تكن من المكيل والموزون لا يجري فيها الربا فيجوز التفاضل في البيع بها لكن في النفس منه شيء فالاحوط ضم جنس آخر الى الأقل ولو كان من الدراهم في بيع الدنانير العراقية .

س٢) اذا طلب أحد الشريكين القسمة وكان هناك ضرر في القسمة فهل تجب اجابته أم لا ؟

ج٢) اذا طلب أحد الشريكين القسمة فان لزم الضرر منها لنقصان في العين أو القيمة بما لا يتسامح فيه عادة لم تجب اجابته والا وجبت الاجابة ،ويجبر عليها لو امتنع ، نعم اذا اشترط أحد الشريكين في عقد لازم عدم القسمة الى أجل يعينه لم تجب الاجابة حينئذ الى ان ينتهي الأجل .

س٣) هل يكفي في تحقق الأجازة الرضى الباطني ؟

ج٣) لا يكفي في تحقق الاجازة الرضى الباطني بل لابد من الدلالة

عليه بالقول مثل : رضيت ، واجزت ، ونحوهما أو بالفعل مثل أخذ الثمن أو بيعه أو الأذن في بيعه أو اجازة العقد الواقع عليه أو نحو ذلك .

س٤) ما المراد من الوصية التبرعية ؟

ج٤) المراد من الوصية التبرعية الوصية بما لا يكون واجباً عليه في حياته سواء أكانت تمليكية كما اذا قال : فرسي لزيد بعد وفاتي ، أم عهدية كما اذا قال : تصدقوا بفرسي بعد وفاتي .

قالـــوا :

- **النخلة التي ليس فيها تمر لا ترمى بالحجارة .**
- **العمـل والانتاج والبناء رد صامت على التهريج والنقد اللامسؤول والتمشدق بالكلمات غير المحفوظة .**
- **انا لا ادعوك لكي تؤيدني في مواجهة كائن من كان .. انما ادعوك ان تفهمني وتعرفني .**
- **الحسد والحقد امراض عصر الاستعمار والانحطاط كما هي معاملات النفاق دائما فتحابّ يا اخي في الله ولله .**

مكتبة المجلة

معجم رجـــال الحديث

تأليف سماحة الأمام الأكبر زعيـم الحوزة العلمية آيـة الله السيد أبو القاسم الخوئي ـ المدخل ـ وتفصيل طبقات الرواة في ٣٨٧ صفحـة مطبعة الآداب ـ النجف الاشرف •

موسوعة رجالية فكرية وتجديد وتطوير لفكرة القواعد الرجالية وتجلية عن صفحات هذا الفن الذي ران عليه من صدأ السنين الذي ظل يتآكل فبدأ يلوح طريقه بالنمو والازدهار •

المســـلم

مجلة العشيرة المحمدية ـ العدد السابع السنة الحادية والعشرون ـ مجلة اسلامية ناهضة بالدعوة الاصـــلاحية الروحية ـ تصـــدر في القاهرة ويصدرها رائد العشيرة المحمدية الاستاذ الصديق محمد زكي ابراهيم •

هـــــديـة

أهدى لفيف من طلاب السنة الثانية (شعبة أ) مجموعة من الـكتب القيمة الى مكتبة الكلية ونحن بدورنا نشكر هذه البادرة الطيبة •

أنوار الربيع في أنواع البديع

تأليف السيد صدرالدين معصوم المدني ١٠٥٢ ـ ١١٢٠هـ تحقيق الاستاذ شاكر هادي شكر • يقع الكتاب في (٧) مجلدات ، يضم بين دفتيه

طائفة كبيرة من الشعر والشعراء اضافة الى عمق التفكير ونباهة المحقق في اخراجه • مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف

الأقـــلام

العدد الاول ـ السنة السابعة ١٩٧١ • مجلة فكرية عامة تصدرهـا وزارة الثقافة والاعلام ـ بغداد •

صحيفة الرضـــا

الدكتور حسين علي محفوظ

مطبعة الآداب النجف

صحيفة الرضا (ع) من ذخائر النبوة ، وكنوز أهل البيت ومواريث الأئمة • التي بلغت من علو الاسناد ذروة الشرف •

الطبعة الثانية اعاد طبعها نخبة من طلاب كلية أصول الدين ولا يسعنا الا أن نقدم تقديرنا لاهتمام طلبة الكلية بعلوم الحديث وبأحاديث أهل البيت (ع) ونتمنى لهم القبول من الله والتوفيق لكل خير •

السيد ادريس

عباس فاضل السعدي

ماجستير آداب

مطبعة الآداب في النجف الاشرف

كتاب من القطع المتوسط يقع في ٥٦ صفحة يبحث الكتاب عن مرقد السيد ادريس في الكرادة الشرقية ببغداد في المنطقة المسماة باسمه • وهذه الرسالة ـ على كل حال ـ دراسة جامعة ممتعة ، فيها كل ما يحتاج اليه من معلومات حول هذا الموضوع •

كلمة الانسانية العليا

السيد حسين الشامي

كتاب من القطع المتوسط يقع في ١٦٠ صفحة وهو مجموعة مقالات شيقة قيمة تعرض المفاهيم الاسلامية الحقة عرضا بغير تعسف ولا تعنف • وقـد وزعه المؤلف مجانا عـلى السادة العلماء وعـلى معلمي القطر وعـلى المؤسسات الدينية • وقد طبع الكتاب من المبرات الشرعية •

في الذكرى السنوية ...

لوفاة آية الله العظمى السيد المحسن الحكيم قدس سره

مرت خلال الاسبوع الفائت ذكرى مرور عام على وفاة الامام الاكبر زعيم المسلمين وقائد الامة ورائد حركة وعيها وتدينها سيدنا المغفور له آية الله العظمى والمرجع الديني الاعلى السيد المحسن الحكيم الذي اختاره الله الى جواره في وقت اشتدت الحاجة اليه ، لا في العراق فقط بل في جميع ارجاء أمة الاسلام التي بايعت الامام الراحل زعيما اسلاميا عاش هم الاصلاح وتربت على يده حوزات فقهها وأمة الاصلاح من رجالها العاملين ، المنتشرين بالبقاع ، يعلنون كلمة الله ، يدعون الناس اليها ، بالكلمة « المؤمنة » والحكمة « الموعظة » ، والطريقة « الحسنة » لا تأخذهم في الله لومة لائم ولا تجهم متجهم . وكما ودعت الامة والرعيل الصالح من اناسي العالم رغم اختلاف مذاهبهم وتشعب افكارهم هذا الزعيم الرائد بآهات الأسى ، وزفرات القلوب ، وسيل من ماء العيون يوم خفت جماهيرها الى حمل نعشه الطاهر على اكفها التي لم تعدم الواحدة منها لثم كفه الطاهر في حياته .. في موكب تشييع لم يسبق له مثيل بكته فيه الرجالات والرجولة والطاقات الشابة والشباب بل حتى النساء والاطفال حيث تمسحن بالطين يرددن آيات الوفاء للأب العظيم ، أب هذه الامة ، أب الايتام والارامل والفقراء والعمال والكسبة وغيرهم .

كما ودعت جموع الامة ، نعش الامام الراحل قدس سره ، كذلك استقبلت ذكرى مرور عام على وفاته بنفس الروح والالم ، فاقيمت مجالس الفاتحة في النجف الأشرف وفي غيرها من مدن العراق والعالم الاسلامي الكبير كان الامام الحكيم ـ قدس سره ـ واحدا من العظماء الذين سوف يخلدهم التاريخ بما قدمه في عهده من انجازات عظيمة وخدمات كبيرة لأمته ودينه ورائده في ذلك كله ابتغاء مرضاة الله سبحانه .

لقد حقق عهد الامام الحكيم ـ قدس سره ـ انجازات مختلفة على شتى المستويات الدينية والاجتماعية تتلخص في الخطوات الرئيسية التالية :

● فعلى مستوى الخدمات الدينية بالحوزة العلمية تمكن الامام الحكيم

من ان يحقق انجازا عظيماً في علاقة الحوزة العلمية بالامة حين اخرجها عن عزلتها التي كادت ان تخنق رسالتها (العالمية ـ العملية) وذلك ببعث روح الحركة الفكرية الاسلامية وتبني المصالح العامة للامة الامر الذي غير تدريجياً نظرة الامة للحوزة ، وجعلها نظرة ايجابية تقوم على اساس ان الحوزة العلمية هي القيادة العملية الحقيقية الصالحة التي تعمل بجد واخلاص لانقاذ هذه الامة من مشاكلها .

● وعلى مستوى الجبهة الداخلية تمكن الامام الحكيم ان يمد الحوزة العلمية بعدد كبير من رجال النهضة المبايعين للاهداف الكبرى للرسالة الاسلامية ولتراث أهل البيت الكرام ومنهاج عملهم ، وقد توفر ـ رحمه الله ـ بتعب وصبر ومعاناة على اعداد رعيل « عالمي » « مبلغ » اعدادا جيدا لممارسة مهامه الدينية بعد ان سارت الحوزة العلمية نحو الفناء او كادت رغم العدد الكبير المحسوب عليها بشرياً وذلك لندرة رجالات الله ، الكفوئين، المتفرغين للدعوة الى الله في نفس الوقت الذي وضع كل امكاناته وجهوده الشخصية في خدمة الجبهة الداخلية فاعلاً فيها حاسية الهدف الواحد والمطلب الواحد والمصير الواحد ايضاً ! والقضاء بحكمة الحكيم على الخلافات الجانبية والتناقضات الثانوية التي يجب ان تزول بل وتذوب امام التناقضات الرئيسة في مواجهة قوى الردات العنصرية والجبهة الجاهلي والغارة الصليبية التي تداعت على الرسالة « الاسلام » وعلى الرسول « البشير النذير » وعلى خلفائه في أمته « العلماء الاعلام » كما تداعى الأكلة على قصعتها بصور واشكال مختلفة سافرة حينا ، وميكافيلية خفية أحياناً ، بلبوس الاجنبي المستعمر حينا وبلبوس التماسيح أحيانا .

وقد كان لهذه الخلافات التقليدية ان تعيش في سلوك الشخصيات البارزة في الحوزة العلمية لولا مجهود وسياسة الامام الراحل الموضوعية التي اعتمدت « الكفاءة العلمية » و « السلوك الاخلاقي » و « الاجتماعية » علامات ترشيح أساسية في المعتمد والوكيل والمبلغ .

والى جانب هذا الاهتمام الكبير ببناء صرح الكيان القاعدي المتمثل في الحوزة كانت هناك اهتمامات حقيقية لبعث الروح الاسلامية والالتزامات الدينية في صفوف الامة ، شيوخها وشبابها والفضليات من نسائها أمهات الجيل وربات الحجول اللواتي وضع الله الجنة تحت أقدامهن وقدم طاعتهم على طاعة الآباء في بعض المواطن .

وقد أخذ الامام الحكيم ـ قدس سره ـ في تحقيق ذلك الوسائل

الحديثة لنشر الوعي والفكر كتأسيس المكتبات العامة واقامة الاحتفالات الدينية ذات الطابع الواعي الملتزم والعمل على تأسيس واسناد المدارس الاسلامية ذات العطاء الثر والتربيـة الرائـدة كمدارس جمعية الصندوق الخيري الاسلامي الذي تشرفت اسرتها العـاملة مرارا بالمثول بين يديه مبايعة ، تصغي السمع الى ارشاداته وتوجيهاته ، وهو ما برح حتى اللحظات الاخيرة من حياته الشريفة يبارك خطوها رغم المرض الذي كان يعانيه يوم ما كان في المستشفى .

● بالاضافة الى عمله الجاد على بعث الروح الفكرية الاسلامية البعيدة عن عنعنات الطائفية والنزعات الاقليمية والجاهلية في مادة الشعائر الدينية وروحها والتحرك بها الى حيث مسارها الصحيح حيث هي شعائر الله ، والرسالة ، والحياة .

● وعلى مستوى العلاقات العامة للامةاهتم الامام الحكيم ـ قدس سره ـ بالوحدة الاسلامية الصحيحة التي تنطلق من ايجاد التفاهم الحقيقي بين ابناء الامة والتأكيد على الروابط الحقيقية (الفكرية ، العاطفية) التي تربط بين أفرادها .

وكان يتمثل هذا الاهتمام في تبني مصالح الاسلام والدفاع عنه بحرارة وتصميم والسعي الجاد المخلص للقضاء على الفوارق الطائفية والعنصرية عمليا ، وفي مجموعة من المشاركات العامة والتوجيهات السديدة التي يبعثها الى المشتركين في المؤتمرات الاسلامية الدولية النزيهة وتقديم الاقتراحات الصالحة ، الصريحة ومواقفه ـ قدس سره ـ في الاهتمام بقضية فلسطين وفي نصرة أهلها المجاهدين والفاتحين وفي اسناد العمل الفدائي يعرفها له الفلسطينيون انفسهم والعالم من ورائهم هكذا كان حكمياً فرحمه الله وجزاه الله عن دينه وأمته خير جزاء المحسنين وأسكنه منازل الطيبين والصالحين وحسن اولئك رفيقا .

« التحرير »

من المؤمنين رجال صدقـوا ما عاهـدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا

شؤون الجمعية ..

● ان كلية اصول الدين جادة في العمل على اداء رسالتها على الوجه الاكمل وكانت ولا تزال تعد الحرص على رفع المستوى العلمي والخلقي لطلبتها في طليعة واجباتها وتحقيقا لذلك كلفت طلبة الصف الرابع بكتابة رسائل علمية تتناول مواضيع مختلفة في فروع العلوم الدينية واللغوية والتاريخية ، واوكلت مهمة الاشراف على تلك الرسائل الى نخبة من أساتذتها الافاضل كل حسب اختصاصه • وسنوافي القراء في عدد قادم بملخص لمواضيع تلك الرسائل وذلك بعد انجازها وتقديمها للكلية •

والكلية ، فضلا عما سبق ، جادة في تشجيع نشر التراث الاسلامي الخالد وقد تصدى جماعة من طلبة قسم الحديث في الكلية لنشر رسالة في الحديث هي « صحيفة الامام الرضا (ع) » وتم ذلك باشراف الدكتور حسين محفوظ استاذ علم الحديث في الكلية • ومما يبعث الغبطة والسرور ان الطلبة انفسهم انفقوا على طبع الرسالة المذكورة ووزعوها مجانا رغبة في نشر العلم من جهة والحصول على الثواب والاجر من جهة أخرى •

واسهمت الكلية في مؤتمر التعليم الجامعي الاول اذ مثلها وكيل عميدها الدكتور عبدالله الفياض ، في المؤتمر المذكور • يضاف الى ذلك ان مسجل الكلية السيد عبدالرضا الوزان مثل الكلية في اجتماع مسجلي الجامعات العراقية ، وقد تبلغ بتوصياته •

ويسر الكلية ان ترحب بممثل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي السيد يونس السامرائي مدير التعليم الاهلي في الوزارة المذكورة ، وقد تفضل وحضر جلسات مجلس الكلية واستمع الى آراء السادة أعضاء مجلس الكلية حول بعض الموضوعات .

● قام وفد من أعضاء جمعية الصندوق الخيري الاسلامي ومن مدارس الجمعية بزيارة سماحة العلامة الشيخ محسن الفضلي من علماء البصرة في مستشفى ابن سينا حيث تجرى له فيه بعض الفحوص وقد دعا للجميع بالموفقية في عملهم الخيري ، كلأه الله بعينه التي لا تنام وتوجه باكليل الصحة والفخار .

● قام لفيف من طلبة ثانوية الامام الجواد (ع) المركز بمعية السيد مدير المدارس وعضوية السيد ناجح عبد هادي والسيد عبدالامير البدري والسيد ضياء العسكري ولفيف من الاساتذة بالمثول بين يدى سماحة العلامة الفضلي في المستشفى داعين له بالشفاء العاجل .

● نظمت الهيئات التعليمية لمدارس الزهراء (ع) للبنات سفرة مدرسية من الهيئة الى النجف الاشرف وكربلا بسيارة الجمعية بمعية العلوية المشرفة على المركز (بنت الهدى) وقد زرن عائلة الفقيد الاعظم الامام الحكيم قدس سره لتعزيتهم بالمناسبة .

● وفي مناسبات مختلفة ، ومن خلال تطبيقات درس الاقتصاد المنزلي تقوم طالبات المدارس بتطبيقات عملية أثناء درس الاقتصاد وذلك بعمل بعض الاكلات السريعة كالتبولة وأنواع من الكيك في اجتماع عام تحضره المدرسات والمديرة وتلقى فيه بعض الكلمات التوجيهية والممارسات الادبية والتربوية .

● وزعت مدرسة الامام الجواد (ع) الثانوية نتائج الامتحانات

النهائية للصفوف غير المنتهية في احتفال طلابي تكلم فيه السيد مدير المدارس مخاطبا أولاده الطلبة ، بالتهنئة والتقدير ، مذكراً اياهم بالايام الحافلة بالجد والتوجيه التي قضوا فيها سنة دراسية كاملة اقتربوا بها كثيرا الى هدي الله وصراط الاسلام ، حاثاً اياهم على تمثيل هذه الدروس والافكار في انفسهم وفي حياة مجتمعهم وبعد ذلك تحدث فضيلة العلامة مدرس التوجيه الديني الشيخ عبدالجبار البصري ، حيا فيها جهود الاساتذة والطلبة في ما كانوا وما زالوا بصدده من احياء نفوس الشباب بالفكرة الحية والكلمة الهادفة ، وبعد ذلك وزعت الجوائز المختلفة على الطلاب المتفوقين .

● جرت امتحانات الكلية في جو من الثقة والالتزام التام بالروح الجامعية والجدية في الدراسة .

● اهدى السيد الحاج عدنان علبان الطالب في الصف الثالث من الكلية مبلغا قدره ستون دينارا مساهمة منه في شراء كتب لمكتبة بالكلية فمرحى مرحى ، وحيّ على خير العمل .

● ساهم كثير من أهل الخير ولا زالوا في تغطية عجز المجلة عن طريق العمل المنتج على جمع اشتراكات لها للسنة الخامسة ، ومطالبة الوكلاء الذين لم يراجعوا جهاز التوزيع والمحاسبة لحد الآن لتسديد ديون المجلة المترتبة بذممهم الى لزوم المراجعة وتسديد الدين دعما للمجلة ومساهمة منهم في رفع شأنها وابراز شأوها واعادة الحركة المالية اليها كي تنهض برسالتها بين الرسالات فالمجلة هي ملك للامة ، وليست للعاملين فيها ، والعاملون فيها وغيرهم في هذا سواء .

● تحتاج المجلة الى وكلاء للتوزيع وجمع الاشتراكات في أقطار الخليج العربي وبلاد العرب والمسلمين الاخرى فعلى من يجد فيه الكفاءة

والأمانة اللازمين مراجعتنا بالمراسلة لمعرفة شروط العمل .

● دعا السيد مدير المدارس السادة الافاضل أعضاء مجلس المدرسين للاجتماع برئاسة السيد فريد الاعرجي معاون الادارة وعضوية الاساتذة السيد كاصد الزيدي والسيد عبدالامير البدري والسيد شاكر عبدالزهرة والسيد محمد حسين عبدالكريم والسيد عبداللطيف حساني الخفاجي والسيد عبدالوهاب أمين والسيد عباس السعدي لمراجعة دفاتر الارشاد الخاصة بالمرشدين ودراسة التقدم الذي احرزته الثانوية في مختلف الاصعدة علميا واسلاميا وخلص مجلس المدرسين الى تثبيت النتائج وتقديم الهدايا العينية للفائزين الاوائل على اقرانهم في الدروس العلمية والاسلامية حسب الدرجات ، كما أقرت تقديم جوائز أخرى للطلاب المتازين في سلوكهم العام والذين عاونوا الادارة على انجاح رسالة المدرسة في المدرسة والمجتمع .

● شكل السيد مدير المدارس لجانا جديدة لتثبيت سياسة القبول للعام الدراسي ٧٢/٧١ القادم وفق اسس علمية وتربوية فقد تشكلت لجنتان هما :

١ ـ لجنة قبول عامة منبثقة عن مجلس المدرسين برئاسة السيد كاصد الزيدي وعضوية السيد محمد حسين عبدالكريم والسيد عبدالامير البدري والسيد ضياءالدين العسكري .

٢ ـ لجنة قبول خاصة منبثقة عن لجنة التوجيه الديني برئاسة فضيلة الشيخ عبدالجبار البصري وعضوية السيد عبدالرسول ما شاء الله والسيد عبدالرسول عبدالجليل والسيد جواد حسن طالب .

وستبدأ اللجان أعمالها اعتبارا من ١ـ٧ـ١٩٧١ حيث تكون نتائجها توصيات تخضع لاقرار وتصديق السيد مدير المدارس فالسيد رئيس

الجمعية حيث تأخذ بعد ذلك صيغتها النهائية دعما للمستويات العلمية والسلوكية للطلبة واسوة بما جرى عليه العمل في بعض المدارس الاهلية الخاصة .

● رفع مجلس المدرسين توصيات مؤيدة من قبل السيد مدير المدارس الى الاستاذ الكبير الحاج فرحان الغبان رئيس الجمعية ، تقضي باعفاء الطلاب الاوائل في الامتحانات النهائية للصفوف كافة من دفع الاجور المدرسية للعام الدراسي الجديد .

كما تقضي في البند الثاني منها اعفاء الطلاب الممتازين سلوكيا حسب تقرير المرشدين من هذه الاجور .

● اقرت رئاسة الجمعية التوصية التي رفعتها ادارة المدارس وامانة الصندوق حول منح المستخدمين كافة بدل كسوة قدره (١٠) دنانير لكل مستخدم من فراش وسائق وسائق ومراسل وقد تسلم هؤلاء هذا المبلغ على وجبتين رفعا لاقدارهم واهتماما بشؤونهم وتحقيقا لاهداف الجمعية في الارتفاع بمستوى عامليها دينيا ومعاشيا .

● منذ العام الدراسي الفائت ٦٩/٧٠ وحتى الآن وفرت الجمعية ضمانات المعيشة والتقاعد والترفيع والعلاوة وغلاء المعيشة لكافة مستخدميها وأعضاء الهيئات التدريسية والتعليمية سواء في الكلية ام المدارس تحقيقا لاهدافها في الخير وتطمينا لمستقبل الرعيل العامل فيها ..

كما فاتحت الجمعية مؤسسة الضمان الاجتماعي والتقاعد للعمال حول استكمال آخر الاجراءات الروتينية لموضوع صرف دفاتر ضمان لعامليها ، وهي بهذا جادة على خدمة أهدافها بهدوء وصمت وكان للبيت دائما رب يحميه وقلب يحرسه وعين تكلؤه .

● رفعت ادارة المدارس كتاب شكر وتقدير للسادة الحاج ناجح عبد هادي مدير المدرسة الابتدائية ومعاون مدير المدارس لشؤون

السيارات والسيد صبيح حمود التميمي مدير مدرسة الامام الكاظم (ع) والسيد فريد الاعرجي معاون مدير ثانوية الامام الجواد والسيد عبدالحسين الراضي معاون مدير مدرسة الامام الجواد الابتدائية والسادة أعضاء الهيئات التعليمية والتدريسية في المدارس كافة على ما بذلوه من جهد مخلص ومن تعاون ايجابي لرفع سمعة المدارس ورقيها والالتزام بخط سيرها وخطة نظامها .

● لا تزال ـ الدعوات التي وجهتها ادارة المدارس للسادة العلماء الاعلام (المراجع) وعلماء المسلمين في المناطق وخطباء المنبر الحسيني وأهل الفكر والفهم من رجالات الامة لزيارة المدارس والاطلاع على انجازاتها في حقول التربية والتعليم وتربية النشىء الجديد وفق خط القرآن قائمة حتى تقوم الساعة فهذه المدارس ـ كما نص عليه مبدأ تأسيسها ـ للامة كل الامة ، وليست للقائمين عليها حسب .

وقد تلقينا بعض الجوابات الكريمة خطتها انامل سادة الامة وقادة وعيها وتدينها الائمة الكبار ، مباركين العمل مثمنين الجهد الجهيد والاخلاص والتجرد اللذين هما السبب الاول والاخير لنجاح هذا المشروع واستمراره وديمومته رغم ضعف الامكانات ، ووهن الحيلة ، وهوانا على الناس ، ننشرها تباعا حسب تاريخ وصولها . وكما نشرنا في العدد (٩ ، ١٠) من السنة الرابعة النص الخطي لجواب سيدنا آية الله العظمى السيد يوسف الحكيم ايده الله كذلك يسرنا هنا ان ننشر النص الخطي لجواب سماحة آية الله العظمى الشيخ مرتضى آل ياسين رئيس جماعة العلماء ايده الله راجين ان نكون دائما ـ بتوجيه منه ودعم ودعاء ـ عند حسن ظنه ، عملاء لله ، عاملين على الخير ، خداما للرسالة .

كما سننشر في العدد القادم انشاء الله نص جواب سماحة آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر ايده الله .

نص الرسالة ، التوجيهية ، التي بعثها ، سماحة آية الله العظمى حجة الاسلام والمسلمين الشيخ مرتضى آل ياسين دام ظله الوارف ، يبارك بها العمل المنتج ، والجهد الخـــير ، في مشاريع جمعية الصندوق الخـــيري الاسلامي •

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المكرم الاستاذ المربي محمد عبد الساعدي المحترم

تحية مباركة طيبة مقرونة بأطيب التمنيات وابرّ الدعوات وبعد فقد تسلمت كتابكم الكريم المؤرخ ١٥ ذي القعده في الليلة الثالثة والعشرين من شهر صفر وما ادري ما الذي اوجب تأخيره طوال هذه المدة وكيف كان فليكن معلوما لديكم بانّي على يقين بانّ الأيدي القابضة على زمام مدارس الإمام الجواد (ع) هي من انزه الأيدي واوفرها برّا وطهرا وانّ الجهود المبذولة في تربية طلابها وتوجيههم نحو الحياة الفضلى التي تكسبهم مرضاة الله سبحانه وتعالى من افضل الجهود التي تبذل في مثل هذا السبيل لذلك فانّي لا اجد حاجة الى استطلاع حالها بواسطة المثل وحسبنا ان تكون هذه المدارس وديعة في مثل ايديكم الأمينه وانّ في اشرافكم عليها غنىً عن اشراف الآخرين وجزاكم الله عن جهودكم خير جزاء المحسنين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٧٠/٢٠٠٠/٩/٦/١٩٧١

مرتضى آل ياسين ٢٣/٤/١٣٩١هـ

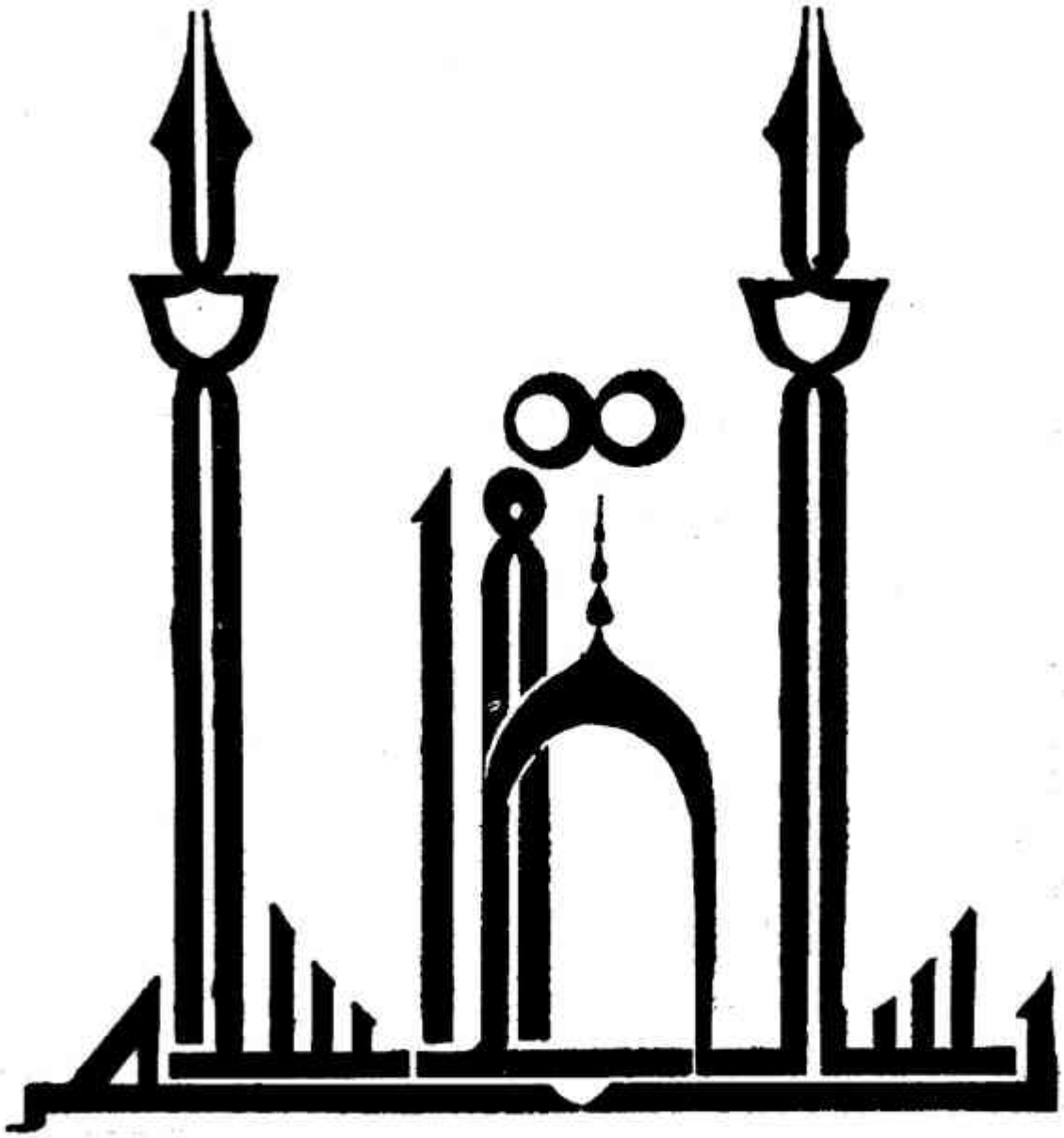

العدد الثالث والرابع السنة الخامسة ١ شوال ١٣٩١هـ
تشرين الثاني ١٩٧١م

مطبعة سلمان الاعظمي ـ بغداد

رسالة الاسلام

مجلة

فكرية تعنى بشؤون الفقه

واللغة العربية

تصدر عن

كلية أصول الدين

بغداد - الكرادة الشرقية

رئيس التحرير المسؤول

محمد الساعدي

المراسلات

لشؤون التحرير :

باسم رئيس التحرير

كلية أصول الدين - الكرادة الشرقية

لشؤون التوزيع :

باسم الشيخ علي حبيب الله

للشؤون المالية :

باسم محاسب الكلية

السيد مصطفى عبود العلياوي

بدل الاشتراك :

داخل العراق : دينار واحد

خارج العراق : دينار ونصف

للمؤسسات الرسمية : ديناران

الهواتف

٩٨٠٥٥

٩٤٥٢٢

٩٠٣٦٦

محتويات العدد

كلمة التحرير

اليوم العيد والعمل الجديد في حياة الامة ٥

التفسير في نهج البلاغة . . . ١٧

الرقابة الاجتماعية في الاسلام ٤٠

المواطنة في التشريع الاسلامي ٥٧

خميلة الادب

ياشباب التوحيد . . . ٧٠

خيام وخيانة . . . ٧٢

مناجاة . . . ٧٤

قصة قصيرة . . . ٧٦

من دروس المناقشة

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ٨٢

القراء يسألون . . . ٩٠

وظيفة المجتهد عند تعارض الادلة ٩٧

ضمان الاتلاف في الفقه الاسلامي ١٥٩

وموضوعات اخرى

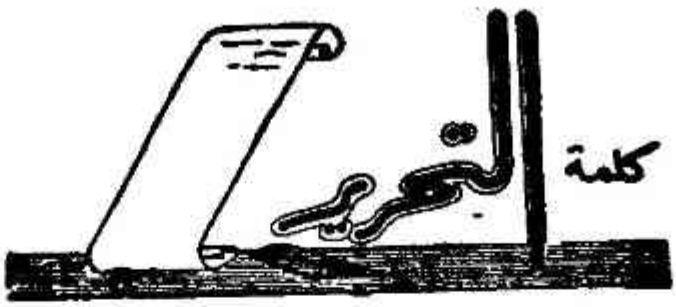

اليوم العيد
والعمل الجديد
في حياة الامة

محمد عبد الساعدي

ويتنفس الصبح .. ويتواجد الاناسي في اوضاعهم ويتعاملوا في موضوعاتهم .. فصل تمتزج فيه الضحكة بالبكاء .. ويختلط الالم منه بالامل .. وفصول تحكي قصد الانسان الفاعل في هذه الحياة ، الصانع لموضوعاتها ، المريد الواعي منذ ان اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ، والى ان يأذن الله بامر كان مفعولا . ايام تداول بين الناس يمحو الله ما شاء من فعل الانسان فيها ويثبت وعنده ام الكتاب .. ويلتفت لحل الحصاد فلن يجدوا من بقية ذي اثر لهذا الدوي كله الا العمل المنتج الذي يكتسب بالنية والرابطة بالله ، وصف « الصالح » ووظيفة « الخيري » .. عمل تافه في مساحته وحجمه مشدود الى الله بالنية الموجهة يعادل في حساب ـ لا يخضع لمقاييس الاوزان والحساب ـ عمل سبعين سنة مما تعدون .. وعمل هو الآخر افنى صاحبه واتعبه وهد منه القوى واستنفد فيه الحيل لكنه مفصول العروة بالله ، مشعوب النية والقصد هو في الحصيلة « الخيرية » كريش في هواء او كدخان في سماء .

تلك مقدمة تفرض نفسها دائما وسط سؤال طالما حيانا به الزمن العابر ٠٠ وهو يمسك بنا من عل ليسلمنا الى يوم آخر لا يختلف عن سابقه في زمنيته وساعته ٠٠ انما هو وسط زماني لافعال الانسان وتصرفاته كما كان المكان وسطا هو الآخر لحركات الانسان وتواجداته ويبقى السؤال بارزا ملحاحا وسط مجمل حركة اليوم والصبح والزمان ٠

لماذا تهتم الامم بالايام فتبرز عندها ايام تكاد تتميز فيها من الغيظ كما تبرز عندها ايام تكاد تطير فيها من الفرحة والانشراح ٠٠؟ وما وجه الارتباط بين رسم اليوم وفعله ٠٠ ولماذا كانت لها وكانت لنا ما يصطلح عليه بالعرف الاجتماعي « عيدا » وما وجه الاقتران بين « العيد » و « الجديد » ٠٠؟

ـ ١ ـ

انا وانت والآخرون ٠٠ يوم كنا صغارا نصفق للحياة الحلوة الخالية من رتوش الاهتمامات المسؤولة والمردودات الخئونة ٠ ٠

انا وانت والآخرون كنا لا نعي من العيد الا المظهر ، حيث تلبس الحياة في اعيننا « الجديد » فالبيوتات لم تعد في مثل هذا اليوم هي نفسها لقد غيرت نفسها وافترشها الحبور ، فزغاريد الطيور وضحكات الاصحاب وهمسات الخلان ووحيف الشجر وخفيف المارة كل اولئك تجد لها موقعا في يوم يسمى في عرفنا « عيدا » ٠

ثم تطور هذا المظهر مع فعل الفاعلين في تاريخ هذه الامة وليس بفعل الزمن ـ كما يصورون ـ فهو هنا غير مريد ولا فاعل ٠٠ فصار هذا « المظهر » هو الكل في العيد ٠٠ بل صار ايضا هو الكل في حياة « الكبار » بل و « المجتمعات » كما كان هو الكل سابقا في حياتنا يوم كنا صغارا انا ٠٠ وانت ٠٠ والآخرون ٠

فماذا جرى ٠٠؟

صار موسما « مباحا » لتشريع شرائع تبيح ما تنكره شرائع ما قبل العيد ، وصار نقطة بداية لوضع اعراف جديدة تكتسب بدوراته الزمنية طابع « التكرار » و « العمل » و « التقادم » وهي شروط لازمة لاسباغ وصف المشروعية على نوعية التعامل « المعروف » لان المعروف عرفا كالمشروط شرطا ـ كما يقول الفقهاء ـ ٠

ذلكم هو المظهر الذي ضـاع ولحسابه مع الاسف وضمن شـروط لا تسمح للرؤية السليمة لمفهوم العيد « جوهر » العيد ومضمونه ٠

- ٢ -

مفهـوم العيـد :

العيد يا اخي ٠٠ في مفهومنا مظهر وجوهر يرتبطان معا في معادلة عبادية ناتجها يوم بين عهدين ٠٠ ولكن لا كسائر الايام التي تفصل بين عهدين ، يوم يتجدد ويعود فكان لنا ، لي ، ولك ، وللآخرين ، عيداً يعود مع الدورة القمرية وتعود معه الدورة الحضارية التي يصنعها انسان هذا العيد وينفخ فيها من وعيه وروحه وارادته ما يطبعها ٠٠ « بالجديد » دائما ٠٠

ولم يكـن هـذا اليـوم الـذي يتوسـط بين عهـدين يومـا زمنيـا بقـدر مـا يـكون يومـا حضـاريا لذلـك قد يستوعب الثلاثة او الاربعـة من ايـام الزمن ٠٠ ومـع ذلـك فهو يوم عيـد بـل هو عهد جديد وعقد فريد ٠٠ يتعاهد فيه انسان العيد مع ربه في ان يستثمر عطاء العهد المسؤول فتتجدد فيه بيعة لله ولرسوله ولائمة المؤمنين وعامتهم بيعة « التناصح الاجتماعي » « الدين النصيحة ، الدين النصيحة قيل لمن يارسول الله قالَ لله ولرسوله ولأئمة المسـلمين وعامتهم » ٠٠ وبيعـة « الحماية » « كلكم راع وكلـكم مسـؤول عن رعيتـه » التزام بل تجديد للالتزام بحماية المجتمع من اوضار عاداته وحماية الامة من مهلكات الاجتماع وحماية « الفرد » من بطش القوي وجبروت السلطان ٠

وبيعة « النصرة » « انصر اخاك ظالما او مظلوما » ٠٠ ان تجـدد لـه مفهوم النصرة حيث هو ظالم فتمنعه من ظلم الآخرين ٠٠ وحيث هو مظلوم فتحبس نفسك ومعارفك وجاهك لرد ظلامته وكسر شوكة ظالميه ٠٠ من هنا اقترنت مناسـبة العيـد في الاسـلام بالعبـادة ومن هنـا لم تـكن ايام غير مقترنة بالعبادة وان عظمت مناسباتها في عرف الاسلام اعيادا كمولد النبي وذكرى المبعث وغيرها ٠٠ وانما هي مناسبات وذكريات عظيمة ٠

عيـدان ..
عيد الفطر المبارك
عيد الاضحى المبارك

وانت .. انت يا اخي .. تذكر جيدا ان عيد الفطر المبارك هو اليوم الاول من ايام الفطر الذي يختم به الصائمون صومهم كما ان عيد الاضحى المبارك هو اليوم الذي يختم فيه الحجيج مراسيم واعمال الحج المبارك .

انه في واقعه اذن فرحة « اداء الواجب » وعهد لله بالاستمرار عليـــه والالتزام بآدابه واخلاقه كي يعيش المجتمع بعد ذلك عطاء « الاداء » لـدى الفرد والمجتمع معا وهو ما يكون الارضية الايمانيـــة ويشـــكل الصبغة الاساسية للشخصية الاسلامية الملتزمة وهو ما ينشـد الهادف الشـرعي تحقيقها من وراء الفرائض والعبادات كلها .

وليس ثمة شيء يفرح الانسان اكثر من ان يرى ناتج التزاماتـــه ويلمس عمليا حصاد طاعته واعتقاداته فهي اذن فرحة كبرى وسعادة مشروطة بالتجديد في يوم العيد .. دعاء سعيد في يوم عيد ولعل الحديث الشريف يشير الى ذلك حيث يرتب للصائم فرحتين « للصائم فرحتان فرحـة عنـد افطاره وفرحة عند لقاء ربه » انها فرحة اداء الواجب حيث يفرح الانسان حيث مكنه الله ان لبى نداءه بالالتزام بفرضه والانصياع لامره والاستجابة لحكمه وفرحة « لقاء ربه » حيث استثمر ضيافته ونال رضاه وهي فرحـــة النتيجة بعد ان كانت الاولى فرحة التمكن للعمل والتوفر عليه وليس منا لم يفرح لنتيجة عمله ومن يشمخ برأسه عارضا وثيقـة النجـاح مطالعـا بها اخداده ولذاته واترابه واعداءه على حد سواء .

ثم وهو في هذه الحالة يزداد فرحا وحبورا حينما « يوظف » شهادته لخدمة مجتمعه ولصالح نفسه او توظف « شهادته » لهذه المهمة الصالحة .

واذا كان الانسان المسلم يعيش في مثل هذه الايام « فرحة » فان هذه الفرحة تختلف سعة وكبرا تبعا للجهد والمقولات الجهاديـــة التي يكتسب فاعليتها انسان الرسالة عبر معاناته العملية للممارسات العبادية المشروطة لدينك العبادتين .

والفرحة هي السمة البارزة التي تصبغ الحياة في مثل هذا اليوم .. وليست العطلة او الترويح وان كانتا من لوازم الفرحة .

ومن هنا لم تكن (يوم الجمعة) وهي المناسبة الاسبوعية للترويح في شريعة الاسلام حيث يتفرغ فيها الانسان لمراجعة نفسه عما قدمه وعما ينبغي ان يقدمه خلال ايام الاسبوع الستة ، لم تكن والحالة هذه في شرع الاسلام عيدا .

واذا كان يوم الجمعة هو يوم « المراجعة » وفرصة للتفرغ للعبادة من هناء الايام الستة من عمر الانسان فان يوم العيد في الاسلام ليست كذلك بالضبط بل انها تاتي بعد رحلة من العمل العبادي فرصة تعبير وتجديد وليست فرصة ترويح ومراجعة فحسب فرصة يعبر بواسطتها الانسان المسلم عن تمام فرحته المرتبطة باكمال واجب عبادي وتحقيق الطاعة لله ولرسوله كما هي في ذات الوقت تعبير جماعي عن الشكر لله على هدايته لدينه والتوفيق لما دعا اليه من سبيله .

« ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » .

ومن هنا نفهم سر تشريع خطبة الجمعة قبل الصلاة بينما شرعت خطبتا العيدين بعد الصلاة مباشرة .. تاكيدا للارتباط العضوي بين مفهوم العبادة وواجبات ولطلعات هذا اليوم « العيد » في حياة الامة فقدمت الصلاة على الخطبة تعريفا لشريعيا ينسجم وخاصية العبادة في هذا اليوم .. اما هناك فقدمت الخطبة على الصلاة ذلك ان من دلالات الخطبة عموما الشكر على نعمة العبادة والدعاء بالقبول وبث اللوعات واستمطار الرحمات وهي امور يمارسها انسان الاسلام ضمن واجباته العبادية كما يمارسها في غيرها ممالم تكن في مفهوم التشريع عبادة بالمعنى الخاص « ولتكملوا العده ولتكبروا الله على ما هداكم » كل ذلك تبيان واضح لفكرة العبادة في يوم العيد حيث تفتتح الخطبة هنا بـ « الله اكبر » وتختم بـ « الحمد لله » لتمهد لامر عظيم لبلاغات النصح والارشاد وفي فهم معطيات العبادة وواجبات العابدين واخلاقيتهم وحينما كان التكبير كان التذكير وكان الفتح والتحرير « ولعلكم تشكرون » .

والانسان المسلم وكذلك المجتمع المسلم يعبر بواسطة الخطبة وادعيتها عن الشكر الجماعي لله سبحانه .

وهكذا .. بعد تكبير الله ربطت الآية الكريمة شكره على ما انعم .. اما في خطبة الجمعة فانها تفتح بـ « الحمد لله » حيث انها باب العبادة الجديدة ومعراج العبادة الاولى ثم تختتم بـ « الله اكبر » استعدادا وتهيئا للعبادة وهي « اقامة الصلاة » .

« الله اكبر » شعار العيد في الاسلام حيث ندب الاسلام ـ كما جاء في بعض الآثار ـ احياء ليلة العيدين بالذكر والتكبير والدعاء والاستغفار وقراءة القرآن .

ـ ٥ ـ

مدلولات اخرى :

وللعيد مدلولات اخرى فهو فرصة الاتصال الجماعي بالله لمعاهدته على تطبيق ما استفادة الانسان المسلم من ضيافته « في الصوم » او ما تحصل عليه من مكاسب روحية ومادية من زيارة بيته « في الحج » في صلاة جامعة يحضرها المسلمون تعرف باسم صلاة العيدين .. وهي فرصة اتصال جماعي بالجماعة المؤمنة في مواضعة اجتماعية يتبادل فيها المسلمون الوانا من العواطف والاستمتاع برزق الله الحلال والتطيب باطايب الحياة .

ولعل ما يتمم مفهوم العبادية في العيد ان زكاة الفطرة تجد مناسبتها الشرعية في هذا اليوم (عيد الفطر المبارك) كفريضة واجبة على المسلمين اعمالا للمشاركة الاجتماعية في رفع مستوى فقراء الامة حتى لا تاكل الحاجة الى الخبز « صبرهم » الذي استفادوه ولا يستغرق « الخبز » تفكيرهم الذي عمق الصوم غايته .

وكذا فان نحر الاضاحي وبعث القرابين الى الله اعمالا للمعاناة على التضحية والتمرس فيها حتى لا يوقف الدم حس الفداء فيهم او يجردوا عن قصد القربة ومحتوى القربان في ثوراتهم .

امتحان وشهادة :

واذا كان المسلم الفرد قد اكتسب في يوم عيد الفطر المبارك وصف الصائم فانه يكتسب في يوم الاضحى وصف الحاج وليس هذا الاكتساب الجديد في مثل هذين اليومين بالشيء العابر في حياة انسان العبادتين وسلوكه فان في يوم العيد هذا يضع الانسان نفسه وجها لوجه امام حقوقه وواجباته ليختبر « شهادته » التي حصل عليها بعد رحلة عبادية في سبيلها

وليمتحن كفاءته الايمانية وفاعليته في استثمار عطاء تلك الشهادة او فاعلية تلك الشهادة لديه ٠

ان وراء الامتثال لطاعة الله في تشريعاته جميعا (صوما وصلاة وحجا وزكاة) اخلاقية حرص الاسلام على تربيتها في نفسية الانسان المسلم وتعميقها في وجداناته ٠

دلالة البراءة من الجاهلية :

واذا كان يوم الفطر المبارك يعطي دلالة « البراءة والاستنكار » للواقع المظلم المتمثل في البناء العضوي والفكري « للجاهلية الاولى » والتي تمثله الجاهليات البديلة على مدى الزمان والمكان ٠ « كتاب انزلناه اليك ، لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد » ٠

ذلك ان « الانزال » وهي العملية التي تواجدت في شهر رمضان المبارك لترسم « قدرا » عظيما للمسلمين في ليلة كانت عند الله « خيرا » من الف شهر لتبني فكرة النور في شخصية القائد المعصوم شهدت ساعاتها واقعة « الانزال » في تظاهره من نوع خاص دون لها تاريخ الرسالة تظاهرة رعاية وتسديد وتظاهرة حماية وتاييد يشترك فيها الروح والملائكة باذن ربهم من كل امر سلام هي حتى مطلع الفجر ٠٠ اذا كان يوم الفطر المبارك كذلك فان يوم الاضحى المبارك هو الآخر يحمل دلالة البراءة والاستنكار من الله ورسوله ولكن ليس في مواجهة الظلام الجاهلي والردات الحضارية العالية حسب بل براءة واستنكار في مواجهة شخصيات تلك الجاهلية وادوات ذلك الواقع المباد ٠

« براءه من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله » ٠٠ واذا كان البلاغ هناك قد تبلغ به القائد الاعظم محمد (ص) وسط دوي مبارك يتناسب مع ثقل المهمة وعظمة الانزال عن طريق الوحي ٠٠ فان البلاغ هنا صدع به القائد الامين ليبرز شاخصا امام الامة بدعوته ٠

واذا كان البلاغ هناك قد بلغه الوحي للرسول القائد فان البلاغ هنا صدع به القائد الامين محمد (ص) ليبرز شاخصا امام الامة بدعوته (واصدع بما تؤمر واعرض عن الجاهلين) ٠

او منيبا عنه وزيره وتلميذ مدرسته القيادية الامام علي (ع) ليسمع الحجيج بلاغا صادرا عن القيادة المعصومة لركب الرسالة .

يقف علي بن ابي طالب في تظاهرة ايضا - ولكن من المؤمنين - يشترك فيها امة من المسلمين اختلفوا الى البيت من جهات مختلفة ليؤدوا مناسك الحج في طهارة نفس وصفاء روح .

يتلو عليهم .. هذه البراءة ويقرر هنا الانفصام والانفصال بين شخصيتين : شخصية المسلم المؤمن بالله ورسالة محمد ، وشخصية الكافر المتمسك باهداب الجاهلية المعاند المنغلق امام النور الجديد .

« يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون » وما كانت انابة النبي محمد (ص) لعلي بن ابي طالب سلام الله عليه بالامر العادي .. وكل احداث هذه الساعات كانت تحمل الدلالات التي هي بمستوى الرسالة .. بل كان ذلك اسلوبا من الرسول للفت نظر الامة في هذا الموكب الغفير الى نيابته وفي هذا المجال خصوصا وان ذلك جرى بعد بيعة القيادة والحكومة له على رؤوس الاشهاد في « غدير خم » .. البيعة التي عرفت فيما بعد ببيعة يوم الغدير والتي صار فيها علي اميرا للمؤمنين وراح كبار الصحابة وعلية المجتمع يبادرونه باهداء التهاني له .. اذ نال اكليل القيادة .. اذ تقدم الصحابة بينهم ابو بكر وعمر وبادره عمر مصافحا : « هنيئا يا ابن ابي طالب .. اصبحت وامسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة .. كما يذكره الامام احمد في مسنده .. والخطيب البغدادي في تاريخه وكذلك السيرة الحلبية والسيوطي في الدر المنثور فضلا عما ذكره الامامية عن طرقهم المتعددة.

واذا كان عيد الفطر المبارك .. رمزا للبراءة من الفكر الجاهلي والوجود الكافر ودعوة الى الفكر النير والواقع المنير فان في احدى دلالات يوم الاضحى المبارك اروع معاني الرمزية للبراءة من اشخاص الجاهلين والكافرين وتقرير مبدأ « العزل الاجتماعي » في مواجهتهم .

« وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون » .

رئيس التحرير

الشبهة حول اعجاز القرآن

محمد باقر الحكيم

الخلاصة :

النقطة الاساسية التى يستند اليها الاعجاز القرآني هو عدم قدرة
ل معارضته رغم تحدي القرآن الكريم لهم مرة تلو الاخرى • ولكن
العرب حقيقة لم يكونوا قادرين على معارضته ؟! أو أن اسبابا اخرى
هي التي منعتهم عن تحقيق هذه المعارضة ؟!•

لفرض الشبهة ـ بصدد الجواب عن هذا التساؤل ـ عوامل معينة
ين تحقيق هذه المعارضة وهذه العوامل هي :ـ

ن العرب الذين عاصروا الدعوة أو تأخروا عنهـا بزمن قليل لم
ا القرآن الكريم خوفا على انفسهم وأموالهم من المعارضة بسبب سيطرة
، الدينية على الحكم • ومحاربتهم كل من يعادي الاسلام او يظهر
، معه • ولاشك ان معارضة القرآن تعتبر في نظر الحكم من أبرز
اعداء والمخالفة •

حين انتهت السلطة الى الامويين الذين لم يكونوا مهتمين بالحفاظ على
م والالتزام به الامر الذي كان يفسح المجال لمن يريد ان يعارض
. الكريم ان يظهر معارضته •• كان القرآن في ذلك الحين قد أصبح

أمراً معروفاً في حياة الامة مألوفاً لديها بأسلوبه وطريقة عرضه بسبب رشاقة ألفاظه ومتانة معانيه فانصرف الناس عن التفكير بمعارضته لانه أصبح من المرتكزات الموروثة لهم .

ويمكن مناقشة هذه الشبهة بملاحظة النقاط التالية :

اولا : ان تحدي القرآن الكريم للمشركين كان منذ بداية الدعوة وفي الفترة التي كان الاسلام فيها ضعيفا تجاه قوة المشركين . وبالرغم من ذلك لم يستطع احد من بلغاء العرب ان يقوم بهذه المعارضة .

ثانيا : ان سيطرة الاسلام في اواخر عصر النبي (ص) وعصر الخلفاء الاربعة الذي جاءوا الى الحكم من بعده لم تكن تعني منع الكفار من اظهار كفرهم . فقد اقر الاسلام جماعات من الكفار على دياناتهم كما حدث ذلك لاهل الكتاب حيث كانوا يعيشون في ظل الدولة الاسلامية في طمأنينة ورفاهيه لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم . فلو كان واحد من هؤلاء قادراً على الاتيان بمثل القرآن الكريم لتصدى لمعارضته والانتصار لديانته على الاسلام .

ثالثاً : ان افتراض الخوف من المعارضة نتيجة للسيطرة الاسلامية انما يمنع من اظهار المعارضة للقرآن الكريم واعلانها . واما المعارضة السرية فقد كان من الممكن ان تتم ضمن الحدود الخاصة للمعارضين من اصحاب هذه الديانات دون ان تكون لها نتائج مضادة ولو كان من الممكن بمثل القرآن الكريم لامكن لهؤلاء ان يعارضوه ثم ينتظروا الفرصة السانحة لاظهار هذه المعارضة . خصوصاً اذا لاحظنا ان اهل الكتاب لازالوا يحتفظون بمجموعة من النصوص الدينية ويتداولونها مع أنها تتعارض مع القرآن الكريم .

رابعاً : من الملاحظ عادة ان الكلام مهما بلغ من رتبة عالية في البلاغة ومتانة الاسلوب وقوته فانه يصبح كلاماً عادياً اذا تكرر سماعه ولذلك نرى القصيدة البليغة تصبح عادية عندما يتكرر القاؤها عدة مرات بحيث قد تبدو قصيدة اخرى اقل منها بلاغة انها ابلغ منها بسبب عدم تكرارها • وهذا يعني ان الالفه والانس بالقرآن الكريم ـ لو كان كلاماً عادياً ـ تدعو الى ان يصبح ايسر على المعارضة والاتيان بمثله لا ان ينصرف الناس عن التفكير بمعارضته نتيجة لانسهم به بالرغم من تحديه المستمر لهم وتعاليهم عليه •

الشبهه السادسة :

ان القرآن ليس معجزة وان كان يعجز جميع البشر عن الاتيان بمثله لأن المعجزة يجب ان تكون صالحة لأن يتعرف جميع الناس على جوانب التحدي فيها لأنها دليل النبوة التي يراد بواسطتها اثبات النبوة لهم • والكلام البليغ لا يكفي في اعجازه عجز الناس عن الاتيان بمثله لا من معرفة جوانب التحدي والاعجاز فيه ، من بلاغته وسمو التعبير فيه لا تتوفر الا للخاصة منهم الذين يمارسون الكلام العربي ويعرفون دقائق تركيبه وميزاته •

ويمكن ان تناقش هذه الشبهه بالمناقشات التالية :

الاولى : ان هذه الشبهه تتضمن في الحقيقة اعترافاً بالاعجاز القرآني الا انها تحاول التهرب من ذلك باعطاء المعجزة طابعاً خاصاً يرتبط بمدى دلالتها على دعوى النبوه • فالشبهه لا تناقش الاعجاز من ناحية النقص في التركيب والمضمون القرآني وعدم ارتفاعه الى مستوى التحدي وانما تناقشه من زاوية قدرة الناس على فهم هذا الاعجاز واستيعابه •

الثانية : ان طريق الايمان بالمعجزة لا يتوقف على معرفتها عن طريق التجربة الشخصية المباشرة لها وانما يمكن ان يتحقق عن طريق معرفة

ذوي الاختصاص والخبرة من الناس ، الشيء الذي يجعلنا نصدق بالمعجزة ، وهذا هو السبيل الوحيد لايماننا بكثير من حقائق الكون وخصائص عـــالم الطبيعة حيث يحصل لنا اليقين بهـا عن طريق معرفـــة ذوي الاختصاص واخبارهم لنا بذلك بشكل لا يداخله الريب او الشك .

فحين يقف العرب اجمع وذوي الاختصاص من الدارسـين والعلمـــاء باتجاهاتهم المختلفة امام القرآن الكريم ويعترفون بخصائصه الاعجازيـــة لا يبقى امامنا شك في اعجاز القرآن وارتباطه بالسماء .

الثالثة : ان فكرة الاعجاز في القرآن الكريم من الممـكن ان تشـرح وتوضح على نطاق واسع وليست ما يتعسر فيها ذلك فيفهما الناس على حـد سواء ، العربي منهم وغير العربي وذي الاختصاص وغيرهم لان اعجـــاز القرآن لا يختص بالجانب البلاغي من اسلوبه بل هو المعجزة الخالدة التي لا تفنى والتى لا تختص بامة دون اخرى .

وقد اشـرنا الى بعض الجوانب في الاعجـــاز القرآني التى لا ترتبط باسلوبه وبلاغته في ابحاثنا السابقة من علوم القرآن[1] .

---

(١) منهج السنة الاولى من محاضرات علوم القرآن الكريم (لكلية اصول الدين) اعتمدنا بصورة رئيسية في عرض الشبهات ومناقشتها عـــلى دراسة السيد الخوئى دام ظله في كتابه البيان في تفسير القرآن .

التفسير في نهج البلاغة

كاصد الزيدي

ماجستير في الآداب « الدراسات القرآنية »

حفل نهج البلاغة بألوان من الفنون الادبية ، والعلوم الدينية . ويستطيع الباحث أن يتبين ذلك بجلاء فيه . ومن هذه العلوم ذات السمة الدينية « علم التفسير » ، الذي يعد الامام عليه السلام بحق من أوائل المهتمين به ، ومن الصحابة المقدمين الذين روي عنهم معاني كتاب الله الكريم[1] بثقة واطمئنان كبيرين .

والتفسير في هذا الكتاب القيم ، وان لم يكن غرضاً مقصوداً لذاته ، الا أنه يمكن أن يرى من خلال تعبيراته ، ويتبين من ثنايا خطبه وكلماته . فيكون بذلك فضلا عن شهرته الادبية البلاغية ، مصدراً من مصادر التفسير القرآني ، في أولى مراحله ، يلقي أضواء على كثير من آي الكتاب العزيز ، فيكشف عن معانيها ، ويحدد مفهومات ألفاظها ، ومدلولات تراكيبها .

ونستطيع أن نتبين من خلال هذا التفسير الذي ضمه كتاب النهج ، منهجاً متميزاً ذا معالم واضحة للامام في تفسير الكتاب المبين ، وتبيان معانيه ، وهذا المنهج يتناول في خطوطه الاساسية مسائل متنوعة أبينها :

---

(١) ينظر : الزركشي : البرهان في علوم القرآن ٢/١٥٧ بتحقيق أبي الفضل ابراهيم .

مصدر علم الامام في التفسير ، وجهوده فيه :

ينص نهج البلاغة على أن علم الامام في التفسير ، كان مصدره النبي (ص) ، ويتبين منه أن الامام عليه السلام كان تلميذاً ممتازاً لرسول الرحمة والهداية ، يتلقى عنه ما ينطق به من تفسير للآي ، في وعي دائم ، واهتمام شديد ، ويقظة تامة . فيحفظ ذلك عنه ويعيه . وقد مهد له سبل النجاح ، طول ملازمته له ، وتعلقه به ، وكلفه في أن يتعلم منه ، ويأخذ عنه ، منذ أن كان يافعاً حتى صار رجلا ، ناهيك عن الفطرة السليمة ، والروح النقية المتفتحة ، والعناية الخاصة التي يوليها اياه رسول الله (ص). فكان لذلك تحوطه النفحات الربانية ، وهو في بيت النبوة الطاهر ، بذلك النور الدافق ، والفكر الرائق .

وقد حدث الامام عن هذا الموضوع ، موضوع أخذه التفسير عن رسول الله (ص) في احدى كلماته فقال :

« وليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يسأله ويستفهمه ، حتى ان كانوا ليحبون أن يجيء الاعرابي والطارىء ، فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا . وكان لا يمر بي من ذلك شيء الا سألت عنه وحفظته .. »[٢] .

وأيضا ، فان في نهج البلاغة اشارة الى جهود الامام في تعليم التفسير ونشره بين المسلمين . ولابد أن يكون الامر كذلك ، فان ايصاء الامام المسلمين بالالتزام بكتاب الله والعناية به والسير على هديه ، أمر يلحظ في مواضع كثيرة من خطبه وكلماته[٣] . والقرآن كما فهمه المسلمون الاوائل

---

(٢) نهج البلاغة : شرح الامام محمد عبده ٢/٢١٦ .

(٣) فمن مثله قوله الى الحارث الهمداني : « استمسك بحبل القرآن واستنصحه واحل حلاله وحرم حرامه » : ٣/١٤١ من شرح محمد عبده . وانظر غيره أيضا في : ٢/٢٣ و ٢/١٣٣ .. من المصدر نفسه.

لم ينزل ليقرأ فحسب ، بل ليفهم ويتدبر ويعمل به ، فمن المعقول اذاً أن يكون اهتمام الامام بتفسيره صنو اهتمامه بالعمل به ، واقتفاء أثره .

أما ذكر هذا التعليم والمدارسة القرآنية ، فقد ورد في أحدى خطبه التي يلوم فيها أصحابه ، فيقول :

« قد دارستكم القرآن ، وفاتحتكم الحجاج ، وعرفتكم ما أنكرتم ، وسوغتكم ما مججتم ، لو كان الأعمى يلحظ ، أو النائم يستيقظ .. »[٤].

قال الاستاذ الامام محمد عبده في شرحه لعبارة : « قد دارستكم الكتاب » « أي قرأت عليكم القرآن تعليماً وتفهيماً »[٥] .

مفهوم التفسير والتاويل :

وقد عبر في نهج البلاغة عن تبيان معاني القرآن والكشف عنها ، تارة « بالتفسير » وأخرى « بالتأويل » ، ولكل تعبير حده ومفهومه :

(أ) فقد ورد ذكر « التفسير » في احدى خطب الامام اذ يصف المؤمنين وحالهم عند حلول الفتن ونزول المحن والتي جاء فيها قوله : « .. تجلى بالتنزيل أبصارهم ، ويرمى بالتفسير في مسامعهم »[٦] فاذا تأملنا في هذا النص وجدنا أن مفهوم التفسير فيه لا يكتفي بالكشف عن معاني القرآن بحسب اللغة العربية ودلالات ألفاظها وتراكيبها فحسب ، بل انه يتناول نوعاً خاصاً منه يمكن أن نطلق عليه اسم « التفسير الالهامي » ، وهو ذلك النوع من التفسير الذي يقذف به الله سبحانه في قلوب المؤمنين ، فينكشف لها من معاني الكتاب الحكيم ومراميه ، ما كان خافياً عليها وعلى

---

(٤) ١٢٢/٢ من شرح محمد عبده .

(٥) المصدر نفسه : المكان نفسه .

(٦) ٤٧/٢ من شرح محمد عبده .

غيرها . ولابد أن يكون هذا التفسير خاصاً بالصفوة المختارة التي يجتبيها الله سبحانه في كل عصر ومصر ، لتكون منارا للناس في تبيان معاني كتاب الله المبين(*) .

ولعل هذا ايضا يرمز الى ما يسمى بالتفسير « الباطن » يقول الدكتور محمد حسين الذهبي وهو يتحدث عن هذا النوع من التفسير :

« .. أما المعنى الباطن ، فلا يكفي فيه الجريان على اللسان العربي وحده بل لابد فيه مع ذلك من نور يقذفه الله تعالى في قلب الانسان يصير به نافذ البصيرة سليم التفكير .. »(٧) .

(ب) وقد يعبر عن التفسير في نهج البلاغة بلفظة « التأويل » كالذي ورد في وصية الامام لابنه الحسن عليهما السلام اذ يقول : « .. وأن امتدلك بتعليم كتاب الله وتأويله » ، ولا يراد به في هذه الحال التصدي في الكشف عن معاني القرآن ، بل قد يراد به الاستنباط ، والافصاح عما انغلق من المعنى(٨) ، فهو صرف اللفظ الى ما يؤول اليه ، فكأن المفسر ناقل والمؤول مستنبط ، وذلك كاستنباط الاحكام ، وبيان المجمل ، وتخصيص العموم وأمثال ذلك(٩) . وبعبارة اخرى ان في التأويل قدراً من الاجتهاد الا أنه مبني على شواهد وأدلة معتبرة كافية . ولهذا فانه مقصور على أهل العلم ومجتهدي الامة ولا يجوز لغير هؤلاء ممارسته أو ادعاءه . وقد ندب اليه

(*) قال الزركشي في (البرهان) : « اللطائف والحقائق لا يفهمها الا من ألقى السمع وهو شهيد » ٢/١٥٣ .

(٧) ينظر مقال الدكتور الذهبي : في مجلة « الوعي الاسلامي » العدد ٧٦ لسنة ٧١ ص٤٣ .

(٨) ينظر : الزركشي : البرهان ٢/١٥٠ لمعرفة المراد بالتأويل وما قاله العلماء في مفهومه عند كلامهم على الفرق بين التفسير والتأويل .

(٩) ينظر الفرق بين المفسر والمؤول أيضا في البرهان ٢/١٦٦ .

القرآن الكريم بقوله : « لعلمه الذين يستنبطونه منهم » النساء : ٨٣ ولفظة « التأويل » بهذا المعنى ، متعارف عليها في مصنفات قدامى المفسرين ، وبخاصة الطبري الذي يكثر من ايراد هذه اللفظة في مواضع كثيرة من تفسيره الضخم .

وقد أوردها جملة منهم في أسماء تفاسيرهم ، كأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري في تفسيره القيم : « الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل » ، وكأبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي في تفسيره المشهور بتفسير النسفي ، وكان قد سماه كما أوضح ذلك في مقدمته : « مدارك التنزيل وحقائق التأويل » ..

(ح) و « للتأويل » في نهج البلاغة مفهوم آخر مباين لمفهومه السابق، وهو صرف معاني القرآن الى غير ما هي له ، وحملها على الرأي والهوى وعلى ما يعتقده المرء ويريده . وذلك مالا يرتضيه العلماء ولا يقبله الاتقياء . وهو التأويل المخالف للشرع على حد تعبير الزركشي في برهانه[١٠]. فهو محظور لانه تأويل الجاهلين .

وقد ورد ذكر هذا النوع من التأويل الذي ذمه الامام ورأى فيه زيغاً عن السبيل القويمة في الكشف عن معاني كتاب الله ، في كتاب بعث به الى بعضهم يقول فيه :

« .. وقد ابتلاني الله بك وابتلاك بي ، فجعل أحدنا حجة على الأخر، فعاوت على الدنيا بتأويل القرآن ، فطلبتني بمالم تجن يدي ولا لساني ، وعصبته أنت وأهل الشام بي ... »[١١] .

---

(١٠) ٢/١٥٢ .

(١١) المصدر نفسه ، المكان نفسه .

(١١) ٣/١٢٣-١٢٤ من شرح محمد عبده .

قال الشيخ محمد عبده رحمه الله في شرحه :

« وتأويل القرآن صرف قوله : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص » و « لكم في القصاص حياة » ، وتحويله الى غير معناه ، حيث أفتى أهل الشام أن هذا النص يخول معاوية الحق في الطلب بدم عثمان أمير المؤمنين »[١٣] .

انواع التفسير :

والتفسير في نهج البلاغة نوعان رئيسان : ما يتناول « المفردات » ، ويشمل « غريب القرآن » و « مبهماته » . وما يتناول التراكيب والعبارات والآيات . ولابد من بيان ذلك بشيء من التفصيل :

(١) تفسير المفردات :

(أ) تفسير الغريب : يقصد بالغريب ما يحتاج من المفردات القرآنية الى شرح وتفسير . وقد عني به المهتمون بالدراسات القرآنية قديماً وحديثاً ، فألفوا فيه الكتب . ومن أشهرهم الراغب الاصفهاني ومحمد بن عزيز السجستاني ، ولهذا النوع من التفسير ، بوادر تلحظ في نهج البلاغة ، كتفسير لفظتي « العدل » و « الاحسان » الواردتين في قوله تعالى : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان .. »[١٤] : « بالانصاف » و « التفضل »[١٥] .

---

(١٢) المصدر نفسه ، المكان نفسه .

(١٤) النحل : ٩٠

(١٥) ٢٠٤/٣ من شرح محمد عبده .

وكتفسير « العاكف » : بالمقيم ، و « البادي » : بالذي يحج البيت من غير أهله[16] . في قوله تعالى : « سواء العاكف فيه والباد »[17] .

(ب) تفسير المبهمات : وتزداد الفائدة عمقاً حين يعمل نهج البلاغة على الكشف عن « مبهم » من « مبهمات القرآن(*) » وتحديد معناه . وبيان المراد منه ، فيضع أيدينا على ما يصبو اليه المفسر عادة من ايجاد الدليل المطمئن لهذا التحديد ، وهذا البيان .

فاذا علمنا أن المبهمات القرآنية كثيراً ما تتشعب الاقوال في ماهيتها ، وتتضارب في المراد منها ، حتى انها قد تشوبها الاسرائيليات والنصرانيات والروايات الضعيفة والمختلقة ، تبين لنا الى أي مدى تسهم الرواية الموثوقة في وضع حد لهذه التشعبات والتكهنات ، وايجاد الاطمئنان في تفسير المبهم القرآني . مع العلم بأن القطع في ماهية المبهمات القرآنية لا يجوز ـ بحسب أصول التفسير وقواعده ـ الا بدليل قطعي من كتاب أو سنة .

---

(١٦) ٣/١٤٠ من المصدر نفسه .

(١٧) الحج : ٢٥

(*) يراد « بمبهمات القرآن » : اسماء الاشخاص والاشياء التي وردت في القرآن مبهمة دون توضيح أو تبيين ، كما في اصطلاح المفسرين والمعنيين بالدراسات القرآنية . وهي كثيرة فمن مثلها : « قربان ابني آدم » ما نوعه ؟ . « وبعض بقرة بني اسرائيل » ما هو ؟ . و « الذي مر على قرية » من هو ؟ . وكذلك صاحب موسى الذي آتاه الله علما ، والشيخ الكبير الذي تزوج موسى ابنته ، وطيور ابراهيم الاربعة اللاتي أحياهن الله آية له وطمأنينة .. وغير ذلك كثير . وقد الف في هذه المبهمات كتب أشهرها كتاب العالم الاندلسي عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي المتوفى سنة ٥٨١هـ ، وعنوانه : « التعريف والاعلام فيما أبهم من القرآن من الاسماء والاعلام » . وكتاب جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ . : « مفحمات الاقران في مبهمات القرآن » .

ونهج البلاغة حين يعضد وجهاً من تلك الوجوه التي قيلت في المبهم القرآني ، فانما يسهم اسهاماً حسناً في موضوع تفسير المبهمات القرآنية وتبينها ، ذلك الموضوع الذي يحتاج الى مزيد من الدعم والقاء الضوء الكاشف المنبىء عن المقصود وابعاد ما هو طارىء على النص القرآني من تأويلات وأقوال لا تسوغ .

فاذا أخذنا بنظر الاعتبار كون الامام عليه السلام لم يكن عاملا برأي في تفسير كتاب الله(*) ، وبيان معانيه ومراميه ، من غير شاهد أو دليل . بل هو يصدر في تفسيره له عن علم موثوق وحجة ثابتة ، مصدرها رسول الله (ص) فيكون قوله الثابت عنه عندئذ حجة يمكن الاخذ بها بثبات في تفسير المبهم القرآني وتحديد المراد منه . وهذا يسري في الحقيقة الى كل ما صح عنه من تفسير .

ومما ورد في نهج البلاغة من تبيين للمبهم القرآني ، تفسيره لفظة « الخير » الواردة في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام : « ربّ اني لما انزلت الي من خير فقير » (١٨) : « بالخبز » ، وذلك في كلام للامام بليغ يقول فيه :

« .. وان شئت ثنيت بموسى كليم الله صلى الله عليه وآله اذ يقول : « ربي اني لما أنزلت الى من خير فقير » ، والله ما سأله الا خبزاً يأكله ، لأنه كان يأكل بقلة الارض »(١٩) .

(*) وان كان هذا لا يمنع بالطبع من « الاستنباط » وقد ذكرنا توثيق القرآن له في كلام سابق . الا أنه لا مجال للاستنباط في مثل المبهمات القرآنية .

(١٨) القصص : ٢٤

(١٩) ٢/٧٣ من شرح محمد عبده .

ومنه ما ورد في خطبته التي وصى بها أصحابه بأداء الامانة بعد توصيته اياهم بالصلاة والزكاة اذ يقول :

« ... ثم أداء الامانة ، فقد خاب من ليس من اهلها ، انها عرضت على السموات المبنية والأرضين المدحوة والجبال ذات الطول المنصوبة فلا أطول ولا أعرض ولا أعلى ولا أعظم منها . ولو امتنع شيء بطول أو عرض أو قوة أو عز لامتنعن . ولكن أشفقن من العقوبة ، وعقلن ما جهل من هو أضعف منهن وهو الانسان . « انه كان ظلوماً جهولا »[٢٠] .

فهو يذكر « الأمانة » ، ويبين أنها عرضت على السموات والارض والجبال ليحملنها ويرتضين أداءها ، فأشفقن من حملها ، وخفن من عاقبة قبولها ، وقبلها الانسان طائعاً جهلا منه وغروراً . وذلك كله تفسير وتبيين لما ورد في قوله تعالى :

« انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولا »[٢١] . وفوق ذلك كله فهو يحدد مفهوم « الأمانة » التي اختلف المفسرون في المراد منها اختلافاً ، وتباينوا في ماهيتها تبايناً ؛ فقد روي عن حبر الامة ابن عباس أنها « الطاعة لله » وهو ما اختاره الزمخشري في تفسيره اذ قال : « وهو برد بالأمانة الطاعة فعظم أمرها وفخم شأنها »[٢٢] . وقال قوم من المفسرين هي « العقل » ، ذكر ذلك الطبري في تفسيره . وقيل هي ما خلق الله تعالى في هذه الاشياء من الدلائل على ربوبيته وظهور ذلك منه[٢٣] . وقيل هي

---

(٢٠) ٢٠٥/٢ من المصدر نفسه .
(٢١) الاحزاب : ٧٢ .
(٢٢) الكشاف ٥٥١/٣ .
(٢٣) الطوسي : التبيان ٣٦٧/١ . طبعة النجف .

« الاحكام والفرائض »[٢٤] . وقيل هي أمانات الناس والوفاء بالعهود . والقول الأخير ذكره الشيخ الطبرسي في تفسير « مجمع البيان »[٢٥] . وقال بعض المحدثين بغير ذلك حدساً منه وتخميناً ، وهو الدكتور مصطفى محمود في كتابه : « القرآن ـ محاولة لفهم عصري للقرآن »[٢٦] فذكر أن الامانة الواردة في الآية الكريمة هي « الحرية والمسؤولية » . وقد بينا في نقدنا لكتابه المذكور عجبنا من جزمه بذلك مع اختلاف المفسرين في ماهيتها واحتمالها وجوهاً هي التي ذكرناها سالفاً . وبينا أيضا أن ذلك الذي قاله ، لا يستفاد من أقوال المفسرين الذين أحصينا أقوالهم تقريباً ، ولا من مدلول اللفظة ومفهومها في اللغة ، فيكون قولا بلا دليل . وأشرنا الى أن اختلاف المفسرين في ماهيتها هذا الاختلاف جعلها من « المبهمات » ، والمبهمات القرآنية لا يجوز القطع بحقيقتها الا بدليل قطعي ثابت . وهما مما لم يتوفر المؤلف كذلك[٢٧] .

ويهمنا من الاقوال التي أسلفنا ذكرها في ماهية « الأمانة » جميعها ، ما ذكره الشيخ الطبرسي من أن المراد بها « أمانات الناس والوفاء بالعهود » ، فانه مدعوم بقول الامام الذي مر علينا من قبل حين وصى أصحابه بأداء الامانة تلك التي قبلها الانسان دون غيره من المخلوقات المحسوسة .

فالأمانة الواردة في القرآن الكريم اذاً هي بحسب تبيين الامام لها في النهج وتوضيحه للمراد منها ، أمانات الناس التي يجب أن تؤدى الى أهلها

---

(٢٤) الطبرسي : مجمع البيان ٢٢/١٧٣ طبعة بيروت .

(٢٥) ٢٢/١٧٣ طبعة بيروت .

(٢٦) ص ٢٧ . طبعة القاهرة .

(٢٧) ينظر مقالنا في نقد كتابه المذكور في مجلة « الرسالة الاسلامية » لديوان الاوقاف ببغداد : العدد ٣٣ شباط ١٩٧١ .

وأصحابها حين يريدون أداءها اليهم وهو تفسير يتلاءم مع الظاهر والمعنى المتبادر عند اطلاق اللفظة .

ولكنا قد لا نجد تبيان هذه المبهمات القرآنية في نهج البلاغة مطردا ، ولا الكشف عنها متساوقا ، فكأن ذلك التزام بما التزم به القرآن ، من ارادة هذا الابهام . ذلك أن المبهمات القرآنية كثيراً ما ترد في ثنايا القصص القرآني الذي يتوخى الموعظة ، ويقصد الفائدة ، فتبيانها ليس هو الغرض الذي رمى اليه القرآن ، بل العبرة هي المقصودة . فابهام مثل هذه الاسماء والاشياء منسجم ومقاصد القرآن وأهدافه من ايراد قصصه .

وقد يكون الكشف عن ماهية بعض هذه المبهمات أو عدد منها هو الذي يحقق الفائدة . كالذي ذكرناه آنفاً مثلا ، من تفسير الامام للفظة « الخير » الواردة في كلام موسى عليه السلام : « بالخير » ، ونفيه أن يكون قد أكل غيره ، مع بقلة الارض . فان في ذكر ذلك اثارة للاحاسيس واستجاشة للمشاعر ، اذ يرى المرء رجلا من الصالحين ـ سيكون فيما بعد من النبيين(*) ـ يدعو الله في أن يرزقه مادة الحياة الاولية الاساسية فحسب ، وهي « الخبز » لانه لا يجده ، ولم يكن ليسأل الله غيره . فاذا عرف المرء ذلك منه ، اكبر فيه زهده وقناعته ، وحمد الله سبحانه على ما وهبه هو من آلائه ونعمه . فالكشف عن المبهم القرآني هنا يحقق قيمة دينية . ولقد ابهمت « الشجرة المحرمة » التي وردت في قصة آدم وحواء ، تلك الشجرة التي تباينت الآراء فيها وتعددت ، فنحن نقرأ في نص من نصوص نهج البلاغة تصويراً رائعاً لجزء من « قصة الخليقة » ، تلك القصة التي شغلت فكر الانسان ووجدانه

(*) ذلك أن موسى لم يكن حين وصل « مدين » نبيا ، بل صار كذلك عند عودته من خدمة الرجل الصالح الذي زوجه ابنته . وقيل عنه انه نبي الله شعيب عليه السلام .

على مر الدهور : « .. فلما مهد أرضه وأنفذ أمره(*) ، اختار آدم عليه السلام خيرة من خلقه وجعله أول جبلته وأسكنه جنته ، وأرغد فيها أكله ، وأوعز اليه فيما نهاه عنه ، وأعلمه ان في الاقدام عليه التعرض لمعصيته والمخاطرة بمنزلته ، فأقدم على ما نهاه عنه ـ موافاة لسابق علمه ـ فاهبطه بعد التوبة ليعمر أرضه بنسله وليقيم الحجة على عباده »[٢٨] .

٢ ـ تفسير التراكيب :

ومن التفسير في نهج البلاغة ، مالا يتناول المفردات الغريبة أو المبهمة حسب ، بل انه ليتناول بالشرح والتبيين تراكيب الآي ، وما تدل عليه من معنى ، . فمن مثله تفسيره لعبارة « واصطبر عليها » الواردة في قوله تعالى : « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها »[٢٩] وتبيينه أن المراد منها : اصبر عليها نفسك ، وذلك ما يتجلى في قوله : « فكان يأمر أهله بالصلاة ويصبر عليها نفسه »[٣٠] ومنه تفسير عبارة « ما في الارحام » الواردة في قوله تعالى : « ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير »[٣١] ، بأن المراد منها :

« ما في الارحام من ذكر وانثى ، وقبيح وجميل وسخي أو بخيل وشقي أو سعيد ، ومن يكون في النار حطباً أو في الجنان للنبيين مرافقاً ... »[٣٢] .

(*) الضمير في « ارضه » و « أمره » يعود على الخالق سبحانه .

(٢٨) ١٧٧/١ من شرح محمد عبده .

(٢٩) طه : ١٣٢

(٣٠) ٢٠٥/٢ من شرح محمد عبده .

(٣١) لقمان : ٣٤

(٣٢) ١٥/٢ من شرح محمد عبده .

وهو تفسير يلحظ « العموم » الذي أنبأت عنه لفظه « ما » الموصولة في الآية الكريمة ، بنظر الاعتبار ، ويبين على وجه التفصيل ما يقع ضمن هـذا العموم من مفردات .

وقد فسر (الرد الى الله) في قوله تعالى : « .. فـان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ... » : « بالأخذ بمحكم كتابه » . والظاهر أن المراد بالمحكم هنا خصوص الآيات المحكمة ، أو كما عبر الامام محمد عبده : « نصه الصريح » ، ويقابل الآيات المتشابهات من القرآن ، تلك التي اشتبه المراد منها بغيره . ذلك أن المحكم قد يراد بـه هـذا المفهوم ، أو يراد به القرآن كله أحياناً ، باعتباره محكماً من عند الله .

كما فسر « الرد الى الرسول » في الآيـة نفسـها : « بالأخذ بسـنة رسول الله (ص) » ، نقرأ ذلك كله في قوله :

« واردد الى الله ورسوله ما يضلعك(*) من الخطوب ، ويشتبه عليك من الامور ، فقد قال الله تعالى لقوم أحب ارشادهم : « يا أيهـا الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ، فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » ، فالرد الى الله : الأخذ بمحكم كتابه . والرد الى الرسول: الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة »(٣٣) .

ومن تفسير التراكيب القرآنية الوارد في نهج البلاغة تفسير عبـارة « ثم يؤلف بينه » في قوله تعالى

« ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه .. »(٣٤) .

(*) ما يشتبه عليك .

(٣٣) ٣/١٠٤ .

(٣٤) النور : ٤٣ .

فقد فسرها بقوله : « ألف غمامها بعد افتراق لُمَعه ، وتباين قَزَعه »[٣٥] فهذه مثل من تفسير التراكيب والعبارات في نهج البلاغة .

٣ ـ تفسير الآي :

ونلمح في نهج البلاغة لوناً ثالثاً من ألوان التفسير ، ألا وهو « تفسير الآي » تفسيراً اجمالياً ، لا يتناول الألفاظ مفردة أو مركبة كما مر علينا من قبل ، بل انه يتناولها مجملة مجتمعة . أو بعبارة أخرى يتناولها آية آية ، لا كلمة كلمة ، أو عبارة عبارة .

ومن مثله تفسير قوله تعالى : « انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً »[٣٦] .

فان الآية الكريمة مسوقة لتبيان سرعة زوال الدنيا وتقضيها ، وانصرامها بعد تزينها وتحليها[٣٧] . ولقد قدم نهج البلاغة بين يدي الآية « تفسيراً أدبياً » ، يبسط فيه معناها ، بأسلوب جميل بليغ ، لا يخلو من عبارة مسجوعة غير متكلفة ، أو لفظة منتقاة غير متعسفة ، أو استعارة بلاغية مستلطفة . تقرأ ذلك في احدى خطبه التي يصف فيها الحياة الدنيا الزائلة :

« .. تحلت بالآمال ، وتزينت بالغرور ، لا تدوم حبرتها[*] ولا تؤمن فجعتها ، غرارة ضرارة ، حائلة زائلة ، نافذة[**] بائدة . أكالة غوالة[***] ، لا تعدو اذا تناهت الى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا بها أن

---

(٣٥) ١/١٧٥ من شرح محمد عبده .

(٣٦) الكهف : ٤٥ .

(٣٧) انظر في تفسير الآية : الزمخشري : الكشاف .

(*) نعمتها . (**) في الاصل : « نافذة » ، وهو تصحيف .

(***) مهلكة .

نكون كما قال الله سبحانه وتعالى : « كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً »(٣٨) .

أسلوبه في التفسير :

وللتفسير في نهج البلاغة اسلوبان :

(أ) اسلوب التفسير المباشر : الذي قد يتناول المفردات أو التراكيب أو الآي ، وهو الذي أشرنا اليه آنفاً .

(ب) اسلوب التفسير غير المباشر : وهو ذلك الذي يكون مندرجاً ضمن نصيحة يقدمها الامام ، أو حكمة يتفوه بها الى بعض الانام ، وذلك بيّن المعالم في النهج ، فمن مثله ما ورد في نصيحته التي يقول فيها :

« ... واني متكلم بعدة الله وحجته ، قال الله تعالى : « **ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون** » . وقد قلتم : ربنا الله . فاستقيموا : على كتابه ، وعلى منهاج أمره ، وعلى الطريقة الصالحة من عبادته . ثم لا تمرقوا منها ، ولا تبتدعوا فيها ، ولا تخالفوا عنها ... »(٣٩) .

ففي هذا النص تفسير غير مباشر « للاستقامة » الواردة في الآية الكريمة بيان أن المراد منها : الاستقامة على كتاب الله ومنهاجه ، وعلى الطريقة الصالحة من عبادته ... وهو تفسير دقيق شامل لمفهوم الاستقامة وأبعادها في العقيدة الاسلامية وتوجيه السلوك الانساني .

ومثله ما ورد في احدى خطبه الواعظة من تفسير لنصر المسلم لربه ، وتبيين لمفهومه الذي أراده الاسلام ودل عليه القرآن ، فقد بين الامام أن

---

(٣٨) ٢١٦/١ من شرح محمد عبده .
(٣٩) ١١٣/٢ .

ذلك النصر لا يكون بالاماني وحدها ، بل يكون ببذل الطاقة ، وشحذ الهمة والاخذ بأسباب القوة والعدة وتدريب النفس تدريباً لا يخلو من جهد وشدة ، وانفاق المال في سبيل تحقيق الاهداف الخيرة التي قصد اليها الاسلام . تقرأ ذلك كله في هذه الموعظة : « ... فاسعوا في فكاك رقابكم من قبل ان تغلق(*) رهائنها : أسهروا عيونكم ، وأضمروا بطونكم ، واستعملوا أقدامكم وانفقوا أموالكم ، وخذوا أجسادكم ، فجددوا(**) بها على أنفسكم ، ولا تبخلوا بها عنها . فقد قال الله سبحانه : « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » وقال تعالى « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم »[٤٠].

فهنا أيضا تفسير غير مباشر لآية النصر والانفاق في سبيل الله يبين مفهومهما الحقيقي ، الذي ينبغي أن يدركه المسلم ، الراجي نصر ربه ، والساعي الى الذود عن دينه .

التفسير وتاريخه وعلوم القرآن :

وفي نهج البلاغة مسائل وموضوعات تهم التفسير والمفسرين ، ويعنى بها خاصة ، أولئك الذين يكتبون في تاريخ التفسير وطبيعته في صدر الاسلام وعلوم القرآن ونشأتها في تلك الحقبة من الزمان ، ومن أظهرها ما يلي :

(١) ان النبي (ص) كان اول من فسر القرآن :

وأن الصحابة كانوا يتلقون عنه ذلك ، وأنه (ص) قد خلف كتاب الله في المسلمين ، مبيناً لهم منه ما ينبغي أن يفهموه ويعلموه ، فبين : « حلاله وحرامه وفرائضه وفضائله ، وناسخه ومنسوخه ، ورخصه

(*) غلق الرهن : اذا لم يمكن فكاكه في الوقت المعين المشروط .

(**) كذا وردت في النهج ، ويبدو لي أنها في الاصل « فجودوا » ، ثم حرفها الناسخ . ويدل عليه قوله بعد ذلك : « ولا تبخلوا بها عنها » .

وعزائمه ، وخاصه وعامه ، وعبره وأمثاله ، ومرسله ومحدوده ، ومحكمه ومتشابهه ، مفسراً مجمله ، ومبيناً غوامضه بين مأخـــوذ ميثاق في علمه ، وموسع على العباد في جهله ، وبين مثبت في الكتاب فرضه ، ومعلوم في الســنة نسخه ، وواجب في السنه أخذه ، ومرخص في الكتاب تركه ، وبين واجب بوقته ، وزائل في مستقبله ، ومباين بين محارمه ؛ من كبير أوعد عليه نيرانه ، أو صغير أرصد له غفرانه ، وبين مقبول في أدناه وموسع في أقصاه »[٤١] .

فهذا كله مما يقع في دائرة « علوم القرآن » و « الفقه » اللذين عني بهما المسلمون منذ أقدم العصور الاسلامية(*) .

ولقد أشرنا في كلام سابق الى أن الامام عليه السلام كان يأخذ التفسير عن النبي (ص) حين كان يسأله الناس من أعراب وغيرهم ، عن معنى لفظة أو مفهوم آية ، فيجيبهم عما يسألون ويوضح لهم ما كانوا يجهلون ، حتى استطاع أن يحفظ من ذلك الشيء الكثير . وأن يكون في مقدمة من يؤخذ عنهم تفسير كتاب الله المبين .

(٢) ان الصحابة لم يكـــونوا جميعـــاً على علم تام بمعـــاني القرآن : بل انهم متفاوتون فيه فهماً وعلماً . وهذا مما لا خـلاف فيـه بين أهـــل العلم أيضاً ، وتشير مصادر اسلامية اخرى الى هذه الحقيقة وتضرب لذلك الامثال(*) . ويدل النص التالي من نهج البلاغة على هـــذه الحقيقـة التي أوردناهـا :

---

(٤١) ١/١٩-٢٠ من شرح محمد عبده .

(*) للاستزادة ، يراجع شرح ابن أبي الحديد ، ومحمد عبده وغيرهما من الشروح لمعرفة مدلول المصطلحات العلمية التي وردت في نص نهـــج البلاغة الذي أوردناه في أعلاه والذي يؤرخ لعلوم القرآن والفقه في عصر النبوة : كالناسخ والمنسوخ . والرخص والعزائم ... الخ .

(*) انظر مثلا الزركشي : البرهان ٢/١٧٤ ، في قصة الصحابي الذي لم يعرف كلمة (أباً) .

« .. وقد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله ، الكلام لـه وجهان : فكلام خاص وكلام عام ، فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله سبحانه به ، ولا ما عنى رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فيحمله السامع ويوجهه على غير معرفة بمعناه ، وما قُصد به ، وما خرج من أجله . وليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يسأله ويستفهمه ، حتى ان كانوا ليحبون أن يجيء الاعرابي والطارىء فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا ، وكان لا يمر بي من ذلك شيء الا سألت عنه وحفظته ، فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم »[٤٢] .

ويتبين لنا من هذا النص ما يلي :ـ

(أ) ان الصحابة لم يكونوا جميعاً على علم تام بمعاني كتاب الله . بل ان منهم من كان يجهل شيئاً منه . وقد أشرنا الى ذلك من قبل .

(ب) انهم لم يكونوا دائماً يسألون النبي (ص) عن كل ما يشكل عليهم من هذه المعاني القرآنية ، تهيباً منه (ص) واستحياء ، ولذلك فانهم كانوا ينتهزون فرصة مجيء من يسأله (ص) ، ليجدوا في جوابه ما يكشف لهم عما يريدون .

(ج) ان الامام عليه السلام كان يسأل النبي (ص) ، ولا يجد في سؤاله حرجاً ، لأنه لصيق به ، لا يجد كلفة في أن يسأله ، ويعرف ما يجهل منه ، فقد ربي في حجره ، وترعرع منذ نعومة أظفاره في كنفه ، فكان له بمنزلة المربي والوالد .

٣ ـ ان في القرآن آيات نزلت في أهل البيت : عليهم السلام ، وهي تلك التي سماها نهج البلاغة « كرائم القرآن » وهذه المسألة لا خلاف فيها بين

---

(٤٢) ٢١٦/٢ من شرح محمد عبده .

المسلمين ، وقد صنف عدد من العلماء في ذلك ، على اختلاف « مدارسهم » الاسلامية ، كتباً . فلنقرأ هذا النص ليتجلى لنا ما نقول :

« .. فيهم كرائم القرآن ، وهم كنوز الرحمن ، ان نطقوا صدقوا وان صمتوا لم يسبقوا .. »(٤٣) .

قال الامام محمد عبده في شرحه : « الضمير لآل النبي . والكرائم جمع كريمة ، والمراد أنه قد انزلت في مدحهم آيات كريمات . والقرآن كريم كله ، وهذه كرائمه »(٤٤) .

(٤) وأن القرآن ذو ظاهر حسن معجب أنيق ، وباطن دقيق عميق وذلك جلي لكل من تأمل فيه وسبر أغوار معانيه التي لا يخلقها الرد والتكرار ، ولا تطاول الازمان والاعصار ، بل انه ليبدو لقارئه حينما تلاه ومتى ما تأمل في فحواه ، بديع المعاني جديدها ، كأنما هو يقرأه لاول مرة .. وكلما تأمل في معانيه وعاود ذلك التأمل ، وجد نفسه مأسوراً بروعتها ، مأخوذا بقوتها .. وقد أدرك البدوي ـ على تعنته روعة أسلوب القرآن ـ فسجد حين سمع آية تتلى منه ، وحين سئل عن سر سجوده قال : « سجدت لهذه الفصاحة »(*) !! .

ولقد أدرك الامام ذلك كله بذوقه وعلمه ، فعبر عنه بأبلغ بيان وأوجزه حين قال :

---

(٤٣) ٢/٥٨ .

(٤٤) المصدر نفسه .

(*) من أشهر من عني من القدامى بأسلوب القرآن ، وعده سبب الاعجاز الامام الشيخ عبدالقاهر الجرجاني في كتابه القيم : « دلائل الاعجاز » الذي اكد فيه على أن « نظم القرآن » هو علة هذا الاعجاز ودليله ، وبطبيعة الحال فان العلماء بعده لم يعتمدوا « النظم » وحده سبباً للاعجاز ، بل وجدوا أمورا أخرى معه ، كالمعاني والاغراض والغيبيات

« ان القرآن ظاهره أنيق ، وباطنه عميق ، لا تفنى عجائبه .. »[٤٥] .

فقوله : « ان القرآن ظاهره أنيق » يشير الى روعة الاسلوب القرآني وفصاحته وبلاغته ، وسمو بيانه ..

وقوله : « وباطنه عميق » ، يشير الى قوة معانيـــه ، وسمو أهدافـه ومراميـه ...

وقوله : « لا تفنى عجائبه » يشير الى هذه الروح المتجددة التي يلمسها القارىء ويستشعرها كلما قرأ القرآن ، حتى انه ليحس كأنه يقرأه لأول مرة . ويبدو لي أيضا وجه آخر في هذه العبارة الرائعة ، وهو أن القرآن غني بكل ما فيه من حقائق وقيم ومفهومات ، ولا يمكن أن يأتي زمن أو عصـــر تنمحي فيه آيات هذا الغناء ، ومعالم هذا الثراء الفكري والروحي الذي جاء به ودعا الناس اليه . فكل ذلك محتمل ومقبول .

٥ ـ تناقص فهم الكتاب في العصور المتأخرة : وذلك أمر أقره نهـــج البلاغة ، وقال به ، وهو أن فهم القرآن لم يغد في آخر الزمان ، كما كان في أوله : « فالكتاب وأهلـه في ذلك الزمـان في النـاس وليس فيهم ومعهـم ، لأن الضلالة لا توافق الهدى . وان اجتمعا فاجتمع القوم على الفرقة وافترقوا على الجماعة »[٤٦] !!.

ثم يصفهم بأنهم لا يتبعون القرآن فيما أمر به وندب اليه ، بل انهـــم يتبعون ما تهوى انفسهم ، وتمليه أهواؤهم « كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب امامهم ، فلم يبق عندهم منه الا اسمه ولا يعرفون الا خطه وزبره »[٤٧] .

وهذا في الحقيقة ينطبق على العصور المتأخرة التي ابتعد فيها المسلمون

---

(٤٥) ١/٥١ من شرح محمد عبده .
(٤٦) ٢/٤٢ـ٤٣ من شرح محمد عبده .
(٤٧) المصدر نفسه ، المكان نفسه .

عن مصدر نعمتهم ووحدتهم ، وأسس حياتهم وينبوع سعادتهم ، وراقد قوتهم ، ألا وهو القرآن . فهجروه حتى لم يعودوا يعرفون من معانيه ومقاصده وهديه ، الا خطه وكتابته !!.

وهذا من غير شك لا يعني المسلمين كلهم ، وانما يتناول الكثرة الكاثرة منهم ، وهو ما يتحسسه كل مسلم اليوم .

أصول التفسير واستنباط الاحكام :

وثمة مسائل في نهج البلاغة يمكن أن تقع في دائرة أصول التفسير ، واستنباط الاحكام ، فمن مثل ما هو من أصول التفسير وقواعده ما يلي :ـ

(١) وجوب عدم حمل الكتاب على الآراء ، بل رد الآراء اليه ، وعرضها عليه ، ليتجلى خطؤها من صوابها ، وصدقها من خطلها ، وذلك يبدو في ذم ذلك الشخص الذي « قد حمل الكتاب على آرائه » ، فلم يعرضها على القرآن بل عرض القرآن عليها وحمله على وفقها(*) . وقد مرّ حديثه سابقا .

ويبدو أيضا في ذم أهل آخر الزمان الذين « كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب امامهم .. » وقد مرّ أيضا . فهذا وشبهه ممالا يستقيم والتفسير الصحيح للقرآن الكريم ؛ لأنه مخطل وزيغ ، ونقص في التعامل مع كتاب الله ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

(٢) ان القرآن يفسر بعضه بعضا : وقد دل على ذلك قول الامام وهو يصفه : « كتاب الله تبصرون به ، وتنطقون به ، وتسمعون به ، وينطق بعضه ببعض ، ويشهد بعضه على بعض »(٤٨) نقوله : « ينطق بعضه ببعض ، ويشهد

(*) من كلماته أيضا في هذا الموضوع قوله في القرآن : « اتهموا عليه آراءكم » ٢/١١٢ ، وانظر في مدح الرجل الذي « يعطف الرأي على القرآن اذا عطفوا القرآن على الرأي ٢/٣٠ .

(٤٨) ٢/٢٣ من شرح محمد عبده .

بعضه على بعض » ، يشير الى هذا المنهج الأفضل في تفسير القرآن الكريم ، اذ أن تفسير القرآن بالقرآن خير طريقة ينتهجها المفسر في الكشف عن معاني كتاب الله ، لأن الآية ـ بحسبه ـ تكون شاهد للآية ، والشاهد اذا كان كلام الله ، فهو نعم الشاهد ، دونه كل الشواهد .

قال الزركشي في « البرهان » :

« قيل : أحسن طريق(*) التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن ؛ فما أجمل في مكان فقد فصل في موضع آخر ، وما اختصر في مكان فانه قد بسط في آخر .. »(٤٩) .

وقد يصحب التفسير في نهج البلاغة استنباط حكم شرعي ، فيتم بذلك المراد من الآي ، ويتجلى المعنى بأحسن صوره وأتمها . فمن مثله ما ورد في وصيته الى قثم بن العباس عامله على مكة المكرمة اذ يقول فيها :

« ومر أهل مكة أن لا يأخذوا من ساكن أجرا فان الله سبحانه يقول : « سواء العاكف فيه والباد » ، فالعاكف : المقيم ، والبادي : الذي يحج البيت من غير أهله »(٥٠) ، وقد مرّ علينا حديثه .

ففيه استنباط لحكم شرعي من الآية الكريمة السالفة الذكر : « سواء العاكف فيه والباد » ، وهو التسوية بين المقيم بمكة ، والقادم اليها من خارجها ، في حق السكن بها من غير مقابل . فهما اذا سواسية في هذا الحق الذي دلت عليه الآية ، ووجد فيه الامام عليه السلام بابا لاستنباط هذا الحكم

(*) كذا وردت في الاصل ويحتمل أن تكون « طرق » .

(٤٩) الزركشي : البرهان في علوم القرآن : ٢/١٧٥ بتحقيق أبي الفضل .

(٥٠) ٣/١٤٠ .

الشرعي • وقد كشف عن وجوبه لا الندب له ، قوله في صدر النص الذي ذكرناه آنفا : « ومر أهل مكة •• » انه اذاً أمر وجوبي ، وهو أيضاً جزء مما نتبينه في هذا الاستنباط •

وبعد ،

فهذا ما تراءى لنا من معالم التفسير ومنهجه وقضاياه في نهج البلاغة ، ونرجو أن نكون قد بسطنا فيه القول نوعا ما ، وحققنا طرفا مما أحببنا ، والله المدعو للتوفيق في كل حين ، وهو الهادي الى سواء السبيل •

الرقابة الاجتماعية في الاسلام

عبد الهادي الفضلي

(١)

هناك عدة مسائل شرعية ترتبط بشؤون الدولة او بشؤون المجتمع او بهما معا ، لم يبحثها الفقهاء الاسلاميون مع انها من صميم التشريع الاسلامي ومن امهات احكام الدولة او المجتمع ، والتي تلقي ضوءاً مشرقاً على واقع الاسلام كنظام مجتمع وقانون دولة ، والتي تبدد جملة من الاوهام حول توفر الدين الاسلامي على نظام كامل للحياة ، تلك الاوهام التي يثيرها المضبوعون بثقافة الغرب او بثقافة الشرق ، وجملة من الشبهات حول نوعية علاقة الاسلام بالحياة ، والتي يرسلها سياسيون متأثرون بمبادىء او نظم كافرة ، بغية ترويج بضاعتهم المستوردة من خارج دار الاسلام .

وقد لمسنا تأثير هذه الاوهام وتلك الشبهات على ذهنيات الكثيرين من ابنائنا مما جعلهم يضلعون في ركاب دعاتها ، دعاة الحضارات الكافرة .

وقد يكون من عوامل ذلك هو جهل الدعاة او جهل المدعوين ، او جهلهما معاً ، بواقع الاسلام في توفره على نظام كامل للحياة .

وربما كان عذر الفقهاء الاسلاميين عن عدم بحثها والاشارة اليها في ابحاثهم الفقهية ورسائلهم العملية ، لانها ليست مما تعم به البلوى لعدم وجود

---

(١) محاضرة عامة القيت في مكتبة آية الله الحكيم العامة ـ فرع الديوانية .

دولة شرعية قائمة يفرض مثولها ذلك فرضا ، وتتطلبها طبيعة حياة المسلمين حينئذ .

ولكن ـ فيما يبدو من واقع المسلمين الراهن وحاجتهم الضرورية التي لا تنفك عن طبيعة الانسان المسلم بصفته مسلما الى حكم القرآن ونظام نبي القرآن (ص) ـ أن بحثها أمسى لابد منه ، وفي حتمية صارخة ، وبخاصة امام هذه المناداة العالية والعنيفة من الجماعات السياسية الذيلية بتطبيق النظم الكافرة ، وباقامة الدول الكافرة على انقاض الدول الشرعية التي كانت قائمة في بلادنا الاسلامية . بيد اننا ما عدمنا من بحث شيئاً منها فمهد للخطوات المتتابعة ان شاء الله تعالى ومن هذه المسائل على سبيل التمثيل :

الحسبة ، المعاهدات الدولية ، التكتل السياسي ، الرقابة الاجتماعية ، وامثالها . وقد يقال : ان الفقهاء بحثوا مسألة (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) وهي ما نعنيه بالرقابة الاجتماعية ـ كما سأوضحه ـ ! .

الواقع : ان الفقهاء بحثوا المسألة في حدود مجالها الفردي ، ولم يبحثوها في مجالها الاجتماعي والسياسي ، ولعله لذات السبب الذي اشرت اليه .

(٢)

ولاجل ان نتبين مركز الرقابة الاجتماعية الاسلامية من وسائل الدعوة العامة ، والضبط الاجتماعي نكون بحاجة الى استعراض مختلف الوسائل الاسلامية في هذين المجالين ، ونستطيع ان نلخصها في الوسائل التالية :

١ ـ الجهاد : ويراد به قيادة الجيوش الاسلامية لفتح البلاد الكافرة ، والاسلام باهلها ، واخضاعها للنفوذ السياسي الاسلامي .. وتمثل هذا النوع من الدعوة في غزوات النبي (ص) وسراياه ، وفي الفتوحات التي قام بها المسلمون حيث امتد النفوذ الاسلامي وانتشرت الدعوة الاسلامية من مكة المكرمة منداحا الى الرقعة الواسعة في قارتي آسيا وافريقيا .

وللجهاد في الفقه الاسلامي احكامه وشروطه ، وقد توفر الفقهاء الاسلاميون على دراستها دراسة وافية .

٢ ـ الدفاع : ويعني به صد الكافر الغازي ... الوقوف امام الغزو الكافر فكريا وسياسيا .

واعني بهذين القسمين : منع تسرب الافكار الكافرة من الدخول الى بلاد المسلمين والتأثير على ذهنياتهم وتفكيرهم .

ورأينا ذلك متمثلا بوضوح في موقف الامام الصادق (ع) من حركة الزندقة والزنادقة في القرن الثاني الهجري .

ومنع دخول الكافر الى دار الاسلام واخضاعها الى نفوذه السياسي ، سواء جاء ذلك بشكل مباشر او بصورة غير مباشرة .

وموقف علمائنا في النجف وكربلاء ضد الاحتلال البريطاني في هذا القرن وفي هذه الارض من بلاد المسلمين من اروع الامثلة لذلك .

٣ ـ مقاومة البغاة : والبغاة هم المسلمون المتمردون على حكم الدولة الاسلامية العادلة .

والتشريع الاسلامي يحدد موقف الدولة الاسلامية من هؤلاء بمقاتلتهم حتى يفيئوا الى امر الله تعالى ويرجعوا الى الانقياد للقانون .

ومن امثلته في التاريخ الاسلامي مقاومة الامام امير المؤمنين(ع) للخارجين عليه في البصرة وصفين والنهروان .

٤ ـ المرابطة : وربما كان من هذه الوسائل وسيلة المرابطة والتي يقصد بها الارصاد في اطراف البلاد الاسلامية وثغورها للمحافظة على الحدود، وللاطلاع على وضع الكفار لصد غائلة هجومهم على بلاد المسلمين .

وربما يفهم من هذا ان لا مجال لغير المسلمين ان يعايشوا المسلمين في بلادهم !.

ان الذي قرره التشريع الاسلامي : هو السماح لاهل الكتاب بالاستيطان في بلاد المسلمين شريطة ان يخضعوا لنظام المواطنة والذي ينص على دفعهم الجزية والتزامهم باحكام الاسلام وعدم قيامهم بالدعوة الى اي فكرة كافرة ومنعهم من التظاهر بالمنكرات كالربا وشرب الخمر .

وبعد هذا المرور السريع نستطيع ان نضع الرقابة الاجتماعية في مركزها من وسائل الدعوة والضبط حيث تعني منع المسلمين من القيام باي منكر من المنكرات التي حظرها التشريع الاسلامي ، ودعوتهم الى الاخذ باحكام الشريعة الاسلامية وتعاليمها .

اما متى بلغت الوضعية الى مستوى التمرد والخروج على عدل الدولة. فالدور لوسيلة مقاومة البغاة .

وفي الوقوف امام الكافر في دعوته الى ان يسلم وفي منعه من ادخال الكفر الى بلاد المسلمين فالدور لوسيلتي الجهاد والدفاع ، والى جانبهما وسيلة المرابطة .

(٣)

ولا اخال ان هناك مسؤولية اجتماعية ذات اهمية كبرى في الحياة الاجتماعية كالرقابة الاجتماعية .

ولا احسب ان مسألة ذات خطورة عظمى تحتل مركزا مهماً في قائمة الواجبات الشرعية كمسألة الرقابة الاجتماعية .

وذلك لما للرقابة الاجتماعية من اثر فعال وواضح ، وفاعلية بعيدة المدى في ضبط المجتمع وفي ضبط الحكومة وفي فرض سيادة القانون ، وسيطرة

النظام ، بغية توفير السعادة التامة لابناء الامة .

وتتجلى اهمية الرقابة الاجتماعية حينما نفهم انها العامل الوحيد في دفع الجهاز الحكومي الى السلوك المستقيم ، والسير وفق بنود القانون ، وفي ايقافه عن الانحراف في السلوك وعن استغلال المنصب لصالح غير الامة .

فنحن لا نستطيع ان نقوّم من سلوك الحاكمين الا عن طريق الرقابة الاجتماعية ، ولا نستطيع ان نحافظ على وضع المجتمع في نصابه الذي جيأه له القانون الا عن هذه الرقابة .. وسنتبين ذلك جلياً عند تفصيل الحديث عنها .

يقول الامام امير المؤمنين (ع) : « فرض الله ... الامر بالمعروف مصلحة للعوام ، والنهي عن المنكر ردعاً للسفهاء »[1] .

وورد عن اهل البيت (ع) : « ان بالامر بالمعروف تقام الفرائض ، وتأمن المذاهب وتحل المكاسب ، وتمنع المظالم ، وتعمر الارض ، وينتصف للمظلوم من الظالم »[2] .

(٤)

والرقابة الاجتماعية : هي تلك الوسيلة التي يتبعها افراد المجتمع في ضبط من يخرج على الاطار الاجتماعي الذي صاغه النظام الاجتماعي الذي آمنت به الامة وقدسته ، او من يحاول الخروج عليه .

وهي تلك الوسيلة التي تتبعها الامة في ضبط الجهاز الحكومي الا يقصّر في واجبه وفي مسؤوليته الضخمة ، والا يخرج على القانون فيُستغل من قبله او من قبل غيره لصالح ومنفعة غير الامة التي دانت لهذا القانون ورأت تطبيقه طريقها الى الحياة الحرة الكريمة .

وبتعبير فقهي :

---

(١) نهج البلاغة ج٣ ص٢٠٨ شرح محمد عبده .
(٢) منهاج الصالحين ، كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الرقابة الاجتماعية : هي وسيلة (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) في أبعاد شمولها وبُعد حدودها .

(٥)

ووجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفرضه مسؤولية الزامية على ابناء المجتمع تجاه المجتمع وتجاه الدولة ، بديهي لثبوته بالضرورة من الدين ، ولتوافر ادلة التشريع الاسلامي جملة وتفصيلا على التأكيد عليه تأكيداً شديداً .

وربما كان ذلك لان الشريعة الاسلامية نظام حياة ، وطبيعة قيام النظام واستقامته تفرض ذلك فرضاً .

فالنظام الذي لايخضع لرقابة اجتماعية نظام متعسف ، والجهاز الحكومي الذي لا يُراقب ما هو الا افراد مستبدون ، وكلاهما خروج على واقع الانسانية . وكذلك النظام العادل الذي يموت في نفوس شعبه ضمير الرقابة الاجتماعية ، فانه الآخر يموت او يعطّل على اقل تقدير .

وربما كان ذلك من جانب آخر برهاناً آخر على نزول الاسلام موائماً لمتطلبات الحياة الاجتماعية وملائما لمقتضيات كرامة الانسان وحريته .

يقول تعالى : « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر اولئك هم المفلحون » .

لننظر كيف رتبت الآية الكريمة تحقيق الفلاح للمجتمع ان تكون منه جماعة آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر .

وهي نظرة من نظرات القرآن الكريم امتدت الى اعماق المزاج الاجتماعي ففرضت له ما تستلزمه سعادته من عامل يحقق توفيرها للامة .

واختصاراً : ان حتمية مسؤولية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في غنى عن الايضاح والتدليل .

وقد مرت الاشارة بنا الى ان للرقـــابة الاجتماعية مجالين همـــا : المجتمع والدولة •

اما في المجتمع فتتعاون الرقابة الاجتماعية منضمة الى وسيلتين اخريين هما التربية والسلطة •

ويقوم بدور الاولى منهما (اعني التربية) كل من الاسـرة ومؤسسات الثقافة والارشاد من روضات ومدارس ومعاهد على اختلاف مراحلها ، ومنابر وحفلات ومواسم ، واجهزة دعاية واعلام •

وقد الزم الاسلام الابوين بتربية ابنائهما تربية صالحة تهيء منهـــم اعضاء اجتماعيين صالحين ، مصلحين • واحتاط الاسلام لذلك ، واستمراراً لعملية التربية متمشية مع الانسان المسلم في مختلف مراحل نموه وتطوره ، احتاط بالتأكيد على الفرد ذاته ضماناً منه لتأدية رسالته الانسانية لاهدافهـــا الانسانية وذلك بان يقوم المسلم ببناء شخصيته وفق تخطيط الشريعة الاسلامية وتعليماتها ويحدد سلوكه حسب اوامر الدين ونواهيه : « قوا انفسكم واهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة » « قد افلح من زكاها وقد خاب من دسّاها » •

ولاشتهار النصوص المؤكدة على ذلك عاد عرضها باكثر من الاشـــارة غير ضروري • كما فرض على الدولة ان تفتح للامة مختلف ميادين الثقافة والارشـاد •

وتاريخ الحكومات الاسلامية بما اعدت من ذلك والذي كان من نتائجه هذا التراث الثقافي الضخم من شواهد ذلك •

ووسيلة التربية هي الوسيلة الاولى في مجال اعداد الشخصية الاسلامية ومجال توجيه الفرد المسلم وجهة التمسك بالاسـلام وتطبيقه بغيـة تحقيق السعادة للامة •

اما وسيلة السلطة فهي وسيلة القوة التي تنزلها الحكومة في الخارجين على تعاليم الاسلام ونظمه ، وهي الوسيلة الاخيرة التي يلتجأ اليهـا حيث لا تكون تربية رادعة ولا خوف من رقابة المجتمع ، وتتبينه من دور وظيفة (الحسبة) فيما بعد . والحديث الشريف يشير الى هذه الوسائل الثلاث ويعبر عنها باليد واللسان والقلب .

واليد تعني القوة .. واللسان يعني الارشاد .. والقلب يراد به المقاطعة وهي نوع من الرقابة لانها تعبير عن غضبة الافراد .

يقول الحديث الكريم : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه » .

(٧)

ودور الرقابة في ميادين الضبط الاجتماعي تحدده الآية المقدسة « المؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » .

ويعرّفه الحديث المبارك « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .

حيث يجعلان الولاية والرعاية لكل فرد من المجتمع على غيره من بقية الافراد . وفيهما (اعني النصين الكريمين) عمق وتركيز ـ شأن الاسلام في طريقة تربيته ابناءه ومعتنقيه ـ حيث يضعان الفرد امام ضخامة مسؤوليته وجهاً لوجه باشعاره وبملء شعوره بانه هو المجتمع كله في أبعاد واجبه الاجتماعي وفي مجال حدود مسؤوليته .

وهذا اللون من التأكيد يبعد اعتقاد الفرد بفرديته ويغرس فيه الروح الجماعية .. وهو شيء اساسي في كل تنظيم اجتماعي يريد لنفسه البقاء ، ذلك ان التنظيم الاجتماعي لاجل ان يبقى ولاجل ان يؤدي مهمته يحتاج الى دعامتين يقوم عليهما هما : (التماسك الاجتماعي) و (التعاون الاجتماعي) ،

وهما لا يتأتيان الا عن طريق التلاحم العضوي بين افراد المجتمع بسبب الشعور المعمق بالمسؤولية الاجتماعية :

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

« انما المؤمنون اخوة » .

« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

« المسلمون تتكافأ دماهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم » .

« ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » .

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » .

« المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يخونه ويحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاقد على التعاطف والمواساة لاهل الحاجة وتعاطف بعضهم على بعض حتى تكونوا كما امركم الله عزوجل رحماء بينكم متراحمين » .

والرقابة الاجتماعية ـ هنا ـ ان يراقب كل فرد من المجتمع الافراد الآخرين مراقبة واعية ، مؤدياً بذلك مسؤولية واجبة متى اسقطها من حسابه حوسب عليها وعوقب .

ويأتي ذلك بالدعوة الى المعروف وبالردع عن المنكر باستعمال اسلوب الارشاد اللين ، فالعنف والقوة مالم يترتب ضرر اكبر ...

واقلها « المقاطعة » وهي تعبير عن المحاسبة في اضعف اساليبها ..

يقول الامام امير المؤمنين (ع) : « وأمر بالمعروف تكن من اهله وانه عن المنكر بيدك ولسانك وباين من فعله بجهدك » .

وفي الحديث عنه ايضاً : « قال : امرنا رسول الله (ص) ان نلقى اهل المعاصي بوجوه مكفهرة » .

وفي حديث الامام الصادق (ع) : « قال : لاحملن ذنوب سفهائكم على علمائكم ... الى ان قال : ما يمنعكم اذا بلغكم عن الرجل منكم ما تكرهون وما يدخل علينا الاذى ان تأتوه فتؤنبوه وتقولوا له قولا بليغا ؟ قلت ـ جعلت فداك ـ اذن لا يقبلون منا ؟ قال : اهجروهم واجتنبوا مجالسهم » .

والفرد حينما يخرج على شيء من تعاليم الاسلام او نظمه ، ويعرّض نفسه للالوان المختلفة من حساب المجتمع له وما يسمونه بـ (التحقير الجمعي) يضطر راضياً او راغماً ان يعود الى نصابه من الاخذ بالنظام والدخول ضمن الاطار الاجتماعي المفروض .

ويبدو لي : ان الغاء أية واحدة من هذه الوسائل الثلاث المتكاملة يحدث ثلمة في المجتمع ويرهق كاهل الوسيلتين الاخريين او الوسيلة الاخرى .

فالاسرة او الدولة حين تقصران او احداهما في دور التربية تشـــلان شيئاً من حركة تقدم وصعود المجتمع ..

وكذلك الجماعة حين تفرّط ولو بقليل من رقابتها تحصل النتيجة غير المرغوبـة .

والسلطة ان لم تنزل عقوبتها تنهي الى ما سبق .

فهناك من الافراد البشرية ـ وراثياً او بيئياً ـ من تفشل معه التربيـــة او من يمتاخ نفسه منها ، وهناك من لا يشعر لذاته بكرامة فلا يهمه ان يحقّره المجتمع وان يعرضه للاهانة ، فلا مناص معه من عقوبة القانون وانزال قـوة الردع فيه .

(٨)

اما دور الرقابة الاجتماعية في ضبط الجهاز الحكومي فيتمثل بمتابعـة

تصرفاته ثم باتباع وسيلتي اللاعنف او العنف متى انحرف عن شيء من القانون فمتى انحرف الجهاز الحكومي تقصيراً في تطبيق القانون او استغلالا للمنصب لمنافع شخصية او اخرى تعود على غير الامـة ، او قصوراً في فهم القانـون ، وما اليها من انحرافات تعرّف بكل ما يخالف الشريعة الاسلامية .. على الامة ان تلفت نظر الجهاز الحكومي الى مخالفته طالبة منه التوبـة والرجوع الى الحق ، فان تراجع وتلافى اخطاءه ، والا فعلى الامة ان تنذره بالعزل فـان استجاب ، والا فدورها استعمال الوسائل العنيفة آخذة بالاقل ضرراً وبمقدار ما تتطلبه الضرورة .

وفي التاريخ الاسلامي من شواهد ذلك كثير ..

وما يذكره المؤرخون : ان عمر بن الخطاب وزع مرة مالا مما غنمـه المسلمون وكان نصيبه كنصيب اي فرد وآخر من افراد المسلمين ، وشوهـد وهو يدعو المسلمين من على منبر المدينة المنورة الى الجهاد لا بساً ثوباً تقدّر قيمته بنصيبي فردين ، فاحتجوا عليه وامتنعوا من الاستجابة لدعوته ، حتى اخبرهم بانه من نصيبه ونصيب ابنه عبدالله ، واستشهدوا عبدالله على ذلك .

ومن ذلك موقف المسلمين من اعطيات عثمان واقطاعاته .

ومنه ايضاً موقف ابي ذر الغفاري من معاوية بن ابي سفيان حول بنائه قصر الخضراء بدمشق .

وثورة الامام الحسين (ع) ضد يزيد بن معاوية .

وثورات المسلمين المتتابعة ضد الحكام المنحرفين من الامويين ..

يقول الامام الحسين (ع) : « ايها الناس : ان رسول الله (ص) قـال : من رأى سلطاناً جائراً مستحلا لحرم الله ، ناكثاً عهـده ، مخالفـاً لسـنة رسول الله (ص) يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان ، فلم يغيّر ما عليه بفعـل ولا قول ، كان حقاً على الله ان يدخله مدخله » .

ويقول الامام امير المؤمنين (ع) : « ايها المؤمنون : انه من رأى عدواناً يعمل به ، ومنكراً يدعى اليه ، فانكره بقلبه فقد سلم وبرىء ، ومن انكره بلسانه فقد اجر ، وهو افضل من صاحبه ، ومن انكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الظالمين هي السفلى ، فذلك الذي اصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ، ونور في قلبه اليقين » .

(٩)

وفي قانون الجهاز الحكومي في الدولة الاسلامية ، تأتي الرقابة الاجتماعية متمثلة وبصورة واضحة في نظام (الحسبة) او وظيفة المحتسبين . فعلى الحكومة الاسلامية ان توظف من يقوم بمهمة الرقابة الاجتماعية شريطة ان يتوفر المحتسب على العدالة والمعرفة بشؤون وظيفته ، او كما يعبر عنه الامام امير المؤمنين (ع) بالامانة والكفاية كشرط عام يؤخذ به في مجال التوظيف في مختلف انواعه ومجالاته .

والمحتسبون ينتشرون بصفتهم ممثلين عن الدولة ومسؤولين عن رقابة المجتمع في شتى وحدات وطبقات المجتمع ومجالاته .

يراقبون الناس في الشوارع وفي الاسواق وفي المحلات العامة ليمنعوا من يخالف القانون في سلوكه وتصرفاته ومعاملاته .

جاء عن الامام الباقر (ع) : « قال : كان امير المؤمنين (ع) عندكم بالكوفة يغتدي كل يوم بكرة من القصر فيطوف في اسواق الكوفة سوقاً سوقاً والدرة على عاتقه ـ وكان لها طرفان وكانت تسمى (السبيبة) ـ فيقف على اهل كل سوق ، فينادي : يامعشر التجار اتقوا الله ، فاذا سمعوا صوته القوا ما بايديهم وارعوا اليه بقلوبهم ، وسمعوا بآذانهم فيقول : قدموا الاستخارة ، وتبركوا بالسهولة ، واقتربوا من المبتاعين ، وتزينوا بالحلم ، وتناهوا عن اليمين ، وجانبوا الكذب ، وتجافوا عن الظلم ، وانصفوا المظلومين ، ولا تقربوا الربا ، واوفوا الكيل والميزان ، ولاتبخسوا الناس اشياءهم ،

ولا تعثوا في الارض مفسدين .. فيطوف في جميع اسواق الكوفة ، ثم يرجع فيقعد للناس .

وفي حديث الامام الصادق (ع) : (كان امير المؤمنين (ع) لا يقعد في السوق الا من يعقل البيع والشراء » .

وروي عن امير المؤمنين ايضاً : « انه دخل يوماً مسجد الكوفة فرأى ابن دأب صاحب ابي موسى الاشعري قد تحلق الناس عليه ، يسألونه فقال له (ع) : أتعرف الناسخ والمنسوخ ؟ فقال : لا ، قال (ع) : هلكت واهلكت .. لا تقصن في مسجدنا بعد » .

هذه القضايا وامثالها تعكس لنا دور الحسبة في الضبط الاجتماعي وتصور لنا مسؤولية الحكومة الاسلامية في تطبيق القانون .

والمحتسبون في الدولة الاسلامية يرتبطون بالبلديات ودوائر الشؤون الاجتماعية .

تقوم البلديات ودوائر الشؤون الاجتماعية بتحديد الاسعار وتحديد المقادير ووحدات القياس ، وباصدار التعليمات بنظافة السلع السوقية وسلامتها ، من الغش ،.. وتعهد الى المحتسبين مراقبة المتلاعبين بالاسواق ، وسوقهم الى الحساب فالعقاب ، ومن بعدُ ، منعهم من العقود بالاسواق .

وتقوم البلديات ودوائر الشؤون الاجتماعية بتنظيم المسالك والمسارب في الطرق العامة والخاصة ، ومواقف الناس في المحلات العامة والخاصة وتعهد الى المحتسبين بمراقبة المخلفين للآداب الاجتماعية العامة من الاعتداء بشتى الوانه ، والمضايقة لحقوق الآخرين ، والتجري على قدسية القانون الاسلامي ، او تعاليم الشريعة الاسلامية ، وامثالها . ومسؤولية الحسبة في الحياة الاجتماعية للمسلمين ذات خطورة مهمة ودور خطير مهم .

والاخلال بها اخلال كبير بتطبيق النظام الاسلامي .

وما انتشار المنكرات اليوم بين صفوف المسلمين ولدى ابنائنا ، الا لاننا اهملنا هذا الجانب الخطر في الوقوف امام انتشار المنكر .

واكثر من هذا : وهو ان المحتسبين ـ مع التعمق في واقع الحسبة ـ عيون الحاكم الاعلى واعوانه ، الحاكم الاعلى ذلك المسؤول الاول الذي وضعه الاسلام امام ضخامة مسؤوليته الكبرى وجهاً لوجه ، حيث فرضه مسؤولا عن كل فرد فرد من ابناء الامة ، مسؤولا ان يوفر لهم حقوقهم كاملة ، ومسؤولا ان يدفع عنهم كل ظلامة وكل اعتداء ، « ولعل في الحجاز او اليمامة مـن لا ضمع له في القرص ولا عهد له بالشبع » .

واكثر من هذا ايضاً : ان وضع الاسلام على الحاكم الاعلى ان ينزل الى مستوى اقل فقير في الامة في حياته المعيشية ، ليشعر بما يعانيه ذلك الفقير من شقاء ومرارة حياة ، فيرتفع به الى مستوى الحياة الحرة الكريمة « أأقنع من نفسي بان يقال امير المؤمنين ولا اشاركهم في مكاره الدهر ، او اكون اسوة لهم في جشوبة العيش » .

ان هذه المشاركة الوجدانية اثر عميق من آثار التربية الاسلامية في صوغ نفسية الحاكم الاعلى ، وفي دفعه ان يتعرف مظالم الآخرين لرفعها ما دام الاسلام قد طوق رقبته بهذه المسؤولية الضخمة عن كل حق يظلم من حقوق اى فرد من افراد المجتمع .

والآية الكريمة تشير الى هذا الواجب الملقى على عاتق الحاكم الاعلى في التعرف على شؤون الامة واقامة العدل بينهم ، وبتوفير حقوقهم كاملة ولكل فرد فرد ، وعن طريق الحسبة ، وغيرها من وسائل اخرى .

يقول تعالى : « الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » .

فعلى الحاكم الاعلى ان يجعل كلمة الله هي العليا وكلمة الكفر به هي

السفلى ، وهذه حقيقة واضحة من حقائق الدين الاسلامي ، وضرورة من ضرورياته الاولى .

(١٠)

والرقابة الاجتماعية مضافاً الى انها عامل من عوامل نشر المعروف وعامل من عوامل منع المنكر ، هي عامل مهم ايضاً في صوغ المجتمع مجتمعاً اسلامياً وفي تطويره الى وحدات اجتماعية يضمها اطار اسلامي عام ويلاحم بين اجزائها تعليم اسلامي موحد .

وكلنا يعلم ان المجتمع عامل اهم في صياغة شخصية الفرد وتكوينها . فالرقابة الاجتماعية ـ من هنا ـ تقوم بمهمتين اساسيتين هما : صوغ المجتمع مجتمعاً اسلامياً فتكوين الفرد بتأثيره فرداً اسلامياً .

ولا اظنني بحاجة الى التأكيد على اهمية المجتمع ودوره الاساسي في خلق سلوك الفرد فكرياً وعملياً لانها في مكان من الوضوح .

ومن هنا نستطيع ان ندرك الجانب السلبي لهذا الدور البناء للرقابة الاجتماعية ، وهو ان اهمال الرقابة بطبيعته يؤثر الى حد كبير في تفسخ المجتمع وتدهوره ، ومن بعدُ في تأخر الفرد وانهيار شخصيته .

وينشأ ذلك بشكل تدريجي عادة ، حيث يُتسامح في انكار اول منكر ، وتركه ينمو حتى يستعصي على العلاج دفعة واحدة . وهو ما نقوى ان نسميه بالصراع بين العادات والتقاليد والاعراف الاولى ، وبين العادات والتقاليد والاعراف الدخيلة ، ومن طبيعة الصراع بين قوتين ، احدهما مسندة ، والأخرى مهملة ، ان ينتهي بانحسار الاولى امام الدخيلة .

وخلاصة ما اريد ان اوضحه ـ هنا ـ ان للرقابة جانبين : ايجابي يعمل على صياغة وتطوير المجتمع الى مجتمع اسلامي في جميع وجوهه والمحافظة على اطاره الاسلامي .

وسلبي ينهي الى تحول المجتمع الى مجتمع لا اسلامي •
وكلا المجتمعين ذو تأثير في تكوين الفرد مسلماً او غير مسلم •
يقول الحديث الشريف : « ما ترك قوم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا ذلوا وسلط عليهم شرارهم » •

(١١)

ولماذا انحسرت هذه الرقابة عن مجتمع المسلمين ؟!

ولماذا ابتعد المسلمون عنها فقصروا في اداء هذه المسؤولية الاجتماعية الخطيرة ؟! •

ان الاجابة عن هذا التساؤل تتركز في عامل اساسي هو (الاستعمار الكافر) ، الاستعمار الذي حول ارض المسلمين الى ميدان صراع بين حضاراته الكافرة والحضارة الاسلامية ، وهي في أدوار ضعف القائمين عليها •

والصراع بين حضارتين تملك احداهما مختلف وسائل الدعاية ومختلف قوى الاسناد السياسي ، وتفقد الاخرى تلكم الوسائل وتلكم القوى ينتج حتماً تغلب الحضارة الغازية ولا اريد انْ ادخل في تفاصيل هذا العامل ونحن لانزال نعاني من سوء النتائج وسوء المصير •

(١٢)

والشيء الذي اردت ان اشير اليه او اثيره ـ هنا ـ هو محاولة الكشف عن جانب مهم من تشريعات الدين الاسلامي ، لا محاولة بحثه بحثاً علمياً ، اذ ربما عدت اليه وبحثته على غرار ما عملته في بحث (الحكم الاسلامي اليوم) في رسائلي (في انتظار الامام) •

ومحاولة التوعية الى المقارنة بين واقع المسلمين بالامس يوم كانوا

يفهمون واجبهم الشرعي ، وواقع المسلمين اليوم حيث يعيشون خادرين في ظل عوامل مختلفة ، لا احسبها خفية على ذي وعي .

وما ضيعة (فلسطين) وقيام حكومة اسرائيل الكافرة مركز تقسيم استعماري كافر ، الا واحدة من نتائج الاهمال لمثل هذا الواجب الاسلامي المقدس ، نعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا ، ونسأله العناية والهداية ، انه ولي التوفيق وهو الغاية .

الا وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله تعالى شانه ، وانهما لا يقربان من اجل ، ولا ينقصان من رزق وافضل من ذلك كلمة عدل عند امام جائر .

نهج البلاغة

المواطنة
في التشريع الاسلامي

علي حسن مطر
بكالوريوس في علوم القرآن
واللغة العربية
(كلية اصول الدين)

١ ـ المواطنة في اللغة والاصطلاح* :

المواطنة مشتقة لغة من الوطن ، وهو البقعة من الارض يقطنها الانسان ويتخذها مقاماً . وفي لسان العرب ان « الوطن : المنزل تقيم به .... والجمع أوطان ... واوطنه : اتخذه مقاماً . يقال : اوطن فلان ارض كذا وكذا ، اي : اتخذها محلا ومسكناً يقيم فيها »(١) .

والمواطنة في الاصطلاح : « علاقة قانونية وسياسية بين الفرد ودولة معينة »(٢) ، فهي رابطة بين الفرد والدولة تحدد واجبات كل منهما تجاه الآخر وحقوقه عليه . او هي تنظيم للعلاقات بين الافراد والدولة « فتنشيء لهم حقوقاً على الدولة هي حماية اشخاصهم ورعاية مصالحهم وتمتعهم بالحقوق المدنية والسياسية بجانب ما تنشيء عليهم من واجبات هي طاعة الدولة والاخلاص لها ، وتنفيذ القانون والنهوض بالتكاليف البدنية والمالية »(٣) .

(*) ان مبحث المواطنة في الشريعة الاسلامية هو مبحث الجنسية في القانون الوضعي ، وعليه فقد درجت في تعريف المواطنة اصطلاحا على ايراد تعريف الجنسية كما هو في المؤلفات القانونية .

(١) ابن منظور ، محمد بن مكرم ، ج١٧ و ص٣٤٢ـ٣٤٣ ، مادة وطن .

(٢) عبدالرحمن ، جابر جاد ، القانون الدولي الخاص العربي ، ج١ (القاهرة ، ١٩٥٨م) ص١٣ .

(٣) مصطفى ، حامد ، القانون الدولي الخاص العراقي (بغداد ، ١٩٥٠م) ص٨٦ .

ومنهم من يرى ان الجنسية (المواطنة) « رابطة حديثة بين الافراد والسلطة العامة ترجع في تاريخها الى نحو قرن ونصف قرن »[٤] . ولكن هذا التعريف لم ينبه الى الفرق بين الجنسية كفكرة وبينها كمصطلح ، والواقع ان الحداثة مختصة بجانب العنوان والمصطلح دون الواقع والمضمون ؛ فان « اصطلاح الجنسية كما حددنا معناه آنفاً هو اصطلاح حديث لم يدخل لغة القانون واللغة الجارية الا في اواخر القرن التاسع عشر »[٥] ، اما فكرة الجنسية فقد عرفت في القانون الروماني قبل الميلاد ببضعة قرون[٦] ، كما عرفت ايضاً في الشريعة الاسلامية وان لم يصطلح الفقهاء على تسميتها بالجنسية .

٢ ـ المواطنة : اصلية ومكتسبة :

تتخذ المواطنة شكلين : مواطنة اصلية ، ومواطنة مكتسبة (لاحقة) . وقد اختلفت تعاريف المواطنة بنوعيها تبعاً لاختلاف القوانين الدولية في نوعية الاسس التي تصنعها لمنح حق المواطنة ؛ نظراً لان تلك القوانين تستند في تعريفها للمواطنة الى ما تفترضه من الشروط العامة التي يجب توافرها في المرء ليكون مؤهلا للتمتع بحق المواطنة الاصلية او المكتسبة . فاساس حق المواطنة الاصلية يستند في القوانين الوضعية الى الميلاد ، ولاجل هذا تعرف المواطنة الأصلية بانها « المواطنة التي يحصل عليها الشخص بسبب الميلاد » . اما « المواطنة التي تثبت للمرء بعد ميلاده » فهي المواطنة المكتسبة او اللاحقة .

« الا انه ليست هناك قاعدة جامدة تجري عليها تشريعات الدول المختلفة في طريقة منح الجنسية [الاصلية] بالميلاد . فمنها من جعلت الميلاد

---

(٤) ايضا ، ص٧٩ .

(٥) عبدالرحمن ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٠ .

(٦) بدر ، محمد عبدالمنعم ، القانون الروماني (القاهرة ، ١٩٣٧م) ص٣٠-٣٢ .

[حق الدم أو النسب] العامل الاساسي الذي تكتسب به الجنسية ، بحيث ان من ولد من رعاياها يكتسب جنسية ابويه بواقع الحال ، ولا فرق بعد هذا ان تكون ولادته داخل البلاد او خارجها ... ومنها من جعلت العامل الاصلي الارض التي تقع عليها الولادة [حق الاقليم] . وعلى هذا يكون كل مولود على ارض دولة رعية من رعاياها ، سواء اكان ابواه وطنيين ام اجنبيين ، على حين ان من يولد خارج ارض الدولة يكون اجنبيا وان كان ابواه وطنيين »[٧] .

اما الاسس الموضوعة لمنح حق المواطنة المكتسب ، فهي :

اولا : التجنس ، ويتم بتقديم طلب شكلي الى الدولة التي يرغب الفرد في اكتساب جنسيتها . . وتختلف الدول في الشروط التي تمليها بقانون لمنح الجنسية [بهذه الطريقة] تبعاً للعوامل التي تدعوها الى تكثير السكان او تقليلهم ...

الا ان اغلب الدول لا تقبل تجنس الأجانب الا بعد ان يكونوا قد اقاموا في بلادها مدة معينة ، وكانوا قد اعتمدوا البقاء او كانوا يتقنون لغة البلاد »[٨] .

ثانياً : الزواج ـ في بعض القوانين ـ . فالزوجة تكتسب جنسية زوجها كنتيجة قانونية حتمية للزواج ، لا مجال فيها للتقدير أو ارادة الزوجة ، اذ من الواجب ان يأتي الزواج بوحدة الجنسية في العائلة تاسيسا على جنسية الزوج »[٩] .

---

(٧) مصطفى ، المصدر السابق ، ص٨٩ـ٩٠ .

(٨) ايضا ، ص ٨٩ـ٩٠ .

(٩) عبدالله ، عزالدين ، القانون الدولي الخاص المصري ، ج١ (القاهرة ، ١٩٥٤م) ص١١٨ـ١١٩ .

ثالثاً : عامل تغيير السيادة او الضم . « ويقصد بالضم انتقال اراضي دولة باكملها او انتقال جزء فقط من اراضي تلك الدولة الى دولة اخرى ، ويسمى الضم في الحالة الاولى بالضم الكلي ، ومثاله ضم النمسا لالمانيا في آذار سنة ١٩٣٨م كما يسمى في الحالة الثانية بالضم الجزئي ومثاله ضم منطقة الموصل الى العراق سنة ١٩٢٦ »[١٠] . وفي حالة الضم يكتسب سكان الاقليم المضموم جنسية الدولة الضامة .

وفي الدولة الاسلامية ، وهي الدولة التي تقوم على اساس المبدأ الاسلامي عقيدة ونظاماً ، ترجع القاعدة النظرية لمنح حق المواطنة الى مسألة عقيدية يحددها ارتباط الفرد بالله سبحانه ، او ما يعبر عنه لدى الفقهاء بشرط « الكتابية » . فلم تعرف الدولة الاسلامية مبدأ حق الدم أو الاقليم ، وانما استندت الى العقيدة اساسا في منحها لحقوق المواطنة . فمن كان مرتبطاً بالله بشكل من اشكال الارتباط ، كان له حق التمتع بالمواطنة في الدولة الاسلامية، ويحرم من هذا الحق ذوو العقائد المادية كعبدة الاوثان والكواكب والنيران[١١] لانقطاع صلتهم بالله تعالى .

ويلاحظ ان شكل المواطنة الممنوحة للشخص ، يتأثر دائماً بنوعية عقيدته ، أو ـ بعبارة اخرى ـ بموقف الشريعة الاسلامية من طريقة ارتباطه بالله سبحانه . ولاجل ذلك فقد خصّت الشريعة الاسلامية الانسان المسلم بحق المواطنة الاصلية ، ولم تسمح لاهل الكتاب الا بحق المواطنة المكتسبة ؛ نظراً لايمانهم بعقائد محرّفة من وجهة النظر الاسلامي . وعلى ذلك تحصر

---

(١٠) عبدالرحمن ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٨٥ .

(١١) أ ـ الطوسي ، محمد بن الحسن ، المبسوط في فقه الامامية ، ج٢ (طهران ، ١٣٨٧هـ) ص٣٧ .

ب ـ الغزالي ، محمد بن محمد ، الوجيز في فقه الشافعي ، ج٢ (القاهرة ، ١٣١٧هـ) ص١٩٨ـ١١٩ .

الجنسية الاصلية في « الحق الذي يستمده الانسان ليكون مواطناً في الدولة الاسلامية نتيجة لكونه مسلماً » اما المواطنة اللاحقة فهي « المواطنة التي تمنحها الدولة الاسلامية لاهل الكتاب بموجب عقد الذمة » ، واهل الكتاب « هم اليهود والنصارى ••• ويجري المجوس مجراهم ••• والصابئون والسامرة اذا وافقوا اليهود والنصارى في اصل معتقدهم وان خالفوهم في فروعه »[١٢] .

ويسمى الكتابي المكتسب لحق المواطنة « ذمياً » واللفظ مأخوذ من الذمة التي تعني في اللغة : العهد والأمان[١٣] . ووجه المناسبة في الاطلاق ، ان الكتابي بحصوله على حق المواطنة يكون في عهدة الدولة الاسلامية وامانها . ولهذا عرف الذميون بانهم « المعاهدون من اليهود والنصارى وغيرهم [من اهل الكتاب] ممن يقيم في دار الاسلام »[١٤] .

والذي يراه بعض الباحثين :ان الكتابي اذا اكتسب الجنسية الاسلامية « لحظة ولادته ، فهي جنسية اصلية ، واذا اكتسبها بعد ولادته فهي جنسية لاحقة . وتتصور الجنسية الاصلية للذمي في حالة ما اذا ولد للذمي ولد ، فان هذا المولود يتبع اباه في الذمة منذ لحظة ولادته فيكتسب جنسية دار الاسلام »[١٥] .

---

(١٢) الماوردي ، علي بن محمد ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية (القاهرة ، ١٣٨٦هـ) ص١٤٣ .

(١٣) أ ـ ابن منظور ، المصدر السابق ، ج١٥ ، ص١١١ـ١١٢ ، مادة ذمم .

ب ـ الفيروزابادى ، محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، ج٤ ، ص١١٧ ، مادة ذمة .

(١٤) السرخسي ، محمد ، شرح السير الكبير ، ج١ (حيدر آباد ، ١٣٣٥هـ) ص١٦٨ .

(١٥) زيدان ، المصدر السابق ، ص٦٦ .

وهذا التصور انما يكون صحيحاً في حدود القوانين الوضعية التي تأخذ بعامل الولادة اساساً لمنح الجنسية الاصلية ، ولا يصح في نطاق التشريع الاسلامي ؛ لاختلاف الاسس الفكرية ، فقد عرفنا ان مفهوم المواطنة في الدولة الاسلامية يرتكز على اسس عقيدية ، وان المواطنة الاصلية حق يختص به المسلمون وحدهم على اساس توافر الصفة الاسلامية فيهم ، ولما كانت ولادة الذمي في الوطن الاسلامي لا تجعل منه مسلماً ، فلا يمكن بحال ان تكون مبرراً لمنحه الجنسية الاصلية . والصواب : ان هذا المولود يتبع اباه في الذمة ، وما الذمة الا تعبير عن حق المواطنة المكتسب الذي يتمتع به الكتابيون في الدولة الاسلامية .

واذا كان الدكتور عبدالكريم زيدان على علم بالمعنى المتقدم ، ولكنه اراد مع ذلك ان يصطلح على تسمية الجنسية التي يحصل عليها الكتابي المولود داخل الدولة الاسلامية بالجنسية الاصلية ، ففي الواقع انه لا مشاحة في الاصطلاح ؛ فللباحث ان يصطلح للجنسية الاصلية او المكتسبة اي معنى يريد، ولكن الاصطلاح انما يكون من اجل تحديد المفاهيم التي تختلف في آثارها واحكامها .

ولما لم يكن ثمة فرق بين المسلم بالولادة والمسلم بعد ذلك ، كما انه لا فرق بين الذمي المولود داخل الدولة الاسلامية او خارجها في الاحكام والآثار ، فلا يصح حينئذ هذا التفريق الذي ذكره الدكتور زيدان .

وعلى الرغم من وضوح الموقف التشريعي من فكرة المواطنة بالشكل الذي عرضناه ، فقد قدر لهذه الناحية من الموضوع ان تكون مثارا لخلاف داخلي حين افتى بعض فقهاء المسلمين ـ رحمهم الله ـ بجواز اخذ الجزية، الذي يعبر عن منح حق المواطنة المكتسب لجميع اصناف غير المسلمين بمن

في ذلك ذوو العقائد الوثنيّة[١٦] مستدلين على صحة ما يذهبون اليه بدليلين :

اولهما : حديث بريده ، وفيه ان رسول الله (ص) كان « اذا بعث اميرا على سرية او جيش اوصاه بتقوى الله ... وقال : اذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال ، فايتها اجابوك اليها فاقبل منهم وكف عنهم ، ادعهم الى الاسلام ... فان هم ابوا فادعهم الى اعطاء الجزية ، فان هم اجابوا فاقبل منهم وكف عنهم ، فان هم ابوا فاستعن بالله تعالى وقاتلهم »[١٧] . « وفي الحديث دليل على ان الجزية تؤخذ من كل كافر ، كتابي او غير كتابي ... لقوله « عدوك » وهو عام ... وحمل « عدوك » على اهل الكتاب [فقط] في غاية البعد »[١٨] .

والثاني : من الواقع التطبيقي الذي يوضح ان النبي (ص) كان « يقاتل المشركين من العرب واليهود ، ولم ياخذ منهم الجزية ، ثم نزلت آية الجزية ، فاخذها من اهل نجران وهم من نصارى العرب ، كما اخذها من المجوس وهم ليسوا اهل كتاب ، واخذها من المجوس دليل على جواز

---

(١٦) أ ـ الزرقاني ، محمد بن عبدالباقي ، شرح موطأ الامام مالك ، ج٢ (القاهرة ، ١٣٧٩هـ) ص١٣٩ .

ب ـ القرطبي ، محمد بن احمد ، الجامع لاحكام القرآن ، ج٨ (القاهرة ، ١٣٥٧هـ) ص١١٠ .

(١٧) أ ـ ابو داود ، سليمان بن الاشعث ، السنن ، ج٢ (القاهرة ، ١٣٧١هـ) ص٣٥ـ٣٦ .

ب ـ ابن ماجه ، محمد بن يزيد ، السنن ، ج٢ (القاهرة ، ١٣٧٣هـ) ص٩٥٣ـ٩٥٤ .

(١٨) الصنعاني ، محمد بن اسماعيل ، سبل السلام شرح بلوغ المرام من ادلة الاحكام ، ج٤ (القاهرة . لات) ص٤٦ـ٤٧ .

اخذها من جميع المشركين ، وانما لم يأخذها النبي (ص) من عبدة الاوثان العرب ؟ لانهم اسلموا كلهم قبل نزول آية الجزية »[١٩] .

وبخصوص الدليل الاول ، فانه يبدو من الاوفق حمل حديث بريده على التقييد القرآني ، والاعتقاد بان الوصية كانت خاصة باهـــل الكتاب ؟ ذلك ان المصادر التاريخية لا تؤيد القول بدلالة الحديث على العموم ؟ ففي السنة العاشرة للهجرة بعث النبي (ص) « خالد بن الوليد الى بني الحرث بنجران ... وامره ان يدعوهم الى الاسلام ثلاثا ، فان هم اجابوا ، اقام فيهم وعلمهم شـرائع الاسلام ، وان لم يفعلوا قاتلهم »[٢٠] . وفي السـنة ذاتها ايضا بعث عليا (ع) الى اليمن « وقال : امض ولا تلتفت ، فاذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلنهم حتى يقاتلوك ... فدعاهم الى الاسلام فابوا [فهجم] عليهم علي باصحابه ، فقتل منهم عشرين رجلا ... ثم دعاهم الى الاسلام فاسرعوا واجابوا »[٢١] . ونحن لا نجد في هذين النصين ذكرا للجزية ؟ نظرا لان الحملتين كانتا موجهتين لقوم وثنيين .

واما الدليل الثاني ، فقد ارتكز على فرضية كون المجوس ليـوا باهل كتاب ، وهي فرضية لا يمكن الالتزام بصحتها ؟ فان القرآن الكريم يعـد المجوس « من سائر اصحاب النحل السماوية في قبال الذين اشـركوا »[٢٢] وذلك قوله تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصـارى

---

(١٩) ابن القيم ، محمد بن ابي بكر ، زاد المعاد في هدى خير العبـاد ج٣ (القاهرة ، ١٣٤٧هـ) ص٢٢٤ .

(٢٠) ابن الاثير ، علي بن محمد ، الكامل في التاريـخ ، ج٢ (القاهرة ، ١٣٤٩هـ) ص ١٩٩-٢٠٠ .

(٢١) ابن سعد ، محمد ، الطبقـات الكبـرى ، ج٢ (بيروت ، ١٩٦٠م) ص١٦٩-١٧٠ .

(٢٢) الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ج٩ (طهران، ١٣٧٩هـ) ص٢٤٦-٢٤٧ .

شيء شهيد[٢٣] . وفي كنز العمال عن النبي (ص) : « المجوس طائفة من اهل الكتاب فاحملوهم على ما تحملون اهل الكتاب »[٢٤] . وجاء في الوسائل عن ابي عبدالله (ع) ان النبي (ص) قد كتب « الى اهل مكة ، ان اسلموا والا نابذتكم بحرب . فكتبوا الى النبي (ص) ان خذ منا الجزية ودعنا على عبادة الأوثان . فكتب اليهم النبي (ص) : اني لست آخذ الجزية الا من اهل الكتاب . فكتبوا اليه يريدون بذلك تكذيبه : زعمت انك لا تاخذ الجزية الا من اهل الكتاب ، وقد اخذتها من مجوس هجر . فكتب اليهم رسول الله (ص) : ان المجوس كان لهم نبي فقتلوه وكتاب احرقوه »[٢٥] .

كما انه ليس من الصحيح تفسير عدم قبول الجزية من عبدة الاوثان العرب ، بادعاء اسلامهم جميعا قبل تشريع الجزية ، فحتى لو اخذنا برواية مجاهد والتي تؤرخ لنزول آية الجزية في السنة التاسعة للهجرة، حين امر رسول الله واصحابه بغزوة تبوك[٢٦] . فاننا لانعدم شاهداً على وجود الوثنيين في الجزيرة العربية حتى ذلك الوقت . وقد تقدم قبل قليل ان رسول الله قد بعث في السنة العاشرة للهجرة بخالد بن الوليد الى بني الحرث بن كعب بنجران ، وهم عرب ، وامره ان يدعوهم الى الاسلام ثلاثاً ، فان لم يستجيبوا قاتلهم . على ان معظم المصادر الاسلامية تفيد ان الجزية قد عرفت قبل السنة التاسعة للهجرة . ففي السنة الثامنة للهجرة بعث النبي (ص)

---

(٢٣) سورة الحج ، الآية ١٧ .

(٢٤) الهندي ، علي المتقي ، ج٤ (حيدرآباد ، ١٣٧٣هـ) ص٢٣٣ .

(٢٥) الحر العامي ، محمد بن الحسن ، تفصيل وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة ، ج٩ (طهران ، ١٣٧٩هـ) ص٢٤٦-٢٤٧ .

(٢٦) ابو عبيد ، القاسم بن سلام ، الاموال ، ج١ (القاهرة ، ١٣٨٨هـ) ص٢٩ .

العلاء بن الحضرمي ، الى البحرين ليدعوا اهلها الى الاسلام أو الجزية »[٢٧] ، وقد قيل : ان رسول الله (ص) وجه العلاء حين وجه رسله الى الملوك في سنة ست »[٢٨] . وفي السنة الثامنة للهجرة ايضا « بعث رسول الله (ص) عمرو بن العاص الى جيفر وعمرو ابني الجلندي من الازد مصدقاً ... فاخذ الصدقة من اغنيائهم وردها على فقرائهم ، واخذ الجزية من المجوس الذين بها »[٢٩] . « ولما بلغ اهل تيماء ما وطيء به رسول الله (ص) اهل وادي القرى صالحوه على الجزية ... وكان قتال رسول الله (ص) اهل وادي القرى في جمادى الآخرة سنة سبع »[٣٠] .

ومن المحدثين من يرى ان عدم قبول الجزية من بعض المشركين « اكراه لهم على تبديل عقيدتهم وارغامهم على الدخول في الاسلام كرهاً ، وهذا خلاف المقرر في الشرع الاسلامي من انه « لا اكراه في الدين » وان الاسلام يدعو الى الايمان عن طريق الاختيار والنظر في الدلائل »[٣١] .

والواقع ان عدم قبول الجزية من بعض المشركين لا يعني دائماً اجبارهم على اعتناق الاسلام ، بل هو يفرض عدم السماح لهم بالمواطنة في الدولة الاسلامية ، اللهم الا اذا استوعب الحكم الاسلامي قاطبة ارجاء الارض . على ان الروايات التي وصلتنا بشأن قوله تعالى « لا اكراه في الدين » تظهر انا على ان الآية الكريمة مختصة باهل الكتاب حسب ، ففي الدر المنثور « عن الحسن في قوله « لا اكراه في الدين » قال : لا يكره اهل الكتاب على

---

(٢٧) ، (٢٨) البلاذري ، احمد بن يحيى ، فتوح البلدان (القاهرة ، ١٩٥٩م) ص٨٩-٩٠ .

(٢٩) الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٣ (القاهرة ، ١٩٦٢) ص٩٥ .

(٣٠) البلاذري ، المصدر السابق ، ص٤٨ .

(٣١) زيدان ، المصدر السابق ، ص٣٠ .

الاسلام »[٣٢] . وعن الشعبي ان « المرأة من الانصار تكون مقلاة لا يعيش لها ولد ، فتنذر ان عاش ولدها ان تجعله مع اهل الكتاب على دينهم . فجاء الاسلام وطوائف من ابناء الانصار على دينهم فقالوا : انما جعلناهم على دينهم ونحن نرى ان دينهم افضل من ديننا ، وان الله جاء بالاسلام فلنكرهنهم . فنزلت : لا اكراه في الدين »[٣٣] .

بقي ان نشير الى ان المذهب الحنفي يرى جواز عقد الذمة لكافة غير المسلمين ايضاً ، شريطة ان لا يكونوا من الوثنيين العرب . وحجته ان النبي (ص) لم يقبل من العرب الا الاسلام أو السيف ، ولأن قوله تعالى « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » نزل في عبدة الاوثان من العرب »[٣٤] .

والجواب : ان عدم اخذ الجزية من الوثنيين العرب طبيعي ؛ لتوفر صفة الوثنية فيهم لا لكونهم عرباً . وان قوله تعالى « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » لم ينزل فيهم بوصفهم عرباً ليختص بهم ، بل هو يحدد الموقف منهم باعتبارهم مشركين بالله تعالى ، فلابد من اعمام الحكم لكل مشرك بقطع النظر عن قوميته استناداً الى قاعدة ان مورد النزول لا يخصص الوارد .

وفي كتاب الأموال « ان النبي (ص) خص عرب اهل الكتاب بالجزية دون من لا كتاب له منهم ، ثم لم يرض من سائرهم الا بالاسلام او القتل . وعم العجم من ذوي الكتب ومن لا كتاب له بقبول الجزية منهم ، وهم

---

(٣٢) السيوطي ، عبدالرحمن بن ابي بكر ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، ج١ (طهران ، ١٣٧٧هـ) ص٣٢٩ .

(٣٣) ايضا ، ص٣٣٠ .

(٣٤) أ ـ ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم ، الخراج (القاهرة ، ١٣٤٦هـ) ص١٥٤ .

ب ـ الجصاص ، احمد بن علي ، احكام القرآن ، ج٣ (القاهرة ، ١٣٤٧هـ) ص ١١٣ـ١١٥ .

المجوس ... فلما فعل ذلك استدللنا بفعله على ان الآية التي نزل فيها شرط الكتاب على اهل الجزية ، انما كانت خاصة للعرب ، وان العجم تؤخذ منهم على كل حال »[٣٥] .

ومن الغريب ان هذه المحاولة في الاستدلال على تخصيص الحكم القرآني بالسنة النبوية ، تتجاهل ان النبي (ص) قد اخذ الجزية من مجوس هجر[٣٦] ، وهم عرب . فحتى لو اننا افترضنا ان المجوس ليسوا باهل كتاب ـ وهو مما تقدم الدليل على خلافه ـ لما كان استدلاله على تخصيص شرط الكتابية على اهل الجزية بالعرب وحدهم صحيحاً ومنتجاً ، مادمنا نعلم ان النبي (ص) لم يقتصر في اخذه للجزية على مجوس العجم حسب ، وانما اخذها من مجوس العرب ايضاً .

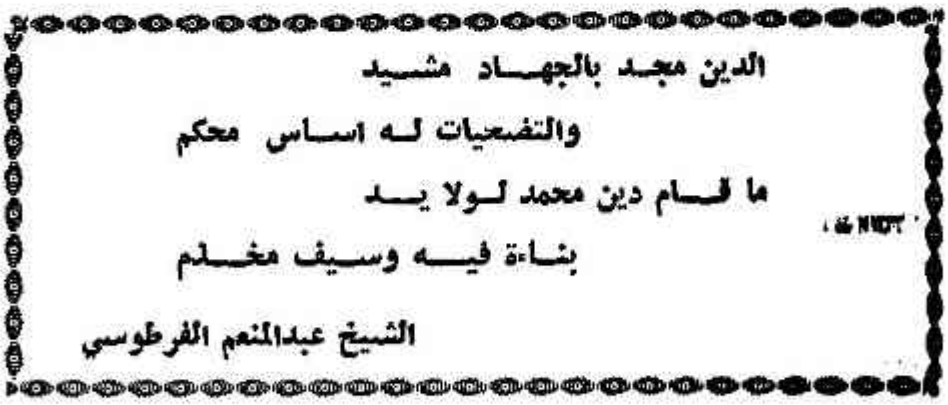

(٣٥) ابو عبيد ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٢٧٤ـ٢٧٥ .
(٣٦) ايضا ، ج١ ، ص٤٤ .

يا شباب التوحيد

يا شباب التوحيد ، اما وجدنا ، في طريق الجهاد شوكا وجمرا
فعلينا ان نبدل الشوك نسرينا ، يفيض خيرا وعطرا
ونحيل الجمر الذي يتلظى ، عزمة تملأ القلوب فتضرى
لتعود الجراح تبدع لحنا ، من دم التضحيات يكتب نصرا

* * *

ياشباب التوحيد ، ان قطع الخصم علينا مسيرة العظماء
اننا لم نزل على العهد نمضي ، في طريق الابرار والانبياء
بدوا موجة التشاؤم والياس ، ورشوا الربيع في الصحراء
ليعود الصبح المنجغ بالنور فيروي نفوسنا بالضياء

* * *

« مفهومان لانتظار الامام (ع) »

ياشباب التوحيد ، ان خدرتنا ، موجة الجهل بانتظار الامام
لونوا الانتظار بالياس والخوف ، ليحيوا في راحة وسلام
لفقوا ـ جاهدين ـ الف حديث ، يقتل الوعي في الشباب النامي
ثم قالوا : ان ثارت الفتن الهوج فمرحى للمؤمن النوام(١)

* * *

ايها النائمون ، هذا كتاب الله ، يدعو بدعوة التوحيد
حرروا الجيل من خرافات قوم ، سارعوا يرتضون ذل القيود
امن الدين ان نظل لحكم الكفر في ارضنا اذل عبيد
ام من الدين ان نعطل شرعا ، يملأ الكون بالصباح السعيد

* * *

(١) اشارة الى ما يروى عن النبي (ص) في حديثه عن آخر الزمان بانه قال : « خيركم المؤمن النومة » .

ايهـا النائمـون هلا انتبهتم ، فلقـد صك مسـمعي بالنحيب
حين ضحى قرآننـا مسـتغيثا ، اذ عـلا منكبيـه الف صليب
النواقيس اخرسـت كـل لحن ، يملأ النفس بالنشـيد الطروب
وخبت نغمـة المـآذن لمـا ، بومـة الديـر آذنـت بالنعيب

* * *

ياشباب التوحيـد ، ليس انتظـار القائد الفذ ان نعيش وعيه
كلمـا زمجـر الضـلال لجـانا ، لروايـات قومنـا في « التقيه »
او قرانا « ملاحمـا » او عددنـا ، للعلامـات احرفـا ابجديـه(١)
انما الانتظـار تغيـر جيـل ، حسبما يرتضي امـام البريه

* * *

لفـة الانتظـار تقضي بانـا ، نتحـدى اعـداءنـا صامدينـا
يرتوي مشـعل الهـدى من دمانـا ، واهبا للحيـاة فجرا مبينـا
حيث ان الطـريق لابـد مفض ، لانتصـارات قائـد لن يلينـا
سوف تعنو للحق مهما اسـتطالت في الغوايـات اوجه الـكافرينا

* * *

امل راعش بفتـح قـريب ، يملأ الخافقـين قسـطا وعـدلا
نحن جنـد له ، سـننفرش درب المجـد نورا يضيء نجدا وسـهلا
ايمـا مؤمـن راي منكـرات ، ثـم أغضى عنهـا جبـانا وولى
لم يـكن يدخـل الجنـان قرير العين ، مهما صـام الزمـان وصلى

* * *

ياشباب التوحيـد ، ياسـوط فجـر ، يتلوى على فم الظلمـاء
نحن جيـل الجهـاد والعزمـة البـكر ، وجيش انطلاقـة وبنـاء
قد نذرنـا النفـوس لله ندعـو ، للهـدى رغم سـطوة الدخـلاء
نفرش الدرب بالاضـاحي نثارا ، ثم نرويـه مـن دم الشـهداء

* * *

---

(١) الملاحم اشارة الى كتاب « الملاحم والفتن » والعلامات هي : علامات الظهور للامام (ع) .

ياشباب التوحيد ، أما قرانا ، سفر تاريخنا بوعي وصبر لوجدنا الاسلام يخلق جيلا ، ينقذ الناس من ضلال وفقر رائدا ينشر الصلاح بكف ، وباخرى يخط عنوان نصر همه ان يرى الشريعة تسمو ، ليس يحيا مفهوم عبد وحر

* * *

ياشباب التوحيد نحن جنود الله في الارض لا نخاف الاعادي « انتم الغالبون » قال لنا الوحي لانا حزب الهدى والرشاد(١) « اننا مؤمنون والله قد قال بانا « الاعلون » يوم التناد لم نهن ساعة ، ولم نك نحزن ، انما الله عوننا في الجهاد

* * *

ياشباب التوحيد ، ياموكب الفتح ، ويابسمة الصباح نديا اظلم الافق من كواكبه الزهر ومات الشعاع في مقلتيا واستباح « الصليب » عز كتاب وهب الارض عزة ورقيا فاملأوا الكون صيحة تتعالى « جاء طه للعالمين نبيا »

محمد صالح جعفر الظالمي
النجف الاشرف
٢٠-٤-١٣٩١هـ

---

(١) اشارة الى الآيتين الكريمتين قوله تعالى :
« الا ان حزب الله هم الغالبون » و « ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون أن كنتم مؤمنين » .

خيام وخيانة

في ظل المدفع والخيمة ... وبظل النجمه والغيمه
شعب قد عاش بلا امل ... والغدر امات له حلمه
شعب قد بات ومنيته ... يحظى بالدفء وباللقمه
عشرون ونحن نطمئنه ... بأماني الوهم وبالكلمه
ودروب النصر نعبدها ... باللحن الراقص والنغمه
عشرون ونحن نعد لها ... لتكون النكسة للامه
وتضيع القدس وعز النفس ونغنق فجرا بالعتمه

* * *

يا شعب فلسطين الدنيا ... في قبضة من جرد عزمه
والنصر لمن في لغة النا ... ر يجيب ليفهمها خصمه
الزحف بالثار تصيره ... نورا للتائه بالظلمه
واضرب بالحقد تفجره ... نارا تقتات على النقمه
نارا لليل تذوبه ... فيطل الفجر مع البسمه

* * *

يا شعبا ثار وشق الدرب ... لسوح النصر الى القمه
فجرت الثورة فاندلعت ... رعبا ينهال بلا رحمه
رعبا ما الموت ببالغه ... هولا ، فالويل لمن عمه
اضرب لا الغاصب يوقفها ... حربا او يثني لكم همه
ان مدت ايدي السلم لمن ... لم يبق لقدسي من حرمه
فامدد بالحرب يديك لهم ... واجعل ذا السلم لها طعمه
واستحق من ساروا للاعدا ... ، على الهامات بلا ذمه
فرسان العار اضاعوا الثا ... ر وخانوا المبدأ والامه

* * *

الشعب اللاجيء في الصحـــرا ٠ يـذيب البؤس لـــه عظمـــه
حكـــام العـرب اتوا بالـذنب بخـوض الحـــرب بلا حكمـــه
فهـم الاشـتات ومـا اتفقـوا يومـــا في راي او كلمـــــه
للحرب توحـــد شمـــلهم توحيـدا بـــان لنـا عقمـــه
عـــادوا والـــذل يكللهـــم لعروش الحكـم وذي الغنمـــه

* * *

ياشعبي الصـامد والدنيـــا لم تثن لدى هـــول عزمـه
الثـورة انت وانت النصـــر وانت العاصـــف والنســـــمه
حـاذر أعـــداءك من عـــرفوا بولاء الغـرب فذي الطغمـــه
ظـــل للكفـر على وطنـــي وهم في الغـــدر اولوا همـــه
عزفوا الحـان النصـــر لنـــا ولنحن الاعـرف بالنغمـــه
تعني ستقـام لنـــا خيـــم اخـرى للموت ٠ ومن ثمـــه
يمضي الحكـــام بفلســـفة للوضـع ويصلن ذي الامـــه
بغد تنحـــل اذا اجتمعـــوا زعمـــاء الغرب وذي الامـــه

محمد حسين عبدالكريم

« ربنـا افـرغ عليهمـا صبرا »

تهجـــدا واســـجدا لله واتصلا
بالذكر ان الدنا سجن لمن زهدا
ففي الائمـــة من امضى بمحبسه
جل الحياة وفي الاغلال قد صفدا
وما اشتكى ابدا من جور نائبـة
ولا توانى عن التسبيح بل حمدا

مناجاة

عبد الامير البدري

قم نناج الفجر في حجر الطبيعه
فنرى انواره تزهو سطيعه
لنرى زهر الاقاح
في ترانيم الصباح

قم فقد اشرق في الروح الامل
باسم الطلعة فينا قد اطل
رائع الوجه جميلا
قم ودع عنك الخمولا

فنشيد الفجر يستنهضنا كي لا يرى
واجما - يعلوه صمت - أو كسولا

ها هو الفجر ينادي ملء صوته
هاتفا : « حي على خير العمل »
فاجب عذب النداء :
مرحبا ... ياحيهل

فلقد ولى الظلام ....
وانجلت عنا الغياهب
ذهبت من غير رجعه

فاقض ما لله واجب

قم وكن في الصبح راهب
لا كسراهب .....

جـاء يقضي عمره في الصومعـه
لبس الاحزان ثوبا واكتسى اليأس معه
تاركـا زهو الحيـاة الناعمـه

قـم وناج الله قل : « الله أكبر »
ذاك صوت الحق فينـا قـد تفجـر
فلقـد خـاب الذي يطغى بمـال
او بسـلطان تجبـر

قـل : الهى لك حمـدي
انت لم توصف بنـد
فلنـا في كـل حين
بك يا رب يقـين
ذاك درب السـائرين
للحيـاة الابـدية
بلحـون سـرمدية
فهـو صوت الشـاكرين
وهتـاف القانتـين ....
الحامـدين ....
الذاكـرين

« فاستجاب الله أني لا اضيع »
عملا أخلصتم فيـه النوايـا
وتسامت تصنع الخير أكف وطوايا
وبقيتـم خلصـاء ....
واستقمتم حنفـاء
تطلبون المجد من بين البرايـا
سـالكين الدرب ... رغم المهلكات
تنشـدون الحق والخير ....
لابنـاء الحيـاة

قصة قصيرة

في ليلة من ليالى سنة (١٦٥)هـ

ابراهيم رفاعة

خلال ظلمة زقاق ملتو طويل ، كان يسير • ما كان يبدو منه في الظلام الا ملامح مبهمة لهيكل يسعى في الزقاق ويطوف في الطرقات • بين الحين والحين كان وجهه يضيء بنور أصفر ضئيل ينبعث من خلال شقوق النوافذ والابواب لبعض البيوت الساهرة ، وسرعان ما يترك عمود الضوء وراءه ملقى على الارض • وصل الى نهاية الزقاق الذي دار الى اليمين ، فدار هو مع الزقاق • في أول انعطافه ظهر نور مصباح ليلي معلق على حائط أحد البيوت ، فغمره حتى ظهر هيكله واضحاً مرئياً • بهاء وحزماً ومسحة من الحزن الشفاف كشف المصباح الزيتي في وجهه المتطلع • بدت شفتاه تتحركان بوضوح دونما صوت • أما عيناه فتدوران في موقيهما تيقظاً وانتباهاً ، فكانتا بابيه الكبيرين الى ما حوله من البيوت والازقة والظلمات • مازال يسير بقامته المديدة وجلبابه الاسود • من عمق بيت على يساره سمع صوت انين يتشاجران • قرب ما بين قدميه وأبطأ في مشيه • ارتفع الصوت واشتد الرشق بالكلمات فوقف لحظة ثم خفت الصوت وتلاشى • تابع السير • صف من بيوت غارقة في الظلام • من نافذة مفتوحة انطلقت ضحكات خشنة متتابعة ، تحولت فيما بعد الى سعال متصل • انعطف الزقاق مرة اخرى • كان المصباح في أول هذا الانعطاف مطفأ ، لكن الزقاق مغمور بضوء أبيض خفيف شفيف • رفع رأسه الى أعلى قليلا فرمق البدر • مالت قدماه الى اليسار حتى اقترب

من جدار بيت قديم ، ينام في الظلمة ، كأنما هجره أهله منذ سنين • طرق الباب طرقاً خفيفاً تردد صداه في الزقاق ثم اختفى الصـــدى في الصمت • سمع من وراء الباب صوتاً ضعيفاً :

ـ من يطرق الباب ؟

ـ أنا •

ـ وما تريد ياسيدي في منتصف الليل ؟

ـ افتحي •• خذي رزقاً ساقه الله سبحانه اليكم •

فتحت الباب ، فمد يده وراء الباب •

ـ خذي • بارك الله لكم فيه •

أجابت والكلمات تتدافع في فمها :

ـ قد والله استحيينا من كثرة ما تتفضل به علينا في الليالي •

كأنه لم ينتبه الى كلامها الاخير :

ـ أخبريني عن رب البيت •• ما فعل الله به ؟ •

ـ ياسيدي بدأت العافية تدخل بدنه بفضل الله وفضلكم •

ـ اللهم اكتبه في الصابرين الشاكرين •

بعث دعاؤه في نفسها الثقة والشجاعة :

ـ ياسيدي بنفسي شيء طالما استحييت أن أبوح به •• ياسيدي اني أسأل :

أنت من تكون ؟

ـ عبد من عبيد الله •

قالها باقتضاب وحزم •

ـ (بحسرة خائبة) يارحمة الله !

تركها وانصرف • أحس ببرودة الجو تشتد ، وبرطوبة أرض الزقاق تصعد الى قدميه • أرهف السمع • اتضح له صوت كأنه آت من بعيد يرتل آيات من الكتاب • وقف وأنصت بكل جوارحه ليستمع الى هذا الصوت الرقيق •• وحين تحركت قدماه كانت دمعتان تسقطان على خديه ، ووجهه يتهلل ويضيء • بلغ باحة تفضي الى زقاقين مظلمين • من خلل النوافذ والباب المفتوح لبيت في نهاية الطريق أمتدت أضواء كشفت عن جانب من الزقاق • انجذبت عيناه الى الباب والنوافذ • تعلق سمعه بما في داخل الدار• أصوات مختلطة معربدة تقتحم الباب الى الخارج مع حزم الضوء القوي • ميّز بينها صوت عزف وغناء وتعليقات شاتمة عابثة تخرج من أفواه سكارى• ثبّت عينيه غيظاً وانفعالا • هم أن يحث خطاه نحو الدار ، لكنه لمح خليطاً من الاوساخ وقشور البرتقال تنقذف على جانب الطريق من يد امرأة وقفت بالباب أدرك أنها خادمة • اقترب منها بخطى قوية مقتحمة :

ـ يا جارية ، صاحب هذا البيت حر أم عبد ؟ •

تطلعت اليه باهتمام وضبّقت عينيها ، وقالت وهي تشير بيديها :

ـ صاحبه حر ياسيدي •

قال بعمق ويقين كمن يخاطب نفسه :

ـ لو كان عبدا لاستحى من مولاه •

قالها ومضى حتى واراه منعطف أحد الزقاقين • أما هي فظلت تتابعه بنظراتها مندهشة لحظة ثم اختفت وراء الباب •

ما كادت تجتاز الممر الى فناء الدار حتى فوجئت بعينيه الثابتتين الحادتين تخترقان كيانها الى الاعماق • أحست أنها تغرق متخاذلة في عينيه المفترستين• صرخ بها :

ـ من كان يكلمك عند الباب يابنت القديمة ؟! في بيتي أنا تستقبلين

العشاق؟! من علمك الضحك على ذقني ؟.. والله لأعلمنك كيف تبكين على حياتك ! .

لم تدر كيف أخطأها قدح قذفت به يده القوية ، الا أنها سمعت وراءها صوتاً أدركت معه أن القدح أصاب الجدار فتكسر . شعرت أنها تتخاذل وأن قدميها لا تحملانها ، لكنها بقيت واقفة مأخوذة بين مفاجئات الليلة الغريبة : قبل لحظات حدثها الرجل الرزين بما يشبه الألغاز ، وها هي ذي تشهد أول حل هذه الألغاز شديدا قاسياً . كثيراً ما كان يشتمها أو يضربها في حالات السكر والعربدة ، أما الليلة فليس لها غير ستر الرب . أخيراً عثرت على كلمات :

ـ لا والله ياسيدي ، ما كان شيء من ذلك . صدقني ياسيدي . اقسم بالله أن رجلا لا أعرفه ياسيدي ما رأته عيناي من قبل .. مر بالدار .. وسألني عنك ياسيدي . والله ياسيدي صدقني .

شعر بشيء من الصدق في لهجتها . ثلاث سنوات وهي تخدمه ولا تفضح أسرار سطوه على البيوت في ظلام الليل ، ولا تتحدث عن رفاق الشراب والعبث والنساء . طيلة هذه المدة لم يلحظ عليها شيئاً مما وصفها به الليلة . قد تكون بريئة ، ولكن المسألة باتت تهمّه هو :

ـ ماذا تقولين ؟! يسأل عني أنا ؟! ماذا يريد ؟ لم لم تسأليه قطع الله لسانك !

توقف العزف نهائياً ، وسكتت المغنية متبرمة منزعجة . أرهف الندمان انتباههم لما يدور .

ـ سامحني ياسيدي .. لقد سألني وذهب وتركني حائرة من كلامه ، وحق رب البيت !

- هه ! يابنت القديمة • اخبريني ماذا قال عني • صفيه لي ، ولا تكتمي عني شيئاً أو لأدقن عنقك !

- نعم • نعم ياسيدي •• وقفت بالباب أرمي الأوساخ فرأيت رجلا يمر قرب الدار •• والله ياسيدي ما رأيت مثله في حياتي •• حتى انني والله اختشيت منه واستحييت لما رأيته •• يارب عفوك ••

- آ • وماذا بعد ؟

- سألني عنك ياسيدي وقال : هل رب الدار سيد أم عبد ؟

ان ما سمع أقل مما يتوقع كثيراً • ضحك ضحكات مفتعلة تبعثها السخرية والاستعلاء :

- ألا يعرف من أنا ؟؟ أكملي أكملي • فلعله يحب أن يكون غريمي الليلة • وبم أجبتيه ؟!

- نعم نعم ياسيدي (بلعت ريقها بعناء) طبعاً قلت له : ان سيدي حر ابن حر ! فقال لي •• لا تؤاخذني ياسيدي •• قال لي ••• صرخ بها :

- وماذا قال ؟! تكلمي

- قال لي ياسيدي : لو كان عبداً •• لو كان عبداً لا ستحى من مولاه !

شعر كأن كرسياً سحب من تحته فسقط على الارض فجأة • مرت لحظات دون أن يتحرك • رددت شفتاه بهدوء وكأنه ينظر الى البعيد « لو كان عبداً لاستحى من مولاه •• لو كان عبداً لاستحى من مولاه ••• » • أحسّ أنه يهبط ويهبط حتى بدأ يفقد احساسه بجسده • غامت الاشياء في عينيه • أهو يحلم فتتماوج الرؤى وتتماوج حتى دار رأسه في دوامة غريبة

غامضة ؟! أما الحاضرون فرأوا رعدة خفيفة أخذته حتى جعل جسده كله يهتز ، والعرق يغطي جبينه • وحين انتبه الى نفسه بعد لحظات كانت الاقداح والقناني تتكسر وتتقذف بضربة من قبضته دوت في المكان • انتصب واقفاً بعنف وجنون • تناول شيئاً من يد أحـــد الجالسين فما أحس الا المعزف يتناثر على الارض شظايا • التفتت عيونه المجنونة الآكلة الى الخادمة :

ـ ياسيدي ما فعلت ؟! الويل لي ! كل هذا بسببي ؟ اليوم من ينقذني منك (تبكي) ليتني لا كنت ولا حبلت بي أمي !

صرخ بصوت غريب لم تألفه من قبل :

ـ من أين ذهب ؟ من أين ذهب ؟ من أين ؟!

قالت بصوت مرتجف ، وهي تشير بيدها :

ـ من هنا ياسيدي •• من هنا ياسيدي •• اعذرني ياسيدي •• ولم تكد تتم كلامها حتى كان يجتاز الباب الى الزقاق •

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

نوح عبد السعدي
السنة الاولى

قبل أن نتناول شروط الامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر فلابد أن نعرفه ، وهل يحمل على الوجوب الكفائي والعيني .

الامر بالمعروف : وهو الحمل على الطاعة قولا او فعلا[1] او هو كل فعل حسن اختص بوصف زائد على حسنه اذا عرف فاعلـه ذلك او دل عليـه[2] .

أما النهي عن المنكر : هو المنع من فعل المعاصي قولا او فعلا[3] او كل فعل قبيح عرف فاعله قبحه او دل عليه والمراد بالقبيح هنا « الحرام »[4] .

وجوبهما : وهما واجبان عقلا ونقلا .

---

(١) شرح اللمعة الدمشقية . للشهيد زين الدين العاملي جـ١ ـ طبـع القاهرة .

(٢) شرائع الاسلام : المحقق ابو القاسم الحلي ـ طبع طهران ـ ١٣٧٧هـ .

(٣) شرح اللمعة الدمشقية : للشهيد زين الدين العاملي جـ١ ـ طبـع القاهرة .

(٤) شرايع الاسلام .

اما الاول « عقلا » فلانهما لطف ، وهو واجب على مقتضى قواعد العدل، ولا يلزم ذلك وجوبهما على الله تعالى ، اللازم منه خلاف الواقع ، ان قام به على هذا الوجه لانجاء الممتنع في التكليف • ويجوز اختلاف الواجب باختـــلاف محله خصوصاً مع ظهور المانع فيكون الواجب في حقه تعالى الانذار والتخويف بالمخالفة لئلا يبطل التكليف[٥] •

مثال ذلك : كافر قوي يتعدى على الاسـلام والمسلمين فيـكون موقف المسلم ، الضعيف موقف الناصح المرشد بل ربمـا حتى لا يتمـكن من ابداء النصح والارشاد ولكن اذا تقوى ساعده كان موقفه اشد صلابة بكثير وربما اكثر من ذلك ببطش بعدوه بطشة كبرى من اجل اعـلاء كلمـة الاســـلام والمسلمين وهذا الاختلاف من الاسلوب الايجابي نابع عن طبيعة الظروف المحيطة بالقضية • كما في الحديث الشريف (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده • فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يســـتطع فبقلبـه ، وهـذا اضعف الايمـان) •

فمن الطافه سبحانه وتعالى كلفنا بهما من عدله وليمنع انتشار البوائق بين صفوف المجتمع ، وهذا مما يقف العقل له وقفة اجلال • ويقدره شرعاً وعرفاً • لأنتشار العدالة بين صفوف المجتمع • فالمجتمع الذي يفتقر لهذين الواجبين تراه دائما يسوده الفوضى والقـلق النفسي • ودليلنـــا المجتمعات العربية والاسلامية الآن اذا قرنت بالماضي : وكنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر •

أما الثاني : الدليل النقلي : فكثير في الكتاب والسنة لقوله تعالى « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون » •

---

(٥) شرح اللمعة الدمشقية •

وقول الرسول (ص) : لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر ليسلطن الله شراركم على خياركم ، فيدعوا فلا يستجاب لهم .

وقوله (ص) : كيف بكم اذا فسدت نساؤكم ، وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ، ولم تنهوا عن المنكر . قيل له : أيكون ذلك يارسول الله ؟ قال : (ص) نعم ، فقال : كيف بكم اذا امرتم بالمنكر ، ونهيتم عن المعروف ، فقيل له : يارسول الله ويكون ذلك . فقال (ص) نعم ، وأشر من ذلك ، كيف بكم اذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً . هذا قول من لا ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى .

وقد ورد عن اهل البيت (ع) ان بالامر بالمعروف تقام الفرائض ، وتأمن المذاهب ، وتحل المكاسب ، وتمنع المظالم وتعمر الارض وينتصف للمظلوم من الظالم ، ولايزال الناس بخير ما امروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، وتعاونوا على البر ، فاذا لم يفعلوا ذلك ، نزعت منهم البركات ، وسلط بعضهم على بعض ، ولم يكن لهم ناصر في الارض ولا في السماء[٦] .

فالحق ينطق ولو وضع بين جدران محيطه به ، فاي دستور وضعي ، واي شخصية امرت بهذا منذ ان ذهبت رجال الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ونسينا الشخصية المختارة على العالمين وما في رسالته السماوية والتي دوخت جبابرة العرب فضلا عن جبابرة الغرب واصبح يساورنا الوهم الشيطاني بأن رسالة محمد وما جاء لا يصلح لزماننا هذا وان رسالته قد تحددت بذلك العصر ولا تساير تطورنا اللااخلاقي وتركنا قوله تعالى : وما ارسلناك الا رحمة للعالمين .

---

(٦) منهاج الصالحين : للسيد الحكيم .

نوع وجوبهما :

لقد حملهما الشهيد الثاني في اللمعة الدمشقية على الكفاية فقال : لأن الفرض شرعاً ، وقوع المعروف ، وارتفاع المنكر من اعتبار مباشر معين ، فاذا حصلا ارتفع ، وهو معنى الكفائي[٧] . والاستدلال على كونه عيناً بالعمومات غير كاف للتوفيق . لأن الواجب الكفائي ، يخاطب الجميع المكلفين كالعيني ، وانما يسقط عن البعض ، بقيام البعض . فجاز خطاب الجميع به .

أما العلامة الحلي المحقق ابو القاسم فيحمله على الاعيان في اشبه القولين في كتابيه ، شرايع الاسلام والمختصر النافع .

اما العلامة الحلي ابو منصور فحمله على الكفاية في كتابه ، تبصرة المتعلمين .

اما راي فقيه العصر السيد الحكيم فحمله على الكفاية ، ولكن اشترط به أن يقوم به البعض والا استحقوا العقاب جميعاً في رسالته العملية ، منهاج الصالحين .

شروط الامر بالمعروف والنهي عن المنكر :

هناك اربعة شروط رئيسية ينبغي للامر والناهي السير عليها لئلا يقع في خطأ ويفسد عمله وبالتالي لم ينل الثواب ، بل ينل العقاب ، وهذا لطف

---

(٧) الواجب لغة : هو الثبوت والسقوط ، ومنه قوله تعالى « فاذا وجبت جنوبها . ومعنى وجبت اي ثبتت .
واصطلاحا : هو ما يذم تاركة على بعض الوجوه وهو على قسمين :
أ ـ واجب عينا : وهو مالا يسقط عن البعض بقيام البعض الآخر . كالصلاة والحج والزكاة والخمس والصيام .
ب ـ واجب كفاية : وهو اذا قام به البعض سقط عن الآخرين كرد السلام اذا كانوا جماعة فواحد يرد عليه فيسقط عن الآخرين وصلاة الاموات وكذا دفنهم وغسلهم .

من الطافه سبحانه وتعالى ، ولا يحمل الامر والناهي اكثر مما رسمه جلت قدرته ويصبح بالتالي مشـــقة « لا يكلف الله نفساً الا وسعها » وهـــذه الشـروط هي :

(١) أن يعلمه منكراً ، ليأمن الغلط في الانكار .

(٢) أن يجوز تأثير انكاره ، فلو غلب على ظنـــه ، او علم انـــه لا يؤثر لم يجب .

(٣) أن يكون الفاعل له مصراً على الاستمرار ، فلو لاح منه امارة الاقلاع ، او امتنع منه سقط .

(٤) أن لا يكون الانكار مفسدة ، فلو ظن توجه الضوء اليه او الى احـــد المسلمين سقط الوجوب[٨] . وهذا الانكار له مراحل يتدرج بها الناهي او الامر وهذه المراحل هي :

(١) القول اللين ثم الغليظ ، ثم الضرب ، وكذا يتدرج في الضـرب على حسب ما تقتضيه المصلحة ، ويناسب مقام الفعل بحيث يكون الغرض منه ، هو تحصيل الغرض المطلوب .

(٢) ثم تأتي مرحلة الجرح ، ثم القتل ، وفي القتل اختلاف بين الفقهاء ، فالمرتضى جوزه ، ثم تبعه العلامة الحلي في كثير من كتبـــه ، لعموم الاوامر واطلاقها ، والشهيد الاول استقرب تفويضهما الى الامام (ع) ، واستحسنه الشـــهيد الثـاني في القتـــل خاصـــة . ولـم يجوزه السيد الحكيم .

ومن اراد الاطلاع فليراجع كتبهم الفقهيه .

(٣) ثم تأتي مرحلة الانكار في القلب ، وهو ان يوجد فيه ارادة المعروف ،

---

(٨) شرايع الاسلام ـ العلامة المحقق الحلي .

وكراهية المنكر ، سواء اجتمعت الشرائط ام لا لأن الانكار القلبي بهذا المعنى من مقتضى الايمان .

تأثير الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وشروطهما بالاصلاح الاجتماعي

نرى أثر هذه الشروط واضحاً كل الوضوح لو طبقت وشعر بها كل مسلم غيور ، ووقف موقف الايجابية لا السلبية في كل الاعمال ، لأزدهر مجتمعنا الانساني ، ولسادت الطمأنينة بين صفوف القسم البشري ، لأن الاهتمام بأمور الناس ، وبذل الطاقة الانسانية المؤمنة للعباد على اختلاف انواعها ، ودرجاتها من الافكار السلوكية العامة ، التي جاء بها رسول الانسانية مبلغاً اياها للبشرية الضالة التائهة ، الشاردة عن الايمان ، ما هي الا لردع المعتدي ، والوقوف بوجه المفسد للمجتمع الانساني المؤمن وبالتالي تسود الفوضى ، لذلك اوجب الشارع المقدس الاهتمام باصلاح الآخرين ، وهداية الضالين واخذ الحق من الظالمين ، واعطائه الى المظلومين ، وما الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا صورة حية ناطقة لاصلاح المجتمع ، ومنع الذي يريد الافساد والدمار للمجتمع ، وما حل بنا هذا الدمار والانحطاط الا بحزمنا هذه الشروط ، وبدأنا نفسرها حسب اهواء ، ما امر الله بها ، ولا هي لمصلحة المسلمين ، وبالتالي حل ما حل . ونحن ننادي :

مات التصبر في انتظارك ... ايها المحي الشريعه

فانهض فما ابقى التحمل ... غير احشاء جزوعه

دون أن نحرك ساكناً ، وها هو التفسخ والانحلال قد غزا بيوتاً كانت نبراساً لعادات الاسلام،وماهي الا نتيجة تركنا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالله سبحانه وتعالى ما امرنا بالعمل بهذين الفرعين الا لاصلاح المجتمع ، ومع ذلك جعل المحافظة للآمر والناهي كما مر بنا سابقاً ، وياللاسف أخذنا نعيش

بالسلبية ، ولم نسمع قوله (ص) : لتأمرون بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، او ليسلط الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم ، فالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما هما الا لاصلاح المجتمع ، وطبقها وعمل بها الامام الحسين (ع) واصبح نبراساً للآخرين ناهيك عن الصحابي الجليل ابي ذر الغفاري (رض) وغير ذلك من الصحابة .

ومع هذا كله لو نظرنا الى المجتمعات الغربية والشرقية ، ومع ما سحرنا من تقدمهما الخيالي ، انظر الى التفسخ الخلقي والهرج والمرج الذي يسود المجتمعين ونحن نقتبس من تلك العادات . ووضعنا قوله تعالى خلف اظهرنا : وكنتم خير امة اخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر .

فائدة :

صفات الآمر والناهي :

هناك بعض النقاط والتي ينبغي للآمر والناهي ملاحظتها ليكون عمله مثمراً ومؤثراً في من يأمره وينهاه وهذه النقاط هي :

(١) أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ، ينبغي ان يستكمل نفسه بالاخلاق الكريمة وينزهها عن الاخلاق الذميمة فان ذلك منه سبب تام لفعل المعروف ونزعهم المنكر خصوصاً اذا أكمل ذلك بالمواعظ الحسنة المرغبة فان لكل مقام مقالا ، ولكل داء دواء ، وطب النفوس والعقول أشد من طب الابدان . ومن المستحسن ان يعتصم بالله « ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » .

(٢) أن يتوكل على الله « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » .

(٣) ان يحسن الظن بالله تعالى : قال أمير المؤمنين «ع» : « والذي لا اله الا هو ، لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله الا كان الله عند ظن عبده المؤمن ، لأن الله كريم بيده الخير ويستحي ان يكون عبده المؤمن قد

احسن به الظن يخلف ظنه ورجاءه . فأحسنوا بالله الظن وارغبوا اليه .

(٤) أن يصبر عند البلاء ، والصبر عن محارم الله تعالى . انما يؤمن الصابرون اجرهم بغير حساب . حيث قال الله (ص) : فأصبر ، فأن في الصبر مع ما تكره خيرا كثيراً واعلم ان النصر مع الصبر .
وقال امير المؤمنين (ع) « لا يعدم الصبر الظفر . وان طال الزمان .

(٥) ان تتصف بالحلم وطول النفس وسعة الصدر ولا يساورك الغضب . فان الغضب من صفات الجهل حيث قال علي (ع) : ما أعز الله بجهل قط . ولا اذل علم قط .

(٦) التواضع : اتصافك بالتواضع هو ان تجعل من نفسك قدوه لغيرك . ثم هذا التواضع الذي تبديه انت هو فيه رضى الله تعالى ، ودليلنا على هذا قول رسول (ص) : « من تواضع لله رفعه الله » .

وختاماً نبتهل اليه تعالى : أن يجعلنا من دعاة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وان يوفق رجالنا العاملين انه سميع مجيب .

في علامات ظهور الحجة (ع)

قال رسول الله (ص)

« اذا انتهكت المحارم ، واكتسب المآثم وسلط الاشرار على الاخيار ويفشو الكذب وتظهر اللجاجة وتفشو الفاقة ... وينكرون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » .

السؤال الاول :

ما معنى أن يحكم اهل التوراة بالتوراة واهل الانجيل بالانجيل بعد ان كانت احكام هذين الكتابين منسوخة ، وبعد أن أصبحت البشرية جميعا مكلفة باتباع القرآن وتطبيق احكامه ؟. وهذا هو سؤالك ايها العزيز .

السؤال الثاني : ان اتباع الكتابين الموجودين بأيدي الناس يعتقدون بصحتهما وينكرون تطرق التحريف اليهما ، فاذا احتجوا لاثبات قولهم بظواهر هذه الآيات ، فما يكون الجواب ؟.

الجـــواب :

يعترف القرآن بصواب أديان تقدمت عليه ، وبصدق أنبياء وصحة كتب ، ويجعل الاسلام هذا الاقرار جزءاً من عقيدته التي ينهض عليها بناء هيكله ، ويرتبط بها كل فرع من فروعه .

يعترف القرآن والاسلام بهذه الحقيقة ، ولا معدل لأي دين حق من أن يعترف بها ويرتكز كذلك عليها .

لا معدل لأديان السماء الصحيحة من أن يبشر الاول بالآخر منها ويعترف الآخر بالاول ، ويتناصر الجميع على بناء العقيدة العامة في الانسانية عامة ، عقيدة الايمان بالله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ، وتصديق انبيائه وكتبه ، من غبر منهم ومن لحق .

لابد من أن تمتد هذه الركيزة بين طبقات البشر جمعـــاء ، لتتحد في الاتجاه ثم لتتفق على الغاية .

وفي ظني أن هذه الحقيقة بادية المجاسن بينة الثبوت ، أما اذا اضطرتني الى التدليل عليها ، فاستمع :

١ ـ ان الاستكمال ناموس عام لكل موجود .

٢ ـ ولكل نوع من الموجودات الكونية طريق واحد معين يرتقي به الى كماله .

هاتان مقدمتان واضحتان ليس فيهما اخفاء .

أليس من بدائه العقل ومن أوليات العلم : ان كل كائن يبدو ناقصا ثم يسير في طريق الاستكمال ؟ أما الاستكمال في الانسان فانـه غريزة وهوى فيه كما هو ناموس واقعي ايضاً ، ولم يتردد في هذا عالم من علماء النفس ولم يرتب فيه عاقل من العقلاء والنتيجة المحتومة لذلك أن الكمال الاقصى غاية للانسان ، غاية له من حيث انه بعض موجودات الكون فلا مفر له من الخضوع لناموس الاستكمال ، وغاية له من حيث ان الاستكمال هوى لـه وغريزة ، فلا مندوحة له من الاتجاه اليها .

ولكل نوع من أنواع الموجودات طريق معين واحـــد يرتقي به الى كماله الاعلى ، هذه هي المقدمة الثانية وهي ايضا واضحة ليس فيها خفاء ، فهذه هي الخطة المتبعة في جميع الاشياء .

أنظر أي نوع من الانواع التي تجد الاستكمال ، فهل تجد له الا طريقاً معيناً واحداً ينهج فيه ؟ ثم انظر أيقوى الانسان ان يستثني نفسه من هـذا القانون ؟ وضع نقطتين في أي موضع تختـاره من الورقة ، ثم اجتهد ان تصل بينهما بخط مستقيم ، فهل يمكنك أن توجد بينهما اكثر من خط واحد ؟.

طريق الكمال مستقيم ، لأن الكمال لا يتفق والعوج أبداً .. واذن فهو واحد ولا يمكن أن يتعدد .

ونتيجة لما تقدم فلابد للانسان من الكمال لأن الكمال هو الغاية العامة للاشياء وللانسان .

واذن فالانسان مضطر الى نهج يؤدي به الى هذه الغاية ... مضطر الى دين .

واذن فهذا الدين معين واحد لأن ذلك هو القاعدة العامة التي لا يفلت عنها أي موجود .

واذن فهذا الدين يجب ان يكون عاماً للانسانية كلها ، لأن الكمال الاعلى ليس حظاً يستأثر به فريق منها .

وهذه حقائق استسلفها هنا مجملة فقد فصلتها في حديثي عن (الاسلام)، وهي بذاتها أسس الوحدة الدينية التي يجب ان تكون . وهي التي ربط الاسلام بها وحدة الانسانية في الدين ووحدتها في المنهاج ، وكلها واضح لا ريب فيه ، ولا محيد عنه .

ومعنى ذلك ان دين الله دين واحد في الاولين والآخرين ، على أسس واحدة يبتني ، ومن منبع واحد يستمد ، وفي مجرى واحد يجري ثم الى غاية واحدة ينتهي ، وما شرائع الله التي بشر بها الانبياء الا قطعات متلاحقة يتكون من مجموعها ذلك الخط الواحد الممتد المستقيم ، واقرأ معي هذه الآيات الكريمة فانها تلم بأكثر هذه الحقائق .

(واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري ؟ قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين ، فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون . أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في

السماوات والارض طوعاً وكرهاً واليه يرجعون ؟ • قل امنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ، وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون • ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) • (٨١-٨٥ آل عمران) •

كذا يجب ان تكون شرائع السماء موصولة المقدم بالتالي موحدة المبدأ والغاية ، هذا هو حكم الفطرة الذي لا عوج فيه ، وهذه هي نظرة الاسلام التي لا شذوذ فيها ، وما في القرآن من آية تدل على صدق نبي أو كتاب أو شريعة فهذا هو مساقها ، وما في أديان الله الاولى من بشارة برسول أو دين مستقبل فهذا هو مرماها •

وتفاوت بعض هذه الشرائع عن بعض انما هو بحسب تطور النوع البشري في الاجتماع ، وارتفاع أجياله في مراتب الادراك ، والتطور في الاجتماع وفي الادراك مما لا مساغ لنكرانه ولا مساغ لاغفاله ، والامور التي فرضت وجود الدين في أصله تفرض بذاتها مطابقته لهذا التطور ، ولنفرض المجتمع كالانسان الفرد في اطواره كما يقول الاجتماعيون ، فهل يسوغ للمربي أن يطبق في دور الحضانة ذات المنهاج الذي اعده لدور النضوج ؟!•

ضروري ان تتعدد المناهج ، وضروري كذلك ان يكون كل واحد منها هو المنهاج الكامل في دوره •

وهذه بذاتها هي أدوار الاديان ، منهاج يؤهل لمنهاج وتربية تمهد لتربية ، وكل دين تلحظه منها على الخصوص فانه الطريق المضمون المأمون لأهل دوره من الاجتماع ، الطريق المضمون لهم الى كمالهم الأقصى ، والمجتمع البشري المتطور هو الموضع لهذه العناية الدائمة من الله العزيز الحكيم •

لابد للدين الاول ان يهذب الانسان من كل جهاته لا من ناحية جسده فقط ولا من ناحية روحه فحسب ، ولكن تهذيبه بمقدار ما تأهبت له طبيعة الأنسان وهو في دور الطفوله ، ولابد للدين الثاني ان يهذبه من كل جهاته أيضا ، الا أن تهذيبه بمجال أرقى ، وهكذا يرتقي الانسان ويرتقى معه التهذيب حتى يبلغ دور النضوج ، فيوضع له عند ذلك المنهاج الدائم للنضوج الدائم .

هكذا تتابع الشرائع فينتهي السابق منها لانتهاء دوره ، وهذا معنى النسخ في الاديان .

لقد نسخت التوراة ونسخ الانجيل وأصبحت البشرية رهينة باتباع القرآن ، باتباع المنهج الخالد للشريعة الخالدة ، ولكن التسامح واليسر الذي عرفت به شريعة الاسلام ؟.

من أتباع الكتابين من تصده الالفة والعادة عن اتباع الدعوة الجديدة (دعوة الاسلام) فيصر على التمسك بالكتابين يحق ما أحقا ويبطل ما أبطلا ويجري حيثما جريا ، ثم لا يتغي الكيد للدعوة الجديدة ولا يريد بأهلها ولا بأتباعها سوءاً ، فهل يقرنه يسر الاسلام بالملحد الذي لا ينتهج ديناً ، او المشرك الذي لا يهتدي سبيلا ؟! .

من أجل ذلك رخص الاسلام لمثل هذا أن يستمسك بدينه ويحكم بكتابه على شروط يجب عليه أن يقوم بها ، وسبيل هذا سبيل من أصر بعد الكمال والنضوج على أن يلتزم بمناهج التربية التي قدمت له في دور المراهقة أو دور الطفولة يجدر بالمربي أن يقبل ذلك منه ولو موقتاً ريثما تتكشف له الحال ، وهو على اي حال خير ممن رفض المناهج وتمرد على المربي .

على أن التوراة والانجيل ذاتهما كفيلان بهدايته للدعوة الجديدة اذا

هو نظر فيهما النظرة المجردة وحكم على وفقهما الحكم الصحيح ، فهي اذن دعوة الى الاسلام بطريق حكيم .

أما السؤال الثاني ، اما احتجاج الكتابيين بظواهر هذه الآيات على صحة كتبهم الموجودة وعدم تطرق التحريف اليها ، أما هذا فأي حق لهم فيه ؟ .

يعترف القرآن بصدق أديان وصحة كتب وتقديس انبياء أنزلت عليهم ويأمر اتباعه بالايمان بذلك وبأن لا يفرقوا بين أحـــد من رسله ، وقـــد استبّنا فيما تقدم مدى تصديقه وتحدثنا عن سر ذلك ، ولكن ما صلة ذلك بهذه الاشباح القلقة الباهتة التي تنسبها أوهام اهل الارض الى تشريع السماء، وهذه الاقوال الخرفة النابية التي تضيفها متقولة الناس الى وحي الله ؟.

ان الاسلام اذا لم يتغلغل في اعماق المسلم ، فيكون عقيدة يؤمن بها عقله ، وتشع بها نفسه ، وتضيء منها آفاقه ، ثم يكون منهاجـ يخضع له عمله ، وتدين به ارادته ، ثم دعوة يلهج بها لسانه ، ويذب عنها قلمه ... ان الاسلام اذا لم يبلغ من نفس الفرد هذا المبلغ لم يكن اسلاما حقيقيا ...

محمد امين زين الدين
من علماء المســلمين

وظيفة المجتهد

عند تعارض الأدلة

داود العطار

بكالوريوس في القانون بدرجة جيد جدا
ماجستير في الشريعة الاسلامية بدرجة جيد جدا
من جامعة بغداد
مدرس التفسير وعلوم القرآن
في كلية اصول الدين

« بســـــــــم الله الرحمن الرحيم »

تمهـــــيد

معنى التعارض وفائدة بحثه :

يحصل التعارض بين الادلة الشرعية ؛ اذا اقتضى احد الدليلين عدم ما يقتضيه الاخر او ضده . فاذا دل دليل على حرمة شيء ودل آخر على نفي تلك الحرمة او الوجوب حصل التعارض .

والتعارض من حيث ارادة الجعل والتشريع مستحيل اطلاقاً والـذي يحيله :

أ ـ العقـل :

اذ لو كان التنافي في نفس التشريع مع ارادته ؛ لكشف ذلك عن نقص والمشرع منزه عنه .

ب ـ القرآن :

قوله تعالى : « افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً »[1] .

وقوله تعالى : « ... ما فرطنا في الكتاب من شيء »[2] .

---

(١) النساء ٨٢

(٢) الانعام ٣٨

اما التعارض من جهة نظر المجتهد فهو ممكن بلا خلاف لعدم العصمة[٣] . والكلام هنا بين ما صح اعتباره دليلا ، فحجيّة كل من المتعارضين مفروغ عنها . اما اذا دار الامر بين الحجة واللاحجة فمورده مباحث الحجة.

ولقد عنون الاصوليون ـ قديماً وحديثاً ـ هذا البحث بعنوان : « التعادل والتراجيح » وارادوا بـ (التعادل) ان يكون احد الدليلين المتعارضين عدلا للآخر في كل شيء يقتضي لو تخلف في الدليل الآخر ان يرجح عليه . لان العدل هو النظير والمثل . وارادوا بـ (التراجيح) : المرجحات المعتبرة عند تعارض الدليلين .

والجدير بالملاحظة :

١ ـ ان التعادل بين المتعارضين مفروض ، وعند عدم التعادل يصار الى المرجحات . فلابد ان يكون المتعارضان متعادلين والا فلا تعارض . وليس كل متعادلين متعارضين .

٢ ـ ان التعادل حالة واحدة يصير اليها الدليلان عند تكافؤهما في المرجحات سواء اكان التكافؤ في امر واحد ام عدة امور ، وكذلك الترجيح فهو حالة واحدة يرجح فيها دليل على آخر ، سواء اكان الترجيح لتوافر مرجح واحد ام اكثر . اذ الدليلان ككفي ميزان اما ان تصيرا عدلين ـ وهذه حالة واحدة ـ واما ان ترجح احداهما على الاخرى ، ـ وهذه حالة واحدة ايضا ـ بغض النظر عن عدد الوحدات الوزنية التي تعادلت او تفاوتت بها ، اذ النتيجة واحدة اما تعادل واما رجحان.

---

(٣) نريد بذلك ان التعارض بين الادلة قد يتفق للمجتهد فلابد من تحديد للوظيفة ، اما بالنسبة للمعصوم فلعلمه بكل ابعاد الواقع فهو يعرف ما هو الحق من المتعارضين وان كان التعارض بين الدليلين في الدلالة ممكنا على اي حال .

فالقول بـ (التعادل والترجيح) بصيغة المفرد قد يكون اقرب للواقع من القول بـ (التعادل والتراجيح)[٤] بصيغة الجمع[٥] .

هذا وان فائدة بحث تعارض الادلة في ابحاث الاصول هي بيان الوظيفة العامة للمجتهد في عملية الاستنباط . فاذا ما وجد التعارض ؛ هل يرجح احد الدليلين على الآخر ؟ ام يتخير العمل باحدهما ؟ ام يسقطهما معاً ؟ فان لكل حالة قواعد وضعت لحسم التعارض .

تعريف التعارض :

أ ـ لغة : يقال عارضه اذا جانبه وعدل عنه ، وعارض الكتاب بالكتاب ؛ اى قابله به . ويقال عارضه فعرضه اي غالبه فغلبه في المعارضة .

ب ـ اصطلاحاً : ذكرت للتعارض تعاريف اختلفت صياغة وتقاربت مضامينها نذكر منها :

« عرفوا التعارض بانه تقابل الدليلين على سبيل الممانعة ، بان يثبت احدهما ما ينفيه الآخر »[٦] .

« التعارض هو تنافي الدليلين او الادلة بحسب الدلالة ومقام الاثبات »[٧] .

---

(٤) يقول الشيخ المظفر ، وانما جاؤوا به ـ التراجيح ـ على صيغة الجمع دون التعادل لان المرجحات بين الدليلين المتعارضين متعددة ، والتعادل لا يكون الا في فرض فقدان المرجحات » : المظفر : اصول الفقه ٣/٢٠٩ .

(٥) وقد يقال في هذا الصدد ان التعادل الذي يؤثر في التعامل بطريقة واحدة مع الدليين هو التعادل المطلق ، والترجيح الذي يؤثر خلاف ذلك هو مطلق الترجيح والتعادل المطلق واحد ، ومطلق الترجيح متعدد فنقول ان هذا نظر من حيث الاسباب الداعية ولكننا ننظر للامر من حيث المآل وهو ما ينبغي ان يتخذ منه المجتهد الموقف المحدد .

(٦) الشاطبي : الموافقات ٤/٢٩٥

(٧) تعريف صاحب الكفاية : عن المظفر : المصدر السابق ٣/٢١٢

« تنافي الدليلين وتمانعهما باعتبار مدلولهما ـ كذا ـ ولذا ذكروا ان التعارض تنافي مدلولي الدليلين على وجه التناقض او التضاد »[٨] .

« التعارض هو تنافي الدليلين او الادلة بحسب الدلالة ومقام الاثبات على وجه التناقض او التضاد حقيقة او عرضاً بان علم بكذب احدهما اجمالا مع عدم امتناع اجتماعهما اصلا »[٩] .

ويظهر من مجموع هذه التعاريف ان التعارض هو تنافي الادلة او الدليلين ـ لا مجرد تنافي المدالیل او المدلولين ـ في مقام الاثبات وبحسب الدلالة ، فالتنافي صفة للدلالات ، وبيان ذلك انه لو دل احد الادلة على الوجوب والآخر على الحرمة والثالث على الكراهة لوقع تعارض هذه الادلة بحسب دلالاتها ومقام الاثبات ، لا في مقام الثبوت والواقع . اذ ان الشيء الواحد واجب ومحرم ومكروه في آن واحد محال في مقام الثبوت والتشريع .

ولا يحصل التعارض الحقيقي لمجردتنا في المدلولين ، فلربما تنافيا ولا تعارض حقيقي بينهما كما في التعارض البدوي ؛ كأن يكون احدهما قد سيق لبيان كمية ما اريد من الآخر اعني حكومة احدهما على الآخر كما لو قال « اذا شككت فابن على الاكثر » وقال « لاشك لكثير الشك » فان حكومة الثاني على الاول رافعة للتعارض .

فتعارض الدليلين يعني تنافي مدلوليهما غير ان مجرد تنافي المدلولين لا يلزم تعارض دليليهما كما في موارد الجمع العرفي .

والتعارض بين الدليلين أو الادلة قد يكون تناقضا ، كما اذا دل احدهما على الوجوب ، ودل الآخر على عدمه ، وقد يكون تضاداً كما اذا دل احدهما على الوجوب ، ودل معارضه على الحرمة .

---

(٨) الشيخ الانصاري : فرائد الاصول ٤٣٣ .
(٩) الشيخ الخراساني : الوصول الى كفاية الاصول . المتن ٥/٢٢٢ .

والتعارض اما ان يكون حقيقة كدلالة احد المتعارضين على الوجـــوب ودلالة الآخر على عدمه او على الحرمة ، واما ان يكون عرضاً وذلك بحصول العلم الاجمالي[١٠] بكذب احدهما مع عدم امتناع اجتماعهما في الاصل .

ومثال التعارض العرضي وحصول العلم الاجمالي بكذب احدهما وبالتالي امتناع اجتماع الدليلين للعارض لا بالاصل ؛ ما اذا دل دليل على وجوب صلاة الجمعة ، ودل آخر على وجوب الظهر يومها ، فلا مانع من من اجتماعهما اما اذا علمنا بانه لا تشرع صلاتان في يوم واحد امتنع الاجتماع لهذا العارض ، وحصل التنافي بين الدليلين في مقام الدلالة .

---

(١٠) العلم الاجمالي : هو ان تتيقن من حصول احد امرين وتشـك في اي الامرين قد حصل ، وصيغة (اما واما) توضح العلم الاجمالي . ومثاله ان تعلم بنجاح احد اخوين وتشـــك في اي منهما الناجح ، فالعـلم الاجمالي : علم ؛ لانك لاتشك في نجاح احدهما ، وجهل ؛ لانك تجهل الناجح منهما .

الفصل الاول
حالات التعارض

يمكن بحث حالات التعارض من حيث طبيعة المتعارضين : ادلة ، لفظية ام غير لفظية ، ام مشتركة • ولهذا خصصنا المبحث الاول ، كما يمكن بحثها من حيث مدى واقعية هذا التعارض ، ولهذا خصصنا المبحث الثاني •

المبحث الاول

التعارض من حيث طبيعة المتعارضين

قد يكون التعارض بين دليلين لفظيين ، او غير لفظيين ، او لفظي وآخر غير لفظي فانحاؤه ثلاثة وسنبحث كل نحو في مطلب مستقل •

المطلب الاول

الدليلان لفظيان(١)

اذا اختلف الدليلان اللفظيان ؛ فان ادى هذا الاختلاف الى تنافيهما بحسب الدلالة ومقام الاثبات كان تعارضاً • وان ادى الى تنافي امتثالهما معاً سمي تزاحماً ، ولكل من التزاحم والتعارض بين الادلة اللفظية مرجحات وقواعد • ولاهمية هذا الموضوع وسعته سنفرد له فصلا مستقلا فيما يأتي انشاء الله تعالى •

المطلب الثاني

الدليلان غير لفظيين

ولها صورتان من حيث رتبة الدليل مع معارضه :

---

(١) الدليل اللفظي هو الكلام الصادر من المعصوم • وغيره مالم يصدر عنه •

الصورة الاولى : تفاوت الدليل في الرتبة :

اذا تفاوتت رتبتا الدليلين او كانت هناك حاكمية لدليل على معارضه ، كما في مقتضى الاستصحاب مع مقتضى اصل البراءة ، والمثال ان نعلم بوجوب الصيام من طلوع الفجر حتى غروب الشمس من نهار شهر رمضان • واليقين بالوجوب هو الركن الاول للاستصحاب ـ ونشك في بقاء الوجوب الى غياب الحمرة غروباً ـ والشك في بقاء اليقين هو الركن الثاني له ـ فمع توافر ركني الاستصحاب يتعين الالتزام عملياً ببقاء الصوم •

ومن جهة اخرى ان هذه الحالة شبهة بدوية في التكليف غير مقترنة بالعلم الاجمالي ، فهي تدخل ضمن نطاق اصل البراءة الذي ينفي وجوب الاحتياط ، ويرفع الوجوب عملياً ، مما يتعين عدم بقاء الصوم ! •

فهل نأخذ بالاستصحاب ونستمر بالصيام ؟ ام نعمل اصل البراءة فيرتفع الوجوب ؟ •

الاتفاق على الاخذ بالاستصحاب وتقديمه على اصل البراءة وذلك لحاكمية الاستصحاب على اصل البراءة • وتبرير ذلك ؛ ان حجية اصل البراءة قوله (ص) (رفع عن امتي مالا يعلمون) وحجية الاستصحاب النص القائل ؛ (لا تنقض اليقين بالشك) •

وبملاحظة حجية كل منهما يتضح ان الاستصحاب يلغي موضوع اصل البراءة ؛ لمعلومية ان اصل البراءة لا يعمل به الا عند الشك ، ولاشك مع استصحاب اليقين الذي يجعل الوجوب معلوما • فالاستصحاب الغى موضوع اصل البراءة وهو الشك ولا حكم عند عدم الموضوع •

الصورة الثانية ـ تساوي الدليلين في الرتبة :

وهما أ ـ اما ان يتفاوتا في القوة ؛ كما في التماس علل الاحكام في القياس • فاذا كانت علة احدهما منصوصاً عليها وعلة الآخر

مستنبطة ، او ان تكون علة الاول اقوى تأثيرا او مناسبة للحكم من علة الآخر . عندئذ يقدم ذو العلة الاقوى بناء على حجية اصل القياس .

ب ـ واما ان يتساويا في الرتبة والقوة مع تعارضهما ولما كان من المستحيل ان يكون كلاهما قطعياً صادراً لبيان الحكم الواقعي لان قطعية كليهما تؤدي الى التناقض في بيان التشريع وهو محال ؟ فاما ان يكون احدهما المعين قطعياً دون الآخر فيؤخذ به دون معارضه ، واما ان يكونا غير قطعيين فيتساقطان ويصير العمل بالادلة اللاحقة لهما رتبة .

المطلب الثالث

تعارض الادلة اللفظية مع غيرها

ان من الممكن ان نضع اربعة افتراضات لتعارض الادلة اللفظية مع غيرها :ـ

الافتراض الاول : تعارض دليل لفظي قطعي مع آخر غير لفظي قطعي :

لا يمكن ان يتعارض دليل لفظي قطعي مع آخر برهاني او استقرائي قطعي ، وذلك لسببين :

أ ـ ان معارضة الدليل البرهاني او الاستقرائي القطعي لنص صريح من المعصوم يؤدي الى تكذيب المعصوم ، ولازمه تخطئته ، وهو مستحيل ، لان مقتضى العصمة المنع من الخطأ ، وان من المسلم عند علماء الشريعة (ان من المستحيل ان يوجد اي تعارض بين النصوص الشرعية الصريحة وادلة العقل القطعية)[1] .

---

(١) السيد الصدر : محمد باقر المعالم الجديدة ١٧٤ .

ب ـ كما ان من غير المتصور عقلا ان يعارض دليل عقلي قطعي دليلا لفظياً قطعياً لمعلومية ان الدليل اللفظي اذا قطع بالوجوب مثلا تعين الحكم الشرعي ومعه لا يصار الى قاعدة عقلية لانتفاء موضوعها فان مورد الاخذ بالبراءة الاصلية هو عند عدم العلم حسب (رفع عن امتي مالا يعلمون) ونحن لدينا علم ، وان مورد الاخذ بالاستصحاب هو الشك ، ونحن لدينا يقين بموجب الدليل القطعي فلا مورد لهذه الادلة العقلية لعدم الموضوع .

الافتراض الثاني : تعارض دليل لفظي قطعي مع آخر ليس لفظياً ولا قطعياً : باعتبار ان الدليل اللفظي حجة والدليل غير اللفظي ليس حجة لانه لا يؤدي القطع فلابد من تقديم اللفظي عليه . كما لو دل النص على عدم معذرية الجاهل باحكام الزكاة في حين دل الاستقراء غير القطعي على القاعدة العامة القائلة بمعذرية الجاهل في جميع الحالات .

الافتراض الثالث ـ تعارض دليل لفظي غير صريح مع آخر قطعي ليس لفظياً ان عارض دليل لفظي غير صريح دليلا قطعياً ليس لفظياً قدمنا الدليل القطعي على اللفظي الظني ، ذلك لان ظهور الدليل اللفظي انما يكون حجة بحكم الشارع اذا لم تعلم ببطلانه ، اما وقد قام العقل بدوره فافاد العلم بالحكم الشرعي ، وقد تنافى في مدلوله مع مدلول اللفظي اذ ذاك علمنا ان المعصوم لم يرد في الدليل اللفظي ظهوره ، فلا مجال للاخذ به . ومثاله اذا ورد دليل على لزوم الغسل من الجنابة لمن اجنب نفسه متعمداً ، وهو غير متمكن من الماء ، فيجب عليه الغسل ولو ادى الى موته ، فان حكم العقل بقبح اتلاف النفس يكون مقدما على الدليل اللفظي .

الافتراض الرابع ـ تعارض الدليل اللفظي والعقلي مع آخر عقلي غير قطعي لاشك في هذه الحالة يقدم الدليل اللفظي الظني على معارضه لان الدليل الظني الذي حكم الشارع بحجيته يؤدي دور الحكم القطعي بحكم الشارع ، بعد ان افترضنا ان الدليل العقلي لم يفد علماً لصرف الظهور في معارضه اللفظي .

المبحث الثاني

التعارض من حيث واقعيته

قد تختلط حالات تعارض الادلة مع ما قد يبدو من تعارض يزول بادنى ملاحظة ، فيصار الى رفع التعارض . ولهذا فسنتحدث عن التعارض البدوي في المطلب الاول والتعارض الحقيقي في المطلب الثاني .

التعارض البدوي

وهذه الصورة من التعارض لا تكشف عن جدية في التعارض حيث يزول ما يبدو من تعارض بالتخصيص او الحكومة او النسخ .

١ ـ التخصيص ونحوه :

قد يزول التعارض البدوي بالتصرف باحد الدليلين المتنافيين ظهراً كما بين العام والخاص ؛ فيقدم الخاص على العام ؛ مثل اكرم العلماء ، ولا تكرم زيداً : فلا يكرم زيد العالم . او كنهي الشارع عن بيع المعدوم وترخيصه به في السلم . حيث تم الالتزام بتقديم الخاص على العام او تخصيص العام به ؛ اعني ان يعمل بالعام في ما وراء الخاص وذلك بسبب حكم العام عن الخاص ، واخراج الخاص من عموم العام مع فرض بقاء عموم لفظ العام شاملا للخاص بحسب لسانه وظهوره الذاتي : فقوله يجب الصوم على كل مكلف ، والمسافر لا يصوم ، فان اخراج المسافر من حكم وجوب الصيام لا يخرج شمول لفظ

المكلف للمسافر • اما لو كان العام نصاً في العموم قدم على الخاص الظاهر ، وهكذا في كل مورد فيه ظاهر ونص متعارضان قدم النص على الظاهر بلحاظ امكانية تأويل الظاهر دون النص •

ويقدم المقيد على المطلق • ومثاله : اعتق رقبة ، ولا تكون الرقبة كافرة • او اعط فقيراً ، لا يكون الفقير متسولا •

كما يقدم المبين على المجمل • كما في جزاء السرقة (فاقطعوا ايديهما) فلفظ اليد مجمل ، بينه (ان المساجد لله) •

كذلك يقدم النص او الصريح القطعي على الظاهر • مثاله : لو قال اغتسل للجمعة ، ويجوز ترك غسل الجمعة ؛ فالنص الاول يشتمل على صيغة امر ، وهي تدل بظهورها على الوجوب ، باعتبار ان الوجوب هو اقرب المعاني الى صيغة الامر ، وان امكن استعمالها في الاستحباب مجازاً • والنص الثاني صريح في اباحة ترك غسل الجمعة ، فقد اجتمع وجوب ـ بحسب الظهور ـ في النص الاول ، واباحة ـ بحسب الصراحة ـ في النص الثاني • ومعلوم ان الوجوب لا يجتمع مع الاباحة ، لذا توجب الاخذ بما يؤدي الى العلم بالحكم الشرعي وهو الصريح وتفسير الظهور في النص الاول بارادة الاستحباب •

٢ ـ الحكومة :

وهي ان يكون احد الدليلين ناظراً الى الآخر حاكماً عليه :

أ ـ اما موسعاً له : كما في قوله (ص) « الكلمة الطيبة صدقة »[1] فقد وسع (ص) مفهوم التصدق والانفاق المالي الى ما يشمل الكلم الطيب ، واعطاه ثواب الصدقة وحكمها بحكم عموم التنزيل •

---

(١) ورد ان جماعة من المسلمين دخلوا على الرسول (ص) فقالوا يارسول الله : ذهب الاغنياء بالاجر كله ؛ فهم يصلون ونصلي ، ويصومون ونصوم ، ويتصدقون ولانجد ما نتصدق به !! فقال (ص) (الكلمة الطيبة صدقة) •

ب ـ واما مضيقاً له : كما في قوله (لاشك لكثير الشك) حيث ضيق شمول احكام الشك لكثير الشك • واخرج كثير الشك من الشاك الذي هو موضوع ادلة الشك •

حـ ـ واما بالتصرف بخصوص احدهما : كما في الأدلة الناظرة للمواضيع في عناوينها الثانوية • فانها تكون مقدمة في نظر العرف على الاحكام التي اخذ في موضوعها العناوين الاولية • ففي الادلة المتكلفة ببيان احكام الموضوعات بعناوينها الاولية كحرمة الميتة ، ولزوم العقد ، ووجوب الصيام • والادلة التي تكفلت ببيان احكام الموضوعات بعناوينها الثانوية كالادلة النافية للعسر او الحرج او الاكراه او الاضطرار •

والحكومة وان كان فيها تقديم للحاكم على المحكوم ، غير ان هذا التقديم لا يوجب سقوط الدليل المحكوم عن الحجية • « يعني ان لسان احدهما لا يكذب الآخر ولا يبطله ، بل احدهما المعين من حقه بحسب لسانه وادائه لمعناه وعنوانه ان يكون مقدماً على الآخر تقديماً لا يستلزم بطلانه الآخر ولا تكذيبه ولا صرفه عن ظهوره »[1] بل يكون احد الدليلين بياناً لحكم موضوع ، والدليل الآخر ينفي ذلك الحكم لا مع بقاء الموضوع بل في حالة نفي ذلك الموضوع • فقولنا (اكرم العلماء ، والقاعد ليس بعالم) • او (يجب الحج على المستطيع ، والمدين ليس مستطيعاً) : فاكرام العلماء واجب غير ان القول الثاني نفي لصفة العالم عن القاعد بتنزيل القعود منزلة الجهل • واداء الحج واجب غير ان القول الثاني نفي للاستطاعة عند المدين • فلا يكون المدين مستطيعاً ليتوجب عليه الحج ••• وحين يكون القاعد جاهلا ، والمدين غير مستطيع فلا موضوع للاكرام او الحج •

---

(١) المظفر : اصول الفقه ٣/٢٢٠

٣ ـ النسخ : ويراد به « رفع الحكم في مقام الاثبات عن الازمنة اللاحقة مع ارتفاعه في مقام الثبوت لارتفاع ملاكه »[1] .

ولما كان النسخ هو رفع الحكم في مقام الاثبات فلا يكذب الدليل الناسخ لارتفاع حكم الاول . ولان المفروض في التعارض هو تكاذب الدليلين بحسب الدلالة ومقام الاثبات . وعندئذ يبدو تعارض ولا تعارض حقيقة عند وضوح النسخ .

وعلى اي حال فانه في موارد الجمع العرفي لا يوجد تعارض بين الدليلين في الحجية هذا في فرض الانفصال ، اما في فرض اتصال القرينة بذيها كما اذا جاء العام والخاص متصلين فلا تعارض لا على مستوى المدلول التصديقي ولا على مستوى الدلالة التصديقية .

وهناك صور اخرى للتعارض البدوي لم نات بها . ولكن تبقى صور لتكاذب الدليلين لايزول بادنى ملاحظة ـ كما في الحالات الاربع السالفة ـ ولايرى العرف طريقاً للجمع بين مضامين ما تحقق فيه . فهو تعارض جدي وليس بدوياً . وهو موضوع المطلب الآتي .

المطلب الثاني

التعارض المستحكم

ويتحقق عند تكاذب الدليلين على وجه يمتنع اجتماع صدق احدهما مع صدق معارضه . وله مقومات :ـ

مقومات التعارض المستحكم :

١ ـ ان لا يكون احد الدليلين قطعياً وذلك :

أ ـ لان قطعية احدهما المعين يكشف عن العلم بالحكم الشرعي ويعلم

---

(١) الحكيم السيد محمد تقي : الاصول العامة ٢٤٥ .

منه كذب معارضه • واذا ما تعينت قطعية احد المتعارضين وظهر كذب الآخر ، لا يكون في البين تعارض ، لبداهة ان المعلوم كذبه لا يعارض قطعي الدلالة •

ب ـ كما انه من المستحيل ان يكون كل منهما قطعيا مع اختلاف بينهما بحسب الدلالة ومقام الاثبات • اذ ان لازم ذلك صدور كلامين صريحين متعارضين في بيان الواقع من المعصوم مما يوجب وقوع المعصوم في التناقض وهو مستحيل •

ومن هنا يعلم انه لا ضرورة لجعل (الا يكون كل منهما قطعيا)[1] شرطاً للتعارض ، لان قطعية كل من المتنافيين امر مستحيل في نفسه اذا اريد من كل منهما بيان الواقع • نعم قد يتصور ان يكون التنافي بينهما في مقام الامتثال لا الاثبات كما في التزاحم الذي سنتحدث عنه ، واما ان لا يكون كل منهما قطعيا في سنده ودلالته •

٢ ـ الا تكون حجية كل من الدليلين ظناً فعلياً معتبراً :

اذ ان اعتبار الظن الفعلي حجة ، وتحقق حجية الظن الفعلي في كل من الدليلين يحيل تكاذبهما ، واذا ما تكاذبا استحال حصول الظن الفعلي بهما كاستحالة القطع بهما معاً ، غير انه من الجائز اعتبار الظن الفعلي في احدهما المعين دون الآخر •

عند ذاك يدور الامر بين الحجة واللاحجة ومن ثم فلا تعارض ولا تكاذب •

٣ ـ ان يتنافي مدلولاهما ولو عرضاً لا حقيقة بحيث يؤديان الى امتناع

---

(١) الشيخ المظفر : اصول الفقه ٣/٢١١ ، الا ان يكون مراده (ره) خروجه عن محل الكلام ولو لاستحالة وقوعه •

تشريعهما معاً وجعلهما في نفس الامر وان لم يمتنع اجتماعهما امتثالا ، ولا يتكاذب الدليلان لولا دليل خارج عنهما ، فقوله صل ظهر الجمعة وصل جمعته : لا تعارض حقيقي بين الدليلين ولا تنافي بين مدلوليهما ، لا مكان اداء صلاتي الظهر والجمعة يومها . ولكن لما علم من دليل ثالث خارج عنهما انه لا تجب صلاتان في آن واحد حصل العلم الاجمالي بكذب احدهما غير المعين وتحقق التعارض .

٤ ـ ان يحصل التعارض بين الحجة واللاحجة :

بمعنى ان التعارض لا يحصل بين الحجة واللاحجة . لبداهة عدم معارضة اللاحجة للحجة ، وكذا بين اللاحجتين لمعلومية عدم اعتبار اللاحجة دليلا .

فحجية كل من الدليلين لابد ان تكون مسلمة بدرجة صحة التعبد بكل منهما لولا وجود الآخر . فتوافر شرائط الحجية في كل من الدليلين لابد منه ـ لابدية فرضية ـ اذ لو تخلفت عن احدهما فلا يكون مكذباً لما هو حجة وان تنافيا في مدلوليهما .

٥ ـ الا يكون الدليلان متزاحمين :

يشترك التعارض والتزاحم في امتناع اجتماع الحكمين في التحقيق ويفترقان فيما اذا كان الامتناع في مقام التشريع ؛ سمي تعارضاً لتكاذب الدليلين ، اما اذا كان الامتناع في مقام الامتثال ، لعدم قدرة المكلف نفسه على الجمع بينهما بسبب الحرج في الجمع ، سمي تزاحماً ، اذ لا تكاذب بين ذات الدليلين انما التنافي في مدلوليهما في مقام التحقيق والامتثال .

٦ ـ الا يكون احد الدليلين حاكماً على الآخر ، فان حكومة احدهما على الآخر وان كانت لا توجب اسقاط حجيته او تكذيبه ولا صرفه عن

ظهوره ـ كما اسلفنا ـ بل ان نفي احدهما المعين ـ الحاكم ـ موضوع الآخر ـ نفياً تعبدياً يقتضي تقدمه عليه ، وحينئذ لا يكون في البين تعارض حقيقة ولا عرضاً بل بدواً • ومثاله دليل الاضطرار الوارد على حرمة اكل الميتة •

٧ ـ الا يكون احد الدليلين وارداً على الآخر •

لان ورود احد الدليلين على الآخر ينفي موضوع حكمه وينفي الموضوع يستدعي نفي الحكم لمعلومية عدم الحكم عند عدم الموضوع • والورود من هذه الحيثية كالحكومة • غير ان الورود خروج موضوعي وجداني بواسطة تعبد الشارع بينما الحكومة خروج موضوعي تعبدي لا وجداني • فقوله (لاشك) لا يزيل الشك وجداناً فالنفي التعبدي في الحكومة لنفي آثاره الشرعية اما في الورود فانه يزيل موضوع القاعدة (اذا شككت فابن على الاكثر) لانه ينفي وجود الشك لكثير الشك ومع زوال الموضوع لا مورد للحكم وعنده فلا تعارض •

الفصل الثاني
العلاقة بين التعارض والتزاحم

سبق ان قلنا ان امتناع الحكمين في التحقق ان كان في مقام التشريع دخل الدليلان في باب التعارض ، لانهما حينئذ يتكاذبان ، لبداهة استحالة الكليف بالممتنعين تشريعاً فيصار الى الترجيح بالمزية او التخيير او التساقط .

اما اذا كان تنافي الحكمين في مقام الامتثال مع عدم التكاذب في مقام التشريع ، دخلا في باب التزاحم ، فيتحصل لدينا : انه لابد لوقوع التعارض من امرين :

الاول : ان يكون كل من الدليلين المتعارضين واجداً لشرائط الحجية .

الثاني : ان يمتنع اجتماع مدلوليهما ثبوتاً في عالم الجعل والتشريع .

واما التزاحم : فهو تنافي مدلولي الحكمين في مقام الامتثال :

أ ـ اما لعدم القدرة على الجمع بينهما في الامتثال . ومثاله انحصار صلاة الآيات في آخر وقت صلاة العصر .

ب ـ واما لقيام دليل من الخارج على عدم وجوب الجمع بينهما . ومثاله (كما في بعض فروع زكاة المواشي ، كما لو كان المكلف مالكاً لخمس وعشرين من الابل في ستة اشهر . ثم ملك واحداً آخر من الابل ، فصارت ستة وعشرين ، فمقتضى ادلة الزكاة هو وجوب خمس شياه عند انقضاء حول الخمس والعشرين ، ووجوب بنت مخاض عند انقضاء حول الستة والعشرين . ولكن قام دليل على ان المال لا يزكى في العام الواحد مرتين ، فيقع التزاحم حينئذ بين الحكمين ، لانه لابد

من سقوط ستة اشهر ، اما من حول الخمس والعشرين واما من حول الستة والعشرين فانه لولا السقوط وبقاء كل حول منهما على حالـــه لالزم تزكية المال في ظرف ستة أشهر مرتين)[1] .

وللتزاحم حالتـــان :

الاولى : ان يتعادل الحكمان المتزاحمان في جميع جهات الترجيح .
الثانية : وجود اهمية او سبق زماني في احدهما على الآخر .

وسنتكلم عنهما في مبحثين ونذكر حكم التزاحم في كل منهما :

المبحث الاول

تعـادل المتزاحمـين

اذا تعادل المتزاحمان في جميع جهات الترجيح التي سنذكرها فيما يلي فان الحـكم فيهما هو التخيير ، باتفاق العلمـــاء . وذلك هو حـــكم العقل العملي[2] . وبيان ذلك :ـ

الفرض ١ ـ عدم امكان امتثالهما معا .

٢ ـ عدم امكان تركهما معا .

٣ ـ لا مرجح لاحدهما غير المعين على الآخر .

---

(١) فوائد الاصول ٤/٢٦٤ .

(٢) يسمى العقل نظريا اذا اريد من الحسن والقبـح الكمـــال والنقص والملائمة وعدمها لان الكمال والنقص مما ينبغي ان يعلم لا ان يعمل ، وكذلك الملائمة وعدمها ، والمصلحة والمفسدة . وان ترتب على ذلك العلم انه ينبغي الفعل او الترك على ضوء ما علم ، فهـذا هو العقـــل العملي . وبعبارة اخرى اذا كان معنى الحسن ما ينبغي فعله او ما استحق عليه فاعله المدح والثواب عند العقلاء كافة ، والقبح ما ينبغي تركه ، او ما استحق عليه فاعله العقاب والذم عندهم كافة فهذا هو العقل العملي ، وهو محل النزاع بين الاشاعرة والمعتزلة .
راجع : المظفر : اصول الفقه ج١ـ٢/٢١٦ وما بعدها .

فلما لم يكن موجب لسقوط التكليف بهما معاً ، ويستحيل ارادة التكليف الفعلي بهما معاً ، فلا مناص من ترك الامر الى اختيار المكلف نفسه ، وهو من الاحكام العقلية القطعية التي تطابقت عليه اراء العقلاء .

وحكم العقل هذا يستلزم حكم الشرع (لان هذا من باب المستقلات العقلية التي تبتنى على الملازمات[1] العقلية المحضة)[2] اما اذا انكرنا الملازمة بين حكم العقل وحكم الشرع في المقام بدعوى ان حكم العقل هنا في مقام الامتثال لحكم الشرع ومتأخر عنه ، فلا يكون ملازما له ، لعدم تدخل الشارع في شؤون امتثال احكامه ، فلا ريب ان الحكم العقلي هنا ملازم لرضاء الشارع به وامضائه له ، لان الشارع اوكل المكلف في شؤون امتثال احكامه الى عقله فلا يعاقبه فيما اذا اتى بما حكم به العقل في كيفية الامتثال .

ومثال التساوي في جميع جهات الترجيح بين المتزاحمين وجوب انقاذ غريقين حيث لا ترجيح لاحدهما على الآخر شرعاً فلما لم يكن بالامكان انقاذهما معا ، وليس من الجائز تركهما معا ولا مرجح لاحدهما على الآخر ، ولاستحالة التكليف الفعلي بهما معا ؛ فالعقل يستقل باستكشاف حكم الشرع او رضائه بترك الاختيار للمكلف بانقاذ احدهما غير المعين .

المبحث الثاني

وجود اهمية لدى احد المتزاحمين

بعد ان ذكرنا في الحالة الاولى تساوي المتزاحمين في جميع جهات الترجيح نذكر فيما يلي تلك الجهات على أن القاعدة العامة فيما سنذكر هي التقديم بالاهمية . ومقياس الاهمية هي درجة اهتمام الشارع باحد الدليلين

---

(١) يقصد بالملازمات العقلية : الملازمة بين حكم العقل وحكم الشرع ، وهذه الملازمة مأخوذة من دليل عقلي كالقضية العقلية (كل ما يحسن فعله عقلا يحسن فعله شرعا) .

(٢) المظفر : اصول الفقه ٣/٢١٥ .

بالنسبة للاخر • فان ادراك المجتهد لاهمية احد التكليفين بالنسبة للاخر يبعثه على تقديمه وهذا الادراك قد يكون منشؤه المحافظة على التكليفين معاً او نحو ذلك • وعند التساوي في الاهمية يقدم اسبقهما امتثالا •

١ ـ تقديم المضيق والفوري على الموسع :

اذا كان احد الواجبين مضيقاً ، وكان الآخر المزاحم له موسعاً • فان المضيق (اهم) من الموسع ، باعتبار ان الموسع لـه بدل طولي اختياري يمكن امتثاله ، وتقديم المضيق عليه جمع للتكليفين دون تفويت لاحدهما •

ومثاله تقديم صلاة الايات على اليومية في سعة وقتها ، اذا دار الامر بين المضيق والموسع •

وكذلك تقديم ازالة النجاسة عن المسجد على اقامة الصلاة الموسعة في حالة دوران الامر بين الفوري والموسع •

ولكن الا يمكن القول ان اطلاق التزاحم في هذا المقام مجاز لعدم التزاحم بينهما حقيقة •

٢ ـ تقديم المضيق على الفوري :

اذا كان احد الواجبين فورياً وكان الآخر المزاحم له مضيقا فتقديم المضيق يحول دون تفويت للتكليف بالفوري بعكس ما لو قدمنا الفوري فان المضيق لا يمكن تداركه بعد خروج الوقت •

ومثاله : ما لو دار الامر بين ازالة النجاسة عن الجامع والصلاة في آخر وقتها ، فتقدم الصلاة لضيق وقتها هذا بلحاظ اهمية التكليف باصل الفعل ، اما اذا كانت الفورية (اهم) ملاكا لتعين تقديم الفوري على المضيق •

٣ ـ تقديم ماليس له بدل على ماله بدل :

عند دوران الامر بين الاتيان بالواجب ذي البدل او بالواجب المزاحم له ممالا بدل له فمما لاشك فيه ان تقديم مالا بدل له (اهم) مما له بدل ، لان ماله بدل اضطراري امر الشارع بالاتيان به ورخص ببدله اضطراراً ، بعكس مالا بدل له ، فلابد من الاتيان به ، فتقديمه ثم الاتيان ببـــدل المزاحم له جمـــع بين التكليفين في الامتثـال . والقول بان اضطرار المكلف الى ترك المبدل هو فرع تقديم ماليس له بدل فلا يمكن ان يكون مبرراً لهذا التقديم لا يحول دون تبرير تقديم ماليس له بدل على ماله بدل عند احساس المجتهد باهمية الاول او باهمية الجمع بالتكليفين على فرض تساويهما في الاهمية .

ومثاله : دوران الامر بين الوضوء وانقاذ من اشرف على الهـــلاك عطشاً بماء لم يكن ليتسع لهما (فالاهم) انقاذ الحياة والعدول عـن الوضوء الى التيمم باعتباره البدل الاضطراري له .

ـ تقديم المعين على ماله بدل اختياري :

فمن كانت له رقبة واحدة وتكلف بعتقهـــا وفاء بنذر تحقق ، او كفارة عن افطار عمدي في شهر رمضان ، فلما كان من الممكن ان يكفر بالصيام او الاطعام عن افطاره صار لزاماً ان يقدم عتق الرقبـــة وفاء بالنذر وهو تقديم للمعين على المخير .

ـ تقديم المشروط بالقدرة العقلية على المشروط بالقدرة الشرعية :ـ

القدرة اما ان تؤخذ بلسان الدليل شرطاً للوجوب فتسمى قدرة شرعية ، كالاستطاعة شرطاً لوجوب الحج . وان لم تؤخذ بلســـان الدليل سميت عقلية كوجوب الوفاء بالدين . ومع التسليم بانه ما من واجب الا وهو مشروط بالقدرة العقلية غير ان القدرة باعتبارها لم

تؤخذ بلسان الدليل فهي دخيلة في تحقق الامتثال وليست في اصل الملاك ، بعكس القدرة الشرعية ، التي هي شرط لابد من تحققه لتحقق الوجوب بها • فاذا دار الامر بين الوفاء بالدين واداء الحج ، قدم الوفاء (لان وجوبه منجز فعلي لحصول شرطه وهو القدرة العقلية بخلاف مزاحمه المشروط)[1] •

٦ ـ تقديم ذي الوقت المختص به على غيره في الواجبين المضيقين :ـ

كما لو دار الامر بين اداء صلاة العصر في آخر وقتها ، واداء صلاة الآيات في ضيق وقتها ، فان العصر مقدمة (لاهمية) ذات الوقت المختص (كما وردت الاخبار) ولان صلاة الآيات لا اختصاص لها بوقت في اصل تشريعها ، وانما زاحمت صلاة العصر عرضاً • صحيح ان مجرد كون هذا الوقت اصلي لهذه الصلاة دون تلك استحسان ولكن لا يمنع من قيام المبرر بعد ورود الاخبار بالاهمية وادراك العقل لها باعتبار ان التزاحم عرضاً •

٧ ـ تقديم الواجب المقدم بحسب زمان امتثاله على الآخر :ـ

كتقديم صلاة المغرب على صلاة العشاء في الوقت المشترك فيما لو انحصرت قدرة المكلف على اداء احداهما • فالواجب المقدم ـ وهو صلاة المغرب ـ مستقر الوجوب في محله لحصول القدرة الفعلية على ادائه ، فاذا اداه المكلف فلا مجال للمزاحم لانتفاء القدرة الفعلية على ادائه اما لو دار الامر بين صلاة مأمور بها فعلا واخرى غير مأمور بها فعلا كما في الوقت المختص للمغرب مثلا فلا معنى للمزاحم لان دليل شرطية الترتيب لا يزال ثابتا وهذا يعني ان صلاة العشاء غير مقدورة للمكلف اطلاقاً سواء صلى المغرب ام لا ، اما على الاول

---

(١) المظفر : اصول الفقه ٣/٢١٧

فواضح ، واما على الثاني فلان العشـــاء فاقـدة لشرط من شـــروط صحتها .

٨ ـ تقديم اهم الواجبين واولاهما عند الشارع على الآخر :ـ

(ومقياس الاهمية احساس المجتهد بان احد الواجبين اهم في نظر الشارع من الآخر)[١] (ولا ضابط عام يمكن الرجوع اليه عند الشك)[٢] غير انه (لا يجب احراز اهمية احد المتزاحمين بل يكفي الاحتمال)[٣] .

ومضان معرفة الاولوية هي الادلـة ومناسبة الحكـــم للموضـــوع وغير ذلك .

ومن الامثلة عليها تقديم الحفاظ على بيضة الاسلام على كل مزاحم ، وتقديم الركوع على القراءة عند تزاحمهما لان الركوع من الواجبـات الركنية تبطل الصلاة بزيادتها او نقصانها عمدا او سهوا ، اما القراءة فمن الواجبات غير الركنية ، فتؤخر وان كان زمان امتثالها مقدما على الركوع .

نقاش مع الشاطبي :

ضرب الشاطبي في كتابه (الموافقات في اصول الشريعة) امثلة للتعارض لو تدبرناها لوجدناها غير متعارضة بانفسها وانما التعارض في مجال التطبيق والامتثال ، فهي من باب التزاحم .

قال (ومن تعارض العلامات الدالة على الاحكام المختلفة كما اذا انتهب نوع من المتاع يندر وجود مثله من غير انتهاب ، فيرى مثله في يد رجـل ورع ، فيدل صلاح ذي اليد على انه حلال ، ويدل ندرة مثله على انه حرام فيتعارضان)[٤] !! . اذ ان من الواضح انه لا تعارض بين دلالة النـدرة

---

(١) الحكيم السيد محمد تقي : الاصول العامة ٣٦٦

(٢) المظفر : اصول الفقه ٣/٢١٨

(٣) نفسه : ٣/٢١٩

(٤) الشاطبي : الموافقات ٤/٢٩٧

من غير النهب على الحرمة ، وبين دلالة اليد على الملكية . فضلا عن دلالة صلاح صاحبها على الحلية . فلا تعارض بينهما بحسب الدلالة ومقام الاثبات ، بل هما غير متعارضين اصلا ، لان امارة اليد معتبرة تدل على الملكية ، وامارة الندرة اما ان تفيد القطع فحينئذ لا مورد لامارة اليد بعد زوال الشك ، وان لم تفد الندرة القطع دار الامر بين الامارة واللا امارة فتبقى امارة اليد على حكمها في الحلية .

وقال (ومن تعارض الاشباه الجارة الى الاحكام المختلفة ؟ العبد ، فانه ادمي فيجري مجرى الاحرار في الملك ، ومال فيجري مجرى سائر الاموال في سلب الملك)[1] .

ونرى ان صفة العبودية لا تنفي عنه حق الملكية لمجردها ، فلا تعارض صفة الادمية المقتضية للملك ، مع عدم اختصاص الملكية بالادمية عند مشهور العلماء لامكان ان تملك بعض المؤسسات الخيرية ، وان يوصى لها بالعقار او المنقول ، وان يوقف عليها ، كالجوامع والمدارس والمساجد ... الخ .

وقال (ومن تعارض الاسباب كاختلاط الميتة بالذكية)[2] .

ولدينا ان لا تعارض بينهما في الاصل لحلية لحم المذكاة وحرمة الميتة ، بينما الاختلاف عند اختلاطهما ، اعني لا تعارض بين دليلي الحلية والحرمة في الاثبات وبحسب الدلالة لاختلاف مورد كل منهما ، واما حكم المختلط فهو وجوب الاجتناب عن الجميع للعلم بوجوب الاجتناب من الميتة ولا يمكن احراز ذلك الا بالاجتناب عن الجميع .

---

(١) الشاطبي : الموافقات ٤/٢٩٧

(٢) نفسه .

الفصل الثالث

التعارض في الادلة اللفظية

سبق ان بينا حالات الاختلاف بين الادلة والاصول من حيث طبيعتها ، وقلنا أنه قد يتعارض الدليلان اللفظيان مع استيفاء كل منهما شرائط الحجية (فاما ان يكون احد المتعارضين واجدا لمزية وخصوصية ، ويكون الآخر فاقداً لها ، واما ان يكونا متساويين في المزايا والخصوصيات)[1] .

اولا ـ وجود مزية لدى احد المتعارضين :ـ

١ ـ قد تكون المزية في دلالة احد المتعارضين دون الآخر : فاللازم هو الجمع العرفي ، وعدم جواز طرح احدهما .

٢ ـ وقد تكون المزية لدى احد المتعارضين في السند او جهة الصدور مثلا ، فلابد من الاخذ بذي المزية ، وطرح الآخر كما في اخبار الترجيح التي سنأتي بها .

ثانياً ـ تساوي المتعارضين في المزايا والخصوصيات ؛ فالمشهور المعتبر هو التساقط . ولكن قام دليل من الاخبار على التخيير بالاخذ باحدهما وطرح الآخر حينا ، وبالتوقف حيناً آخر ، وهو محل نقاش ، والامر يختلف باختلاف المقامات .

وقبل التعرض الى الترجيح والتساقط والتخيير وادلتها ، نتعرض الى بحث (الجمع بين المتعارضين اولى من الطرح) في مبحث مستقل .

---

(١) فوائد الاصول ٣٧١

المبحث الاول

اولوية الجمع بين المتعارضين من الطرح

قد يقصد بالطرح : الاخذ بالراجح وطرح المرجوح ، وهذا هـو مقتضى القاعدة العقلية ونصوص المرجحات . وقد يكون (المراد بالطرح على الظاهر المصرح به في كلام بعضهم[1] وفي معقد اجماع بعض آخر اعم من طرح احدهما لمرجح في الآخر ، فيكون الجمع مع التعادل اولى من التخيير ومع وجود المرجح اولى من الترجيح)[2] .

وقد استدلوا على القاعدة بما يأتي :

(١) الاصل في الدليلين الاعمال فيجب الجمع بينهما مهما امكن لاستحالة الترجيح من غير مرجح .

(٢) دلالة اللفظ على تمام معناه اصلية ، وعلى جزئه تبعية وعلى تقـدير الجمع يلزم اهمال دلالة تبعية وهو اولى مما يلزم على تقدير عدمه وهو اهمال دلالة اصلية .

وقد استظهر صاحب الفرائد (ان العمل بهذه القضية على ظاهرها يوجب سد باب الترجيح والهرج في الفقه ، كما لا يخفى ، ولا دليل عليه ، بل الدليل على خلافه من الاجماع والنص)[3] .

---

(١) يعني ما قاله الشيخ ابن ابي جمهور الاحسائي في غوالي اللئالي على ما حكي ان كل حديثين ظاهرهما التعارض يجب عليك اولا البحث عن معناهما وكيفية دلالة الفاظهما ، فان امكنك التوفيق بينهما بالحمل على جهات التأويل والدلالات فاحرص عليه واجتهد في تحصيله ، فان العمل بالدليلين مهما امكن خير من ترك احدهما وتعطيله باجمـاع العلماء ، فان لم تتمكن من ذلك ، ولم يظهر لك وجهه ، فارجـع الى العمل بهذا الحديث ، واشار الى مقبولـة عمر بن حنظلة ، فرائـد الاصول ٤٣٥ .

(٢) نفسـه .

(٣) نفسـه .

غير ان صاحب فوائد الاصول ذكر ما نقل عن الاحسائي في معرض تقسيم وجود المزايا ، وحمل معنى دعوى وجود الاجماع على ان الجمع بين الدليلين مهما امكن اولى من الطرح ؛ في مجال المزية اذا كانت في الدلالة قال (فاللازم هو الجمع بين المتعارضين وعدم جواز طرح احدهما ، وعن غوالي اللئالىء دعوى الاجماع)[1] .

غير انه قسم الامكان في قولهم (الجمع بين الدليلين مهما امكن ...) الى امكان عقلي وامكان عرفي . واخرج الامكان العقلي من المقام ، لوضوح ان ما من دليلين متعارضين الا ويمكن الجمع بينهما عقلا الامر الذي يفضي الى سد باب التعارض ، قال (بل المراد من الامكان هو الامكان العرفي على وجه لا يوجب الجمع بين الدليلين خـــروج الكلام عن قانون المحاورات العرفية ، فلابد في الجمع بين المتعارضين من ان يكون احدهما واجداً لمزية تكون قرينة عرضية على التصرف في الآخر)[2] .

وعلى ضوء هذه المقارنات تخلص ان صاحب الغوالي على حد تعبيره (ان كل حديثين ظاهرهما التعارض) لا يقصد التعارض الحقيقي ، اذ مـن غير المعقول ان يكون كذلك ثم يرجح الجمع ، لبداهة انه (في مورد الجمع لا تعارض وفي موارد التعارض لا جمع)[3] .

ويبدو ان المقصود هو الجمع الدلالتي او العرفي الذي يسمى الجمـع المقبول ، اي المقبول عند العرف . كما اذا كان احد الدليلين اخص من الآخر .

غير ان الخضري ذكر الجمع عند عدم امكان الترجيح مستنداً الى ان (اعمال الدليلين اللذين لا مرجح لاحدهما اولى من اهدارهما)[4] وهو في

---

(١) فوائد الاصول : ٢٧١
(٢) نفســـه .
(٣) المظفر : اصول الفقه ٣/٢٣٣ .
(٤) الخضري : اصول الفقه ٣٩٥

صدد بيان الموقف عند تعارض النصين • وهنا موضـــع تأمل : لوضوح ان المتعادلين المتعارضين ظاهراً ان امكن الجمع بينهما فلا تعارض حقيقة بينهما ، وان تحقق التعارض فلا يمكن الجمع مع فرض التعادل • قال (اذا لم يكن ثم مرجح لاحد النصين جمع بينهما كما تقدم ، فان كانا عامين حمل كل منهما على نوع)[1] •

والحق ان هذا هو الجمع التبرعي ولا يســـمى جمعاً عرفيـاً الا اذا التمسنا ان لكل من المتعارضين ظاهراً قدرا متيقناً في الارادة ، وهذا القـــدر من دليل ثالث لا من اللفظ ، لذلك يحمـــل كل منهما على القـــدر المتيقن ويتلاءمان عرفاً[2] •

المبحث الثاني
وجود مزية لدى احد المتعارضين

وجود المزية لدى احد المتعارضين قد يكون مقتضاه الجمع العرفي ، وذلك حين يكون احد الدليلين نصاً في تمام مدلولـــه او بعضه ، والآخر ظاهراً ؛ فلابد من الجمع العرفي وعدم جواز طرح احدهما • وفيه موارد نستطردها في المطلب الاول ، واما ان يكون احد الدليلين قرينة عرفية عـلى التصرف بالآخر وفيه موارد نستطردها في المطلب الثاني •

---

(١) نفســـه ٣٩٦ •

(٢) ومثال القدر المتيقن من الخارج ما اذا ورد (ثمن العذرة سحت) وورد ايضا (لا بأس ببيع العذرة) فان عذرة الانسان قدر متيقن من الدليل الاول ، وعذرة ماكول اللحم قدر متيقن من الدليل الثاني فيتكاذبان في غير القدر المتيقن ، ويتلاءمان عرفا في حمل كل منهما على القـدر المتيقن •

المطلب الاول

وجود مزية في الدلالة

١ ـ اذا كان احد الدليلين اخص من الآخر ، وكان نصا في مدلوله قطعياً في الدلالة فانه يوجب التصرف في العام تخصيصاً دائماً .

٢ ـ اذا كان لاحد الدليلين او لكل منهما قدر متيقن في مقام التخاطب فان وجود القدر المتيقن ينفع في رفع التعارض . وقد مر التأمل في هـذا القـول .

٣ ـ اذا كانت افراد احد العامين من وجه بمرتبة من القلة بحيث لو خصص بما عدا مورد الاجتماع مع العام الآخر للزم التخصيص المستهجن[1] فيجمع بين الدليلين بتخصيص مالا يلزم منـه التخصيص المستهجن ، وابقاء ما يلزم منه ذلك على حاله .

٤ ـ ما اذا كان احد الدليلين وارداً مورد التحديدات والاوزان والمقـادير والمسافة ونحو ذلك ، فان وروده في هذه الموارد يوجب قوة الظهـور في المدلول بحيث يلحق بالنص في الدلالة فيقدم على غيره عند التعارض.

ان هذا ما ذكره (القوم) وللنظر فيه مجال واسع ؛ فان دعوى كون الادلة الواردة مورد التحديدات دائماً توجب القوة في الظهور محل تأمل بل اشكال ، والوجدان اكبر دليل على رده ؛ فاذا ورد مثـــلا لا تكرم الشباب ، وورد اكرم العلماء واعط كلا منهم داراً ووزنـــة حنطة . فان التحديد الوارد في الثاني لا يجعله اكثر ظهوراً في شمول العلماء الشباب من الدليل الاول .

٥ ـ اذا كان احد العامين من وجه وارداً مورد الاجتماع مع العام الاخر كما اذا ورد كل مسكر حرام جواباً عن سؤال حكم الخمر ، وورد ايضا

---

(١) التخصيص المستهجن : كتخصيص قوله (ع) في عارية الذهب والفضة ضمان ؛ على خصوص الدراهم والدنانير ، لانه نادر جدا والغالب فيـه غير المسكوك كالحلي .

ابتداء قوله (ع) لا بأس بالماء المتخذ من التمر . فان النسبة بين الدليلين وان كانت هي العموم من وجه الا انه لا يمكن تخصيص كل مسكر حرام بما عدا الخمر ، فانه لا يجوز اخراج المورد لان الدليل يكون نصاً فيه ، فلابد ـ والحالة هذه ـ من تخصيص قوله لا بأس بالماء المتخذ من التمر بما عدا الخمر[1] .

المطلب الثاني

احد الدليلين قرينة عرفية

قد يكون احد الدليلين المتعارضين قرينة عرفية على التصرف في معارضه وفيه موارد :

١ ـ اذا دار الامر بين تقييد المطلق او تخصيص العام كقوله اكرم كل عالم ولا تكرم الكسالى ، فانهما يتعارضان في العالم الكسول ، فلابد حينئذ من تقديم العام وتقييد المطلق بما عدا مورد الاجتماع فتكون الدلالة :

اكرم العالم كسولا او غير كسول ، ولا تكرم كسالى غير العلماء ، فالمطلق لا يصلح ان يخصص العام ، والعام يصلح ان يقيد المطلق . ووجه ذلك :

ان دلالة العام على جميع افراده انما هي بالوضع ، وغير متوقفة على شيء آخر . اما دلالة المطلق على شموله لجميع افراده فمتوقفة على تتمة مقدمات الحكمة التي من اهمها عدم وجود قرينة على التقييد ، ومن البدهي ان العام يصلح ان يكون قرينة لاخراج مورد الاجتماع من تحت المطلق ، وأنه يكفي في انعقاد الظهور الاطلاقي الحاصل بمقدمات الحكمة عدم القرينة المتصلة بالخطاب فلو جاءت بعد ذلك

---

(١) راجع فوائد الاصول ٢٧٢

قرينة منفصلة اعتبرت معارضة لظهور المطلق ومقدمة عليه ، من باب تقديم احد الظهورين على الآخر ، فعلى هذا اذا اتصل المطلق بالعام كان ظهور العام وارداً على ظهور المطلق دون ما اذا كان احدهما منفصلا عن الآخر .

٢ ـ اذا وقع التعارض بين مفهوم الشرط ومفهوم الوصف قدم مفهوم الشرط على معارضه .

اذ مما لاريب فيه ان لكل من الجملة الشرطية والجملة المشتملة على الوصف مفهوماً ، الا ان دلالة الجملة الشرطية على المفهوم بالوضع دون الجملة الوصفية ، فان دلالتها على المفهوم بمقدمات الحكمة . وسبب التقديم ما ذكرناه آنفاً .

فاذا ورد : لا تكرم الجاهل اذا لم يصل ، وورد اكرم زيداً العالم فان مفهوم الجملة الشرطية هو لزوم اكرام الجاهل اذا صلى ، ومفهوم الجملة الوصفية عدم اكرام الجاهل صلى ام لم يصلى ، فيتعارضان في الجاهل المصلى .

فاذا قلنا ان دلالة كل من الجملتين بالوضع او بمقدمات الحكمة فلا وجه للترجيح ، اما اذا انكرنا ان يكون للجملة الوصفية مفهوم ، فيكون خارجاً عن محل الكلام لعدم التعارض[1] .

٣ ـ اذا وقع التعارض بين مفهوم الشرط ومفهوم الغاية . فاللازم تقديم مفهوم الغاية على مفهوم الشرط .

فاذا ورد صم الى الليل ، وورد اذا جاءك زيد في الليل فلا تمسك

---

(١) والراجح ان دلالات المفاهيم كلها بالاطلاق لان المفهوم ليس هو انتفاء شخص الحكم عند انتفاء الشرط او الوصف او عند وجود الغاية بل انتفاء سنخ الحكم وهذا انما يكون بالاطلاق .

فان مفهوم الاول : عدم وجوب الامساك في الليل سواء جاء زيد ام لم يجيء ، ومفهوم الثاني وجوب الامساك في الليل اذا لم يجيء زيد وانما يقوم الاول بناء على ما ذهب اليه كثير من العلماء المحققين من ان دلالة الجملة الغائية على المفهوم بالوضع ، وان الواضع وضعها لمعنى يدل على انتفاء الحكم بعد الغاية ، واما الجملة الشرطية فانما تدل على المفهوم وانتفاء الحكم عند انتفاء الشرط ؛ انما هو بمقدمات الحكمة التي من جملتها عدم وجود قرينة على عدم ارادة المفهوم ، والجملة الغائية تصلح ان تكون قرينة على ذلك فتقدم عليها .

اما اذا قلنا بما يذهب اليه جمع آخر من العلماء من ان الجملة الشرطية تدل بالوضع على المفهوم فلا وجه للتقديم المدعى لعدم المرجح .

٤ ـ اذا دار الامر بين التخصيص والنسخ فقيل ان التخصيص اولى لكثرته وندرة النسخ وقيل العكس .

المبحث الثالث

الترجيح لوجود مزية

والمقصود بالمرجحات هنا المزايا المعتبرة لترجيح حجة على حجة ، بعد فرض حجيتهما معاً في انفسهما ، لا ما يقوم اصل الحجية ويميزها عن اللا حجة ، لانه ـ كما اسلفنا ـ لا تعارض بين الحجة واللا حجة . ونستعرض فيما يلي المرجحات .

المطلب الاول

المرجحات

يتم الترجيح بين المتعارضين عند وجود مزية مرجحة في احدهما فيرجح بها على معارضه ويتم الترجيح بالاحدث والصفات والشهرة وموافقة الكتاب والسنة ومخالفة العامة . وفيها خلاف .

اولا ـ الترجيح بالاحدث :ـ

وسند هذه المزية قوله (ع) : ارايت لو حدثتك بحديث ـ العام ـ ثم جئتني من قابل فحدثتك بخلافه بايهما كنت تأخذ ؟

قلت : آخذ بالاخير .

قال لي (ع) : رحمك الله[1]

وقد استظهر العلماء منها ما يلي :ـ

أ ـ انها في ترجيح الاحدث ليست عامة العموم الزماني ، او عموم المكلفين؟ اعني ان الانسان اذا سمع من المعصوم شيئاً يأخذ به وان خالف ما بلغه عن ابائه (ع) لانه لابد ان تكون مصلحة ، ولو وقتية في بيان الحكم .

ولا تدل الرواية على لزوم الاخذ بالمتأخر (الاحدث) مطلقاً بحيث يلزمنا الاخذ بما روي عن الامام الرضا (ع) وتقديمه على ما روي عن جده الصادق (ع) . فهذا المرجح لا ينفعنا في ايامنا الحاضرة .

ب ـ انها ليست مبينة الا حكم السائل الفعلي ، ولكن من الممكن القول بعدم اختصاص الحكم به وشموله لكل من سمع الحكم من الامام (ع) .

جـ ـ انها قد تكون مبينة للحكم الواقعي او الظاهري . ولكن الظاهر كونها لبيان الحكم الواقعي ، لان الاصل في الكلام لبيان المراد الجدي الا لقرينة .

---

(١) فرائد الاصول ٤٤٩ عن الكافي .

ثانيا ـ الترجيح بالصفات :ـ

ورواياتها تنحصر في مرفوعة زرارة ومقبولة ابن حنظلة . والمرفوعة ضعيفة جداً ، لانها مرفوعة ومرسلة ، ولم يروها الا ابن ابى جمهور صاحب غوالي اللئالىء (الذي رمي بالضعف)[1] . (وقد طعن صاحب الحدائق في التأليف والمؤلف)[2] مع كونه قلمـــا يطعن في المؤلفات والمؤلفـــين ، فالكلام فيها فضول .

اما المقبولة التي قبلها العلماء فان موردها التعارض بين الحاكمين لا بين الراويين ، والاحتجاج بها (على وجوب الترجيح في مقام الفتوى لا يخلو عن اشكال لقوة احتمال اختصاص الترجيح بها في مورد الحكومة لرفع المنازعة وفصل الخصومة كما هو موردها)[3] .

ويظهر من ذلك انه لا دليل في المقبولة على الترجيح بالصفات ، لان اعتبـار شيء في الراوي بمـا هو حـاكم ، غـير اعتبـاره فيه بمـــا هو راو ومحدث ، وان العبرة في الترجيح بالصفات ؛ ان تعتبر صفـــات الراوي او المحدث لا الحاكم .

مضافاً الى ضعف الرواية سنداً[4] ، فالاعتماد عليها ، مبني على جواز الاعتماد على الرواية الضعيفة السند اذا اعتمـــد عليها الاصحاب . واما اذا اشترطنا في الرواية المعتبرة ، وثاقة رواتها فلا يمكن الاعتماد عليها . وقـد اختلف العلماء في ذلك ؛ فذهب مشهور المتأخرين الى الاول ، مدعين ان المناط في حصول الوثاقة في الرواية ، وبما ان الرواية التي يعتمد عليها الاصحـاب تكون موثوقاً بها بها فيحتج بها وان لم يروها الثقات .

---

(١) الوصول الى كفاية الاصول ٢٤٩/٥

(٢) المظفر : اصول الفقه ٢٤٩/٣

(٣) الوصول الى كفاية الاصول ٢٥٠/٥

(٤) وهناك من يوثق عمر بن حنظلة بناء على ما ورد من توثيقه في رواية يزيد بن خليفة عن الامام ، وهذا ثقة على اساس ان صفوان يروي عنه .

وقد ذهب جمع آخر ان المستفاد من الادلة العمل على ما يرويه الثقات فلا يعتمد على غير ما يرويه الثقات وان عمل به الثقات .

ثالثا ـ الترجيح بالشهرة :

والشهرة بالاصطلاح على قسمين (الاول) الشهرة الفتوائية وهي شيوع الفتوى عند الفقهاء بحكم شرعي ، وذلك بان يكثر المفتون الى درجة لا تبلغ الشهرة درجة الاجماع الموجب للقطع بقول المعصوم .

و (الثاني) الشهرة في الرواية وهي عبارة عن شيوع نقل الخبر من عدة رواة الى درجة لا يبلغ حد التواتر . وهذه الشهرة من اسباب ترجيح الخبر على ما يعارضه من الاخبار (فان اجماع المحققين قائم على الترجيح بها)[1] .

وقد دلت المقبولة على الترجيح بها حيث جاء :

(فان المجمع عليه لا ريب فيه) والمقصود من (المجمع عليه) المشهور ، وهو ما فهمه السائل ، اذ عقبه بالسؤال ؟ (فان كان الخبران عنكما مشهورين) .

رابعا ـ الترجيح بموافقة الكتاب والسنة :

وفي ذلك روايات منها مقبولة عمر بن حنظلة ، ومنها خبر الحسن بن الجهم ، ومنها الصحيحة ؟ (عن رسالة القطب الراوندي بسنده الصحيح عن الصادق (ع) اذا ورد عليكم حديثان مختلفان ؟ فاعرضوهما على كتاب الله ، فما وافق كتاب الله فخذوه ، وما خالف كتاب الله فذروه ، فان لم تجدوه في كتاب الله فاعرضوهما على اخبار العامة فما وافق اخبارهم فذروه وما خالف اخبارهم فخذوه)[2] .

والاخبار في مسألة موافقة الكتاب او مخالفته على نحوين :

---

(١) اصول لمظفر ٣/٢٥٢ .

(٢) الفرائد ٤٤٩ ، مصباح الاصول ٤١٥ ، انظر الاصول العامة ٣٦٨ .

الاول : فيه (قوة احتمال ان يكون الخبر المخالف للكتاب في نفسه غير حجة بشهادة ما ورد من انه زخرف وباطل وليس بشيء ، او انه لم نقله او امر بطرحه على الجدار)[1] وهذه تدل على تمييز الحجة عن اللاحجة ، لا انها لترجيح الراجح على المرجوح .

الثاني : في بيان ترجيح احد المتعارضين مع بقاء حجية كل منهما ، بحمل المخالف على المخالفة لظاهر الكتاب او السنة ، لا لنصهما ، والشاهد على هذا قول الامام (ع) (ما جاءك عنا فقسه على كتاب الله عزوجل واحاديثنا ، فان كان يشبههما فهو منا ، وان لم يكن يشبههما فليس منا) يشير الى ان المراد : الموافقة والمخالفة لظاهر الكتاب .

خامسا ـ مخالفة العامة :

وعمدة دليلها ما جاء في رواية الراوندي[2] ، وهي تدل على الترجيح بمخالفة العامة ، واعتبار مخالفة اخبار العامة مرجحاً باعتبار ان الامام (ع) قد يجيب السائل على وفق ما يدين به ، فيذكر للواقعة اراء المذاهب ، ثم يذكر حكمها الذي يراه ، وحين ينقل السائل الحكم عن الامام فلربما نقل عنه رأياً قاله ولايراه (فتكون لدى الاخرين فتويان متعاكستان عنه (ع) وبهذا صح جعل المقياس من قبله ؛ بان ما وافق العامة مما نقل عنه هو الذي يجب طرحه عند المعارضة)[3] .

هذا (وان الترجيح بالمخالفة من احد وجهين على ما يظهر من الاخبار ـ احدهما ـ كونه ابعد من الباطل واقرب الى الواقع فتكون مخالفة الجمهور نظير موافقة المشهور ، من المرجحات المضمونية ـ بعد شيوع وضع الاحاديث واصدار الفتاوى طمعاً او جزعاً ـ .

---

(١) الوصول د/٢٥٣ .
(٢) انظر النص في الفقرة السابقة (رابعا) .
(٣) الاصول لعامة : ٣٧٠

- ثانيهما - كون المخالف ذا مزية لعدم احتمال التقية)[1] .

وبهذا يكون (فان الرشد في خلافهم) بمثابة (فان المجمع عليه لا ريب فيه) .

ومما سبق يظهر ان المعول عليه من المرجحات هو الشهرة وموافقة الكتاب والسنة ، ومخالفة العامة . وهذا (ما استفاده الشيخ الكليني في مقدمته الكافي)[2] وكذا كبار علمائنا المحدثين .

المطلب الثاني

التعدي ام الاقتصار

اختلفت الآراء في الاقتصار على ما جاء النص باعتباره من المرجحات ، او التعدي الى غير المنصوص عليه :

الاول : وجوب التعدي :

أ - الى كل ما يوجب الاقربية الى الواقع نوعاً . وهو القول المشهور ، ومال اليه الشيخ الاعظم .

ب - الى كل مزية وان لم تفد الاقربية الى الواقع او الصدور كما في تقديم ما يتضمن الحضر على المبيح .

ج - في صفات الراوي التي تفيد الاقربية الى الواقع دون غيرها . واساسها ما ورد في المقبولة ؛ (الحكم ما حكم به اعدلهما وافقههما واصدقهما) . اذ ان الاصدقية في القول ، والاوثقية في النقل لها دخل في اقربية صدور احد المتعارضين .

---

(١) الفرائد ٤٧٠

(٢) راجع اصول الفقه للمظفر ٣/٢٥٥

الثاني :

وجوب الاقتصار على المرجحات المنصوصة ، وهو ظاهر من كلام الشيخ الكليني ، ومال اليه الشيخ صاحب الكفاية بناء على القول بالترجيح .

منشـــا الاختـــلاف

هل ان المرجحات المنصوصة ؟ جاءت منصوصة العلة ام ؟

أما من قال بانها منصوصة العلة ، فلاوجه للاقتصار عليها ، بل التعدي عنها هو الراجح . فذهب الى القول بالترجيح بكل مزيـــة توجب اقربيـة الامارة الى الواقع نوعاً .

واما من ذهب الى ان المرجحات الواردة في الاخبار غير منصوصة العلة ، فقد اقتصر عليها ولم يتعد عنها الى غيرهـــا . باعتبار ما ذكر منهـا كان على سبيل الحصر .

المطلب الثالث

تقسـيم المرجحـات

يمكن ذكر عدة تقسيمات للمرجحات باختلاف وجهات نظر العلماء ؟ في القول بالتعدي عن المنصوص منها او الاقتصـــار ، وباختـلاف الحيثيات الاخرى . وسنقصر الكلام على المرجحات من حيث مورد الرجحـان ومن حيث مورد المرجح .

المرجحات من حيث مورد الرجحان

الرجحان اما من حيث الصدور ، واما من جهة الصدور ، واما مـن حيث المضمون . فالمرجحات ترجع الى ثلاث نواحي :

الناحيـة الاولى :

المرجح الصدوري : بمعنى جعل صدور احد المتعارضين اقرب مـــن

صدور معارضه ، بحيث لو دار الامر بين الحكم بصدوره وصدور غيره ، لحكمنا بصدوره . ومورد المرجح قد يكون في السند ، وقد يكون في المتن .

١ ـ المرجحات السندية :

وهذه المرجحات توجب القوة من حيث الصدور ونعني بالقوة كون احد المتعارضين اقرب الى الواقع من حيث اشتماله على مزية غير موجودة في معارضه ، بحيث لو فرضنا تحقق العلم بكذب احدهما ومخالفته للواقع فان احتمال مطابقة ذي المزية للواقع اقرب واقوى من مطابقة معارضه فيرجح عليه .

والمزايا هي :

أ ـ الاعدلية :

اي تساوي الراويين من حيث التحرز عن الكذب مع كون احدهما المعين عدلا ، والآخر غير عدل فيرجح خبر العدل على معارضه .

ب ـ الاصدقية :

اذا تساوى الراويين في العدالة مع كون احدهما المعين اصدق من الآخر ، رجحت روايته على الاخرى المعارضة .

ج ـ علو الاسناد :

وذلك باعتبار كلما قلّت الواسطة بين الرواية والمعصوم كلما كان احتمال الكذب اقل .

د ـ ان يكون طريق تحمل احد الراويين اعلى من طريق تحمل الآخر كأن يكون احدهما بقراءته على الشيخ ، والآخر بقراءة الشيخ عليه .

٢ ـ المرجحات المتنية :

وهذه المرجحات توجب قوة في احد المتعارضين لما في متنه من فصاحة دون معارضه او لما في المعارض من اضطراب فهي :

أ ـ الفصاحة :

حيث يقدم الخبر الفصيح على غير الفصيح المعارض له ، بلحاظ ان الركيك بعيد من كلام المعصوم • على ان هذا المرجح لا يرد الا عند نقل الخبر بالنص ، اما نقله بالمضمون فقد تكون الركة في الخبر من الناقل لا الامام •

ب ـ الافصحية :

ومقتضاها تقديم الافصح على الفصيح المعارض وفيها تأمل باعتبار ان الفصيح ليس بعيداً عن كلام الامام المعصوم في بيان الاحكام الشرعية ليكون مرجوحاً وليكون الافصح راجحاً عليه واقرب الى المعصوم (ع) •

حـ ـ اضطراب المتن :

حيث يكون المضطرب متنا مرجوحاً ويكون معارضه اقرب صدوراً منه فيقدم عليه بشرط النقل بالنص لا بالمضمون •

٣ ـ الترجيح بالقياس :

باعتبار قيام الدليل على المنع من خصوص القياس لذا فهو ليس من المرجحات •

غير انه ذهب ذاهب الى التدليل على الترجيح بالقياس وفيما يلي نذكر الرأي وما اجيب عنه :

انه اذا تعارض خبران وكان مضمون احدهما موافقاً للقياس فانه يقتضي ترجيحه على معارضه وذلك :

أ ـ لان الحق في احد الخبرين .

ب ـ لا يمكن العمل بهما معاً لتعارضهما .

حـ ـ لا يمكن طرحهما معاً .

فلابد من العمل باحدهما ، ولا يمكن تعيين (الاحد) الا بمرجح والقياس باعتبار حصول الظن به يمكن ان يصلح مرجحاً ، والقياس هنا ليس دليلا ليشمله المنع بل مرجح رافع للعمل بالمرجوح فيعود الراجح كالسليم من المعارض ويتعين العمل به .

وقد اجيب عن ذلك :

أ ـ ان الحق في خلافه :

لان رفع الخبر المرجوح بالقياس عمل به حقيقة كرفع العمل بالخبر السليم عن المعارض به ، والرجوع معه الى الاصول . واي فرق بين رفع القياس لوجوب العمل بالخبر السليم عن المعارض ، وجعله كالمعدوم حتى يرجع الى الاصل ، وبين رفعه لجواز العمل بالخبر المكافىء لخبر آخر وجعله كالمعدوم حتى يتعين العمل بالخبر الآخر .

ب ـ ثم ان الممنوع هو الاعتناء بالقياس مطلقاً ، ولهذا استقرت طريقة الاصحاب على هجره في باب الترجيح ، ولم نجد منهم موضعاً يرجحون فيه ، ولولا ذلك لوجب تدوين شروط القياس في الاصول ليرجح به في الفروع[1] .

الناحية الثانية : المرجح الجهتي :

ان صدور الرواية قد يكون لجهة بيان الحكم الواقعي وقد يكون لبيان خلاف الواقع تقية او نحوها من المصالح فيكون احدهما بحسب هذا المرجح اقرب الى الصدور لاجل بيان الواقع كما اذا كان مخالفاً للعامة وعارضه خبر

(١) الفرائد ٣٧٤ .

آخر موآفق لهم فان الاول يرجح باعتبار صدوره كان لبيان الحكم الواقعي بخلاف معارضه .

الناحية الثالثة : المرجح المضموني :

بان يكون مضمون احد الخبرين او الروايتين اقرب في النظر الى الواقع مثل موافقة الكتاب والسنة .

المطلب الرابع

المفاضلة بين المرجحات

ان من ذهب الى الاقتصار على المرجحات المنصوصة له ان يرتبها على الترتيب المذكور في الاخبار ، اما من قال بالتعدي فلا وجه لمراعاة الترتيب ، بل بموجبه يكون كل مضنون الصدور اقرب الى الواقع ، وكل اقرب الى الواقع ارجح من معارضه .

ولقد تكلم العلماء في ترتيب هذه المرجحات وتفضيل بعضها على بعض في اربعة وجوه :

الاول :

انها غير مرتبة بل كلها مرجحة في عرض واحد . بحيث لو ان احد الخبرين كان واجداً لبعضها ، وكان الآخر واجداً لبعضها الآخر ؛ وقسم التزاحم بينها فيقدم اقواها مناطاً فان تساويا في القوة ، فالتخيير بينهما . وهذا ما اختاره المحقق الخراساني صاحب الكفاية .

الثاني :

انها مرتبة على نحو تقديم المرجح الجهتي على السندي والمضموني . فلو كان احد الخبرين مخالفاً للعامة وكان الآخر موافقاً للشهرة او الكتاب ، قدم ما يخالف العامة ، وهذا القول ينسب الى الوحيد البهبهاني .

الثالث :

انها مرتبة على نحو تقديم المرجح الصدوري على الجهتي والمضموني . وعلى هذا يقدم الخبر المشهور على الخبر الشاذ المخالف للعامة او الموافق

للكتاب . (وهذا هو الاقوى ؛ فان التعبد بجهة الصدور متأخر في الرتبة عن التعبد باصل الصدور)[1] .

وقد ناقش صاحب فوائد الاصول ما ذهب اليه المحقق الخراساني في كفاية الاصول من وقوع التزاحم بين المرجحات عند التعارض وتقديم ما هو اقوى مناطاً ، والا فالتخيير . كما ناقش ما ذهب اليه الوحيد البهبهاني من تقديم المرجح الجهتي على المرجح السندي وقال (لا وجه له)[2] .

الرابع :

انها مرتبة حسبما جاءت في المقبولة والمرفوعة ؛ بان يقدم المشهور ، فان تساويا قدم الموافق للكتاب والسنة ، فان تساويا قدم المخالف للعامة .

غير ان صاحب الكفاية قال (الظاهر كونها كسائر اخبار الترجيح بصدد بيان ان هذا مرجح وذاك مرجح ـ دون ترتيب ـ ولذا اقتصر في غير واحد منها على ذكر مرجح واحد ، والا لزم تقييد جميعها على كثرتها بما في المقبولة وهو بعيد جداً)[3] .

المختار :

والمختار عدم الترتيب بين المرجحات المذكورة على نحو ما ذكر في الاخبار والذي يشهد على هذا :

١ ـ اقتصار جملة من الاخبار على واحد من المرجحات . ولو كان الترتيب مطلوباً ـ كما ذكروا ـ لذكرت على النحو المطلوب .

٢ ـ ان المقبولة والمرفوعة اللتين ذكرتا المرجحات لم تذكراها كلها ، كما لم تتفقا في الترتيب المذكور .

٣ ـ (ان استفادة الترتيب بين المرجحات من الاخبار مشكل جداً ما عدا تقديم الشهرة)[4] .

---

(١) فوائد الاصول ٤/٢٨٩ .
(٢) نفسه ٤/٢٩٠ .
(٣) الكفاية ٥/٢٩٥ .
(٤) المظفر : اصول الفقه ٣/٢٥٨

٤ ـ (ثم لا وجه لمراعاة الترتيب بين المرجحات لو قيل بالتعدي)[1] .

المبحث الرابع
تعادل المتعارضين

سبق ان ذكرنا ان القاعدة في المتزاحمين :

أ ـ تقديم ذي المزية على مزاحمه عند وجودها .

ب ـ التخيير بحكم العقل عند تعادل المتزاحمين . وهذا محل وفاق .

والقاعدة في المتعارضين :

أ ـ ترجيح ذي المزية على معارضه عند وجودها ورفع العمل بالمعارض .

ب ـ عند تعادل المتعارضين . هل المرجع التساقط ام التخيير ام التوقف ؟ هذا ما سنبحثه فيما يلي :

القاعدة الاولية هي التساقط :

لقد اختلفت آراء العلماء في استفادة نوع الحكم من الاخبار الواردة ، لاختلافها . فهي على ثلاثة اقوال :

الاول :

التخيير في الاخذ باحد المتعادلين المتعارضين وهو المختار المشهور ، بل نقل الاجماع عليه .

الثاني :

التوقف بما يرجع الى الاحتياط في العمل ، ولو كان الاحتياط مخالفاً لهما . كالجمع بين القصر والتمام في مورد تعارض الادلة بالنسبة اليهما .

الثالث :

وجوب الاخذ بما طابق الاحتياط ، فان لم يكن فيهما ما يطابق الاحتياط ؛ تخير بينهما .

---

(١) الوصول الى كفاية الاصول ٥/٢٩٤

جاء في الفوائد :

(اختلفت كلمات الاصحاب قدس الله اسرارهم في المتعارضين المتكافئين في المزايا الداخلية والخارجية ... فقيل بالتخيير في الاخذ باحدهما ، وقيل بالتوقف ومرجعه الى الاحتياط ، لان التوقف في الفتوى يستلزم الاحتياط في العمل ، وقيل بوجوب الاخذ بما يوافق الاحتياط ان كان ، والا فالتخيير)[1].

دليل القول بالتخيير :

ان الفرض في المتعارضين المتعادلين توافر شروط الحجية في كل منهما ـ كما اسلفنا ـ والتعارض اكثر ما يوجب سقوط احدهما غير المعين عن الحجية الفعلية لمكان التكاذب بينهما ، اي لوجود معارضه ، الذي لولاه لما ترددنا من الاخذ به . فيبقى ـ بعد سقوط احدهما غير المعين ـ الثاني على ما هو عليه من الحجية الفعلية واقعاً ، ولما لم يمكن تعيينه ، والمفروض ان الحجة الفعلية منجزة للتكليف يجب العمل بها فلابد من التخيير بينهما .

وجواب هذا الدليل :

ان المراد من التخيير ؟ اما من جهة الحجية ، واما من جهة الواقع :ـ

١ ـ التخيير بين المتعارضين من جهة الحجية :

نقول ان شمول وصف الحجية لكل من الخبرين يلزم توافر مقتضي الحجية في كل منهما لولا وجود المانع ، ولا يلزم فعلية الحجية .

وتكاذب الخبرين بالتعارض يسقط احدهما غير المعين عن فعلية الحجية، فيكون كل منهما مانعاً للآخر من فعلية الحجية فلا يكون احدهما غير المعين منجزاً للواقع يجب العمل بـه ويسقط وجوب العمل باحـدهما غير المعين ، فلا مجال للقول بالتخيير بينهما .

قال صاحب الكفاية :

(التعارض وان كان لا يوجب الا سقوط احد المتعارضين عن الحجية

---

(١) فوائد الاصول ٢٨٣

راساً ، حيث لا يوجب الا العلم بكذب احدهما ، فلا يكون هنـــاك مانع عن حجية الآخر ، الا انه حيث كان بلا تعيين ولا عنوان واقعاً ، فانـه لم يعـلم كذلك الا كذلك ، واحتمال كون كل منهما كاذباً لم يكن واحد منهما حجة في خصوص مؤداه لعدم التعيين في الحجة اصلا كما لا يخفى)[1] .

ب ـ التخيير من جهة الواقع :

١ ـ ان لازم التعارض هو كذب احد المتعارضين ، كما يجوز كذبهما معاً ، وليس من لزوم التعارض اصابة احدهما للواقـع ولما لم يـكن الواقع محرزاً بينهما فلا يجب التخيير بينهما .

وهنا عند امتناع العمل بهما ، وسقوط وجـوب التخيير بينهما ، والعمل باحدهما عيناً من غير مرجح تحكم بلا دليل .

اذاً تلتحق الحادثة بمالا حكم للارقى فيها ، بعـد تســاقط الخبرين ، وانما عدل الى الادنى لتعذر العمل بالارقى لتعارضه ، فان لم يكن هناك دليل دون المتعارضين المتكافئين توجب العمل بالاصل لعدم الدليل اصلا على حكم الحادثة .

٢ ـ لو سلمنا ـ كما يزعم الدليل ـ بقاء احدهما غـير المعين على ما هو عليه من الحجية الفعلية واقعاً ، بعد سقوط احدهما غير المعين عنها ، فلا وجه للتخيير بين الواقع وغيره ، وعندئذ لا وجه للتخيير بينهما .

ودعوى تنجز الحكم الواقعي بالعلم الاجمالي مردودة لامور :

أ ـ ان قواعد العلم الاجمـالي تجري مع العـلم بعدم حجية الدليلين معاً والفرض في تعادل المتعارضين حجيتاهما معاً اللهم الا ان يقال أنه بعد تعارض الدليلين يعلم بعدم حجية احدهما قطعاً .

ب ـ قد يكون اقتضاء العلم الاجمالي التخيير ، وقد يـكون الاحتياط حسب الموارد .

---

(١) الوصول الى كفاية الاصول ٥/٢٣٣

ولكن الظاهر ان المقام مقام احتياط في ظرف امكانه لتنجز العلم الاجمالي .

وبناء على ما سبق تكون القاعدة الاولية لتعادل المتعارضين هي التساقط .

ولكن هل يمنع قيام هذه القاعدة بدور التساقط من قيام الاجماع ونهوض الاخبار على عدم تساقط المتعارضين ؟ .

أ ـ حيث نجد ان من الاخبار ما دل على « التخيير[1] » مطلقاً اعني دون تقييد التخيير بفقد المرجحات :

(خبر الحسن بن الجهم عن الرضا (ع) : قلت يجيئنا الرجلان وكلاهما ثقة بحديثين مختلفين ، ولا يعلم ايهما الحق ؟ قال فاذا لم تعلم فموسع عليك بايهما اخذت » .

وخبر الحارث بن المغيرة عن ابي عبدالله (ع) : « اذا سمعت من اصحابك الحديث ، وكلهم ثقة ، فموسع عليك حتى ترى القائم فترد عليه » .

ب ـ ومنها ما دل على التخيير بعد فقد المرجع كخبر الحسن بن الجهم عن الرضا (ع) في حديث طويل :

« قال فيه فما ورد عليكم من حديثين مختلفين فاعرضوهما على كتاب الله، فما كان في كتاب الله موجوداً حلالا او حراماً ، فاتبعوا ما وافق الكتاب ، ومالم يكن في الكتاب فاعرضوهما على سنن رسول الله (ص) فما كان في السنة موجوداً منهياً عنه نهي حرام او مأموراً به عن رسول الله (ص) امر الزام فاتبعوا ما وافق نهي النبي وامره .. » .

---

(١) ولا صحة للتخيير لان الروايات المستدل بها على التخيير اما غير دالة واما ساقطة سندا كرواية الحسن بن الجهم وابن المغيرة .

حـ ـ اما اخبـار التوقف والارجـاء فموردها ملاقـاة الامـام والـكلام في التكليف الفعلي .

والمستفاد من استعراض الاخبار جميعاً انه يجب عنـد وجود المزيـة ترجيح ذيها .

(اذ لو لم يجب ترجيح ذي المزية لزم ترجيح المرجوح على الراجح وهو قبيح عقلا بل ممتنع قطعاً)[1] .

وعند فقدان المتعارضين للمرجحات ، وتكافؤهما فان القاعدة هي التخيير او التوقف ، ولا تخيير او توقف مع توافر المرجحات .

ولكن مع (قيام دليل خاص في صورة التعارض بالخصوص على حجية احدهما فلابد من الاخذ به ، ويدل على حجية احدهما بجعل جديد ، ولا مانع عقلي من ذلك)[2] .

ومعنى التخيير ان الشارع قد جعل لي حجية احـد الخبرين بالفعل لا على التعيين ، فكل واحد من المتعارضين منجز للواقع على تقدير اصابته ، ومعذر لي على تقدير الخطأ فانا مختار بايهما اخذت ؛ اما اصيب الواقع فقد تنجز التكليف ، والا فانا معذور ، وبهذا يفسر التخيير .

---

(١) الكفاية جـ٥/٢٥٧

(٢) المظفر : اصول الفقه ٣/٢٣٧

صوت المرأة المسلمة

الانسجام
في النظام الاسلامي

بنت الهدى

كان الانسان ولايزال في حاجة الى نظام يكيف له سلوكه الشخصي ويحدد جوانب وجوده الاجتماعي على اسس صحيحة ثابتة تهيء له السبيل لشق طريقه في الحياة شخصيا واجتماعيا وتحميه من متاهة التيه وويلات الضلال ، هذا النظام الذي تميز به الانسان على الحيوان نتيجة لوعيه الاخلاقي وشعوره بالواجب والمسؤولية فارتفع الانسان بسبب ذلك واستطاع ان ينمو من خلال ذلك النظام بدرجة كبيرة ، فالنظام في الحقيقة عامل اساسي في تربية الانسان وربطه بالقاعدة الرئيسية التي يقوم على اساسها النظام ، وتنشئته على القيم والمفاهيم التي يجسدها ذلك النظام في تعليماته ولهذا نجد ان كل نزوع الى التهرب من حدود هذا التنظيم يعد نزوعا نحو الحيوانية ونكسة قهقرية لبشرية الانسان ونجد ايضا ان كل حرص على استكمال خطوط هذا التنظيم يبدو ارتفاعا لانسانية الانسان وتصاعدا لتكامله الذاتي .

ونحن حين نلاحظ حياة الانسان التي هي مجال التنظيم نجد انها تنقسم الى شطرين ، جانب السلوك الفردي ، وجانب السلوك الاجتماعي ، ونعني بجانب السلوك الفردي هو ما يتمثل في سلوك الفرد الخاص واعماله

وافكاره وعواطفه ذات الطابع الشخصي ، ونعنى بجانب السلوك الاجتماعي ما يتمثل في علاقات الفرد بسائر الافراد وطريقة الحل التى تنتظم بها تلك العلاقات اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً .

وبنظرة الى الانظمة التي احتفل بها تاريخ الانسان نجد انها على ثلاثة اشكال ، شكل يختص بتنظيم السلوك الفردي وشكل يختص بتنظيم السلوك الاجتماعي وشكل ثالث يحتضن كلا المجالين من حياة الانسان .

فالنظام الذي يعني بالجانب الفردي يحاول ان ينظم للفرد سلوكه الخاص ويربيه على قيم ومفاهيم معينة ويضع له القواعد التى تكيف شخصيته ويترك المواقف الاجتماعية لذلك الفرد ولا يحاول ان ينظم له الجانب الاجتماعي من وجوده المتمثل فيما ينشئه من علاقات اجتماعية وسياسية واقتصادية مع افراد المجتمع الاخرين ، وذلك كالمسيحية وبعض المذاهب الاخلاقية الآخر .

وهذا يعنى ان النظام المذكور لا يسد الحاجة الكاملة للانسان الى التنظيم ويضطره الى الفحص عن نظام لجانبه الاجتماعي .

واما النظام الذي يعني بالجانب الاجتماعي فهو على العكس من ذلك لا يهتم بتربية الفرد وتكميله كشخص وانما يهتم فقط بالعلاقات والمشاكل الاجتماعية فيضع لها الحلول التي تكفل عدم المضاعفات كالنظام الرأسمالي الذي يبدأ في عمله من حيث ينتهى النظام الفردي ، وبهذا يعبر عن نقص كبير حين يقتصر على تنظيم الانسان من الخارج تاركا تنظيمه من الداخل .

وليس من المقبول ان يكمل نقص كل من هذين النظامين بالآخر فيؤخذ بأحدهما في مجال وبالآخر في مجال لاننا نعلم ان لكل نظام قاعدته ومفاهيمه فلا يؤدي الجمع بين نظامين الا الى مجموعه من التناقضات .

وعلى العكس من هذا وذاك النظام الذي يحتضن الانسان كفرد ، والانسان كمجتمع ، كالنظام الاسلامي الذي يربي الفرد والمجتمع معا ويتبنى الانسان من داخل بقدر ما يتبناه من خارج ، وبهذا يجعل حياته كلها منسقة وخالية من التناقضات لأنه يربط كل جوانب حياته الشخصية والاجتماعية بقاعدة واحدة وهما الايمان بالله والعبودية المخلصة له .

وهكذا يستطيع الانسان في ظل نظام الاسلام ان يحصل على نظام يربيه بكامل وجوده ولا يجزىء هذا الوجود تجزئه مصطنعة ويتحرر بذلك من التناقضات التى تنشأ من تطبيق انظمة مختلفة « ان الدين عند الله الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » .

ان المسلم لم يخلق ليندفع مع التيار ويساير الركب البشري حيث اتجه وسار ، بل خلق ليوجه العالم والمجتمع والمدنية ويفرض على البشرية اتجاهه لانه صاحب الرسالة وصاحب العلم اليقين ولانه المسؤول عن هذا العالم وسير اتجاهه فليس مقامه التقليد والاتباع ، ان مقامه مقام الامامة والقيادة ومقام الارشاد والتوجيه ومقام الآمر الناهي ...

محمد اقبال

شاعر الاسلام

علم وايمان

سلسلة أبحاث

الدكتور ابراهيم البرازي
دكتوراه في الطب والجراحة

اثبتت الدراسات العلمية الحديثة ان قابليات الانسان الفكرية والذكائية تعتمد على نشاط الشرايين والدورة الدموية في عضو الدماغ حيث تزداد هذه القابليات في حالة قدوم كميات كافية من الدم لتغذية الخجر الدماغية والمراكز العصبية ، وان نشاط الدورة الدموية يعتمد على حيوية وقوة جدران وعضلات الشرايين في المخ .

ان انخفاض الرأس الى الاسفل يؤدي الى احتقان دموي شديد في داخل الجمجمة حيث يزود الخلايا الدماغية بأكبر كمية كافية من الكتلة الدموية ولمدة مناسبة . اما في حالة ارتفاع الرأس الى الاعلى فانه يتسبب من جراء هذه الحركة انخفاض شديد مفاجيء في ضغط الدم داخل شرايين المخ حيث قد يسبب الامر الى الشعور بالدوخة والدوران عند الاشخاص المصابين بفقر الدم او امراض القلب ، ولا يشعر الانسان الصحيح البنية بظاهرة تذكر في هذه الحالة . ان هذا الانخفاض المفاجيء في ضغط الدم داخل شرايين عضو الدماغ يؤدي الى تقلص العضلات الجدارية للشرايين . حيث ان عملية انخفاض الرأس الى الاسفل ثم ارتفاعه الى الاعلى يولد في شرايين المخ عمليات

التقلص والانبساط العضلي الجداري الذي يزيد من قابليات الشرايين وقدرتها على تنشيط الدورة الدموية داخل الحجر الدماغية بنشاط وحيوية • لقد سجلت كتب الطب حوادث غريبة تدل على اكتساب المخ قابليات مذهلة من التفكير العميق والتركيز الذهني الشديد عندما يكتشف احد العلماء حقيقة جديدة وهو في وضع الرأس المتدلي الى الاسفل ، الا انه يعجز تمام العجز على التوصل اليها في الاوضاع الاعتيادية •

ان الاسلام العظيم عندما امر بالركوع ثم الانتصاب ثم السجود فالقعود والسجود فالقيام ، انما فرض مع ذلك تمارين النشاط الشرياني في عضو الدماغ لزيادة القابليات الذهنية والنشاط الفكري عند الافراد المسلمين بدرجة عالية • حيث ان عمليات الركوع والسجود يعتبرها الطب الحديث اليوم من اروع الاجراءات الطبية الحاسمة لمضاعفة القابليات الفكرية والنشاط الذهني مع تأمين الفتوة والحيوية والنشاط للشرايين الدماغية التي تستمر عمراً طويلا دون اصابة العقل بفقدان قابلياته رغم الشيخوخة والتقدم في السن •

(يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدو ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) •

والانسان في كثير من الحالات الاعتيادية قد يصاب بالاغماء فيسقط فجأة فاقداً وعيه عندما يحاول النهوض سريعاً برفع الرأس الى ارتفاع كبير في فترة وجيزة من الزمن حيث يصاب المخ بانخفاض ضغط الدم مع قلة الكمية الدموية في التلافيف الدماغية (Encephalic Anemia) الا ان الانسان الذي يمارس تمارين الاسلام في الركوع والسجود يستطيع ان يتغلب على هذه الحالة نتيجة تدرب الشرايين والاوعية الدموية في المخ على تحمل هذه التغيرات الفجائية في ضغط الدم فلا يصاب بحالات الاغماء اذا ما حاول القيام بمثل هذه الحركات السريعة الخاطفة • وهناك جهاز خاص في

بعض المخلوقات يستطيع ان يسيطر على ادارة وضبط وتنظيم تغيرات ضغط الدم في شرايين المخ لتلافي مخاطر هذه التغيرات الفجائية الحاصلة في الاوعية الدموية الدماغية للتمكن من التوازن وحفظ الكيان والسيطرة • فالبعير مثلا يملك عنقاً طويلا وسيقاناً ترفع الجسم الى ارتفاع شاهق • ففي حالة تدلي الرأس الى الاسفل للشرب او الاكل ثم رفعه فجأة الى الاعلى للنظر بعيداً ، يرتفع الرأس في هذه الحالة بصورة سريعة خاطفة الى ارتفاع عدة امتار دون حدوث اي اضطراب او خلل في توازن المخلوق حيث يدل ذلك على تمكن الحيوان من السيطرة على تنظيم تغـيرات ضغط الدم الفجائيـة داخل المخ بواسطة جهاز السيطرة الخاص الذي زودته به القـدرة الآلهيـة الخارقة (افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) ولايزال العلماء يجهلون سر هـذا الجهاز الخفي العجيب الذي تملكه بعض المخلوقـات لتنظيم دورة الدم في الحجر الدماغية والمراكز العصبية المركزية (Central Nervous System)

ان عمليات الركوع والسجود التي جاء بها الاسلام خلاف الاديان السابقة ليعتبرها العلم الحديث اليوم من اروع التمارين الرياضية التي يمارسها جهاز الدوران في شبكة الشرايين المخية التي تزود الحجر الدماغية والاجهزة العصبية بأكبر كمية ممكنة من الكتلة الدموية والغازات الحيوية المذابة في السوائل الدموية ، حيث تضاعف من قابليات الذكاء والفعاليات الذهنية في المخ والتلافيف الدماغية والمراكـز العصبيـة (Cerebral Lobs)

حيث يستطيع الانسان ان يمارس النشاط الفكري والتركيز الذهني لحـل اصعب العقد والازمات والتوصل بالتفكير الذهني العميق الى حقائق جديدة مذهلة قد لا يصل اليها العقل البشري في الحالات الاعتيادية • ان السـكون الفكري والهدوء والخلوات التي ترافقها عمليات السجود والركوع ليعتبرها الطب الحديث اليوم من اهم العوامل التي تضاعف النشاط الذهني للوصول الى اعمق درجات التركيز الفكري والتوصل الى ما يشبه الايحاءات المذهلة والتفكير المدهش • (في ذلك الآيات لقوم يتفكرون) •

سنة الافتتان

صبيح محمود التميمي

السنة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴾

- ١ -

تشير الآية الكريمة الى صفة الايمان وحقيقته والى الامتحان الذي قد يتعرض له مدعي الايمان لكشف خلجاته النفسية وتصوراته الجوانبه[1] واظهارها على حقيقتها من دون طلاء أو رياء ، وبهذا الافتتان ينجلي ما في صدور الناس ويبيّن بوضوح ما تكنه من ولاء أو عداء .

وينساق الحديث في الآية الكريمة بصورة استفهام انكاري لغرض التنبيه والفات نظر الناس الى مفهوم خاطىء علق في اذهان البعض مؤداه ان الايمان كلمة يتقول بها الانسان على لسانه فحسب .

« أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » .

فالنص الكريم يوضح لنا بجلاء .

أن الايمان ليس هو القول المجرد الذي لا يتضمن تكليف ولا يتحمل عناء ولا يصمد أمام بلاء انما هو كما ورد في حديث المعصوم (ع) .

« اقرار بالقلب وتصديق بالعمل » .

---

(١) اقتبس هذا الاصطلاح من حديث للرسول (ص) من اصلح جوانيه اصلح الله برانيه .

فالايمان قول لسان وتجسيد سلوك واظهار مشاعر فالاقرار وحده لا يضفي على الانسان صفة الايمان ـ التي عناها القرآن الكريم ـ من دون أن يتعرض ذلك الانسان الى تجارب عملية من شأنها أن تجلي روحه وتصقل ذهنه وليحدد بعد ذلك موقفه اما التأييد والصمود على عقيدته واما الانهزامية والانحراف في خضم التيارات المعادية .

- ٢ -

ذكرت بعض المصادر التفسيرية ان هذه الآية نزلت في « عمار بن ياسر وكان يعذب في الله »[٢] وقيل انها نزلت في اناس مسلمين في مكة كتب اليهم في المدينة ان يهاجروا فخرجوا من مكة فاتبعهم المشركون فآذوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا[٣] .

ويكاد المفسرون ان يكونوا متصافقون في تفسير الآية الكريمة والمضمون الاجمالي لاقوالهم هو لا يظن الناس أن يقولوا آمنا ويقنع منهم بمجرد هذه المقوله وانما سيتعرضوا للفتنه من مجاهدة الاعداء ومفارقة الاوطان وضروب المحن والشدائد والهموم والمكاره .

فهذا الامتحان يكون تصديق لتلك المقوله اللفظية التي تقول بها اللسان ألا وهي الايمان .

- ٣ -

وهذه السنة هي سنة آلهية أزلية « ولقد فتنا الذين من قبلهم »[٤] وقد عرض لنا القرآن الكريم صوراً من هذه الابتلاءات التي امتحن الله عزوجل بها عباده في مختلف الازمنة وقد تضمنت هذه الصور نماذج انسانية جسدت

---

(٢) الطبرسي ، مجمع البيان ج٨ ص٢٧٢
السيوطي ، الدر المنثور ج٥ ص١٤١
الزمخشري ، الكشاف ج٢ ص١٥٢

(٣) الطبرسي ، ن٠م ج٨ ص٢٧٢

(٤) العنكبوت ٤

أسمى معاني الثبات وأعلى درجات التمسك بالعقيدة أمام أعنف وأقسى الظروف ذكرها لنا كتابنا المجيد لتكون .

انس للمؤمنين في حياتهم الجهادية .

وعبر وذكرى لهم « لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الالباب »[٥] .

وتثبيتاً لفؤاد الرسول (ص) « وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك »[٦] .

فهذه الصور هي الينبوع الذي لا ينضب والمعين الثرّ الذي يضفي على العاملين قوة وثقة بالفوز والنصر .

فمن هذه الصور :

قصة أصحاب الاخدود « والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد »[٧] .

ومضمون هذه القصة هو ان جماعة من المؤمنين الذي سبقوا ظهور الدعوة الاسلامية افتتنوا باعداء لهم قساة لا تعرف الرحمه الى قلوبهم مسلكاً حاولوا أن يردوهم من عقيدتهم وخيّروهم بين أمرين : اما العدول عما هم عليه ، واما الموت بالنار .

فاختاروا الامر الثاني مع ما به من أمور تؤدي بحياتهم الى الموت لا محالة فشق لهم الطغاة اخدوداً في الارض واضرموا فيه النار ورموا فيه

---

(٥) يوسف ١١١

(٦) هود ١٢٠

(٧) البروج ١ـ٨

تلك الفئة لا لذنب الا الايمان بالله : « وما نقموا منهم الا أن يؤمنـــوا بالله العزيز الحميد » .

وبذلك ضربت هذه الزمرة المؤمنة أروع الامثلة الانسانية وهو تفاعة الحيـاة بلا عقيـــدة .

وعذوبة الاستشهاد في سبيل الله .

ومن هذه الصور :

قصة نوح (ع) مع قومه « انا ارسلنا نوحاً الى قومه أن انذر قومك من قبل ان يأتيهم عذاب أليم قال ياقوم اني لـكم نذير مبـين أن اعبدو الله وأتقوه واطيعون »[٨] .

وتبرز لنا هذه الآيات الكريمة جانباً من قصة نوح (ع) مع قومه والتي توعدهم فيما بعد بالطوفان وهي امتحان بطاعة النبي فقد أمر الله سبحانه الناس بطاعته والاقتداء الواعي به والتأسي بسـيرته مضـافاً الى الاجلال والتوقير والحب ولكن اصحابه سخروا منه الا الفئة القليلة المؤمنة بربها والتي ركبت معه في السفينة « وقيل بعدا للقوم الظالمين » .

ومنها امتحان جنود طالوت حيث قال لهم :

« ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف بيده »[٩] .

وكان هذا الامر عسيراً حيث شق على كثير منهم الثبات فمالوا الى النهر وشربوا منه الا الصفوة القليلة التي اخلصت لدينها واستجابت لقائدها صابرة محتشية وبتلك الصفوة انتصر على جالوت وجيشه الكبير (كم من فئة قليلة غلبت

---

(٨) نوح (١-٣)

(٩) البقرة ٢٤٩

فئة قليلة غلبت فئة كبيرة باذن الله والله مع الصابرين »[١٠] .

ومنهـــا :

قصة يوسف وابتلاؤه بالسجن ، وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلّقت الابواب وقالت هيت لك قال : معاذ الله انه ربي أحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون »[١١] .

ومنهـــا :

النفي والابعـــاد الى آل لـــوط « اخرجـوا آل لـوط مـن قريتـــكم انهم اناس يتطهرون »[١٢] .

ومنهـا ايضاً :

المؤامرات في قصة صالح (ع) « وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون قالـوا تقاســـموا بالله لنبيتنّه واهلـه ثم لنقولن لوليّه ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون »[١٣] .

وختام هذه العبر :

ما تعرض له الرعيل الاسلامي الاول في بداية انبثاق الدعوة وهو أشهر من أن يذكر ومع اختلاف هذه الصور في المظاهر والاساليب ولكنها تشترك جميعاً في تمثيل قصة الايمان عبر تاريخ البشرية والصراع القائم بين الجماعات المؤمنة وعمال الكفر على مر العصور .

---

(١٠) ايضـا
(١١) يوسف ٢٣
(١٢) النمل ٥٦
(١٣) النمل ٤٨ـ٤٩

ولنعلم ان هذه السنة قد تكون شخصية اي انها بلاء يتحمله انسان بمفرده كما في امتحان ايوب (ع) .

وتارة تكون جماعية اي انها بلاء يعم اكثر من شخص كما حدث لاصحاب الاخدود واصحاب محمد (ع) .

ومن استقراء عام ايضاً لجوانب هذه السنة نراها شاملة عامة لا تختص بعصر دون عصر والشواهد القرآنية المذكورة خير دليل على ذلك .

كما انها لا تختص بفئة دون اخرى بل شملت كما أوضحنا حتى الانبياء فقد « سئل رسول الله (ص) من اشد الناس بلاء في الدنيا فقال : النبيون ثم الامثل فالامثل »[١٤] .

وصدق الرسول (ص) وهو الصادق الامين فقد تعرض هو بنفسه الى اشد الايذاء حتى قال : « ما أوذي نبي مثل ما أوذيت » .

أما الغايات التي تتوخى هذه السنة تحقيقها فهي كثيرة نذكر منها :

١ - اختبار نفسية الافراد :

وهذا لا يعني ان الله سبحانه غير عالم بما تنطوي عليه وما تكنه دخائل الناس بل « انه عليم بذات الصدور »[١٥] وهو العالم بكل ما في السموات والارض وما توسوس فيه الصدور ولكنه يريد أن يكشف للانسان ما هو غامض عن علمه واضح لعلم الله تعالى وحتى يكون الانسان على بينه من استحقاقه (أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين)[١٦] فالجنة لا تنال الا بالمحنة التي تكشف عما أضمرتها الصدور .

---

(١٤) الكليني ، الكافي ج٣ ص٣٧٦
(١٥) الملك ١٣
(١٦) آل عمران ١٤٢

٢ ـ تكفير الذنوب وزيادة الاجر :

وهو تهذيب وتنقية للنفس البشرية من أدران الذنوب والآثام وقد وردت احاديث كثيرة من اهل البيت (ع) .

عن النبي (ص) : « اذا اراد الله بعبده خيراً وأراد ان يصافيه صب عليه البلاء صباً »[١٧] .

وعن الامام علي (ع) : البلاء أسرع الى المؤمن التقي من المطر الى قرار الارض »[١٨] .

٣ ـ التهيئة والاعداد :

فقد تتوخى هذه السنة تهيئة واعداد طليعة واعية متحملة ما يمكن وقوعه من الظروف القياسية لانه من البديهي ان حمل أعباء رسالة تغييرية شاملة للمجتمع ليس هو في مقدور ومكنة اي انسان وانما هو في مكنة :

فئات اعدت اعداداً تاماً لحمل هذه الامانة الكبرى
فئات امتلأت قلوبها بالثقة الحقيقية بنصر الله تعالى
فئات لا يهمها الموت ان وقعت عليه أم وقع عليها

٤ ـ التكامل في شخصية الانسان :

فمن الامور المهمة التي تتوخاها هذه السنة هو التكامل في شخصية الانسان لانه في البلاء تتكامل نفسه وروحه وعقله ويصفو ويخلص ويتأكد الايمان في نفسه .

وليس كالبلاء شيء يرفع من قيمة الانسان ويزيده كمالا .

---

(١٧) جامع السعادات ج٣ ص٢٨٦
(١٨) الكافي ج٣ ص٢٨٢

ضمان الإتلاف
في الفقه الإسلامي

بقلم
سعيد الزهاوي
المدرس في كلية الآداب - قسم الدين

تمهيد ومنهج :

يقابل هذا البحث بوجه عام موضوع المسؤولية التقصيرية وما يترتب عليها من جزاء في المجال القانوني . وتعبير المسؤولية غير متداول لدى فقهاء الشريعة الاسلامية ، وهم يستعملون فيما يقابل قواعد المسؤولية تعبير أحكام الضمان ، كما انهم يعبرون في مقابلة الخطأ التقصيري بالتعدي والتقصير ، ويفرقون في اشتراط التعدي بين احوال مباشرة الضرر والتسبب فيه .

ويتطلب بحثنا ان نتناول اسباب الضمان وانواعه في الفقه الاسلامي ، ونبحث مباشرة الضرر ، والتسبب فيه ، وترديد الحكم بالضمان بين المباشر والمتسبب عند اجتماعهما ، ونناقش بعض ما ورد في المؤلفات الحديثة مما يتعلق بهذا الموضوع بقدر ما يتسع له المجال . ثم نعقب بعرض الجزاء وبيان انواعه على ضوء ما قرره الفقهاء والاصوليون ، واخيرا نختم البحث بتقديم خلاصة موجزة تضمنها بعض ما يمكن ان يستفاد منه .

اسباب الضمان وانواعه :

ذكر الحافظ ابن رجب في القاعدة التاسعة والثمانين من قواعده ان

اسباب الضمان ثلاثة : عقد ويد واتلاف[1] ، وعليه يتنوع الضمان الى ضمان عقد وضمان يد وضمان اتلاف ويورد الحنفية هذه الانواع الثلاثة ، ويطلقون على ضمان اليد ضمان الغصب ، ويعبرون على السواء بضمان الفعل وضمان الاتلاف[2] . وزاد الامام السيوطي على الانواع الثلاثة ضمان الحيلولة[3] ، وهو نوع من ضمان الفعل . وقال الامام القرافي : اعلم ان اسباب الضمان في الشريعة ثلاثة لا رابع لها : احدها العدوان كالقتل والاحراق وهدم الدور .. وثانيها التسبب للاتلاف كحفر الآبار في طرق الحيوان في غير الارض المملوكة للحافر ، او في ارضه لكن حفرها لهذا الغرض ، وكوقيد النار قريبا من الزرع او الاندر ... وثالثها وضع اليد التي ليست بمؤتمنة ، وذكر في ذلك بعض ما يندرج في ضمان العقد[4] . ويظهر من كلامه وما مثل به ان مراده بالعدوان

---

(١) القواعد ، ص٢٠٤ . وتكلم عن عقود الضمان ص٥٩ـ٦١ . ولا مجال لذكره وايراد الخلاف فيها . ومراده بضمان اليد ما يستوجبه الاستيلاء غير المشروع ، اي وضع اليد على ملك الغير ابتداء او استدامة دون اذن شرعي او عرفي (ص٥٥ـ٥٨) وهو ضمان الغصب ، وجاء في كشاف القناع البحث مفصلا فيما يضمن بالغصب وما يضمن بالاتلاف (جـ٢ ص٣٣٩ وما بعدها و ٣٦٤ وما بعدها) .

(٢) انظر : الفتاوى الخانية على هامش الفتاوى الهندية ، جـ٣ ، ص٢٣٥ـ٢٣٧ . الدر المختار وحاشية ابن عابدين عليه ، جـ٥ ، ص١٢٥ـ١٢٦ خصوصا ص ١٣١ .

(٣) واراد بضمان اليد معنى اوسع من الغصب وادخل فيه ما يذكر في ضمان العقد ، واما الحيلولة فالمراد بها الفعل الذي يحول بين المتضرر ومصلحة تفوت عليه (الاشباه والنظائر ، ص٤٢٩ـ٤٣٠ . وانظر في الحيلولة نهاية المحتاج ، جـ٥ ، ص١٦٣) .

(٤) وصرح بان مراده باليد غير المؤتمنة ما هو اوسع من يد الغصاب ، لتدخل فيها الايدي الموجبة للضمان وان وقع القبض من غير عدوان ، وذكر طائفة من عقود الضمان (الفروق ، جـ٢ ، ص ٢٠٦ـ٢٠٧ ، وتهذيب الفروق على هامش ص٢٠٣ـ٢٠٥) . والاندر البيدروكدس

←

مباشرة الضرر ، وقد صرح به في موضع آخر[٥] .

ويلاحظ في جميع ما تقدم انه يمكن ارجاع انواع الضمان الى اثنين : ضمان فعل ، وضمان عقد . والثاني منهما يمكن ان يقابل بالمسؤولية التعاقدية في القوانين الوضعية ، واما الاول فيقابل المسؤولية التقصيرية متى ما كان الفعل موصوفا بالتعدي او التقصير ، ولكن لضمان الفعل معنى اوسع منها على ما سيأتي بيانه .

مباشرة الضرر :

ورد في كتب الحنفية في تعريف المباشر : انه الذي يحصل التلف بفعله من غير ان يتخلل بين فعله والتلف فعل مختار[٦] . ومسائل المباشرة والتسبب مما تتناوله كتب الاصول ، وقد توسع فيها الحنفية بصفة خاصة ، نظرا لاندماج اصولهم مع الاحكام الفقهية . ويعتبر فعل المباشر علة للضرر الناجم عنه ، لذا فانه يعتبر فيه حد العلل من عدم تخلل واسطة بينهما[٧] .

القمح (القاموس المحيط ، جـ٢ ، باب الراء فصل النون) . وذكر العز بن عبدالسلام انه يجب الضمان باربعة : اليد والمباشرة والتسبب والشرط (قواعد الاحكام ، جـ٢ ، ص١٤٨) وما ذكره في الشرط لا يخرج عن معنى التسبب .

(٥) الفروق ، جـ ٤ ، ص٢٧ . وانظر بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، جـ٢، ص٢٩٦ . وقد ذكر الحافظ ابن رجب المباشرة والتسبب كحالتين للاتلاف ومثل لهما بما مثل به القرافي (القواعد ، ص٢٠٤) .

(٦) انظر : شرح الحموي لاشباه ابن نجيم ، جـ١ ، ص١٩٦ ـ فتح الغفار بشرح المنار المعروف بمشكاة الانوار ، لابن نجيم ، جـ٣ ، ص ٦٤ . ـ مرآة المجلة ، جـ١ ، ص٥١ .

(٧) انظر : كشف الاسرار على اصول البزدوي ، جـ٤ ، ص١٧٦ـ١٧٧ . ـ التلويح على التوضيح ، جـ٢ ، ص١٣١ . ويسميها غير الحنفية سببا ويطلقونها في مقابل العلة العقلية . انظر مثلا المدخل الى فقه احمد ، لابن بدران ، ص٦٧ـ٦٨ .

صفحة ١٦٢
غير موجودة في النسخة الاصلية

صفحة ١٦٣
غير موجودة في النسخة الاصلية

الا اذا كان متعمدا ، ونصت المادة ٩٣ مجلة على ان : المتسبب لا يضمن الا بالتعمد ، وجاء في كشف الاسرار في الضمان : ان المتسبب كالمباشر اذا كان متعديا ، وفي عامة الكتب الفقهية حيث يذكر تضمين المتسبب فانه يقرن بوصف التعدي[١٥] .

ويلاحظ ان ما جاء في التعريف الاول يفيد التسبب بسبب محض ، في تقسيمات الحنفية للسبب . وهذا السبب لا يعد مؤثرا في وقوع الضرر ، اذ لا يلزم من وجوده وجود مسببه فلا يضاف اليه ، واما حيث تضاف علة الضرر الى السبب فهو سبب في معنى العلة[١٦] .

وقد افاد عبدالعزيز البخاري في كشف الاسرار ان السبب متى ما كان خاليا عن التعدي فانه يبقى سببا محضا ، وانه متى ما كان المتسبب متعديا في تسببه فانه يمكن ان تضاف علة التلف الى السبب فيصبح سببا في معنى

---

(١٥) انظر : مجمع الضمانات ، ص١٤٦ . ـ اشباه ابن نجيم ، مطبوع مع شرح الحموي ، جـ٢ ، ص٩٩ . ـ كشف الاسرار على اصول البزدوي ، جـ٤ ، ص١٨٢ . ـ حاشية البناني على جمع الجوامع ، جـ١ ، ص٣٩ـ حاشية عبدالحميد الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج لابن حجر الهيثمي ، جـ٥ ، ص١٦٤ . ـ مختصر خليل وشرح الخرشي وحاشية العدوي ، جـ٦ ، ص١٣٢ . ـ قواعد ابن رجب ، ص٢٠٤ . ـ مفتاح الكرامة في الفقه الجعفري ، جـ٦ ، ص ٢١٩ . ـ الازهار وحواشيه في الفقه الزيدي ، جـ٤ ، ص٤١٩ـ٤٢١ . ـ جوهر النظام في فقه الاباضية ، المجلد الاول ، ص٣٤٥ و ٣٤٨ .

(١٦) انظر في هذا وفي بيان اقسام السبب : اصول البزدوي وشرحه كشف الاسرار ، جـ٤ ، ص١٧٥ وما بعدها . ـ حاشية الازميري على مرآة الاصول ، جـ٢ ، ص٤٠٦ وما بعدها . ـ التلويح على التوضيح ، جـ ٢ ، ص١٣٧ـ١٣٩ و ١٤٦ . ـ مشكاة الانوار في اصول المنار ، جـ ٣ ، ص ٦٤ـ٦٥ . وراجع المدخل الى فقه احمد ، ص٦٧ .

العلة[١٧] ، وهذا معنى قوله المتقدم : ان المتسبب كالمباشر اذا كان متعديا . ويعرض اشكال بالنسبة لما جاء في تعريف التسبب والمباشرة من تخلل فعل مختار بين الفعل والتلف او عدم تخلله ، حيث يفيد اعتبار الفعل من المباشرة اذا لم يوجد ذلك التخلل ، ويبتني على ذلك عدم اشتراط التعدي في الفعل لترتب الضمان . وقد جاء في مجمع الضمانات اعتبار ايقاد نار في يوم عاصف، او حفر ودق ينجم عنه سقوط جدار مجاور ، ضمن احوال المباشرة[١٨] . ولكن جاء في مجمع الأنهر فيمن وضع جمرة في الطريق فاحرقت شيئا ضمن لانه متعد بالوضع ، ولو دفعتها الريح الى شيء فاحترق لا يضمن ، معللا : بان الريح قد نسخت فعله . ويدل هذا على ان اي توسط ، ولو لم يكن فعل مختار يخرج الفعل عن حيز المباشرة . والمراد بمثال الجمرة مالو كانت الريح هادئة وقت وضعها ، والا فقد جاء في ملتقى الابحر : ولو احرق حصائد فاحترق شيء في ارض غيره لم يضمن ان كانت الريح هادئة ، وان كانت مضطربة ضمن ، وعلل في مجمع الانهر الحكم في الحالة الاولى بان الفاعل غير معتد في التسبب ، وفي الحالة الثانية بانه قد فعل مع علمه بعاقبته فافضى اليها فجعل كمباشر ، وعبر صاحب الدر المنتقى بانه يعلم مجاوزتها ، اي النار ، فيكون مباشرا . وصاحب مجمع الضمانات نفسه قال : ومن العلل الطبيعية مالا يضاف الى اسبابها ، كما في ايقاد النار اذا كانت الريح طبيعية ، فلا يضمن الفاعل الا بتعديه ، كأن يوقدها قريبا من ملك الجار او في مهب الريح[١٩] . فتعبيرهم بمباشر او كمباشر يفيد نحو ما تقدم في كشف الاسرار

---

(١٧) كشف الاسرار على اصول البزدوي ، جـ٤ ، ص١٨٠ و ١٨١ .

(١٨) مجمع الضمانات ، ص١٥١ .

(١٩) انظر : ملتقى الابحر وشرحه مجمع الانهر وبهامشه الدر المنتقى ، جـ٢ ، ص٤٠٢ . – مجمع الضمانات ، ص١٦١–١٦٢ . وانظر في جنس هذه المسائل او عينها ، واعتبارها من التسبب واشتراط التعدي ←

صفحة ١٦٦
غير موجودة في النسخة الاصلية

صفحة ١٦٧
غير موجودة في النسخة الاصلية

او كما يقول الحافظ ابن رجب : اذا لم يمكن احالة الضمان على المباشر ، او على تعبير القرافي : اذا كانت المباشرة مغمورة الى جانب قوة التسبب ، فانه يضاف الحكم بالضمان الى المتسبب . .

وقد بين في كشف الاسرار ان الحكم يضاف الى السبب عند تعذر الاضافة الى العلة . ويمكن ارجاع هذا التعذر الى اعتبارين رئيسيين : الاول حيث تكون العلة نتيجة لازمة للسبب ، وهنا يظهر اثر توسط الفعل الاختياري في قطع رابطة السببية ، او كما يعبر الفقهاء بقطع النسبة ، بين الفعل والضرر . اما الاعتبار الثاني فهو ظهور وصف التعدي في التسبب وانعدامه في المباشرة ، فلا يمكن ان يضاف الحكم الى فعل المباشر ، وانما يضاف الى فعل المتسبب . ونجد معنى ما تقدم في كتب فقهاء من مذاهب مختلفة ، ويمكن ان نستخلص من مجموع ما قرروه جملة القواعد التالية :

اذا اجتمع المباشر والمتسبب اضيف الحكم بالضمان الى المباشر اذا كان كل منهما متعديا او غير متعد ، ومن باب اولى اذا كان المباشر متعديا دون المتسبب ، والا فيضاف الحكم الى المتسبب اذا كان متعديا والمباشر غير متعد . ويمكن ان نجد تطبيق ذلك في مثال حفر البئر ، وتقاس عليه اشباهه . فمن حفر بئرا تعديا ، كان حفرها في الطريق العام ، فاردى شخص فيها دابة لآخر ، فان الضمان على المردي لا على الحافر . ومن حفرها في ملكه فسقط فيها شخص صدفة فانه لا دية على الحافر ، ومن حفرها في ملكه فاردى شخص فيها انسانا او حيوانا فان الدية او الضمان على المردي . ومن حفرها في الطريق العامة فتردى فيها شخص فان الدية على الحافر[٢٥] مع ان الحفر

---

(٢٥) نظر : اصول البزدوي وشرحه كشف الاسرار ، جـ٤ ، ص١٧٥ ـ ١٨٣ . ـ الزيلعي على الكنز ، جـ٦ ، ص١٤٤ـ١٤٥ . ـ التلويح على التوضيح ، جـ٢ ، ص١٣٧ـ١٣٨ ـ مرآة الاصول وحاشية الازميري ، جـ٢ ، ص٤٠٧ـ٤٠٨ ـ الفروق ، جـ٢ ، ص٢٠٨ وتهذيبه على هامش ←

مجرد تسبب ، والعلة او المباشرة تتحقق بالسقوط ، وانما يضمن الحافر لتعديه في تسببه مع انتفاء وصف العدوان عن المباشرة • ثم ان الفقهاء قد توسعوا فيما يتحقق به التعدي ، حتى بنوا امكان استفادته من مجرد قصد الفاعل • فنرى الفقهاء المالكية يقررون انه لو حفر شخص في ملكه بئرا لغرض سقوط حيوان لشخص معين ، فجاء آخر فرداه في البئر ، كان الضمان على الحافر والمردي[٢٦] • ولا يخفى ان الحافر غير متعد بحفره في ملكه ، وانما وصف فعله بالتعدي نظرا لما قصده • واما جعلهم الضمان على الحافر والمردي ، اي على المتسبب والمباشر معا ، فانه وان كان مخالفا لما قدمنا من وجوب الضمان على المباشر دون المتسبب في حالة تحقق العدوان في فعلهما ، الا انهم قد راعوا قوة التسبب وشدته عند اقترانه بالقصد المذكور ، حتى ان منهج من اوجب القصاص على الحافر والمردي اذا ما هلك انسان في تلك الحالة[٢٧] • ومن الواضح ان ما قرروه يقتضي وجوب الضمان كاملا على

ص٢٠٦ • ـ مختصر خليل وشرح الخرشي وحاشية العدوي ، جـ٦ ، ص١٣٢ • ـ الشرح الصغير للدردير وحاشية الصاوي ، جـ٢ ، ص٢١١ • ـ قواعد ابن رجب ، ص٢٠٥ • ـ الاقناع وشرحه كشاف القناع ، جـ٢ ، ص٣٦٤ـ٣٦٨ • ومنتهى الارادات وشرحه على هامش ص٣٧٠ـ٣٧٣ من كشاف من القناع • ـ نهاية المحتاج وحاشية الشبراملسي ، جـ٥ ، ص١٥١ـ١٥٤ • ـ قواعد العلامة وشرحه مفتاح الكرامة ، جـ٦ ، ص٢١٥ و٢١٩ •

(٢٦) شرح الخرشي وحاشية العدوي ، جـ٦ ، ص١٣٢ • ـ حاشية الصاوي على الشرح الصغير ، جـ٢ ، ص٢١١ • ـ الفروق ، جـ٢ ، ص٢٠٦ و ٢٠٨ •

(٢٧) المراجع المشار اليها في الهامش السابق ، الا ان القرافي يرى وجوب الدية دون القصاص في تلك الحالة ، وذكر القصاص عليهما في مسألة اخرى مصرحا بقوة التسبب •

صفحة ١٧٠
غير موجودة في النسخة الاصلية

صفحة ١٧١
غير موجودة في النسخة الاصلية

الجزاء على الافعال المضرة بالغير :

قد يتبادر ان الجزاء مرادف للعقوبة ، فيبدو متعارضا مع ما قدمنا من عدم اشتراط التعدي في المباشرة ، ولكن في الواقع للجزاء معنى اعم من ذلك ، اذ هو لغة المكافئة على الشيء[٣٢] ، فهو مطلق المكافئة سواء كانت بالخير او بالسوء ، وقد استعمل في القرآن الكريم في المثوبة والعقوبة معا ، قال تعالى : « جزاؤهم عند ربهم جنات عدن »[٣٣] ، وقال سبحانه : « ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا »[٣٤] ، وقال عزوجل : « ليجزي الذين اساءوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى »[٣٥] .

والجزاء المترتب على الاعمال في احكام الشرع اما اخروي او دنيوي ، والجزاء الاخروي بمعنى المثوبة خارج عن موضوعنا ، وانما له علاقة غير مباشرة ، حيث ان الطمع بالثواب يستتبع حرص المرء على حسن التصرف ، والمبالغة في تجنب ما يضر الاخرين ، والتزامه مالا يلزمه في ذلك ، نحو ما اورده الامام الغزالي في باب الاحسان في المعاملة من كتاب آداب الكسب والمعاش[٣٦] .

واما العقوبة في الجزاء الاخروي فيمثل خوفها الوازع الديني الذي يجعل من ضمير الانسان خير رقيب عليه ، ويوقظ الاخلاق ويحركها اذا ما طغت عليها المادة والشهوات وارقدها الجشع ، ويتلافى عجز القضاء عن

---

(٣٢) القاموس المحيط ، جـ٤ ، باب الواو والياء فصل الجيم . وجاء في اساس البلاغة ، للزمخشري ، جـ١ ، باب الجيم مع الزاي : واجزاني كذا : كفاني .

(٣٣) سورة البينة ، آية ٨ .

(٣٤) سورة الكهف ، آية ١٠٦ .

(٣٥) سورة النجم ، آية ٣١ .

(٣٦) احياء علوم الدين ، جـ٢ ، ص٧٩-٨٢ .

ملاحقة ما يغمض ويتعسر اثباته ، بان يردع الشخص عن ان تسهويه فكرة الافلات من العقوبة ليندفع في اساءته .

واما الجزاء الدنيوي فواضح انه لا شـأن لنا بما هو في معنى البذل والعطاء منه . وكذلك ما هو عقوبة منه ، كالقصاص والحدود والتعازير[٣٧] فانه خارج عن بحثنا . وفيما سوى ذلك يبقى بحث الجزاء في الامور المالية ، من ازالة عين الضرر أو التعويض عنه بالضمان . وهنا تظهر أيضا فكرة العقوبة فيما بني على التعدي او التقصير ، اي جزاء التسبب في الضرر ، بخلاف احوال مباشرته ، حيث لا يشترط ذلك ، فانه لا تبدو فكرة العقوبة مناسبة لها ، وانما يفيد الجزاء مجرد مقابلة الضرر وازالته . وقد اشار الى هذا المعنى القرافي في الفرق الـذي عقـده بين قاعـدة الزواجر وقاعـدة الجوابر[٣٨] . ويمكن ان نستفيد في بيان انواع الجزاء المالي . بما عرضه اصوليو الحنفية في بحث الاداء والقضاء . حيث عرفوا الاداء بانه فعل ما طلب من العمل بعينه ، اما القضاء فانه اداء مثل الواجب ، واعتبروا الاداء اصلا والقضاء خلفا ، ولابد لثبوت القضاء من العجز عن الاصل ، اي الاداء . ثم انهم قسموا الاداء الى كامل وقاصر وما هو في معنى القضاء ، كما قسموا القضاء الى كامل وقاصر وما يشبه الاداء . ومرادهم بالقضاء الكامل ما تحقق

---

(٣٧) والتعزير عقوبة غير مقدرة لذنوب لم تشرع فيها حدود ، وقد يكون بالقول كالبكيت ، أو بالفعل كالحبس ، وعن الائمة مالك وابي يوسف واحمد والشافعي في احد قوليه جواز التعزير بالعقوبات المالية . انظر : تبصرة الحكام ، على هامش فتاوى الشيخ عليش ، جـ٢ ، ص٢٥٨-٢٦٢ . ـ معين الحكام ، ص١٣٠-١٣١ . ـ اعلام الموقعين ، جـ٢ ، ص١٣٨ . ـ الطرق الحكمية ، ص٢٤٥ . ـ الاحكام السلطانية ، للماوردي ، ص٢٠٥-٢٠٦ . والفرق واضح بين العقوبة المالية وبين الضمان .

(٣٨) الفرق التاسع والثلاثون من فروقه ، جـ١ ، ص٢١٣ . وتهذيب الفروق ، هامش ص٢١١ .

صفحة ١٧٤
غير موجودة في النسخة الاصلية

صفحة ١٧٥
غير موجودة في النسخة الاصلية

مثل هذا الضرر يجد ما يعوضه غالبا في الاطمئنان الى نزول العقاب الاخروي بمن تسبب فيه ، بل وفي انزال العقوبة الدنيوية ايضا ، وباب التعزير يتسع لذلك • وارى ان عدم تعويض الضرر المعنوي بالمال فكرة متأصلة في الفقه الاسلامي[٤٣] •

خاتمـــة :

يرى الاستاذ السنهوري انه لا توجد قاعدة عامة في الفقه الاسلامي تجعل الفعل غير المشروع مصدرا للالتزام بوجه عام ، وحيث قال في ضمان الفعل : وهذه هي المسؤولية التقصيرية بخصوص المال •••• ولا توجد قاعدة عامة في الفقه الاسلامي تقضي بان كل عمل غير مشروع يلحق ضررا بالمال يوجب التعويض[٤٤] • وبالرغم من عدم عناية فقهاء الشريعة بصياغة

---

(٤٣) ومن السادة الباحثين في الفقه الاسلامي من ذكر ان قواعد الشريعة لا تأبى ضمان هذا الضرر • انظر : رسالة الدكتور سعيد مصطفى السعيد ، ص٢٥٧ـ٢٥٨ • ـ بحث الاستاذ عبدالمقصود شلتوت في اسبوع الفقه الاسلامي سنة ١٩٦١ ، ص١٩٧ـ١٩٨ • ـ بحث الاستاذ عيسوي احمد عيسوي في مجلة العلوم القانونية والاقتصادية سنة ١٩٦٣ ، العدد الاول ، ص١١٥ • ـ الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده ، للدكتور فتحي الدريني ، ص٥١٦ • وقد استدل الدكتور السعيد والاستاذ شلتوت بتحديد مقدار الدية وتساوي جميع الافراد فيها ، واراده دليلا على النقيض ، ذلك ان النفوس البشرية متساوية ، بخلاف الاضرار المعنوية والالام المترتبة على فقد القتيل فانها متفاوتة ، وقد يستحق الدية وارث بعيد لا يصيبه من تلك الاضرار شيء • واستدل الاستاذ عيسوي والدكتور الدريني بحد القذف ، وان القذف فيه ضرر معنوي • وجوابنا ان هذا مسلم ، ولكن في اقامة الحد ازالة لعين الضرر باظهار براءة المقذوف ، كما ان فيه شفاء للغليل ، وهو الم مقابل الم فالمناسبة فيه موجودة ، بخلاف مقابلة الضرر المعنوي بالمال •

وقد ورد في بعض احوال الشجاج والجراحات قول الامام ابي يوسف بضمان ارش الالم ، الا انه فسر باجرة الطبيب وتكاليف المداواة (الزيلعي على الكنز ، جـ٦ ، ص١٣٨) •

(٤٤) مصادر الحق ، جـ١ ، ص٤٤ و ٥٠ •

النظريات وادراج الفروع تحت قواعد عامة ، فاني ارى وجود تلك القاعدة العامة التي اشار اليها الاستاذ السنهوري فيما قرره الفقهاء من قاعدة تضمين المسبب بتعديه وتقصيره ، حيث ان في التعدي والتقصير افصاح عن عدم مشروعية الفعل ، وقد اشرنا الى توسع العلماء في معنى التعدي وتصريح بعضهم بامكان استفادته من مجرد القصد المقترن بالفعل • واما في احوال المباشرة المصحوبة بالتعدي فان الحكم بالضمان هو من باب اولى •

واما تقريرهم الضمان في احوال مباشرة الضرر غير المشوبة بالتعدي فانه يفسره منهجهم القويم في الفصل بين فكرة التعويض او الضمان وفكرة العقاب ، والعدالة تقضي بان يتحمل الضرر من كان فعله هو العلة في حدوثه او ما يسمى بسببه المباشر • ولذا قلنا ان قواعدهم تأبى التسليم بنظرية تحمل التبعة ، حيث ان مجال هذه النظرية اضرار تتلاحق وتشتبك اسبابها وتنطمس فيها رابطة السببية بين الفعل والضرر ، فلابد من مرجح لاضافة الحكم بالضمان الى الاسباب غير المباشرة ، وذلك باقترانها بالتعدي او التقصير •

وبالنسبة الى الجزاء رأينا الفقهاء يقررون ان الاصل فيما يترتب على الافعال الضارة هو الجزاء العيني ، اي اداء عين الواجب ، واما التعويض ، اي الحكم بالضمان ، فهو خلف له ، ويقدمون ايضا ضمان المثل على ضمان القيمة • والذي حدا بهم الى ذلك هو الحرص على تحقيق العدالة الكاملة • وقد اشرنا الى ما قرروه من الحكم بضمان القيمة عند تعذر او تعسر الحصول على المثل بانقطاعه عن الاسواق مثلا • وارى ان اصولهم في التوسعة والتيسير ورفع الحرج لا تأبى الحكم بضمان القيمة كلما كان ذلك ايسر وانفع ، وله نظائر فقهية ، كما في تجويز دفع قيمة الواجب بالزكاة وغيره • وفي مذهب المالكية ، مثلا ، نقول تؤيد ذلك في موضوع ضمان الاتلاف •

---

(٤٥) تبصرة الحكام على هامش فتاوى الشيخ عليش ، جـ١ ، ص٣٤١-٣٤٢ •

كتب حديثة في الميزان

إضاءة لإمام الأدب الإسلامي

نقد كتاب : نحو أدب اسلامي
تاليف : عبدالهادي الفضلي

« لابد للدعوة الاسلامية من أدب اسلامي ، ليقوم بدور التوعية ، وبدور نشر الفكرة الاسلامية ، ودور التوجيه ، فخلق الخصوبة لانطلاق الدعوة في أجواء ملائمه »(ص٦) .

هذه أول كلمة نطق بها الاخ الفضلي في بداية كتابه .. وهو انما يقرر بهذا حقيقة ملحة ، لكنها ماتزال غائمة في وعي بعض الناس الذين قد يحسبون العناية بأدب اسلامي ضربا من الترف في القول . ان الذي يعاني من الكد والكدح في عملية تغيير هذه الامة ، والذي يعيش حياته العملية غضا واعيا من أجل تعبيد الناس لرب العالمين سبحانه ، يدرك البعد العميق في حاجتنا الى كلمة أدب هادية ، تشخص رسالة الاسلام في صور واقعية تثير الاحساس، وتهذب الفكر والعاطفة.ولست أريد ان أقول ان القرآن الكريم قد اعتنى عناية شديدة بالقصة والحوار في عرض الافكار ، وكذلك فعل الادب النبوي

الشريف ، ولست أريد أن أقول ان للاسلوب الادبي تأثيرا كبيرا في وجدان الناس وفي طريقة تفكيرهم ، لست اريد أن اقول ذلك وحسب ، وانما اريد أن اقول ، الى جنب كل ذلك ، ان الاسلوب الروائي أو المسرحي يكاد يكون اسلوب العصر المفضل في عرض الفكر وتثبيته في وعي الجماهير وفي لاوعيهم أيضا ، وربما ستكون المسرحية أفضل الانواع الادبية وأشيعها وأحسنها مستقبلا ، بسبب توفر (التلفزة) .

وبالقياس الى رسالة الاسلام ، ماذا تعني الانواع الادبية المعروفة من شعر ومسرحية ورواية وملحمة ...؟

فليست القصيدة المسلمة الا كلمة الاسلام ينطقها شعرا (يمثل تجربة من تجارب الانسان المؤمن) .

وليست المسرحية المسلمة غير تشخيص الاسلام في واقع انساني حيوي متحرك ، وأما القصة أو الرواية فهي مقاطع من حياة الانسان (من وجهة نظر الاسلام) .

والى جوار كل ذلك : هل تستطيع فكرة ما أن تصعد الى صعيد التطبيق الاجتماعي ، في ظروف معاكسة لها ، بدون الاستناد الى حماسة أبنائها ، والى تدفق عاطفي يضمن لها النمو والتأثير ؟ ثم أليس من أبسط وظائف الادب ، الى جنب الفكر الذي يعرضه ، ايقاظ العواطف والهاب الحماسات ؟ وهذه نقطة مهمة في ضرورة العناية بالادب الاسلامي أدركها الاخ الفضلي أيضا في كتابه هذا .

والكتاب بصفحاته السبع والخمسين ، يتألف ـ بعد المقدمة ـ من تسعة موضوعات . تخصص الموضوع الاول لعرض بعض صور من الاسلوب الادبي الذي اعتمده كفاح الرسول (ص) وسيلة للدفاع والتبليغ ، ممثلا في (القرآن الكريم ـ الشعر ـ الخطابة) ، ثم يورد نماذج لكل ذلك . واستغرق هذا الموضوع (٢٠) صفحة .

ثم يأتي الموضوع الثاني الذي يعود فيه المؤلف فيركز على ضرورة ايجاد أدب يحمل كلمة الاسلام لتقارع الجاهلية الجديدة ، ومن هنا كان علينا ـ نحن المسلمين المؤمنين بعقيدتنا والواعين لمسؤوليتنا والمجاهدين في سبيل فكرتنا ـ أن نوفر تعليم القرآن الاسمى ، وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، لتقارع الكلمة بالكلمة ، والفكرة بالفكرة ، والعاطفة بالعاطفة ، وأخيرا السلوك بالسلوك ،(ص٣٤) .

وفي موضوع (فنية الادب الاسلامي) يقسم المؤلف الادب الى مبدئي وغير مبدئي (ملتزم وغير ملتزم) وينتهي الى تقسيم المبدئي الى (أدب اسلامي وأدب كافر وأدب نفعي) ، ويجعل عناصر الادب الاسلامي : الذهنية الاسلامية ، والعاطفة الاسلامية ، والتعبير الجلي الذي يختار الملفظة ذات الايقاع المؤثر . فالادب الاسلامي ، اذن ، يمثل جانب الحضارة الاسلامية فكرا واسلوبا ، وينطلق وسيلة توعية وخلق في اطار ابداع فني جميل ، أو في هالة عرض واضح مشرقة (ص٣٧) . غير أن عنوان الموضوع يبقى أكبر مما كتب تحته بكثير .

أما موضوع (مذهبية الادب الاسلامي) فيريد به الاخ عبدالهادي أن يصبغ الادب الاسلامي بصبغة الرسالة الاسلامية بكل ما تملكه هذه الرسالة من ذهنية ونفسية وسلوك مرئي ، ويريد به كذلك أن يكون هذا الادب وسيلة عملية بين يدي الاسلام . غير أنه يخلط ، فيما يبدو ، بين المذهبية التي تقابل معنى الاكاديمية ، وبين المذاهب الادبية أو الاتجاهات الفنية في الادب ، أو هو يعرض المسألة بشكل فيه اختلاط أو تداخل ، واعتداده [الأدب] وسيلة كان هو الملحظ في تحديد وتقييم المذهبية فيه ، وهذا لا يعني أنه لا يلتقي ومذهبا آخر من المذاهب الادبية الفنية ، التي جاءت نتيجة مقياس العصور أو مقياس الفن ، فكانت الكلاسيكية والرومانتيكية ، وكانت الصنعة والتصنع .. ،(ص٤٠) .

وحسناً فعل المؤلف حين خصص موضوعا لنماذج اختارها من الادب الاسلامي المعاصر ، قدم فيها بعض نماذج من أدب محمد أمين زين الدين (مقالة) ومحمد حسين فضل الله (شعر) وآمنة حيدر الصدر (قصة) ، وهي نماذج فيها جودة ، وتبشر بأمل « وأول الغيث قطر ثم ينهمر » .

الموضوعان التاليان خصصهما لمعالجة قضايا عملية تتصل باذاعة الادب الاسلامي وتهيئة وسائل للنشر ، يستطيع عن طريقهما أن يسمع كلمتـــه الصافية الهادية الى الانسان ، فناقش مسألة (الصحافة والادب الاسلامي) و (التعليم والادب الاسلامي) ، ثم لخص في (الختام) العناصر المهمة في موضوع الادب الاسلامي ، وخرج من الكتاب بـ (دعوة) ، دعا فيها الى دراسة الادب الاسلامي المعاصر دراسة أعمق وأوفى ، والى اعداد أجهـزة تعبير تجندله ، لتفتح أمامه الطريق الى الاذهان ، بأوسع مجال ، وأكثر مما هي الآن . (ص٥٧) .

ويبدو لي ـ من خلال الكتاب ـ أن الاخ الفضلي كان معنياً بأمر الادب الاسلامي منذ زمن غير قريب ، فقد تناول موضوعات متعددة ومهمة في هذا المجال ، وكانت المسألة واضحة في وعيه وضوحا غير قليل ، رغم أن حجم الكتاب صغير لا يستوعب أغلب أبعاد المسألة . وقد كنت أرجو أن يتناول أموراً أخرى ، ومسائل أبعد ، تعد جوهرية في بناء أدبنا الاسلامي المعاصر ، ولكن حسبه أن يكون قد أضاء اضاءة اولى مخلصة أمام الادب الاسلامي .

ولا يفوتني ، هنـا ، أن اشـــير الى بعض قضايا ، لأضعها أمام الاديب الاسلامي وهو في طريقة الدائب نحو بناء كيان أدبي اسلامي :

أولا ـ ضرورة العناية بالانواع الادبية التي تحقق الصفة الجماهيرية التأثيرية للادب (المسرحية ، الرواية ، الملحمة ، الشعر ...) مع ملاحظة محدودية الشعر الوجداني في نقل أفكار متكاملة شاملة بالشكل الذي تستطيعه الرواية أو المسرحية .

ثانياً ـ ينبغي ألا نفرط بالجانب الفني من أجل الجانب الموضوعي في الادب ، بحيث يتحول الادب الى كلام تقريري يخلو من نبض الحياة وصدق التجربة الروحية للاديب ، وانما يجب التأكيد على العنصر الجمالي من خلال عنصر العاطفة والفكر .

ثالثا ـ مازالت في طريق الادب الاسلامي خطوات قبل أن يحاول أحد تخطيط مذهب فني له ؛ لأن الشكل الفني الذي يتخذه هذا الادب يجب أن يبقى طليقا غير محدد ، حتى يجتاز مرحلته هذه (مرحلة تكوين الجذور)، ويستقر بعدها على نمط فني خاص به (وقد أحسن الاخ الفضلي حين أغفل مسألة اقتراح نمط فني أو مذهب أدبي معين ينتهجه الادب الاسلامي الحديث) .

رابعاً ـ ضرورة العناية بالفن القرآني للانتفاع منه في طريقة الاداء والتأثير ، والقيام بدراسة موضوعية عميقة دائبة لهذا الفن ، وكذلك دراسة نصوص الشعر العربي القديم دراسة نقدية واعية (الاهتمام بجانب الحكمة فيه) . وليس معنى ذلك أن يتحول الاديب الاسلامي الى دارس أدب على الطريقة الاكاديمية ، وانما المطلوب أن يستوعب النماذج الفنية ويتمثلها ، حتى تكون دماء جديدة تجري في شرايينه ، وتعمل على تطوير وعيه الفني حينما يكتب أدبه .

خامساً ـ الاهتمام بدراسة لون من ألوان الادب قل أن نجد من عني به ، ذلك هو أدب الدعاء (مثل الصحيفة السجادية) .

سادساً ـ الالتفات الى اسلوب (أدب الرسالة) في التأثير الجماهيري (من نماذج ذلك في أدبنا المعاصر كتاب : الى الطليعة المؤمنة) .

سابعاً ـ هناك نماذج أدبية اسلامية ، من النافع للاديب أن يدرسها ، وان كانت هذه النماذج لم تقصد الى أن تكون سلاحاً في ميـــدان الصراع بالدرجة المطلوبة • من هذه النصوص : بعض ما كتبه المرحوم علي أحمد باكثير (ت١٩٧٠) في مجال المسرحية ، وبعض قصائد الشاعر محمود حسن اسماعيل ، وقسم من قصص عبدالحميد جودة السحار ، وغير ذلك •

ثامناً ـ في مجال الادب الاسلامي تتوفر طاقات جيدة ، الا انها لم تتفجر بعد بالشكل المطلوب ، ولذلك أكثر من سبب ، ولعـــل من أهمها انغلاق وسائل الاعلام الحالية أمام الاديب الاسلامي أن يقول كلمته •

يا امة الاســـلام قصرت الخطى
بك واستطال من الضلال مقصر

ضاعت جهود (محمد) وجهـاده
في امـة بهدى الرسـالة تـكفر

هذي العقايد وهي أطيب غرسه
نضجت وليس لقطفهـا مستثمر

هـذا هو القرآن ينبـــذ مثلمـا
اضحت تعاليم الشـــريعة تهجر

فدعي الاضاليل التي قـد آثرت
بدعـا بـــدين محمـد لا تؤثر

أفني في سطور

عباس فاضل السعدي
مترجمة
عن دائرة المعارف البريطانية واطلسها العالمي

- افني مقاطعة افريقية (مغربية) تحت نفوذ اسبانيا ، تقع جنوب المملكة المغربية ، ممتدة على شكل شريط على ساحل المحيط الاطلسي لمسافة تقرب من (٥٠) ميلا ، وتمتد الى الداخل الى حوالي ١٥ ميل .
- سطحها يتكون من نوعين من التضاريس : الجبال ، والسهول الساحلية. اما نباتها الطبيعي فهو نوع الاستبس .
- بدأ الاسبان يطمعون فيها بعد تشييدهم القلعة الاسبانية قرب جزر كناري سنة ١٤٧٦ لحماية صيادي السمك ، غير ان المراكشيين العرب دمروا تلك القلعة سنة ١٥٢٤ .
- ادعت اسبانيا ان افني اصبحت جزءاً منها سنة ١٩٥٢ ، وفي عام ١٩٥٧ حدثت فيها انتفاضات وثورات من قبل السكان الوطنيين ، وقد احتلوا بعض اقسامها[1] .

---

(١) تنازلت اسبانيا عن منطقة افني الى المغرب سنة ١٩٦٨ (المترجم) .

- يقطن المنطقة كثير من قبائل البربر • واللغة المتداولة في المنطقة هـي العربية والاسبانية •

المساحة : ١٥٠٠كم٢ (حوالي ٥٧٩ ميل٢) •

- السكان : بلغ حسب احصاء ١٩٥٠ : ٣٨ر٢٩٥ نسمة ، وفي احصاء ١٩٦٠ بلغ العدد ٤٩ر٨٨٩ نسمة(٢) ، وبموجب الاحصاء الاخير وصلت نسبة السكان المحليين ٥ر٨٣٪ والاوربيين ٥ر١٦٪ •
- كثافة السكان (بموجب احصاء ١٩٦٠) : ٣ر٣٣ نسمة/كم٢ •
- المعدل السنوي لنسبة زيادة السكان (١٩٥٠-١٩٦٠) : ٣٪ •
- العاصمة « سيدي افني » وقد بدأت تنمو منذ سنة ١٩٣٤ • بلغ عدد سكانها (احصاء ١٩٦٠) : ١٢ر٧٥١ نسمة •
- مجموع قيمة التجارة الخارجية (١٩٦٠) : ١٩١ر٦٨٥ر٦٣ بتا Pta (بتا = ٠ر٠٠٥٩٥ من الجنيه الاسترليني = ٠ر٠١٦٦٧ من الدولار)•
- قيمة الصادرات : ١٠٤ر٣٥٠ بتا •
- قيمة الواردات : ٦٣ر٥٨٠ر٨٤١ بتا •
- المواد المصدرة : المواد الغذائية ، المنتجات البترولية •
- المواد المستوردة : بعض المواد الغذائية ، التبغ ، النسيج ، الشراب •
- ميزانية الحكومة : ٤٦ر٩٤٩ر٢٠٠ بتا •
- اهم المحاصيل : الحلفا ، الشعير ، القمح ، الذرة ، اشجار التوت •
- الثروة الحيوانية : البقر ، الغنم ، الماعز •

---

(٢) تشير الاحصائيات الحديثة ان عدد المسلمين فقط في منطقة افني يبلغ (٥٥ر٠٠٠) نسمة اي ٨٣٪ من مجموع سكان المنطقة (المترجم) •

- **النقل والمواصلات (١٩٦٠)** : الطرق المعبدة : ٣ر٣كم ، عدد وسائل النقل : ١٥٤ ، عدد المطارات : ١ ، عدد التلفونات : ١٣١ ، الصحف الاسبوعية : ١ .

- **التربية (١٩٦٠)** : بلغ عدد المدارس الابتدائية : ٢ والثانوية : ١ والفنية : ١ .

  وعدد معلمي المدارس الابتدائية : ١٦ والثانوية : ١٤ والفنية : ١٣ .

  وعدد طلاب المدارس الابتدائية : ٥٤٤ والثانوية : ١٩٧ والفنية : ٢٥٠ .

- **الصحة (١٩٦٠)** : عدد المستشفيات : ١ والاسرة : ١٥٠ والاطباء : ٨ .

كلية أصول الدين

اولا ـ القبـول :

اعلنت ادارة التسجيل في هذه الكلية عن شروط قبول الطلبة الجـدد لهذا العام • وتقدم للكلية عدد يناهز الخمسمائة طالب • ورغبـة في تنسيق العمل والتأكد من المستويين الخلقي والعلمي للطلبة شكلت العمادة لجنـة خاصة بالقبول • وقد تكونت من احد اساتذة جامعة بغداد المحاضرين فـي الكلية وعضو من الهيئة التدريسية • وكان على الطالب المتقدم لهذه الكلية ان ينجح في امتحان للعلوم الدينية وآخر في اللغة العربية • وقد استطاع عـدد يناهز المائة والخمسين طالبا من اجتياز الامتحانين المذكورين مما أهلهـم للقبول في الكلية بعد ان اجريت لهم مقابلة شفوية •

ثانيا ـ المكتبـة :

دأبت الكلية على العناية في مكتبتها وتزويدها في المصادر المهمة في علوم اللغة والعلوم الدينية • يضاف الى ذلك ان المكتبة حريصة على اقتناء جميـع الكتب الجيدة من المراجع الحديثة المؤلفة منها والمترجمة • وقد خصصت جمعية الصندوق الخيري الاسلامي مبلغا قدره حوالي الالف دينار للمكتبـة في ميزانية هذا العام •

ثالثا ـ الملتحقون بالدراسات العليا من المتخرجين في الكلية :

التحق الشيخ محمد حسين الصغير احد المتخرجين في الكلية بالبعثـة

العلمية لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي وكان الموضوع الذي ينوى الحصول على شهادة الدكتوراه فيه هو النحو • ومن المؤمل انه سيلتحق بأحدى الجامعات البريطانية الرسمية • ويعكف الشيخ الصغير في الوقت الحاضر على اعداد خطة لرسالته كما يدرس اللغة الانكليزية ليقوى معلوماته السابقة في تلك اللغة •• ونرجو له التوفيق في دراسته الجديدة •

والتحق طالب آخر وهو السيد كريم الموسوي بجامعة بغداد لنيل درجة الماجستير في الشريعة • وكان قد امضى سنة في كلية دار العلوم في القاهرة وكان هو الثاني في صفه بينما كان زميله الشيخ الصغير الاول بين زملائه •

رابعا ـ قدوم الدكتور عبدالامير الاعسم :

يسر الكلية ان تزف تبريكاتها وتحياتها لاحد المتخرجين فيها وهو الدكتور عبدالامير الاعسم • وقد نال الاعسم درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة كمبرج في بريطانيا وسيلتحق بالعمل في احدى الكليات او الجامعات العراقية لتدريس اختصاصه •

خامسا ـ مساعدة الطلبة الفقراء :

دأبت كلية اصول الدين على مساعدة طلبتها الفقراء •• وخصصت جمعية الصندوق الخيري الاسلامي مبلغا قدره الف دينار لمساعدة الطلبة الفقراء نصفه يخصص لطلبة هذا العام بينما يخصص النصف الآخر لدفع الديون المتبقية على الطلبة الفقراء من العام الماضي • وقد شكلت لجنة لغرض انتقاء الطلبة الفقراء وتوزيع المبلغ بينهم حسب الحاجة • ولا يسع ادارة الكلية الا ان تقدم جزيل شكرها للجمعية على تبرعها بالمبالغ المشار اليها اعلاه •

سادسا :

منحت السيدة وزيرة التعليم العالي والبحث العلمي المتخرج الاول في الكلية لهذه الدورة ساعة ثمينة تشجيعا للعلم وتقديرا لجهود الطالب شكرا للسيدة الوزيرة على مبادرتها الطيبة •

مدارس الأيام الجواد "ع"

● توفرت ادارة المدارس بنصر من الله على تهيئة ملاك تربوي بمستوى المسؤولية قلبا وقالبا للعام الدراسي ٧١-٧٢ ففي مدارس البنين (ثانوية الامام الجواد (ع)) .

تم تعيين الأستاذ الشاعر السيد محمد حسين عبدالكريم وكيلا لادارة الثانوية ومدرسا لدروس التربية الاجتماعية للصفوف كافة (وهو من ملاك المدارس سابقا) والسيد جعفر سلوم بكالوريوس علوم مدرسا للرياضيات والسيد الاستاذ الحاج ابراهيم حلمي مفتش وزارة التربية سابقا مدرسا للرياضيات بالاضافة الى وجود فضيلة العلامة الشيخ عبدالجبار البصري - مدرسا للدروس الاسلامية ورئيسا للجنة التوجيه الديني واماما للصلاة في المدرسة .

الاستاذ عبدالامير البدري : مدرسا للغة العربية ومرشدا عاما للطلبة .

الاستاذ محمد علي الرديني : مدرسا للغة العربية للصفوف الاولى .

الاستاذ عباس السعدي : مدرسا للاجتماعيات (ماجستير آداب) .

الاستاذ الحاج لطيف الخفاجي : مدرسا للغة الانكليزية للصفوف الاولى والثانية .

الاستاذ عبدالوهاب محمد امين : مدرسا للغة الانكليزية للصفوف الثالثة .

الاستاذ احمد كاظم : مدرسا للكيمياء والطبيعيات .

الاستاذ منعم حسين العلي : مدرسا للفيزياء .

والسيد سليم خزعل القرشي : محاسبا •

وفي مدرسة الامام الجواد (ع) الابتدائية :

تم تعيين الاستاذ صبيح حمود التميمي ـ مديرا للمدرسة •

والاستاذ الحاج عبدالحسين الراضي ـ معاونا للادارة •

والسيد الحاج ناجي فرحان الغبان ـ كاتبا للادارة •

والسيد مصطفى عبود ـ محاسبا •

اما اعضاء الهيئة التعليمية فقوامها :

الاستاذ محسن نعمة

الاستاذ محمد دهش

الاستاذ حمزة كريم الزبيدي

الاستاذ محمد حسين اسد

الاستاذ عدنان هاشم

الاستاذ كاظم سلوم الخفاجي

الاستاذ عبدالباقي عبدالسلام

الاستاذ طاهر مهدي الخفاجي

الاستاذ الشيخ رشيد الصفار

الاستاذ علي احمد المحنا

الاستاذ سهيل طاهر جبار

الاستاذ حميد محمد علي الهاشمي

اما في مدارس البنات (مدارس الزهراء (ع)) الابتدائية والثانوية فقد

تم تعيين اسرة مؤمنة لها من بنات الهدى والاسلام تتوفر فيهن جميع الشروط الخيرة والكفاءة الممتازة مما جعل المدرسة تحظى بتقدير علية المجتمع وكل ذلك بهمة وجهاد العلوية المشرفة (بنت الهدى) واسرة الادارة والتربية فيها.

- لاتزال عملية التربية والتعليم التي تمارس ـ في الوسط المدرسي الفريد لمدارسنا ـ تحظى بتقدير وتأييد علماء المسلمين في كافة الامصار ؛ فقد كتب الينا الكثيرون منهم ـ ايدهم الله وادام ظلهم على رؤوس الاشهاد ـ يباركون سعينا ويؤيدون خطونا ويدعون الله سبحانه ان يتقبل ذلك ويثيبنا به خير جزاء المحسنين وستنشر المدارس كل ذلك في كتاب سنوي ستتوفر لجنة خاصة لاصداره في صيف عام ١٩٧٢ انشاء الله .

- وبناء على توجيهات السيد مدير المدارس فقد باشرت ادارات المدارس كافة بتنفيذ خطة تربوية هادفة ترمي الى مشاركة البيت والمجتمع في حمل هموم التربية النظيفة وذلك عن طريق تبادل وجهات النظر واستعراض العقبات والمعوقات الصغيرة والكبيرة ودراستها مع مقارنتها بالخط البياني لمستوى الطالب العلمي والسلوكي والتشاور مع المربين المختصين في سبيل استكمال صيغ العلاج الناجح دعما لخط المدرسة وتثبيتا لرسالتها في المجتمع وقد اعد لهذا الغرض سجل خاص بالمدرسة يدون فيه السادة اولياء امور الطلبة ومعارفهم واصدقاؤهم ملاحظاتهم وآراءهم واقتراحاتهم لدراستها والاخذ بما يخدم مصلحة المدارس ويمكن رسالتها في قلوب الناس ومشاعرهم .

- كما تقرر فتح سجل آخر للخريجين زيادة في شد أواصر الحب بينهم وبين مدرستهم الاولى وسبيلا لمشاركتهم في تركيز خط المدرسة واستمرار ذكرياتها في قلوبهم واعمالهم .

- نظمت مدارسنا سفرات ترفيهية هادفة الى منطقة الصدور في بغداد وفق

منهج اعد لهذا الغرض وقد شارك في السفرة باقة من خريجينا للسنوات السابقة وستعد المدارس سفرة اخرى بعد عطلة نصف السنة اكثر عطاء من سابقتها .

- بلغت نسبة نجاح طلاب ثانوية الامام الجواد في الامتحانات الوزارية البكالوريا للسنة ٧٠-٧١ (٨٩٪) .
- بلغت نسبة نجاح طلاب ابتدائية الامام الجواد «ع» في الامتحانات الوزارية ٨٢٪ .
- بلغت نسبة نجاح طالبات ثانوية الزهراء (ع) في الامتحانات الوزارية ٩٤٪ .
- بلغت نسبة نجاح طالبات ابتدائيةُ الزهراء (ع) في الامتحانات الوزارية ٩١٪ .
- انتهى السيد عباس فاضل السعدي من انجاز كتابه الموسوم بـ « ظفار ـ الاقليم المجهول في جزيرة العرب » وهو أول كتاب يؤلف عن هذا الاقليم . ويتناول الكتاب دراسة أوضاع الاقليم الطبيعية والاقتصادية والبشرية ودراسة التاريخ السياسي للاقليم متناولا الثورة وتطوراتها . وهو الكتاب الثالث للسيد السعدي فقد سبق ان صدر له « عمان وبعض جزر المحيط الهندي » سنة ١٩٧٠ « السيد ادريس : نسبه ، حياته ، مرقده » سنة ١٩٧١ .

الاحتفـاء بالعـلم

تكريماً للعلم ، وتعظيماً للخلق الرفيع ، وتقديرا للاذكياء والنابغين من الطلاب المهذبين ، وتجاوباً مع دعوة الاسلام وعلمـائه العاملـين نحو العلم والخلق النبيل ، أقامت الهيئة المشرفة على (مكتبة النهضة العلمية العامة) في الكرادة الشرقية ، حفلها السنوي الاول مساء يوم ١٩٧١/٩/١م في جامـع وحسينية الزوية تكريما وتشجيعا للطلاب المهذبين المتفوقين في الامتحانـات العامة للصفوف المنتهية من الدراسة الابتدائية والمتوسطة والثانوية لعام ٧٠-٧١ من طلاب الكرادة الشرقية مع تكريم الطالب كوران عطا الله الطالباني الناجح الاول على العراق للفرع العلمي للسنة المذكورة .

وقد حضر الاحتفال جمهور غفير من علماء الدين الافاضل وأساتذة جامعيين واعضاء الهيئات التدريسية والتعليمية ، وعدد كبير من المثقفين والاطباء والمهندسين في الكرادة الشرقية وغيرها من انحاء بغداد .

وقد بدأ الاحتفال بتلاوة مباركة للقرآن الكريم رتلها الاستاذ عادل العادلي ، ثم القى بعد ذلك الاستاذ الفاضل السيد كاظم القزويني كلمة قيمة مناسبة عن الهيئة المشرفة على المكتبة ، وبعدها تم توزيع المرطبات والحلويات ، ثم تفضل سماحة العلامة الفاضل الشيخ عارف البصري العالم الديني في المنطقة بتوزيع الجوائز والهدايا على الطلاب المهذبين المتفوقين ، بعد أن ارتجل كلمة توجيهية مناسبة . وقد شمل هذا التكريم والاحتفاء كلا من طلاب الاعدادية للفرع العلمي التالية اسماؤهم :

١ ـ كوران عطا الله الطالباني	الاول على العراق
٢ ـ عقيل محمد حسن العطار	الاول على الكرادة
٣ ـ محمد ارام محمود	الثاني على الكرادة
٤ ـ سعد الدين عبدالجبار جواد	الثالث على الكرادة

وكانت جوائز طلاب المرحلة الاعدادية المار ذكرهم تتكون من مجموعة ادوات واجهزة طبية وهي جهاز لقياس ضغط الدم مع سماعة طبية ، وجهاز كامل لتشخيص امراض الفم والانف والاذن والحنجرة ، وجهاز كهربائي للتعقيم مع مجموعة من الكتب النافعة ، ومبالغ نقدية عن قيمة الكتب العلمية التي يحتاجها الطالب في السنة الاولى من الكلية الطبية .

أما الطلاب الذين شملتهم الجوائز من خريجي الداسة المتوسطة فهم :ـ

١ ـ سعد سلمان تاج الدين	الاول على العراق
٢ ـ علي محمد عبدالنبي	الثاني على الكرادة
٣ ـ صباح صاحب المستوفي	الثالث على الكرادة

وكانت جوائزهم تتكون من (سيت) اقلام باركر (٦١) مذهب أو غير مذهب ، مع ساعات اوتوماتيك ، ومجموعة من الكتب العلمية النافعة .

أما الطلاب الذين قدمت لهم الجوائز من خريجي الدراسة الابتدائية فهم :

١ ـ رافل سلمان الصادق — الاول على الكرادة
٢ ـ رافت عبدالامير مجيد الربيعي — الثاني على الكرادة
٣ ـ محمد مهدي علي السلمان — الثالث على الكرادة

وكانت جوائزهم تتكون من ساعات يدوية و (سيت) أقلام باركر (٥١) مع مجموعة من الكتب المفيدة النافعة .

وبعد الانتهاء من توزيع الجوائز المشار اليها على الطلاب المذكورين ، تقدم الطالب المهذب المتفوق سعد سلمان تاج الدين ، والقى كلمة قيمة مناسبة نيابة عن اخوانه الطلبة ، شكر فيها الهيئة المشرفة على المكتبة على هذا التكريم والتشجيع العظيم ، هذا وقد ساد الحفل جو من الهدوء والسرور والانشراح كما عبر الحاضرون على اختلاف مستوياتهم عن ارتياحهم وسرورهم وتقديرهم لهذه المبادرة الكريمة ، التي قامت بها الهيئة المشرفة على مكتبة النهضة العلمية العامة في الكرادة الشرقية .

كوران عطا الله جمال الطالباني

رافت عبدالامير مجيد الربيعي

محمد مهدي علي السلمان

محمد آرام محمود

صباح عبدالصاحب المستوفي

عقيل محمد حسن العطار

سعد سلمان تاج الدين

رافل سلمان الصادق

علي محمد عبدالنبي

سعد الدين عبدالجبار

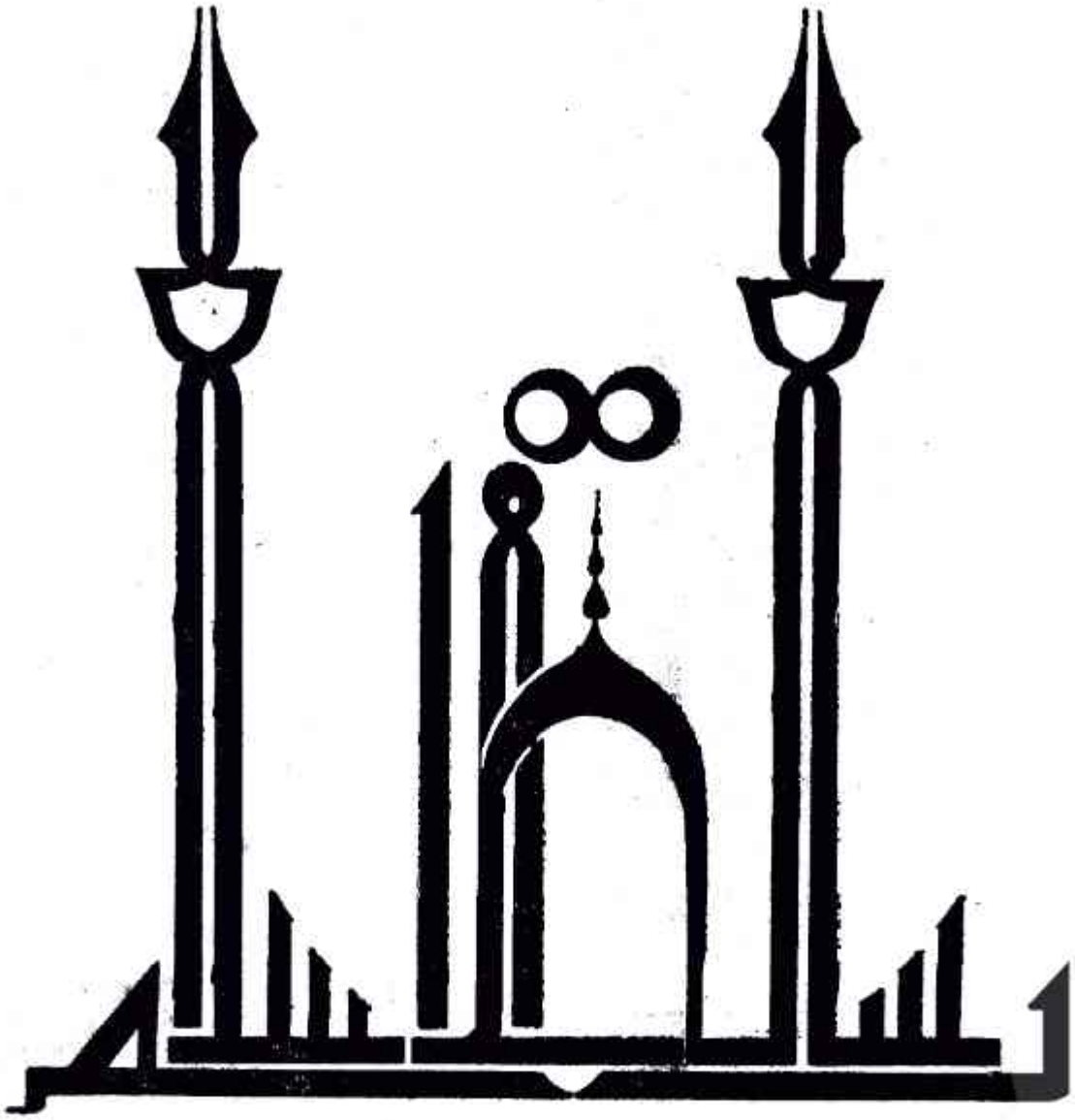

السنة الخامسة العدد (٥ ، ٦) محرم الحرام ١٣٩٢هـ
شباط ١٩٧٢م

مطبعة الارشاد ـ بغداد

رسالة الاسلام
مجلة
فكرية تعنى بشؤون الفقه
واللغة العربية
تصدر عن
كلية أصول الدين
بغداد - الكرادة الشرقية
رئيس التحرير المسؤول
محمد الساعدي
المراسلات
لشؤون التحرير :
باسم رئيس التحرير
كلية أصول الدين - الكرادة الشرقية
لشؤون التوزيع :
باسم الشيخ علي حبيب الله
للشؤون المالية :
باسم محاسب الكلية
السيد مصطفى عبود العلياوي
بدل الاشتراك :
داخل العراق : دينار واحد
خارج العراق : دينار ونصف
للمؤسسات الرسمية : ديناران
الهواتف
٩٨٠٥٥
٩٤٥٢٢
٩٠٣٦٦

محتويات العدد

الصفحة

كلمة التحرير :
علامات فارقة في مسيرة الثورة ٥
البحوث العلمية :
الميراث في الاسلام ١٢
الاسلام والامن والسلام ٢٦
من مفهوم النصر في القرآن الكريم ٤٤
منهج التبيان في التفسير ٦٢
اساليب الدعوة العامة للانبياء
في القرآن الكريم ٨١
من دروس المناقشة :
اسس التفاضل
في المجتمع الاسلامي
الاحكام الاسلامية فترة غياب
المعصوم بين التطبيق
والتعطيل
لمحات عن العدل الاجتماعي
في القرآن ١٢١
خميلة الادب
ميثم التمار على خشبة الصلب
أرض الطف قضية
وقصائد وقصص أخرى
مناهج البحث العلمي عند علماء
الفقه الجعفري ١٧٩
أوجه الاختلاف بين لغة بني تميم
وأهل الحجاز ٢١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

لكي لا نلدغ من جحر مرتين

اقبل الحق ممن جاء بـــه ، من صـغير أو كبير وان كان بغيضاً بعيدا !!

واردد الباطل على من جاء به ، من صغير أو كبير ولو كـان حبيباً قريبا !!

« حديث شريف »

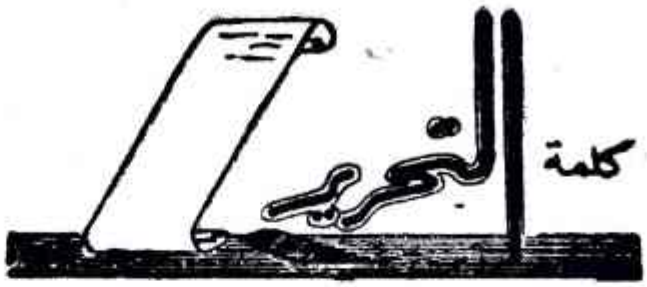

علامات فارقة
في مسيرة الثورة

محمد عبد الساعدي

ليس حدث يوم الطف شيئاً منفصلاً عن احداث الرسالة ككل ؛ ذلك ان العقيدة والايمان هي التي صنعتها ووجهتها الوجهة التي سارت اليها ٠

لقد كانت العقيدة في حياة الرعيل الاول من المسلمين ـ قادة وقاعدة ـ هي النافذة التي يطلون منها على عوالمهم الحية بكل شعب هذه العوالم وجنبات جوانب العيش فيها ، كما كانت العقيدة ذاتها هي المنظار الذي ترى بواسطته كافة حقائق العلوم والوجود وتفسر على ضوئه مجراها ومرساها ٠

ان مصدر الفاعلية في عقيدة احتوتها رسالة السماء كان الأس الفكري والروحي لاطار عملي ـ تطبيقي يحدد لانسان العقيدة « المؤمن » بها « والمؤتمن » على سيادة فكرتها وتسويد دعوتها أسلوب تعامله مع الاغيار اناساً كانوا ام كيانات وجوباً او ندبا ، اباحة او حرمة او كراهة ٠

ان تحديد الموقف العملي الذي يتوجه لانسان الرسالة ـ في مختلف الاحوال والظروف ـ ان يلتزمه امر يقع في الصميم من مهمات الرسالة الحية

وهي تتوجه لصنع مجتمع وفق صياغة عملية وواقعية منظورة ٠

والموقف العملي هـذا لا يكون عمليـاً ما لم يحكم بحركة الانسـان وتواجداته والا فهـو موقف نظري ليس مكانه سـاحات الجهد والنصـب والمخمصة والممارسة الحياتية والمعاناة التي تضبطها مقولات مثل الصـبر والمصابرة والمرابطة والتقوى ٠

ولقد كان ذلك بالفعل هو الموقف العملي المطلوب من انسان الاسلام منذ صدع صاحب الدعوة الاول محمد (ص) بدعوته معرضاً عن الجاهلين ، مسفهاً لاحلام العابثين ٠٠٠ بيد ان هذا الموقف العملي ما كان الا على ضوء العلم وتحت شعار « حمل العلم للعمل » لذلك فهو موقف « علمي ـ عملي » معاً وفي نفس الوقت ٠ وآية ذلك ان كانت الاحكام الشرعية التي توجهت لتنظيم حياة الانسان الفردية والاجتماعيـة احكاماً وصـفت بانها عمليـة اذ لا تخلو الواقعة من حكم شرعي كما يعبر الفقهاء ٠

- ١ -

تلك مقدمة اساسية يستبان منها ببساطة عرض ، ووضوح رؤيـة كيف كان الانسان في الاسلام وهو صانع حركاته ، صانعاً للتاريخ في مفهوم الاسلام عن صناعة التاريخ والاحداث خلافا لمنطق الماركسية التي تجعل الانسان شيئا هامشياً في صناعة العملية التاريخية ، فهو محكوم لها ، وفق قانون حتمية التاريخ ٠

وعلى هذا فاننا نفهم ـ ضمن هذه الرؤية ـ تاريخ اية حقبة من تاريخنا بمعنيين متلازمين :ـ

معنىً اول :

ان تاريخ أية حقبة من تاريخنا او أية حادثة فيـه انما هو تاريخ حركتها في نطاق العقيدة الموجهة لها ، الدافعة للعمل سلباً أو ايجاباً ٠

معنىً ثان :

ان تاريخ اية حقبة من تاريخنا او أية حادثة فيه انما هو تاريخ العقيدة التي أملت على الاداة او الادوات (البطل في التاريخ) التعامل بهذا الاسلوب او ذاك ٠

يصـدق ذلك دائماً حينمـا يملك المجتمع عقيـدة ذات فاعليـة اجتماعية موجبة كالعقيدة الاسلامية اما اذا فقدت هذه الخاصية الفاعلية ، الايجابية ، الاجتماعية فانها لن تسهم عندها في صناعة التاريخ انما تترك

ذلك لعوامل وأسباب خارجة عنها ٠

ومن هنا لم يكن الحدث « الثورة » في عاشوراء عام ٦٠هـ ـ وفق هذا التصوير ـ المناسبة التي جعلت قائداً كالامام الحسين (ع) وانصارا كانصاره الاربعين واهل بيت كأهل بيته المجاهدين في عداد صانعي تاريخ ومسطري بطولات كما يحلو لبعض الواعظين والدارسين ان يشيروا الى ذلك ويثوّروا افاعيله ٠

انما قد يجوز العكس من ذلك تماماً بل هو الواقع وفق تصوير الاسلام عن الثورة كحركة تاريخية لها موقع ضمن مسار التاريخ الرباني للتاريخ تستهدف الالتفاف على واقع معين والائتلاف مع مثل له جديد ٠

« اني لم اخرج اشراً ولا بطراً ، وانما خرجت لطلب الاصلاح في امة ٠٠ جدي اريد ان اعمل بالمعروف وانهي عن المنكر واسير بسيرة جدي وابي »

واذن كان حسين الفكرة والعقيدة ، حسين الامام ، هو الذي جعل من قائد كأبي عبدالله الحسين بن علي وانصار ، كانصاره واهل بيت ، كاهل بيته ؛ في عداد صانعي تاريخ ومخلدي جهاد ٠

لقد لعبت عقيدة الحسين دورا حاسما في الصراع الدموي الذي صبغ ارض الطف بالوانه بعد ان صبغها بكربه وبلائه وامتحانه قبل ساعات الحرب بل وفي أثنائها وبعدها ايضا ٠

وقبل ان تدمدم الحرب وترسل صليلها وسط شبهات مشبوهة ، واراجيف سلطوية احتفظت بخلفية الشكل المادي والوراثي للمسؤولية الاجتماعية المفتقرة الى اساس موضوعي يحتوى السلطة فيجعل من بيعتها حقاً ، ومن طاعتها واجبا كانت العقيدة ذاتها هي المؤشر الدقيق لكشف هوية السلطة المنحرفة عن خط الرسالة ومطامح انسانها ؛ كما كانت هي الضابط النظامي المطروح ابداً لصيغ التعامل السياسي والاقتصادي والسلوكي الذي يجب ان تستهديه الدولة وتلزم نفسها به ٠

كما كانت ـ ابّان المعركة ـ هي الهدف الاعلى الذي اشتراه شهداء الطف بارواحهم واراقوا دماءهم الطاهرة قربانا حسبياً له ٠

« الا ترون ان الحق لا يعمل به ، والباطل لا يتناهى عنه ، الا ، ليرغب المؤمن في لقاء ربه » ٠

كذلك كانت بعد المعركة وعلى مستوى ما صاحب نتائجها وآثارها :

فلم يكن شعار « يا لثارات الحسين » الشعار الذي رفعه التوابون في مواجهة الظالمين والمتسلطين على الرقاب بدون سند شرعي معبرا عن ثار شخصي أو انفعال عاطفي ، أو مراجعة من نوع خاص .. انما كانت رجعا واعيا لنداء العقيدة في قلوب الناس الذين عاشوا المأساة بكل فصولها واصاخوا اليها تحدثهم ـ حديث اليوم والعصر والزمان ـ عما تركته على مستوى ما واجه به القوم نداء الحسين وهو يلقي بنفسه الى ساحات الموت مرددا « ان كان دين محمد لم يستقم الا بقتلي يا سيوف خذيني » .

أو وهو يذكرهم بصلته برسول الله نبيهم ومركزه في الدين على لسان رسول الله نبيهم فيطرح عليهم سؤالا « علام تقتلونني !؟ » ليس سؤال من يتودد اليهم او يستجلب عطفهم او يسترحم مودتهم بل ليلقي على مسامعهم الحجة البالغة عليهم ، ليقرع اسماعهم التي اصمها حب الدنيا من انهم لا يملكون ولا سببا واحدا يدعوهم لقتاله فهو ابن بنت رسول الله وسيد شباب اهل الجنة وامام طلبوا هم مجيئه لبيعته على امامة المسلمين وزعامتهم لا على حربه وسبي عياله وخذلانه فياتيه الجواب ـ وهو يوحي باكثر من معنى ـ

« نقتلك بغضا وعنادا لما فعل ابوك باشياخنا يوم بدر واحد وحنين »

ثارات جاهلية لرسوم جاهلية في مواجهة شرف الصحبة وصلابة النصرة وسابقية الجهاد ومكرمة الفتح .

- ٢ -

لقد تظاهرت كثير من العقد والاحقاد الجاهلية على حرب الحسين الامام بعضها توجهت له في شخصه كسليل بيت حظي على كر العصور بمركز الفعل الاجتماعي والوجود الشاخص ؛ وكثير منها توجهت له في رسالته كداعية الى الله ، دال عليه .

لقد عمل الدرهم والدينار على شراء جنود مرتزقة دفعت الى قتل الحسين تحت اغراء المادة وحب المغنم والجاه « الناس عبيد الدنيا ، والدين لعق على السنتهم ، يحوطونه ما درت معائشهم ، فاذا محصوا بالبلاء قل الديانون » .

ولكنها ايام قصيرة من عمر الغانمين ، لم تمهلهم حتى الاستئناس بنشوة الانتصار العسكري الظاهري حتى أفلسوا من كل شيء ، من علائق وجودهم كمسلمين هانت عليهم عقيدتهم ، وكمرتزقة لم يف الواعدون لهم بما وعدوهم به من مال وسلطان .

وهكذا هو شأن المرتزقة والادوات ، دائماً ، المسخرون لخدمة غيرهم يدفعون لمواقف قصدية لدق اسفين الفرقة والانقسام ونسف وحدة الصف والهدف وتمزيق شمل تعب صاحب الدعوة الاول على جمعه بعد أشتات وبنائه بعد سقوط .

وهكذا اسقط في ايديهم ولحقتهم لعنة الثائرين ، وتعقبهم التوابون في كل زاوية وعندها تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ، ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب .

- ٣ -

وليس الحدث « الطف » بعد ؛ حادثاً تاريخياً يذكر فيكبر انما هو حدث حي نابض بالحركة والحياة ، له اكثر من مظهر في حياتنا كافة مسلمة وكأفراد مسلمين ، يلح علينا ان نختار سبيله او نقر لاعدائنا الكفار من مستعمرين ويهود وتابعين اقرار العبيد .

لقد ثار الحسين من اجل القرآن حتى لا يبقى اسماً لكتاب يقرأ في المناسبات كما تقرأ قصص الف ليلة وليلة في ليالي السمر عند السامرين ، انما ثار من اجل ان يشتور كتاب الله في حياتنا ومؤسساتنا وصنائع اعمالنا .

ان نعتمد طريق الصلاح وأن نحسن الظن بالناس ، وان نبارك سعي الساعين للخيرات ، وان نهتم بشؤون اخواننا في الدين ، وان نمسح عن كاهلنا عار النكسات والهزائم بالعمل والصبر والمصابرة والمرابطة والتقوى « وكونوا عباد الله اخوانا »

ان التربية على اسلوب التعامل الموجب بين الافراد والامم والتخاطب بأدب الحديث والدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وفتح الحوار مع الآخرين بالتي هي أحسن ، واقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، وحج بيت الله وصيام شهر رمضان والتحابب في الله ، وعلى الله ، وفي سبيل الله ، وعمل المعروف ومجانبة المنكر والبغي هي من اوليات مبادىء الامام الداعية التي ارخص دمه في سبيلها ، ولم تكن هذه الا غايات النهضة الحسينية قبل

غيرها من دواعي السلطة والحاكمية .

ان السلطة والحاكمية في مفهوم الامام الشهيد عليه السلام لم تكن الا اطارا واداة لتمكين مبادىء الاسلام في القلوب والا فقد كان الشهيد الثائر يرى الموت وحده هو الحياة ، والحياة في كنف السلطان الجائر ، المستحل لحرمات الله ، المتساهل في تطبيق احكام الله ، الا برما .

« اني لا ارى الموت الا الحياة ، والحياة مع الظالمين الا برما » .

ان الهدف الاجتماعي من ثورة الطف لم يكن الا ليتجاوز الهدف السياسي ويمهد له ... لذلك اقدم الحسين على الثورة وهو عارف مقدما نتيجتها لذلك خطب في كثر ممن دفعتهم نياتهم للانخراط في ركب الحسين ـ من غير اصحابه الخلص ـ انه قادم على موت وانه يعذر بعضهم

« فليتخذوا لهم الليل جملا »

ـ ٤ ـ

لقد كانت دوافع بعضهم للانخراط في ركب الثورة غير ثورية البتة بل دوافع سياسية مصلحية حسب ، تقصد من وراء الانخراط هذا الوصول الى مراكز السلطة والحضوة والانتفاع من مكاسب تصوروا ان الامام الثائر سيوفرها لهم في العراق وما درى هؤلاء ان الهدف السياسي عند الامام كان تافها قياسا على عمق وحجم الهدف الاجتماعي الذي ضحى والخلص من اصحابه واهل بيته من اجله تحت شعار الوهب والعطاء والاستشهاد

« الا فليرغب المؤمن في لقاء ربه »

ولئن كانت النتائج دائما تتناسب مع حجم العمل ، فان نتائج ثورة الطف كانت ابدا مطردة التناسب مع حجم « اني خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي » بكل ما يتسع له هذا الحجم من ابعاد وما يستوعبه من مجال .

لذلك يكون الانتصار المادي الظاهري « كسب المعركة في الجولة الاولى » هزيمة ابدية ، وموتا اجتماعيا ، بل لعنة تاريخية تمشي مع الزمان لتحيي القتيل في فكرته وارادته وتصميمه .

من هنا نفهم بحق معنى مقولة الثائرين في كربلا على لسان علي الاكبر نجل الامام « اذن يا ابتي لا نبالي اوقعنا على الموت ام وقع الموت علينا » .

ليس ذلك لانهم اقوى من الموت ـ ذلك ان الموت حق في شرعهم ـ بل

لأن ثورتهم الاجتماعية الناطقة تعتمد موتهم سببا قويا لاثارة وعي[1] الناس بعد ذلك عن حركتهم ، عن دينهم ، عن اشخاصهم ...

تلك علامات فارقة ، ستبقى تعلن نفسها ، ليس في دغدغة عواطف المحبين أو جعجعة النشيد الحزين ، بل في ترجمة همس الهامسين على ساحة علم وعمل ودين وكفى بذلك ثورة صامتة تحرق الظالمين وتنزلهم من صياصيهم اذلة خاسئين .

هكذا كانت وهكذا ستبقى وهكذا ستكون .

« وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون ، والعاقبة للمتقين »

صدق الله العلي العظيم

(١) راجع كلمتنا في العدد (٩ ، ١٠) رسالة الاسلام السنة الثالثة لتعرف شرحا وافيا لموقع وعي الناس من المعركة التي القيت في حفل عام اقيم في مقر جمعية الرابطة الاسلامية بالقاهرة ١٩٦٩ .

الميراث في الاسلام

بقلم : السيد محمد السيد علي

ان من جملة معالجة الاسلام لتنظيم المال ، ومنع تكديسه بيد افراد هو سن قانون التوريث • فلقد ساعد على توزيع الثروة على الذرية بصورة غير مخلة ، ووسع دائرة الانتفاع بها ، وجعلها اداة صالحة لتقديم افراد المجتمع الذين يتناولونها بطرق مشروعة سليمة •

« وللميراث جانب من العدل الطبيعي كما أن له هذا الجانب من الحق والمصلحة • لان الولد يأخذ من ابويه ما حسن وما قبح من الصفات والطبائع ، ويأخذ منهما ما فيهما من استعداد للمرض والخلائق المرذولة • وليس في وسع الامة ان تحميه من هذه الوراثة الطبيعية التي لا تفارقه من مولده الى مماته • فليس من العدل أن تدع له هذا الميراث ، وتنزع منه ميراث المال • وهو مفضل فيه على غيره[1] •• ولهذا فيمكن ان نعتبر ان نظام التوريث لا ينفصل عن نظام الاسرة ، وان الاسرة الركيزة الاولى للمجتمع الانساني •

قال غوستاف لوبون الفرنسي الشهير : « ••• ومبادىء المواريث التي نص عليها القرآن على جانب عظيم من العدل والانصاف ••• والشريعة الاسلامية منحت الزوجات ـ اللواتي يزعم ان المسلمين لا يعاشرونهن

(١) الفلسفة القرآنية ـ للعقاد : ٧٨/ط القاهرة لجنة التأليف والنشر ١٩٤٧ •

بالمعروف ـ حقوقا في المواريث لا نجد مثلها في قوانيننا »[٢] .

ان القانون الانكليزي مثلا يقضي بانتقال ثروة الاب الى الابن الاكبر في الاسرة مما يجعل الثروة مكدسة في يد فرد واحد[٣] اما الاسلام ففي عرفه يتساوى كل الابناء في درجة واحدة ، وكذلك لا يستطيع المورث حرمان الوارث من الارث بعد وفاته ، وليس له حق التحكم في ارثه اكثر من الثلث .

تقول بعض المصادر : « وانت لو تأملت في حكمة الاسلام في احترام الملكية الفردية ووضع القواعد العامة للمواريث لعرفت ان هذا من اكبر الدوافع التي تحفز المموّلين الى قوة الاستثمار والنشاط في الانتاج ، ويدعو الى السهر على المصالح وبذل الجهود القوية في تكثير الاموال ، وهو في الوقت نفسه يحمي هذه الاموال من ان تعبث بها يد السرف والتبذير فالرجل الذي يعرف ان الاموال التي بذل في جمعها صحته وعقله ستصير بعد ذلك الى الدولة ، ولا ينتفع بها بنوه بطريق مباشر ليس هناك ما يحفزه الى ادخارها ، ويدفعه الى المحافظة عليها[٤] .

مصادر التواريخ في القرآن :

آيات ثلاث عالجت اصول الفرائض ، وكانت مصدرا عاما لعلم المواريث وقد ضمنها هذه السورة المباركة دون غيرها ، وهي :

« يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك ، وان كانت واحدة فلها النصف ، ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان لـه ولد ، فان لم يكن لـه ولد وورثـه ابواه فلامه الثلث ، فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية

(٢) روح الدين الاسلامي : عفيف طباره : ٣١١/ط بيروت دار العلم للملايين ١٩٦٦

(٣) و (٤) روح الدين الاسلامي : ٣١٠ و ٣١٢ .

يوصى بها او دين ، آباؤكم وابناؤكم لا تدرون أيهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما » « ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ، ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد ، فان كان لكم ولد ، فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين ، وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس ، فان كانوا أكثر من ذلك ، فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار ، وصية من الله والله عليم حليم » ١٠ – ١٢ (النساء) .

« يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد ، وله أخت فلها نصف ما ترك ، وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين ، فلها الثلثان مما ترك ، وان كانوا اخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين ، يبين الله لكم ان تضلوا ، والله بكل شيء عليم » الآية ١٧٥ – ١٧٦ .

« تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم » .

« ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين » . الآية : ١٣–١٤ .

هذه الآيات الثلاثة بينت حقوق الوارثين والوارثات ، ونصيب كل منهم بالقدر الذي قرره الله وجعله سببا في استحقاق الارث .

(ميراث الوالدين والاولاد) :

اشتملت هذه الآية على احكام متعددة في المواريث ، وهي :

اولا ـ « يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين » ..

يوصيكم : يأمركم ويعهد عليكم .. تقرر هذه الفقرة من الآية ان يكون ارث الولد في حال الاجتماع مع البنات في الطبقة ضعف ما تستحقه فيكون للابن نصيبان ، وللبنت نصيب واحد .

ثانيا ـ « فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ، ترك ، وان كانت واحدة فلها النصف » ..

وفي حال موت الرجل وخلف اناثا فقط ، ليس معهن من الاولاد في طبقتهن ذكر واحد فان كانت الوارثات اكثر من بنتين فيعطى لهن ثلثا التركة. اما ان كانت واحدة فلها نصف التركة .

ولم تشر الآية الى حظ البنتين لو انحصرت بهما التركة ، بعد ان بينت الآية حظ الواحدة ، وهو النصف ، وحظ الثلاثة فصاعدا وهو الثلثان ؟ .

قال شيخنا الكليني ـ رحمه الله ـ في هذا الصدد : ان الله جعل حظا لاثنى الثلثين بقوله : للذكر مثل حظ الانثيين . وذلك انه اذا ترك الرجل بنتا وابنا فللذكر مثل حظ الانثيين وهو الثلثان . فحظا لانثيين الثلثين ، ونقل مثله عن ابى مسلم المفسر وغيره[٥] .

وقال ابن عباس : ان لها النصف ، ورد هذا القول من وجوه :

١ ـ النص عن اهل البيت (ع) ، واجماع الطائفة ، بل اجماع الامة .

٢ ـ لو كان لها النصف لكان التقييد بالواحدة ضايعا .

٣ ـ ان البنت الواحدة لها مع اخيها الثلث اذا انفردت فبالاولى ان يكون لها مع اختها الثلث لها ، فيكمل الثلثان .

٤ ـ انه تعالى اوجب للاختين الثلثين . والبنات امس رحما من الاختين .

---

(٥) تفسير الميزان : ٢٢٢ .

فيكون لها ايضا الثلثان على وجه الاولى[٦] .

ثالثا ـ « ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد » .

وفي حق الابوين مع الولد صور :

١ ـ ان كان مع الابوين ولد سواء كان ذكرا او انثى . فلها السدس . وليس في ذلك خلاف .

٢ ـ وان كان واحد من الابوين مع الولد ، كان له السدس بالتسمية ، بلا خلاف ثم ينظر :

آ ـ فان كان الولد ذكرا ، كان الباقي للولد واحدا كان أو اكثر بلا خلاف . وكذلك ان كانوا ذكورا واناثا فالمال بينهم « للذكر مثل حظ الانثيين » .

ب ـ وان كانت بنتا كان لها النصف ، ولاحد الابوين السدس ، والباقي عند الامامية يرد على البنت ، وأحد الابوين على قدر سهامهما ، أيهما كان لان قرابتهما سواء .. وعلى حد رأى السنة : ان كان أحد الابوين ابا كان الباقي له ، لانه عصبة . وان كانت أما : فبعضهم من يقول : بالرد على البنت ، وعلى الام . وبعضهم يقول : الباقي لبيت المال[٧] .

رابعا ـ « فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث » ..

فاذا كان الوارثان الابوين فحسب ، ولم يكن له ولد . فيكون حق الام الثلث ، والباقي وهو الثلثان للاب ، للذكر مثل حظ الانثيين . ولا خلاف فيه .

---

(٦) كنز العرفان : المقداد السيوري : ١٠/٤/ط النجف الغري .
(٧) التبيان : ٣/١٣٠ .

اما اذا كان في الفريضة زوج كان له النصف • وللام الثلث بالظاهر • وما بقي للاب ومن قال : للام ثلث ما يبقى ، فقد ترك الظاهر •

فان كان بدل الزوج زوجة كانت الفريضة للزوجة الربع ، وللام الثلث ، والباقي للاب[٨] •

خامسا ـ « فان كان له اخوة فلامه السدس » ••

وفي هذا الفرض اختلاف نلخصه بما يلي :

١ ـ ذهب الامامية الى ان السدس يكون حق الام فيما اذا كان هناك آب ، واخوة •• وهناك رأي ان حقها السدس مع وجود الاخوة ، وان لم يكن هناك اب •

٢ ـ اتفق الاعلام ان الاخوين يحجبان الام من الثلث الى السدس • وقد روي عن ابن عباس بانه لا يمكن الحجب باقل من ثلاثة من الاخوة والاخوات ، كما تقضيه ظاهر الآية ، وان اقل الجمع ثلاثة •

وقال الطبرسي : واصحابنا يقولون لا تحجب الام عن الثلث الى السدس الا بالاخوين أو أخ واختين ، أو أربع اخوات من قبل الاب والام ، أو من قبل الاب خاصة دين الام • وفي ذلك خلاف بين الفقهاء • والعرب تسمى الاثنين للفظ الجمع في كثير من كلامهم •

قال قتادة : انما تحجب الاخوة الام مع انهم لا يرثون من المال شيئاً معونة للاب • لان الاب يقوم بنفقتهم ونكاحهم دون الام •

ويستفاد من هنا رأيه ان الاخوة من الام لا يحجبون ، لان الاب لا يلزمه نفقتهم • كما ذهب اليه الامامية •

---

(٨) مجمع البيان : ٣/١٥ •

وقد اشترط الامامية لحجب الاخوة شروط •

الاول ـ وجود الاب •

الثاني ـ العدد المقرر للاخوة اثنين ـ على رأى ـ وثلاثة على الاقل على حد رأي ابن عباس •

الثالث ـ ان لا يكونوا كفرة ، ولا قتلة ، ولا رقا •

الرابع ـ ان يكونوا كلهم منفصلين لا حملا •

الخامس ـ كونهم للابوين ، أو لاب[٩] •

« من بعد وصية يوصى بها أو دين » •

فلا تقسم التركة على الوجه المتقدم الا بعد ان تقضى الديون ، وتقر الوصية • ولا خلاف في ان الدين مقدم على الوصية والميراث •• وقد روي عن الامام علي (ع) انه قال : انكم تقراؤن أو في هذه الآية الوصية قبل الدين ، وان رسول الله (ص) قضى بالدين قبل الوصية •

ثم ان الكلام ربما يقدم فيه غير الاهم على الاهم • لان الاهم لمكانته وقوة ثبوته ربما لا يحتاج الى ما يحتاج اليه غيره من التأكيد والتشديد • ومنه التقديم • وعلى هذا فقوله أو دين في مقام الاضراب والترقي طبعا •

« آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا » •

تقرر هذه الفقرة : انكم لا تعلمون أيهم اقرب لكم نفعا في الدين والدنيا والله يعلمه • وقد اختلف في معنى هذه الفقرة منها :

١ ـ لا تدرون اى هؤلاء انفع لكم في الدنيا فتعطونه من الميراث ما يستحق ولكن الله قد فرض الفرائض على ما هو عنده حكمة عن مجاهد •

---

(٩) كنز العرفان : ٤/١٢ •

٢ ـ لا تدرون اي الوارثين والموروثين اسرع موتا فيرثه صاحبه ، تتمنوا موت المورث ، ولا تستعجلوه .

« فريضة من الله » .

اي ان هذه السهام المتقدمة فرضها الله ، ولا يمكن التخلف عنها .

« ان الله كان عليما حكيما » .

لم يزل عليما بمصالحكم حكيما فيما يحكم به عليكم من هذه الاموال وغيرها[١٠] .

« ميراث الازواج والكلالات »

ميراث الازواج :

الزوج (لغة) : يطلق على الرجل والمرأة .. وفي (العرف) : يخص بالرجل ، وتميز الانثى بالتاء ، فيقال : زوج ، وزوجة[١١] .

والفقرة من الآية الكريمة ، والتي تخص ميراث الازواج نستفيد منها احكاما متعددة ، وهي :

اولا ـ « ولكم نصف ما ترك أزواجكم ، ان لم يكن لهن ولد ، .. اذا ماتت الزوجة ، ولم تخلف ولدا فللزوج نصف التركة ، ولا خلاف فيه .

ثانيا ـ « فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن ، من بعد وصية يوصين بها أو دين » . اما اذا كانت قد اختلفت ولدا سواء كان الولد منه ، أو

---

(١٠) راجع التبيان : ١٢٨ ـ ٣/١٣٣ ومجمع البيان : ١٢ـ٣/١٦ وتفسير الرازي : ٢٠٣ ـ ٩/٢١٨ وكنز العرفان : ٨ ـ ٤/١٢ والاء الرحمن : ٢٣ ـ ٣/٢٧ وتفسير الميزان : ٢٢٠ ـ ٤/١٢٥ وزبدة البيان في احكام القرآن : المقدس الاردبيلي : ٦٤٥ ـ ٦٥٢ ، ط/ايران .

(١١) كنز العرفان : ٤/١٣ .

من غيره فله الربع فلا خلاف ، والباقي للولد .

ولم توزع هذه الحصص الا بعد اخراج الدين أو الوصية ، اذا كان هناك دين ، او وصية .

ثالثا ـ « ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد »[١٢] .

وفي حالة وفاة الزوج ، ولم يخلف عدا الزوجة فلها الربع فقط .

رابعا ـ « فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين » ..

وعندما يكون للمتوفى ولد فيكون حق الزوجة ثمن التركة فقط . والباقي للولد وهنا ايضا لا تستخرج الحصص الا بعد الدين او الوصية اذا كان ذلك .

ميراث الكلالة :

أصل الكلالة : الاحاطة ، ومنه الاكليل لاحاطته بالرأس .

اما معنى الكلالة في الشرع : الوارث البعيد . قال ابو مسلم : اصلها من كل اذا أعيا ، فكأنه تناول الميراث من بعد على كلال واعياء .

وقد اختلف هل انها اسم للوارث ، ام للموروث .

قال الراغب : الكلالة اسم لماعدي الولد والوالد من الورثة . ومعنى هذا انها اسم « للوارث » .

---

(١٢) يشترط في الولد هنا ان يكون وارثا ، فلو كان كافرا ، او قاتلا ، أو رقا ، فلا يحجب الزوج من النصف الى الربع ، ووجوده كعدمه ، فلم يكن لوجوده تأثير كما نصت على ذلك الروايات الصحيحة عن اهل البيت (ع) .

ويؤيد هذا ما روي عن جابر انه قال : أتاني رسول الله (ص) وانا مريض ، فقلت : وكيف الميراث ؟ ، وانما يرثني كلالة . فنزلة آية الفرائض .

فالكلالة على حد هذا الرأي في النسب من احاط بالميت ، وتكلله من الاخوة ، والاخوات . فهما كالاكليل الذي يشتمل على الرأس ، ويحيط به ، وليس من اصله . ويقولون : لابن الاخ ومن يجري مجراها هذا كلي . لان يعال على وجه التبرع .

وروي عن النبي (ص) انه سئل عن الكلالة ، فقال : من مات وليس له ولد ولا والد . فجعله اسما للميت (المورث) . فاذا مات الرجل ، ولم يخلف والدا ولا ولدا ، فقد مات عن ذهاب طرفيه فسمي ذهاب طرفيه كلالة ، فهما اصل النسب الذي ينتمي الى الميت[١٣] .

واحكام ميراث الكلالة فيما يختص من يتقرب الام فقط ، وهي :

اولا ـ ، وان كان رجل يورث كلالة او امرأة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس ، .

هذه الفقرة تقرر ان الطبقة التي ترث كلالة ، وهم الاخوة والاخوات من الام سواء كان الوارث ـ كلالة ـ رجلا او امرأة فلكل واحد منهما مع اجتماعهما او انفرادهما السدس من التركة .

وقد عطفت الآية (أو امرأة) على قوله ، وان كان رجل ، ويكون معناه وان كان رجل كلالة يورث ماله ، او امرأة كلالة تورث مالها ، على قول من قال : ان الميت يسمى كلالة .

ومن قال : انه الحي الوارث فتقديره وان كان رجل يورث في حال تكلل نسبه به ، أو امرأة تورث كذلك ، وهو قول ابن عمر ، واهل الكوفة .

---

(١٣) راجع : التبيان : ١٣٥ ـ ٣/١٣٦ ومجمع البيان : ٣/١٧ والميزان : ٤/٢٢٦ .

ثانيا ـ « فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث » ..

فاذا كان الاخوة اكثر من واحد وواحدة فلهم ثلث التركة شركاء فيها على السواء لا يفضل حظ الذكر على حظ الانثى في هذا الوجه .

فان الاخ من الام او الاخت يأخذ كل منهما في الكلالة السدس ، لان كلا منهما حل محل أمه فاخذ نصيبها . واذا كانوا متعددين أخذوا الثلث ، وكانوا فيه سواء الا فرق بين ذكورهم وأناثهم .

كل ذلك : « من بعد وصية يوصى بها ، أو دين غير مضار .

هذا اذا لم تكن هناك وصية قد وصي بها ، او دين غير مضار .. والمضارة في الوصية : هو ان يوصى باكثر من (ثلث) ماله ، ليضر الورثة .

والمضار في الدين : ان يوصي بدين ليس عليه يريد بذلك ضرر الورثة .

قال الطبرسي : « فالضرار في الوصية راجع الى الميراث ، وهو ان يضر في وصيته بماله ، أو بعضه لاجنبي ، أو يقر بدين لا حقيقة له دفعا للميراث عن وارثه ، أو يقر باستيفاء دين له في مرضه أو بيع ماله في مرضه ، واستيفاء ثمنه لئلا يصل الى وارثه . وجاء في الحديث ان الضرار في الوصية من الكبائر »[١٤] .

« وصية من الله ، والله عليم حليم » .

اي يوصيكم الله بذلك وصية جديرة بالاذعان ، والعمل بموجبها والله سبحانه عليم بمصالح عباده ، يحكم بما توجب الحكمة في قسمة الميراث والوصايا وغيرها . حليم لا يسمح لعباده ان يعجلوا بعقوبة من يستاؤن منهم ، ويعملوا على مضارته بالوصية ، ولا يعاجل العصاة بالعقوبة ، ويمن عليهم

---

(١٤) مجمع البيان : ١٧ ـ ٣/١٨ .

بالانتظار والمهلة عسى ان يتوب المخالف ، ويؤوب الى رشده[١٥] .

ثالثا ـ « يستفتونك قل : الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد ، وله اخت فلها نصف ما ترك » .

مات شخص وليس له ولد ذكرا او انثى ، وله (أخت) لابيه وامه ، فلها نصف ما ترك ، وان لم تكن أخت لاب وأم ، وكانت اختا لاب قامت مقامها ، والباقي عند الامامية يرد على الاخت سواء كان هناك عصبة ، أو لم يكن . وقال جميع الفقهاء من غير الامامية : ان الباقي للعصبة ، وان لم يكن هناك عصبة ـ وهم العم وبنوا العم ، واولاد الاخ . قال فمن قال : الرد على ذوي الارحام ، رد على الاخت الباقي ، وهو اختيار الجبائي ، واكثر اهل

---

(١٥) امور موضحة :

١ ـ تقدم القول ان هذه الفقرة من الآية الكريمة تخص الاخوة او الاخت ممن يتقرب بالام . دليلنا على ذلك :

أ ـ فلقراءة (أبي ، وسعد بن مالك) : « وله اخ ، او اخت ـ من الام ـ » .

ب ـ فلأنه تعالى جعل للكلالة في آخر اية من هذه السورة للاختين (الثلثين) ، وللاخوة (الكل) ، وفي هذه الآية جعل للواحد (السدس) ، وللاكثر (الثلث) ، فعلم ان الاخوة هنا غير الاخوة هناك ، وحيث ان المقدر هنا نصيب الام ـ كما تقدم ـ ناسب ان يكون المراد هنا الاخوة من قبلها .

جـ ـ روايات الامامية المتظافرة التي تؤكد على ان ما ورد في هذه الآية تختص بالاخوة من الام .

د ـ ان هذه المسئلة اجماعية .

٢ ـ ان الزائد عن المذكور من (السدس) او (الثلث) يرد على الوارث منهم اذا لم يكن سواه عند الامامية .. اما عند بقية المذاهب فلأول رجل ذكر من عصبة الميت .

العلم • وقال زيد بن ثابت ، والشافعي وجماعة : ان الباقي لبيت المال يرثه جميع المسلمين •

رابعا ـ « وهو يرثها ان لم يكن لها ولد » •

وان كانت الاخت هي الميته ، ولها اخ من أب وأم ، او من أب فالمال كله له بلا خلاف •

اما اذا كان لها ولد سواء كان ذكرا او انثى فالمال لهما ، ويسقط الاخ فان كان ولدها ذكرا ، فالمال له بلا خلاف •• وان كانت بنتا كان لها النصف بالتسمية بلا خلاف ، والباقي رد عليها لانها اقرب دون الاخ •

خامسا ـ « فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك » ••

اذا كان الميت قد خلف اختين فلهما ثلثا التركة ، والباقي فيرد عليهما دون عصبتهما ، ودون ذوى الأرحام عند الامامية •

اما عند الفقهاء غير الامامية : فيرد على العصبة ، او على بيت المال ـ على اختلاف ـ في قولهم •

فان كانت احدى الاختين لاب وأم ، والاخرى لاب • فالنصف للاخت من الاب والام بلا خلاف • والباقي يرد عليها ـ عند الامامية ـ لانها تجمع السببين ، ولا شيء للاخت للاب لانها انفردت بسبب واحد •

اما عند الفقهاء غير الامامية : فلها السدس تكملة الثلثين • والباقي من التركة ، فيوزع على العصبة او بيت المال على الخلاف الذي مر •

سادسا ـ « وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين » ••

واذا كان الورثة اخوة ـ رجالا ونساء ـ للاب والام ، او للاب فللذكر مثل حظ الانثيين بلا خلاف •

وان كان الذكور منهم للاب والام ، والاناث للاب ، انفرد الذكور بجميع المال بلا خلاف •

وان كان الأنساث للاب والام ، والذكور للاب كسان للاناث الثلثسان ما سمي بلا خلاف ، والباقي عند الامامية رد عليهن ، لما تقدم من اجتمساع السببين لهن •• وعند جميع الفقهاء غير الامامية ان الباقي للاخوة من الاب لانهم عصبة[١٦] •

« يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم » •

لقد رسم الله لعباده هذه الفرائض لئلا يضلوا حفظا لهم ، وهو العالم بكل شيء من مصالح عباده في قسمته مواريثهم وغيرها ، لا يخفى عليسه شسسيء[١٧] •

---

(١٦) التبيان : ٤٠٨ ـ ٤١٢ وتفسير الرازي : ١٢٠ ـ ٣/١٢٢ •

(١٧) امور ايضاحية :

١ ـ اولاد الاخوة والاخوات يقومون عند الامامية ـ مقام آبائهم ، ويرث كل من يتقرب به •

٢ ـ الاجداد ـ عند الامامية ـ في مرتبة الاخوة ، فاذا اجتمعوا معهم كان الجد للاب كالاخ له ، والجدة له كالاخت له ، والجد للام كالاخ منها ، والجدة لها كالاخت منها •

٣ ـ المرتبة الثالثة من مراتب الارث : الاعمام ، ، والاخوال • عند الامامية وبعض فقهاء العامة •
وليس في الكتاب دلالة صريحة على ارثهم ، نعم يمكن الاستدلال على ذلك بآية « أولى الارحام » فانها عامسة في كل ذي رحم ، وهؤلاء ذووا ارحام •

٤ ـ الكافر لا يرث المسلم ولا يحجب وارثسه ، وعلى ذلك اجمساع المسلمين •

٥ ـ المسلم يرث الكافر ، وعليه اجماع اهل البيت (ع) والامامية •

الإسلام والأمن والسلام

محمد سليم الامين

تهدف الدعوة الاسلامية اول ما تهدف الى الأمن والسلام • وتحارب القهر والاعتداء والعدوان ولا تجيزهما الا في الحدود المشروعة التي تمليها المصلحة الوطنية وتقتضيها الروح الانسانية • ومهما تكن دعوة الاسلام الى الأمن والسلام لا يمكنها ان تعارض الحروب الدفاعية المشروعة والثورات التحررية الشعبية ، فأن هذه الحروب وتلك الثورات مما تتفق والروح السلمية والاجتماعية التي يدعو اليها الاسلام • ويعرض القرآن كثيراً من الآيات التي يدعو فيها الى الامن ويحث بها على السلام • ويمكن ان تكشف لنا هذه الآيات كثيرا من القواعد الكفيلة لتحقيق الأمن والسلام في الداخل والخارج ••• وتعتبر هذه الدعوة من الاهداف الاسلامية الاولى • فقد ارتبطت الدولة الاسلامية والتزمت باهدافها في العصور المختلفة • ولا يمكن ان تصح الاتهامات التي وجهت الى الدعوة الاسلامية بانها قد قامت على القهر والاكراه فان هذه الاتهامات بعيدة عن الحقيقة ولا يؤيدها اي دليل تاريخي • فلا يعقل ان تخرج الدولة الاسلامية على التزاماتها العقائدية وتتنكر الى اهدافها السلمية التي رسمها القرآن ودعا اليها • فليس في القرآن ما يدفع الدولة الاسلامية الى استعمال القوة من اجل بث الدعوة ونشر رسالتها ، وكل ما يدعو اليه القرآن الاعتماد على الوعي والادراك الحر فلا يمكن ان تعتمد

الدولة الاسلامية على القوة والحال كذلك • فلم تكن الفتوحات الاسلامية الاولى غزواً عسكرياً بمقدار ما كانت نشرا روحيا وعقيدياً • فلم تكن الدعوة الاسلامية دعوة العنف والبطش ، ولم تكن دعوة الظلم والعدوان وانما كانت دعوة السلام والايمان ودعوة الحرية والاخاء والمساواة ، فقد دعا القرآن الى هذه الاهداف وحمل شعاراتها قبل أن ترتفع هذه الشعارات في أي بقعة من بقاع الارض وقبل أن ينطق الواعون بها في أي مكان من المعمورة[1] •

وترتبط في الحقيقة دعوة القرآن الى الأمن والسلام بالايديولوجية الاسلامية • ويعتبر هذا الارتباط حجر الاساس في عمقها واتساعها • فلم تقتصر الدعوة الاسلامية على النواحي الاعتقادية والتعبدية ولكنها تشمل النواحي الانسانية والاجتماعية كلها وتحاول ان تجد لهذه النواحي الحلول الجذرية • وقد قامت الدعوة الاسلامية بالفعل بمهمتها الايديولوجية وتوفر لها ان تحل المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية فتضفي على العرب هويتهم القومية وتحقق لهم حضارتهم الانسانية • فقد كانت الافكار الاسلامية خير محفز الى ذلك • فلا يمكن ان ترد القومية العربية وحضارتها الانسانية الى غير الجذور الاسلامية باي حال من الاحوال • ولا يمكن ان نفهم دعوة القرآن الى الأمن والسلام الا من خلال تلك الجذور • فلم تكن دعوة القرآن الى الامن والسلام دعوة ميتافيزيقية عائمة ولكنها دعوة جذرية تقوم على الفكر وتعتمد على مقوماته الايديولوجية فقد ارتبطت الدعوة الاسلامية بالمعطيات الفكرية الاسلامية وانعكست من خلال هذه المعطيات • فلم تفصل الدعوة الاسلامية بين اهدافها الايديولوجية واتجاهاتها الانسانية والسلمية

(١) الأمن والسلام في الاسلام تاليف د : جمال الدين الرمادي ص٥ •

خاصة • ويمكن ان يمثل نجاحها الايديولوجي نجاحاً لاتجاهها الانساني والسلمي ، فلم تكتفي الدعوة الاسلامية ـ بعد نجاحها ـ بالاهداف الايديولوجية الخاصة وانما توفر لها ان تخدم الاهداف الانسانية العامة وفي مقدمتها قضية الأمن والسلام على الصعيدين المحلي والعالمي •

فقد مثلت الدعوة الاسلامية حركة ثورية ، فتوفر لها في هذه الخصوص كثير من الروح الاصلاحية والتقدمية والحضارية • ولكنها لم تكن في الحقيقة ثورة نظرية تعتمد على الفكر الذهني الجاهز ولو انها كانت كذلك لما استطاعت ان تصل الى النتائج الثورية المطلوبة • فلا يمكن للمفكر ان يحل المشاكل الانسانية بالنظريات المسبقة ولكنه يستطيع ان يحلها بالاندماج الواقعي والتلاحم المادي والفكري فيبدأ من الاحداث والوقائع باعتبارها وجودا وسيقوده تحليل هذا الوجود الى الحلول الفكرية والحقائق الملائمة(٢) • وقد قام الفكر الاسلامي على البحث والدراسة ولم تتحدد طُرُقه الثورية مسبقا ، فقد انصب اهتمام المفكرين المسلمين على الواقع الانساني والاجتماعي واعطوا العوامل المؤثرة على هذا الواقع كثيرا من العناية والاهتمام فتأثر منهجهم الثوري بكل ذلك فلم يهمل الفكر الاسلامي العوامل المتشابكة وانما اهتم بها جميعا ، فقد اهتم الفكر الاسلامي بالعامل السياسي ودعا الى الدستورية الشورية ولكنه لم يهمل العامل الاقتصادي وانما اهتم به ودعا الى الحرية والعدالة الاجتماعية • فاذا توفر للدولة الاسلامية ان تقيم الدستورية السياسية وان تحقق العدالة الاقتصادية توفر لها ان تقضي على كثير من العلل التي تنخر بكل المجتمع وتؤدي به الى

---

(٢) حياد فلسفي ، تاليف د : يحي هويدي ص٢٢ •

الخلل والفساد من جهة وان تخدم الامن والسلام وتحقق الاهداف المطلوبة في هذا المجال من جهة ثانية • فلا يمكن ان تتورط الحكومة الدستورية والشوروية في الحروب كما تتورط الحكومة الديكتاتورية والرأسمالية ، فتستعمل القهر والاكراه وتنحرف الى الاساليب البوليسية في الداخل وتشن الحروب على الدول الاخرى في الخارج •

ومن الطبيعي ان نلاحظ بان الدعوة الاسلامية تعتمد على الوعي والتثقيف العقائدي ، ومعنى ذلك انها لا تعتمد على الوسائل الغاشمة وانما تعتمد الوسائل الفكرية والعلمية • فقد بدأت الدعوة الاسلامية بداية فكرية فعرضت افكارها على الطبقات الشعبية وخاصة الطبقات المسحوقة فنفذت الى هذه الطبقات بقوة افكارها وصلاح ايديولوجيتها فاستطاعت ان تكتل هذه الطبقات حولها فلم تخرج الدعوة الاسلامية في ايديولوجيتها على الاهداف والتطلعات الشعبية التي تكافح وتناضل الطبقات المسحوقة في الامم والشعوب المختلفة • فقد فجرت الدعوة الاسلامية الروح الثورية واعتمدت على هذه الروح اكثر مما اعتمدت على الوسائل التسلطية والقهرية العنيفة • فقد تذهب الوسائل العنيفة بكثير من الاهداف الخيرة التي تحملها الافكار والمبادىء السامية • ولم تقتصر الثورة الاسلامية من حلولها على المشاكل العربية فحسب وانما تجاوزت ذلك الى كثير من الامم والشعوب ، فقد كانت الامة الفارسية مثلا تنظر الى المسلمين المنقذين صالحين من شرور اوضاعهم السيئة • فقد كانت الفوضى والفساد السياسي والضرائب الفادحة تنهش في جسم الامبراطورية الفارسية وتدفع بها الى التردي والانحطاط • وبالتالي فقد اعتنق اهل فارس الدين الجديد حالما دخل المسلمون البلاد ، ووجدوهم

بمقتون الفوضى ويفرضون النظام وهكذا اصبحت منذ ذلك الحين بلدا اسلاميا[٣] • وقد اخذت العقيدة الاسلامية طريقها الى كثير من الاقطار وانتشرت في سرعة عجيبة ويعتبر كل هذا امرا طبيعيا لما يتاه من الاسباب فلا تصح بعد ذلك الدهشة والاستغراب التي قد يثيرها بعض الكتاب والمفكرين • ان هذا النجاح الجدير بالملاحظة والتأثير المدهش الذي خلفه في عقول الناس هو الذي خلق التهمة القائلة بان الاسلام دين حربي • فهل انتشر الاسلام بالسيف واعتنقه الناس بالقوة ؟ [٤] • قد فطن لسخف هذا الادعاء كاتب غربي كبير هو توماس كارليل صاحب « الابطال » فانه اتخذ من النبي الكريم مثلاً لبطولة النبوة وقال ما معناه « ان اتهامه بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم اذ ليس مما يجوز في الفهم ان يشهر رجل فرد سيفه ليقتل به الناس او يستجيبوا لدعوته • فاذا آمن به من يقدرون على حرب خصومهم فقد آمنوا به خائفين وتعرضوا للحرب من اعدائهم قبل ان يقدروا عليها »[٥] •

ويمكن ان تمثل دعوة الاسلام الى الأمن والسلام قاعدة عامة فقد أمر القرآن بالتزام هذه القاعدة بصورة قاطعة « يا ايها الذين آمنوا أدخلوا في السلم كافة ••• » ولم تكن دعوة القرآن هذه من باب الادعاء والشعارات المضللة ولكنها دعوة ترتبط بالعقيدة وتتصل باهدافها الانسانية والعالمية وتنبع من هذه الاهداف • واذا كان له بعد ذلك ان يجوز الحرب فليس ذلك

---

(٣) روح الاسلام ، تأليف سيد امير علي ص٢٥٢ •
(٤) المصدر السابق ، ص٢٣٣ •
(٥) حقائق الاسلام واباطيل خصومه ، تأليف عباس محمود العقاد ص٢٩٩ •

الا من قبيل الاستثناء الذي تدعو اليه الضرورة الانسانية نفسها فلا يمكن للقرآن ان يمنع الحرب الدفاعية والاستقلالية وانما يحث عليها ويدفع اليها وليس في ذلك خروج على اهدافه وقواعده الانسانية والسلمية فالقرآن يقول « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله ان الله مع المتقين » فلا يمكن للقرآن على الرغم من دعوته الى الامن والسلام ان يسكت على العدوان ويسالم المعتدين ولا يمكن للمسلمين على هدى القرآن ان يقرّ لهم قرار او يستقر بهم حال حتى يدفعوا العدوان ويردوا المعتدين ويطهروا الارض من ارجاسهم وليس في كل ذلك خروج على مبادئه او اعتداء على قواعده واهدافه العقائدية والانسانية .

ويمكن ان نثير في هذا الوقت العدوان الصهيوني على الارض العربية في فلسطين ، فلم تكد الدول العربية تتحرر من الاستعمار الغربي وتتخلص من شروره واوضاره لتجد نفسها وجها لوجه مع الصهيونية العالمية فقد ترك الاستعمار الاوربي اسفينا خبيثا في فلسطين . ولم تكتف الصهيونية بالشق الذي حصلت عليه لتكشف سريعا عن اهدافها الاعتدائية ونواياها التوسعية . ولم تبرح ان تثير الاعتداءات المتتاليـــة وتقطـع الاجزاء تلو الاجزاء . وبالطبع لا يمكن للعرب ان يقفوا مكتوفي الايدي وقد احتلت بلادهم واجلي سكانها وشردوا في الاقطار العالمية . فلابد والامر كذلك ان يعلنوا الحرب وان يقاتلوا وان يحرروا بلادهم شبرا شبرا فليست هذه الحرب مما تقتضيها المبادىء الاسلامية فحسب ولكن مما تقتضيها الاعراف الدولية فلا تخرج هذه الحرب عن ان تكون من الحروب المشروعة التي يقتضيها حق الدفاع الشرعي وهما للمواثيق والاعراف الدولية . ولا يمكن ان يكتفي في هـذه الحرب بالجيوش النظامية وانما يعتمد على الجيوش الشعبية فان لم يتوفر للحرب

الرسمية التي يقتضيها الجهاد « الكفائي » المحدود ان تحقق اهدافها فلابد ان يتجه الى الحرب الشعبية الجماهيرية التي يقيضها الجهاد « العيني » الشامل • ولا يمكن ان تطمئن الامة الى الانتصارات المحدودة في هذا الموقف وانما تستمر على الحرب الطويلة حتى تحقق اهدافها فترد العدوان وتزيل اثاره وتقضي على اسبابه والقرآن يقول « واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم » •

ولا يعني ذلك بان الدعوة الاسلامية تؤمن بالحرب والاعتداء فان الحرب ضد الصهيونية من الحروب العادلة المشروعة فلا تملي الحرب ضد الصهيونية العقيدة الاسلامية فحسب وانما تمليها الاعراف والمواثيق والمؤسسات الدولية كذلك فلا يمكن ان تقاس الحرب ضد الصهيونية بالحرب الاستعمارية التي تقوم على الانتهاك للاعراض والانتهاب للاموال والاستلاب للاملاك وقد حرم الاسلام حروب التصعلك والتي تعتبر الحروب الاستعمارية في التاريخ الحديث خير مثال لها[٦] • وانما تعتبر الحرب ضد الصهيونية من الحروب المشروعة التي اوجبها حق الدفاع الشرعي كما عرفته الاديان والمواثيق الدولية والانسانية في القديم والحديث •

ومع ان الاسلام يدعو الى الأمن والسلام ولا يجيز الحرب الا على سبيل الاستثناء كما عرفنا • فانه قد ارتقى بالحروب العادلة والمشروعة في قواعدها واسبابها وخططها ومجال تنفيذها وانتقل بها من الغزو الجاهلي الى الحرب المنظمة التي تعتمد على العلم والتخطيط وتأخذ باسباب القوة

---

(٦) الاعلام بمناقب الاسلام للعامري بحث للدكتور احمد عبدالحميد غراب في مجلة تراث الانسانية ص٥١٨ •

والمواجهة • ويشير القرآن الى ذلك في قوله : « يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الادبار ••• الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة ••• » ويهتم القرآن بالقوى المادية والمعنوية بصورة متعادلة ويقدر القرآن القوي المعنوية ويثمن قيمتها الحاسمة في النصر • ولا تعني القوى المعنوية في الحقيقة غير التضحية في جوهرها فلا يمكن ان نستهين بهذه القوى ونبخس قوة الايمان فلا يؤدي الايمان في الحقيقة الى غير التضحية والاستشهاد • ولا ينأى الايمان اذا ما توفر في النفس الانسانية ان ينعكس على السلوك والتصرفات ولا يتأخر الانسان المؤمن ، بعد ذلك ان يضحى بنفسه ويسفك دمه في سبيل ما يؤمن به • ولا يرتبط الايمان الذي يدعو اليه الاسلام بالنواحي الغيبية فحسب وانما يرتبط بالنواحي العقائدية في الحياة كذلك فلا يمكن ان نفصل في الاسلام بل الناحيتين فاذا توفر للانسان ان ينظم حياته ويحقق اهدافه فلا تغمط حقوقه وآماله في الحياة توفر له بعد ذلك ان يموت في سبيل اهدافه راضيا مطمئناً • ويزخر القرآن بمثل هذه الآيات فمن قوله « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون ، وقوله : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله •

ولا تقتصر دعوة الاسلام الى الأمن والسلام على ناحية معينة وانما تتسع دوائرها فتشمل الدائرة الانسانية الداخلية فتنظم الدعوة الاسلامية المجتمع الانساني تنظيما متناسقا ، وتقيم علاقاته على الحرية السياسية والمساواة الاجتماعية فتوفر له كثيرا من الاستقرار والاطمئنان وتنشر في ربوعه كثيرا من الامن والسلام • فتهتم العقيدة الاسلامية بالانسان باعتباره الفردي فتوفر له التوازن الروحي والنفسي والخلقي • ويمكن ان يجد الانسان في نظرية

الاسلام الدينية منهجا فلسفيا وتفسيرا مقبولا للحياة فاذا وضحت صلة الانسان بالله وعلاقته بالكون توفر له بعد ذلك ان يقيم حياته على الاسس الواضحة • ويحاول القرآن ان يحي في الانسان الضمير وينمي فيه الفضيلة والمثل العليا ويوفر له رصيدا قويا من المعنويات فيتوفر للانسان ان يعيش بسلام مع نفسه ليتوفر له بعد ذلك ان يعيش بسلام مع الآخرين • فقد توفر للاسلام ان يوفر اسباب السلام كلها في قرارة الضمير فلا سلام لعالم ضمير الفرد فيه لا يستمتع بالسلام[٧] • وليس المجرمون ودعاة الحرب والعنف الا اناس قد اختلت امزجتهم وماتت ضمائرهم قبل كل شيء • فلم يتوفر لهم ان يعيشوا بسلام مع انفسهم قبل ان يتوفر لهم ان يعيشوا بسلام مع الآخرين •

وتهتم العقيدة الاسلامية بالعائلة وتضع كثيرا من التقنينات التي تكفل لهما السعادة والهناء ، فليس المجتمع في حقيقته غير مجموعة من العائلات فاذا توفر لهذه العائلات ان ترتبط بالعلاقات الوثيقة بين افرادها توفر لها ان تقدم للمجتمع المواطنين الصالحين • وينصب اهتمام الدعوة الاسلامية بالمجتمع من خلال اهتمامها بالفرد والعائلة وتبني فلسفتها الاجتماعية على التوازن بين الفرد والعائلة والمجتمع فلا ترتفع بواحد على حساب الآخر وانما توازن بين الثلاثة وتعطي لكل منها الاهتمام المناسب •

وتهتم الدعوة الاسلامية بالمجتمع وتقيم كثيرا من التنظيمات الاجتماعية• فتهتم الدولة الاسلامية بالسلطة القضائية والاجهزة البوليسية وتقيمها على الاسس العادلة • فقد اقامت الدعوة الاسلامية القضاء على هذا الاساس وساوت بين الخصوم ولم تفرق بينهم • وتعتبر الاساليب التي اتبعها القضاء

---

(٧) السلام العالمي والاسلام ، تاليف سيد قطب ص٥١ •

الاسلامي من اعظم النماذج الرفيعة في قوانين المحاكم واجراءاتها • وقد ادخل الخلفاء الراشدون الحراسة ونظمت الشرطة في عهد الامام علي تنظيما دقيقا فتوفر للشرطة ان تقوم بواجباتها وقد كانت الشرطة تابعة للقضاء في اول الامر ثم انفصلت بعد ذلك • وقد كان رجال الشرطة مكلفين بتنفيذ الاحكام القضائية ويتولى صاحبها اقامة الحدود على الخارجين على النظام والعابثين بالأمن والنظام • وقد انتجت لنا الافكار الاسلامية نظام الحسبة ويقترب هذا النظام من الانظمة الادارية والبلدية في الازمنة الاخيرة فكان المحتسب يشرف على الموازين والمكاييل ويحافظ على مصلحة المستهلكين ويمنع الاشياء المسببة لمضايقة الجمهور(٨) •

ويهتم القرآن بالحقوق والحريات الاساسية • وتعتبر الحرية الدينية في مقدمة ذلك • فقد وقف القرآن من الحريات الاعتقادية موقفا متسامحا ، ويعتبر هذا التسامح دليلا قويا على وجود الحقوق والحريات العامة وخاصة في مثل تلك الازمنة القديمة • فقد اتصف المجتمع الاسلامي بالتسامح ولا يزال هذا المجتمع يحتضن كثيرا من الاقليات الدينية المسيحية والمجوسية والصابئية وغيرها في الوقت الحاضر بفضل تسامح المسلمين • فلم يقف الاسلام امام الاديان الاخرى بل حاول ان يتلمس الجوانب المشتركة فيها فالقرآن يقول : « يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولانشرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله » ولم تجبر الدولة الاسلامية اصحاب هذه الاديان على الدخول الى الدين الجديد ولم تحل بينهم وبين اقامة شعائرهم واعلان معتقداتهم • ولم يكن الاختيار بين الاسلام

---

(٨) الامن السلام في الاسلام • تأليف د• جمال الدين الرمادي ص٤٦ •

أو القتل دائماً ولكن بين الاسلام او الجزية وتلك سياسة مستنيرة اجمعت الآراء على امتداحها[٩] .

وبعد ان تنتهي الدعوة الاسلامية من الدائرة الانسانية الداخلية فتحي الضمير الانساني وتنظيم العلاقة العائلية وتحيط المجتمع بالانظمة والدعائم التي تقيه من الخلل والانحدار وتأخذ بيده في طريق التقدم والرقي ، تتجه الى الدائرة الانسانية الخارجية وتبدأ عملها في الميدان الدولي فلا يمكن ان تندفع الدولة الاسلامية بما تتصف به من الدستورية والعقائدية الى الحرب والعدوان فالدستورية الاسلامية اوفق النظم الحكومية لتمكين العلاقات السلمية بين الامم والشعوب فلا يمكن ان يقر الاسلام سياسة القتال وسفك الدماء وازهاق الارواح واستعباد الشعوب الآمنة . فالدعوة الاسلامية وان تكن عالمية النزعة ، تحاول ان تجمع الامم والشعوب المختلفة في اطارها وتفتح جناحيها لهم فانها لم تتنكر بمثلها واساليبها الفكرية والدستورية ولم تكره الناس على الدخول في حظيرتها وانها تعتمد على وسائلها الخاصة والتي لم تختلف في الحقيقة عن الوسائل الديمقراطية المعروفة اليوم . واذا كانت الدولة الاسلامية قد قسمت العالم الى دار حرب ودار سلام فلا يقصد من دار الحرب جميع الاقطار التي لا تؤمن بالاسلام وانما يقصد منها الاقطار التي تحارب الدولة الاسلامية وتقف منها موقف العداء . فان لم تحارب هذه الاقطار الدولة الاسلامية فانها من دار الامان وان لم تكن مسلحة . وترتبط الدولة الاسلامية بالدول الصديقة والحليفة بالعهود والمواثيق . وتقيد

---

(٩) حضارة الاسلام في دراسة توينبي للتاريخ ، تأليف فؤاد محمد شبل ص٢٢ .

بتطبيقها بدقة وامانة فلا يمكن ان تنفصل الدولة الاسلامية من التزاماتها ولا يمكن ان تتحول هذه الالتزامات الى قصاصات من الورق كما تتحول لدى كثير من الدول في العصر الحاضر • وتقف الدولة الاسلامية من رعايا الدول التجارية موقفا انسانيا كريما ولكنه حازم فلا يحق لهم ان يدخلوا بلاد المسلمين دون اذن خاص • ولكنه حال من ينال هذا الاذن فانه يصبح غير معرض لاساءة المعاملة طوال عام كامل من تاريخ ذلك الاذن • وحين تنتهي هذه الفترة يكون الرجل او الرجال ملزما او ملزمين بمغادرة البلاد والقاطن في دار الامان يكون مستأمناً ولا يحتاج الى الاذن[١٠] •

ويمكن على هذا الاساس ان تمثل الدولة الاسلامية طرفا في المجتمع الدولي • فقد انتظمت الدولة الاسلامية الى هذا المجتمع وخضعت الى العقود والمواثيق التي تعقدها مع اطرافه الاخرى • فلم تتجاهل الدولة الاسلامية الامم والشعوب الاخرى ولم تنكر لوجودها الدولي والواقعي فقد اتصلت الدولة الاسلامية بكثير من الصلات بهذه الدول والامم والشعوب القاطنة في حدودها ••• في حين ان الامم المسيحية كانت ما تزال تؤمن حتى سنة ١٨٩٥ ان مزايا القانون الدولي هي وقف على الامم المسيحية • ويمكن ان يتضح لنا بان المسلمين قد نهضوا بالقانون الدولي لديهم منذ وقت مبكر ، وفصلوه عن السياسة وعن القانون بوجه عام وجعلوه قانونا مستقلا وموضوعا منفصلا ونحن حين ندرس المؤلفات العربية الاولى في القانون الدولي وما يتصل به من موضوعات نجد لنا فكرة جلية عن علاقات المسلمين بالروم « البيزنطيين » وغيرهم في وقت السلم والحرب على السواء[١١] •

(١٠) روح الاسلام ، تاليف سميد امير علي ص٢٤٨ •
(١١) دولة الاسلام والعالم ، تاليف د : محمد حميدالله ص١٠٦ •

ويمكن ان نرجع الآن الى الحروب الاسلامية الاولى لنرى صدى السياسة السلمية التي دعا اليها الاسلام وطبقها الجهاز الحكومي • فقد بدأت الدعوة الاسلامية في مكة ـ كما تعرف ـ بداية سلمية تعتمد على الفكر والاعتقاد وتتوسل بالحكمة والموعظة الحسنة • ولكن هذه الدعوة السلمية قد جوبهت بمعارضة ضارية فتعرض صاحبها ودعاتها الاولون الى كثير من الاذى والتعذيب والاضطهاد • فاضطر النبي الكريم هو والطلائع الاسلامية ان يهاجر الى المدينة • ولم تسلم الدعوة في المدينة ولم تسلمها قريش ولم تترك اصحابها فقد قررت الاجهاز عليها ولعلها تخوفت من قدرتها على النجاح وخطر هذا النجاح على امتيازاتها ومصالحها الاقتصادية والدينية • فألبت عليها القبائل المجاورة في الخارج واثارت عليها اليهود والمنافقين في الداخل ، تريد من وراء ذلك ان تطوقها وتشد عليها منافذ الامتداد والحياة فلا يمكن والحال هذه ان تركن الدعوة الى الاستسلام وتستكين الى الخمول وتستخذل امام الاعداء • فلابد من الحرب لكي تدفع الخطر وتمنع الخطر ولكي تنفذ الدعوة الى الناس جميعهم ، فقد فرضت هذه الحرب ولا مندوحة منها • فلم يبدأ المسلمون اذن بالحرب ولم يمتشقوا السيوف الا لصد العدوان وطرد المعتدين فالاسلام يفرض على المسلم ان لا يستكين ولا يسكت على المعتدي ولا يرضخ للظلم وا ن يدفع الاعتداء بالاعتداء • فلم يبدأ المسلمون الحرب ولم يعلنوها الا من اجل السيف لتحكيم في رقاب الضعفاء والتسلط على اعناق الابرياء انما كان السيف وسيلة لتأمين الدعوة • ومع ذلك فان القرآن قد ابان بعدم ضرورة القتال اذا لم يكن هناك ضرورة لذلك فيقول القرآن • فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله عليهم سبيلا • ويقول : • وان جنحوا للسلم فاجنح لها • ، وتوكل على الله انه هو السميع

العليم[١٢] .

ولم تخرج حروب الاسلام الخارجية عن هذه القاعدة فلم تتخلص بعد الدعوة الاسلامية من الحصار الداخلي الذي ضربه القريشيون عليها لتواجه حصارا خارجيا فقد لمست الامبراطورية الفارسية والرومانية الخطر المحدق في الدعوة الاسلامية الجديدة . فقد اقلقهما النصر الذي حصلت عليه واثارتهما الافكار الاسلامية الجديدة التي تحظى على الثورة وتدعو الى العدالة في الحكم والاقتصاد . فتكشف الدولة الفارسية والرومانية عن عداوتهما للدعوة وتحاولان ان تطوقا هذه الدعوة وتحصراها في الحدود الضيقة وتكبحان جماحها ... فلم يبدأ الاسلام بمحاربة الدولتين ولم يؤلب الحرب عليهما ولم يزد النبي في دعوته على الوسائل السياسية المشروعة فكان يبعث الوفود والرسائل الى الملوك والامراء المجاورين يدعوهم الى الايمان والدين الجديد والدخول في حظيرته . واذا لم يستجب هؤلاء الملوك والامراء الى البادرة الاسلامية الضمير فليس من حقهم ان يتدخلوا في الشؤون الاسلامية الخاصة فيكيدون للدعوة ويحاولون ان يقضوا عليها في مهدها فقد حرضت الدولة الفارسية القبائل العربية على غزو الحجاز وارسلت الدولة الرومانية الطلائع الحربية الى اطرافه فاضطر النبي وقد احس بالخطر المحدق ان يستعد للحرب ويصد العدوان المرتقب . ويمسك بالمبادرة ولا يؤخذ على حين غفلة فانه مسؤول عن هذه الدعوة وعن نجاحها . والقرآن يقول : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم » ويقول : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » فليس للدعوة ان تقف في منتصف

---

(١٢) الأمن والسلام في الاسلام ، تاليف د : جمال الدين الرمادي ص٩ .

الطريق وان تقتصر على الحجاز أو الجزيرة العربية ولابد لها ان تأخذ مداها وتمتد الى العالم كله فلا يمكن ان تسد امامها الابواب وينقض عليها بالهجوم والاعتداء وتذهب آمالها هباءً .

ويمكن ان نفهم الحروب الاسلامية على هذا الاساس فلم تخرج هذه الحروب على الاهداف الانسانية المشروعة ولم يعتمد الدين الاسلامي على القوة وانما يعتمد على الفكرة فليست الحرب اصلا في الدعوة الاسلامية ولكنها استثناء تقتضيها الضرورة الدفاعية العادلة . ولا تعني دعوة الاسلام السلمية ان يركن الاسلام الى الخور والضعف والاهمال فلم يكن الاسلام في دعوته طوباويا ليعيش على الخيال ولم تكن هذه الافكار من اهدافه وآماله ، ولكنه دين واقعي يؤمن بالارادة والقوة والتصميم فلا يمكن ان يحمي الحق غير القوة فلم يكن القرآن في دعوته الى السلام سلبيا وانما دعوته الى ذلك ايجابية وخاصة في المجتمعات القديمة التي تؤمن بالعنف واراقة الدماء . فقد دعا القرآن الى القوة المادية والاستعداد الحربي . فالنصوص صريحة في ايجاب كل ما يقتضيه الاعداد والاستعداد الحربي استعدادا يرهب الاعداء والحاقدين والمتربصين المعروفين والمجهولين فتجهز السلاح وتشيء المصانع ويكون انشاء الصناعات الحربية بكافة انواعها فرضاً واجبا على الامة ليس لها ان تتخلى عنه الا اذا تخلت عن الاسلام[١٣] . فالقرآن يقول : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون بها عدو الله وعدوكم .. » ولا يعني ذلك ان يخالف الاسلام اهدافه السلمية ولا يمكن ان يخالف الاسلام الاهداف السلمية التي تدعو اليها المؤتمرات الدولية التي تنادي بنزع

---

(١٣) الاسلام واوضاعنا القانونية ، تأليف عبدالقادر عودة ص٨٧-٨٨ .

السلاح فان الاهداف السلمية التي يدعو اليها الاسلام لا تقل عن الاهداف الانسانية التي تدعو اليها مثل هذه المؤتمرات خاصة وقد بلغت الاسلحة الذرية والهيدروجينية الى درجة كبيرة من التدمير بحيث تعرض الكرة الارضية قاطبة الى الدمار والخراب •

ولا يعني حينما تمتلك الدولة الاسلامية السلاح ان تتورط في الحرب فلا يمكن ان يقر الاسلام الحرب الغادرة أو المباغتة حتى مع اعدائه المعروفين وانما يدعو الاسلام الى حل المشاكل بالطرق الدبلوماسية فيؤمن بالمعارضة والتحكيم ولا يقطع الحوار يستنفد كل الوسائل السلمية ولكنه لا يقبل بالحلول التي تتنافى مع العدالة والحق • واذا كانت المفاوضة لا تصح مع الصهيونية المعتدية اصلا فان نتائجها يجب ان لا تختلف عن احقاق العدالة وتطبيق الحق والعدالة هنا ليس بازالة آثار العدوان الصهيوني وانما بازالة اسبابه فالدولة الصهيونية دولة معتدية قامت على العدوان وعاشت عليه ويعتبر محاربة هذه الدولة ليس واجبا على الدول العربية والاسلامية وانما واجب على الدول العالمية كلها فقد تؤدي هذه الدولة باعتداءاتها على العرب الى الاخلال بالأمن والسلام العالمي وتدفع العالم الى أقوى حرب ثالثة لا تبقى ولا تذر فقد يؤدي الامر الى الصراع بين الكتلتين العالميتين العملاقتين وتطيح بالتعايش السلمي وليس من باب المبادىء والافكار الانسانية المثالية ان يتفاهم اقطاب الكتلتين العالميتين على حساب الحق العربي وانزاله من قائمة الحساب فليست المسألة مسألة سياسية بقدر ما تكون مسألة مبدئية •

وتتقيد الدولة الاسلامية بالاصول والقواعد الانسانية • فاذا تورطت الدولة الاسلامية في حرب قد فرضت عليها فليس من سفاتها التهلكة

والمجازفة وانما تقوم على العلم والتخطيط • وتدعو الدولة الاسلامية الى الضبط الذاتي بما تلتزم به من المثل الاسلامية فلا يؤثر الجيش الاسلامي بالاندفاع وراء المجد الشخصي والاغراض الشخصية فلا يمكن للجيش المسلم ان يخرج على الاهداف العسكرية المحدودة فلا يتجاوز ذلك باي حال من الاحوال فلا يقاتل الجيش الاسلامي غير المقاتلين ولا يضرب غير المواقع الحربية ويتماشى والاهداف الحديثة ولا تقل هذه المبادىء عن الافكار والمبادىء الحديثة التي التزمت بها الدول الحديثة في المؤتمرات والمواثيق الدولية ••• واذ تم الصلح فيجب المحافظة على الارواح والممتلكات ويجب معاملة الاسرى معاملة طيبة • ومن الطبيعي ان يصاحب الحرب بعض المآسي ولكن هذا لا يحسب على الافكار الاسلامية او الدين الاسلامي • فلا تخلو الحروب حتى في العصر الحاضر من ذلك وقد حث القرآن على كل ذلك في قوله : « لا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها » •

ويمكن ان تعتبر دعوة الاسلام الى الأمن والسلام في مقدمة دعواته الانسانية العالمية • ويريد الاسلام من وراء دعوته هذه ان يحترم الانسانية ويحقق اهدافها في الحياة الآمنة المستقرة • ويعتبر الاسلام سباقاً في دعوته هذه فقد دعا الى الأمن والسلام قبل مئات السنين وقد سارت المجموعة الدولية الحديثة على آثار الاسلام فعقدت كثيرا من المؤتمرات ووقعت كثيرا من المواثيق وشرعت كثيرا من القوانين لتحافظ على الأمن والسلام وتنشر ألويته على الانسانية جمعاء • وقد قامت المنظمات الدولية في عهد العصبة بعد الحرب العالمية الاولى وعهد الامم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية بمهمتها الدولية • واضطلعت بالمسؤولية على المحافظة على الأمن والسلام فلم تبتعد كل هذه الاهداف عن الاهداف الاسلامية الاولى فقد دعا الاسلام الى

ذلك من قبل فدعا الى التعاون والتعارف والقرآن يقول : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

ولا يعني كل ذلك ان تعتذر لبعض الحكام والملوك المسلمين فقد تورط القلة من هؤلاء الحكام والملوك في الحروب الظالمة وانغمسوا في اوضارها بعيدا عن الاهداف الاسلامية والانسانية وبعيدا عن المثل العالية ولم يتوفر لهم من الناحية العملية ان يطبقوا الافكار الاسلامية تطبيقا حقيقيا وان يكن لهؤلاء الحكام والملوك اسوة سيئة في الحكام والملوك في العصر الحاضر فان كل هذا لا يمكن ان يبرأ ساحتهم من المسؤولية التاريخية والدينية ، فقد طمسوا الفكر الاسلامي المثالي واعطوا له صورة غير ناصعة ولكن كل هذا لا يؤخر في الافكار والاهداف الاسلامية الاصيلة والتي توافر عليها الكثرة من الحكام والملوك المسلمون وكشفوا عن اصالتها ومثاليتها فانها تمثل في الحقيقة في جملتها صفحة ناصعة في التاريخ الاسلامي فقد كشف هؤلاء الحكام والملوك عن كثير من المواقف النبيلة التي تحققت في اعمالهم الانسانية وخاصة في المواقف الحربية .

بغداد — محمد سليم الامين

من مفهوم النصر في القرآن الكريم

كاصد الزيدي
ماجستير آداب (الدراسات القرآنية)

مقـــدمة :

حفل النصـــر في كتاب الله المبين بحديث واضـح مستبين . وكيف لا يكون الامر كذلك وفي تحقق هذا النصر ووقوعه تثبيت لدعائم الدين وارساء لقواعده بين العالمين . ولذلك نجد آي التنزيل حافلة به ، لا تكاد سورة تخلو من التحدث عنه : موضحة خصائصه ، أو مبنية مقوماته ، أو ممهدة لمسالكه ، حتى يتبين المسلم سبيله اليه بوضوح ويتفهمه بوعي وكفاية، وحتى لا يدعي مدع بانه لا يجد في هذا الكتاب المنزل لهداية البشرية ، ما يدله على منهج واضح عدل يجد فيه بغيته في تحقيق النصر على المعتدين والغلبة على الطاغين . ان تفهم المسلمين الاوائل للنصر كما اراده القرآن وحدث عنه ، جعلهم يخوضون غمار الحروب دون كلل أو تزعزع ، لم يهنوا ولم يتواكلوا ، ولم يقولوا لنبيهم كما قالت اليهود لنبيها موسى عليـه السلام من قبل : « اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون » ، بل قالوا اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون . فلم يعبأوا بما بذلوه في سبيل

(*) هذا البحث جزء من كتاب للمؤلف قيد التأليف ، بعنوان « مفهوم النصر في القرآن الكريم » .

الله ، من فقد النفس ، وذهاب المال ، والابتعاد عن الاهل والولد ... ولقد تم ما أرادوا بعد ذلك ، ومكن لهم ربهم في الارض ، وجعلهم أعزة ونصرهم على أعدائهم حتى صاروا ينصرون بالرعب مسيرة شهر ! ... وحتى صار الفرد المسلم منهم لا يرى عزة لاحد ولا يدا له عليه ، الا لله ورسوله وللمؤمنين .

فبالنصر وحده تتحقق الآمال .. ويعود المسلمون الى عزهم ومجدهم من جديد .. وبطريقه الذي رسمه القرآن يمكننا ـ نحن المسلمين اليوم ـ ان نعيد ما ذهب من الاوطان ، وان ننتصر على أعدائنا الذين يتربصون بنا الدوائر في كل مكان : « والله يؤيد بنصره من يشاء » .

ولابد لنا قبل الولوج في موضوع النصر في القرآن الكريم من التأمل في مفهومه في الفكر البشري القديم ، آخذين بنظر الاعتبار التسلسل الزمني وبادئين بالحضارات الاولى الوثنية ، وكيف كان مفهوم النصر لديها كما تجليه أساطيرها ، ثم مفهومه لدى أهل الاديان السماوية كما تبينه كتبها . عارضين ذلك بايجاز حتى لا يطغى البحث فيها على الموضوع الاساس الذي نرجو البحث فيه وهو « مفهوم النصر في القرآن الكريم » .

مفهوم النصر في الفكر القديم :

النصر في الفكر القديم غيره في القرآن الكريم ، فهو في الحضارات الاولى مستمد من الآلهة السماوية التي مدارها عناصر الطبيعة وظواهرها من شمس وقمر ونجوم ونهار واشجار وبرق ورعد ونحوها ...

ففي الاساطير « البابلية » القديمة يستمد البطل « گلگامش » النصر من الاله « الشمس » أو « شمش » كما هو في لغة القوم ، وحين ذاك يحقق هدفه في الوصول الى غابة الارز ليضع اسمه في سجل الآلهة والابطال الخالدين ! وحيث ان وحشا كاسرا خطرا هو « خمبابا » كان يسكن تلك

الغابة ، فان شيوخ « أوروك »(*) بدوا مشفقين على البطل الكبير « گلگامش » وراحوا يرجون الاله « شمش » ان ينصره في صراعه الدامي مع وحش الغابة ، وأن يمهد له سبل الخلاص منه والانتصار والعودة بسلام ، تقرأ ذلك في هذه الابيات ، التي تجري على لسان اولئك الشيوخ :ـ

وعسى « شمش » أن ينصرك . (!!)
وعساه أن يري عينيك ما قاله فمك
وعساه أن يفتح لك السبيل المسدود

ويفتح الطريق لمسراك ، ويفتح مسالك الجبال لقدميك(١) .

وحين يقدم البطل مع صديقه «انكيدو» على المغامرة بأنفسهما ودخول غابة الارز ينتابهما الرعب والندم على ما أقدما عليه . وتروي الاسطورة بعد ذلك أنهما صارا :

« يتضرعان الى « شمش » ليعينهما على الخلاص .
من الهلاك ، فاستجاب لهما الاله ، وانقلبت الآية .
حيث أهاج « شمش » الرياح العاتية وساقها على « خمبابا » .
فمسكت به وشلت حركته ، فاستسلم لهما . »(٢)

وشبيه بهذا نراه في الاساطير المصرية القديمة ، حتى ان « امنحتب » الرابع ينشد مخاطبا الاله الشمس قائلاً :

« يا شمس النهار يا من تخشاه البلاد القاصية » (!)
أنت موجد حياتهم

(*) هي الوركاء المدينة الاثرية المعروفة .

(١) ملحمة گلگامش : ترجمة طه باقر ص٨٠ .

(٢) المصدر نفسه ص٨٥ ـ ٨٦ .

أنت الذي خلقت في السماء نيلاً

ثم يقول له أخيرا :

« ما أبدع تدابيرك يا اله الأبدية »[٣]

وكان الفرس القدماء في ديانتهم المجوسية البائدة يستمدون العون من اله (النور) وقد عبروا النار لتكون رمزا لذلك الاله المحبوب . وكانوا يرون أن صراعا نشب بين هذا الاله والها آخر هو « أهر من » اله الظلام « ثم ان الملائكة توسطوا فصالحوا على أن يكون العالم السفلي خالصا لأهرمن سبعة الاف سنة ، ثم يخلي العالم ويسلمه الى النور ... »[٤] .

* * *

فاذا انتقلنا بعد هذا الى أهل الكتاب من يهود ونصارى ورجعنا الى كتبهم المقدسة ، وبخاصة « العهد القديم » و « العهد الجديد » ، وجدنا أن مفهوم النصر في تلك الكتب ، لم يكن له ذلك الوضوح أو الشمول أو المنهجية التي تتجلى في القرآن الكريم .

ففي « العهد القديم » أو « التوراة » ، كما تسمى تجوزا أحيانا ، لا نجد نصوصا واضحة عن مفهوم النصر من حيث خصائصه ومقوماته وسننه ، التي نجدها في القرآن ، فكل ما يتحقق من نصر فهو قائم في الدنيا وحدها ، وليس من نصر للمؤمنين في اليوم الآخر يكشف عنه هذا الكتاب بجلاء ، وبخاصة اذا علمنا أن حديث اليوم الآخر فيه لا يكاد يبين اذ لم يكن الا اشارات عابرة هنا وهناك .

---

(٣) الشعور الديني عند الطفل : مقال بقلم عبدالمنعم الملبجي ، مجلة علم النفس ، القاهرة م٣ عدد ١ (١٩٤٧) ص٩٢ .

(٤) ينظر : الشهرستاني : الملل والنحل ٥٧٢ ـ ٥٧٣ .

وأما النصر الدنيوي فهو يتحقق بالطريقة التي يريدها اليهود من قتل جماعي لا مبرر له ، يعم الشيوخ والنساء والاطفال ، بل حتى البهائم . ولكي يضفى على هذه العملية المنكرة شيء من القدسية والتبرير أيضاً ، فانها تنسب عادة في كتب العهد القديم ، الى « الرب » الذي أمر عبده « وهو نبي عادة » ان « يحرم »(*) ، كل ما يرى لدى الاعداء فلا يبقى ولا يذر ، حتى الاشجار يقطعها أو يحرقها ! ..

هكذا يروي كتابهم المقدس « العهد القديم » وهو افتراء دون شك . وهذا المفهوم خلاف ما عرف به المسلمون من عدل مع خصومهم وأعدائهم في الحروب فلا اجهاز على جريح ، ولا قطع لشجرة ، ولا تهييج لنساء .. وهذا حد فاصل بين الخلق الاسلامي الرفيع ، والخلق اليهودي الوضيع منذ أقدم العصور .

على أن كتب العهد القديم لم تخل من اشارة الى اسباب عدم تحقق النصر للامة ، وتسلط العدو الجبار عليها ، فلا لوم على عدوها ، بل اللوم على نفسها ، لأنها استحقت حجب النصر ، بعد أن عدمت أسبابه بارتكاب المآثم ، وكثرة العصيان ، والبعد عن الله ، ملوكا ورؤساء وكهنة وأسلافا وابناء .. وهذا يمثل في الحقيقة « الجانب السلبي » من مفهوم النصر ، وهو عدم تحققه ووقوعه ، ويتجلى ذلك في هذا النص الذي نقرأه في أحد الاسفار :

« والآن يا الهنا الاله العظيم الجبار المخوف حافظ العهد والرحمة لا تصغر لديك كل المشقات التي أصابتنا نحن وملوكنا ورؤساءنا وكهنتنا

(*) أي يقتل : وقد استعملها مترجم العهد القديم كثيرا في نصوص مختلفة من الترجمة العربية ، انظر مثلا ص٣٥٠ من طبعة جمعية الكتاب المقدس ، بيروت ١٩٦٢ . وانظر في « قتل النساء » : سفر يشوع : الاصحاح الثامن : ٢٦ .

وانبياءنا وآباءنا وكل شعبك من ايام ملوك آشور الى هذا اليوم • وأنت بار في كل ما أتى علينا ولأنك عملت بالحق ونحن أذنبنا وملوكنا ورؤساؤنا وكهنتنا وآباؤنا لم يعملوا شريعتك ولا أصغوا الى وصايك وشهاداتك التي أشهدتها عليهم • وهم لم يعبدوك في مملكتهم في خيرك الكثير الذي أعطيتهم وفي الارض الواسعة السمينة التي جعلتها أمامهم ولم يرجعوا عن أعمالهم الفردية • ها نحن اليوم عبيد والارض التي أعطيت لآبائنا ليأكلوا أثمارها وخيرها ها نحن عبيد فيها • وغلاتها كثيرة للملوك الذين جعلتهم علينا لاجل خطايانا وهم يتسلطون على أجسادنا على بهائمنا حسب ارادتهم ونحن في كرب عظيم ••• »[٥] •

وكثيرا ما يربط « العهد القديم » بين « عمل الشر في عيني الرب »[٦]، الذي عرف به عدد من ملوك بني اسرائيل ، وبين ما أصابهم من سبي وقتل ، وذل وهوان ، بأيدي الامم الاخرى التي من حولهم وبخاصة الآشوريين الذين سبوا بني اسرائيل مرات كثيرة ، كما تدل على ذلك اسفار من العهد القديم[٧] •

ففي سفر « الملوك الثاني » نجد حديثاً عن أعمال بني اسرائيل ، وما جنوه بسببها من تسليط الامم عليهم ، وانخذالهم في معاركهم ، اذ يقول : « •• وتركوا جميع وصايا الرب الههم وعملوا لانفسهم مسبوكات عجلين وعملوا سواري وسجدوا لجميع جند السماء[*] وعبدوا البعل[**] ، وعبروا بنيهم وبناتهم النار وعرفوا عرافة وتفاءلوا وباعوا انفسهم لعمل الشر في عيني

---

(٥) سفر نحميا : الاصحاح التاسع : ٣٢ ـ ٣٦ •
(٦) انظر مثلا سفر الملوك الثاني : الاصحاح الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر •
(٧) انظر المصدر نفسه : المكان نفسه •
(*) هي الكواكب •
(**) اله بابلي كبير ، وقد عبده العبرانيون تقليدا للبابليين •

الرب لاغاظته ، فغضب الرب جدا على اسرائيل ونحاهم من أمامه ... فرذل الرب كل نسل اسرائيل وأذلهم ودفعهم ليد ناهبين حتى طرحهم من أمامه ... »[٨] .

* * *

ولا نجد في كتب « العهد الجديد » بأناجيله الأربعة ، ورسائله التي كتبها الرسل وأعمالهم ، ما يدل على مفهوم واضح للنصر كالذي ورد في القرآن الكريم ، ولعل ذلك يعود الى ان حديث النصر يقترن غالبا بالحرب والاعداد لها . ولا حديث لحرب في العهد الجديد ، لان مدار حديثه حول دعوة السيد المسيح عليه السلام ، وتعاليمه لتلاميذه وحواريه ، ومعجزاته ، والاحداث التي دارت مع الحواريين والكهنة والشيوخ والكتبة ، ومن وجه اليهم دعوته واسمعهم كلمته .

وأيضا فان « أعمال الرسل » و « رسائلهم » ، قد خلت من حديث للنصر ذي معالم واضحة محددة .

الا أن في انجيل « برنابا » ـ وهو غير الاناجيل التي ضمها العهد الجديد ـ اشارة الى العلاقة بين خوف الله تعالى وتحقق النصر من عنده مطلقا في كل شيء . وقد روي ذلك عن السيد المسيح اذ يخاطب تلاميذه وحواريه قائلا : « الحق أقول لكم انه اذا خاف الانسان الله انتصر على كل شيء كما يقول داود نبيه : « سيسلمك الله الى عناية ملائكته الذين يحفظون طرقك لكيلا يعثرك الشيطان . يسقط ألف عن شمالك وعشرة آلاف عن يمينك لكيلا يقربوك »[٩] .

---

(٨) سفر الملوك الثاني : الاصحاح السابع عشر : ١٦ـ٢١ .

(٩) انجيل برنابا : ترجمة خليل سعادة : الفصل الثالث والسبعون : ١١ ـ ١٣ .

وفي القول الذي رواه عن نبي الله داود عليه السلام اشارة الى حفظ الله ورعايته لعبده المؤمن الذي يخافه ويتقيه ، بأن يجعل له ملائكة يتعهدونه ويرعونه ويدفعون عنه ما قد يتعرض له من أذى أو يصاب به من خسار ، فيتحقق له بذلك النصر على أعدائه الذين ليس لهم مثل هذه العناية والرعاية ولاراد لبأس الله اذا جاءهم ولو كانوا ألوفاً مؤلفة .

وهذا المفهوم نجده واضحا أيضا في الفكر الاسلامي ، وقد عبر عنه القرآن بجلاء كما سيتبين لنا ذلك في الفصول القادمة ان شاء الله ، ودلت عليه السنة النبوية في أحاديث مستفيضة[١٠] .

* * *

ولنا بعد هذا الذي بيناه بايجاز عن مفهوم النصر في الفكر البشري القديم أن ننتقل الى مفهومه في القرآن الكريم لنقف على خطوطه العريضة ، ومقوماته الواضحة ، وخصائصه المتميزة ، تلك التي اكسبته صفة من التفرد والتميز عن كل ما سبقه من مفهومات ، حتى غدا نسيج وحده في كل ما تضمنه من معان وقيم وأفكار .

مفهوم النصر في القرآن الكريم

يتبين لنا من البحث في الآيات الكريمة التي تتحدث عن النصر في القرآن الكريم ودراستها ، أن لمفهومه في معالمه الرئيسة جانبين هامين هما :

أولا ـ جانب الخصائص .

ثنيا ـ جانب المقومات .

فلنتحدث أولا عن الجانب الاول جانب الخصائص .

---

(١٠) من ذلك حديثه (ص) لابن عباس : « يا غلام احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ... » الحديث .

خصائص النصر في القرآن الكريم :

يتميز النصر في القرآن الكريم بالخصائص التالية :

١ ـ ان النصر من عند الله :

وتلك اظهر خصيصة من خصائص النصر في القرآن الكريم ، وأبين سمة من سماته . ذلك أن النصر في مفهوم القرآن من عند الله وحده ، فهو العزيز الذي ينصر من يشاء من عباده ، متى شاء ، وانى شاء . ولذلك نراه يقـول :

« وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم »(١١) .

« وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم »(١٢) .

فحصر النصر بقدرة الخالق ومشيئة سبحانه ، وقد دلت على ذلك أداة الحصر « الا » في الآيتين الكريمتين .

ولا يتعارض هذا بطبيعة الحال مع اعداد اسباب النصر وأدواته ، من تدريب وأسلحة و « تكتيك » ، بل ان النصر لا يكون بمفهوم القرآن الا بعد أن تستبين هذه النية في القلوب وتتبدى علائمها على الجماعة المؤمنـة حين تنوي الجهاد ، وتعد العدة له . وذلك يجليه قوله في موضع آخر :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون »(١٣) .

بل ان ذكر الحديد وبأسه ومنافعه قد ورد في سياق آية من آيات

---

(١١) آل عمران : ١٢٦ .

(١٢) الانفال : ١٠ .

(١٣) الانفال : ٦٠ .

النصر في القرآن وهي قوله تعالى :

« لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز »(١٤) .

فكأن في ذلك اشعارا بالعلاقة الوثيقة بين الاسباب والمسببات او بين العدة والنتيجة ، بين الجهاد بالسلاح والحظوة بالنصر . وفيه اشعار بالترابط بين النصر وأسبابه المادية التي أساسها الحديد وما فيه من بأس شديد في الحرب ونفع عميم في السلم وكلاهما سبب في النصر المادي . لان نفع الحديد في السلم بانشاء المصانع ونحوها فيه تقوية للامة وتعزيز لاقتصادها ، ومن ثم تمكينها من احراز النصر وتحقيقه .

وقد ورد في القرآن ما يدل على أن النصر من عند الله في كل حين ، فليس لرام في سبيل الله من رمية ، ولو كان الرامي رسول الله (ص) نفسه ! ، وانما هي رمية الله ، رمى بها أعداء الله :

« وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى »(١٥) .

ثم بين أن هذا النصر الذي هو من عند الله فيه اغناء للمؤمنين وعطاء حسن لهم لانه يكون مصدر خير ورزق لهم حين يغنمون من الاعداء ما يغنمون :

« وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً ان الله سميع عليم »(١٦) .

٢ ـ انه نصر متبادل بين المؤمنين وربهم :

فليس هو من طرف واحد بل هو قائم على التناصر بين طرفين : العبد

---

(١٤) الحديد : ٢٥ .
(١٥) الانفال : ١٧ .
(١٦) نفسها : ١٧ .

المؤمن من جهة ، وربه العزيز من جهة أخرى ، فلا يحرز المؤمن نصر ربه ، بحسب مفهوم القرآن وتقريره ، الا بنصرة المؤمن له . وليس لله حاجة بهذا النصر دون شك لانه هو الغني والناس كلهم فقراء له ، كما قال : « يا أيها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني ... »[١٧] ، الا أن هذا النصر فيه خير للمؤمن نفسه ، وفيه تحقيق لما يصبوا اليه من خير وعز . وقد ضمن الله له ذلك بشرط ان ينصره : بالاستقامة على دينه ، والدعوة اليه ، ومجاهدة عدوه ودفعه ، بكل ما أوتي من قوة وقدرة .

فالنصر اذاً متبادل كما بينا الا ان الفرق بين النصرين واضح ، من حيث ان العبد في حاجة لنصرة ربه له ، وليس للرب حاجة بنصرة عبده له ، وانما هو أمره أراده الله ، وشيء قدره ، وسنة ارتضاها في خلقه . فالقرآن يقول :

« ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »[١٨] .

فنصر الله للمؤمنين وتثبيت أقدامهم وتمكينهم من أعدائهم مشروط بنصرهم له ، في الآية الكريمة .

ولقد بين القرآن أيضا أن نصرة غير الله ونصرة عدوه والانداد التي اتخذت من دونه آلهة ، مآلها البوار وعاقبتها الخسران ، وذلك يتجلى في قصة أبي الانبياء ابراهيم عليه السلام . فحين سفه النبي الكريم آلهة قومه وبين خطلهم في تصورهم الاعتقادي ، حسبوا أنهم سينصرون آلهتهم بتحريقه ، الا انهم لم يستطيعوا الى ذلك سبيلا ، اذ نصر الله نبيه ، بأن جعل تلك النار بردا وسلاما عليه ، حتى غدت تلك النار المتأججة حدائق وارفة الضلال ، وبساتين يانعة الثمار . نقرأ ذلك في قوله تعالى :

---

(١٧) فاطر : ١٥ .

(١٨) محمد : ٧

« قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين • قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم » •

ثم عقب على ذلك بقوله :

« وارادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين »[١٩] •

فقابل كيدهم بخسارهم ، ولم يقل « الخاسرين » بل قال « الاخسرين » بصيغة « أفعل » التي هي من صيغ التفضيل ، فكانت خسارتهم لذلك بالغة ونصرته لنبيه واضحة •

٣ ـ **ان هذا النصر الرباني مضمون** لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فليس هو بنصر الانسان الضعيف العاجز لاخيه الانسان ، بل هو نصر الاله القادر الذي ليس كمثله شيء • فاذا نصر الاله العزيز الحكيم فلا غالب لمن نصر :

« ان ينصركم الله فلا غالب لكم »[٢٠] •

وجملة « لا غالب لكم » الواقعة جوابا للشرط في الآية الكريمة تفيد أنه لا يمكن أن يكون غالب مع نصر الله ، وقد أفادت « لا » النافية للجنس هذا المفهوم ، اذ هي تنفي أن يكون أحد غالبا للمؤمنين ان أراد الله نصرهم وغلبتهم •

واذ يكون النصر خاضعا لمشيئة الله وقدرته ، فان الخذلان يكون كذلك أيضاً • اذ لا ناصر للمؤمنين ، ان خذلهم الله ، من بعده ، وقد دل على ذلك الاستفهام الانكاري في قوله تعالى :

« وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده »[٢١] ؟

---

(١٩) الانبياء : ٦٨ •
(٢٠) آل عمران : ١٦٠ •
(٢١) نفسها : ١٦٠ •

لا أحد على الاطلاق .. فما النصر الا من عند الله ، وما الخذلان الا بما جنت أيدي المخذولين . وكل ذلك مرهون بمشيئته ولذلك أسباب ومسببات كما سنرى ذلك في كلام مقبل ، ان شاء الله . ولقد أدرك هذا المفهوم من قبل نبي الله نوح عليه السلام ، حين طلب اليه عتاة قومه ، مدفوعين بذهنية جاهلية صرفة ، وعقلية مادية خالصة ، أن يطرد الفقراء والمستضعفين الذين اتبعوه وآمنوا به ، من صفوف اتباعه وناصريه ، فما كان منه الا ان رد عليهم بروح النبي الكريم والداعية الواعي ، مستنكرا ما يقولون وما يطلبون في هذا الاستفهام الانكاري وهو يقول :

« ويا قومي من ينصرني من الله ان طردتهم أفلا تذكرون »[٢٢] ؟

كما أدرك ذلك نبي الله صالح عليه السلام من بعده ، وهو يخاطب قومه المنكرين عليه دعوته اياهم الى الله ، وقد كانوا يرجونه لغير ذلك فيما يزعمون فها هو يسألهم هذا السؤال المشفق الخائف من الله : « ويا قومي أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير »[٢٣] . كما أدرك مؤمن آل فرعون من بعدهما ذلك، وهو يخاطب قومه مذكرا اياهم بما لهم من ملك واستعلاء في الارض فيقول :

« يا قومي لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا »[٢٤] ؟

وقد جاء بأس الله آل فرعون ، وحل بهم العذاب ، فصاروا أثرا بعد عين ، اذ لم يكن لهم ناصر ولا معين :

« فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين »[٢٥] .

---

(٢٢) هود : ٣٠ .
(٢٣) هود : ٦٣ .
(٢٤) غافر : ٢٩ .
(٢٥) الدخان : ٢٩ .

وتعبير « فما بكت عليهم السماء والارض » كناية عن أنهم لا ناصر لهم ولا معين ، وفي الآية « تشخيص » للسماء والارض باسناد البكاء اليهما اسنادا مجازياً ، وهو في الحقيقة لما يعقل ، بل هو للانسان خاصة . ولكن مجازية التعبير عملت عملها في تحقيق المعنى واحداث تأثيره في النفس والوجدان . وقد ذكر الشريف المرتضى رحمه الله في أماليه وجوها أربعة في تفسير الآية الكريمة .

ولقد جعل الله هذا النصر الذي للمؤمنين حقاً عليه سبحانه ، اذ قال : « ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً الى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين »[٢٦] .

وفيه ما فيه من معاني تكريم المؤمنين ووضعهم في الموضع الذي يستحقونه .

وفي تقديم خبر كان « حقاً » على اسمها « نصر » اشعار بأهمية هذا الحق الذي للمؤمنين على الله ، وفيه تطمين لهم وتثبيت لموقفهم الجهادي بشتى أشكاله وصوره .

ومن هذا الوادي ما ورد في آيات تصبير النبي (ص) على ما يلقاه من عنت الكافرين وجحود المشركين من مثل قوله في أعقاب قصة نوح عليه السلام ونصر الله له على مكذبيه :

«فاصبر ان العاقبة للمتقين »[٢٧] ... وصبره في موضع آخر على الجهاد وتحقيق النصر : « فاصبر ان وعد الله حق »[٢٨] والصبر هنا ، وكما ورد في القرآن كله ، صبر ايجابي قائم على الكفاح والجهاد ثم انتظار

---

(٢٦) الروم : ٤٧ .

(٢٧) هود : ٤٩ .

(٢٨) غافر : ٧٧ .

النصرة دون كلل أو وهن • وليس هو ذلك الصبر « السلبي » الذي يفهمه كثير من المسلمين اليوم ، وهو القعود وايثار العافية بانتظار المعجزة •• فليس هذا من الصبر القرآني بشيء ، بل هو مفهوم طارىء على التصور الاسلامي من أساسه ، وبعيد كل البعد عنه •

قال النسفي في تفسير الآية الاولى :

« فاصبر : على تبليغ الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح • وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما كان لنوح ولقومه • « ان العاقبة » : في الفوز والنصر والغلبة « للمتقين » عن الشرك[٢٩] •

وقد بين القرآن أن الذين اتخذوا من دون الله آلهة يتقربون اليهم بالعبادة ويتزلفون اليها بالقرابين ، لا يجدون نصرة من تلك الآلهة ، حين يكونون بحاجة الى نصرتهم :

« فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة »[٣٠] كما أنكر على الجاهليين أن يحسبوا أن هذا الجند المزعوم ، جند الآلهة يصونهم ويحميهم من دون الرحمن الذي من رحمته نصره لعباده المؤمنين به وحده ، ويقرر ذلك في استفهام توبيخي قائلاً :

« أم من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن »[٣١] •• وهكذا يتبين لنا ان النصر الالهي ، كما يصوره القرآن الكريم ، ويحدد مفهومه بوضوح ، نصر مضمون ، وهو واقع لا محالة ، ما زال الناصر هو الله القوي العزيز الذي ليس كمثله شيء ولا يغلبه شيء •• وأن نصر غير الله أياً كان لا ضمان له ، لانه نصر العاجز الضعيف الذي قد لا يقوى على نصرة نفسه ، فكيف يقوى على نصرة غيره ؟!! ••

---

(٢٩) تفسير النسفي : ١٩٢/٢ ـ ١٩٣ • طبعة البابي الحلبي ـ القاهرة•
(٣٠) الاحقاف : ٢٨ •
(٣١) الملك : ٢٠ •

٤ ـ وهو نصر غير محدود بحدود الزمان والمكان والعدد :

بل هو مترام يتجاوز تلك الحدود ولا يقف عندها أو يتقيد بقيودها :

(أ) فأما كونه لا يتقيد بحدود الزمان والمكان ، فلانه يتناول الحياتين الدنيا والآخرة كليهما ، فهو في هذا خلاف النصر الذي قد يذوقه غير المؤمنين في وقت من الاوقات او طرف طارىء من الظروف على سبيل الاستدراج أو الامداد لهم ، والدرس البليغ والعظة العملية لخصمهم . تقرأ ذلك في قوله تعالى :

« انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد »[٣٤] .

وقيام الاشهاد كناية عن « يوم القيامة » ووقوف الناس بين يدي ربهم في الحشر للعقاب والثواب .

ولكي يجعل القرآن هذه المسألة ، مسألة نصر الله لرسله والذين آمنوا في الحياتين الدنيا والآخرة ، حقيقة راسخة في الاذهان قوية في الجنان ، فقد أكد الكلام في صدر الآية بمؤكدين هما (ان) و (اللام) ، ثم نسب ذلك النصر الى ذاته سبحانه بصيغة الجمع مستعملا الضمير « نا » ؛ ليدل على أن هذا الناصر عظيم وأنه القادر على منح هذا النصر المترامي الذي لا تحده حدود ولا تقيده قيود .

ثم بين أن وعد الله وكلمته قد سبقا بتحقيق النصر لعباده المرسلين وذوقهم حلاوته ولو بعد حين ، اذ قال :

« كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ان الله قوي عزيز »[٣٣]

---

(٣٢) غافر : ٥١ .

(٣٣) المجادلة : ٢١ .

كما بيّن ان وعده قد سبق لانبيائه وجنده من المؤمنين بنصرتهم على أعدائهم من الكافرين والجاحدين :

« ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين • انهم لهم المنصورون • وان جندنا لهم الغالبون »(٣٤) •

وفي هذا النصر ضرب من ضروب التكريم للمؤمنين ، اذ قرن القرآن الذين آمنوا في آية واحدة بالرسل ، وعطفهم عليهم في سياق واحد ، فوق ما في تحقق النصر من تغيير للاوضاع الشاذة ، من فكرية ونفسية وخلقية واجتماعية في المجتمعات الجاهلية ، وقلب للقيم الضعيفة والمنحرفة الى اخرى متينة سليمة ، عند حلول الدين الجديد •

ولانه سبحانه يعلم أن الانسان حريص على اجتناء المنفعة القريبة ، وانه راغب فيها ، وهي منفعة الدنيا ، فانه لم يعده بالنعيم القابل في عالم الغيب وهو الجنة فحسب ، بل قرن الى ذلك النصر المؤزر والفتح القريب في الدنيا • ثم بشره بذلك ليفرح به ويرتاح اليه ، الا انه شرط لذلك شروطا ، ووضع لتحصيله والفوز به قيودا : من الايمان بالله ورسوله ، والجهاد في سبيله بالاموال والانفس ، وبين ان ذلك خير للمؤمنين من تركه والاعراض عنه ، لو علموا فائدته ، وفقهوا نعمته •

ثم وعدهم في مقابل هذا بالجزاء الاوفى والنعمة العظمى وهما : غفران الذنوب ، ودخول الجنات التي تجري من تحتها الانهار ، والنزول في مساكن طيبة في اقامة دائمة لا ينقطع أمدها ! •• ووصف ذلك الذي ينالونه في الآخرة بالفوز العظيم الذي يعلو على كل فوز • فقال :

« يا ايها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير

---

(٣٤) الصافات : ١٧١ ـ ١٧٣ •

لكم ان كنتم تعلمون • يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين »[٣٥] •

وهـذا الجمع بين المتعتين القريبة والبعيدة في ترغيب المؤمنين بالجهاد يلحظ نفسية الانسان وما طبع عليه من حب للخير عاجل كما أسلفنا ، وهو عنصر من عناصر التشويق الى الجهاد والتحريض عليه في كتاب الله المبين •

(للبحث صلة)

(٣٥) الصف : ١٠ ـ ١٣ •

منهج التبيان في التفسير

صبيح حمود التميمي

السنة الرابعة

لابد لمن يريد أن يبحث في منهج تفسير تبيان الطوسي أن يبدأ بحثه في اعطاء فكرة عامة عن المؤلف ودراسته وتراثه الثقافي .

فالشيخ الطوسي مؤلف الكتاب هو محمد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بشيخ الطائفة[1] أو (رئيس الطائفة)[2] وفقيه الشيعة[3] ومتكلم الشيعة[4] وفقيه الامامية[5] .

ولد في شهر رمضان عام خمس وثمانين وثلثمائة للهجرة بطوس[6] .

أما دراسته : فيبدو أن محمد بن الحسن الذي عُرف فيما بعد – بالشيخ الطوسي – قد تلقى علومه على دورين :–

الدور الاول – في ايران (٠٠٠٠٠ – ٤٠٨هـ)

لا نستطيع تحديد بداية هذا الدور وكلما نعرفه انه انتهى بسنة

---

(١) اغابزرك ، محمد حسن ، مقدمة التبيان ج١ ص٤٤ .

(٢) الاردبيلي ، محمد علي ، جامع الرواة ج٢ (طهران ١٣٣٤) ص٩٥.

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٢ (بيروت ١٩٦٦) ص٩٧ .

(٤) ابن الجوزي ، عبدالرحمن ، المنتظم ج٨ (حيدر آباد ١٣٥٩) ص١٧٩ .

(٥) الاتابكي ، النجوم الزاهرة : ج٥ (القاهرة لا٠ت) ص٨٢ .

(٦) القمي عباس ، الكنز والالقاب ج٢ (صيدا ١٣٥٨) ص٣٥٧ .

(٤٠٨هـ) موعد سفره الى بغداد ، كذلك لم تسعفنا الروايات بالامكنة التي درس فيها هل هي طوس أم غيرها لكن الارجح هي طوس لانها موطن ولادته ولانها من مراكز العلم المهمة ـ حتى هذا اليوم ـ .

أما المادة الدراسية التي اكملها في هذا الدور فيظهر انها دراسة ذات مستوى عال ودليلنا على ذلك هو دراسته في المرحلة الثانية التي درس فيها مباشرة على أكابر الشيوخ في بغداد وعلى رأسهم الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) ثم السيد المرتضى (ت ٤٣٦هـ) وانتهى هذا الدور سنة (٤٠٨هـ)[٧] .

الدور الثاني ـ في بغداد (٤٠٨هـ ـ ٤٣٦هـ)

وهذا هو الدور التكميلي لدراسته فقد حل في بغداد وهو « ابن ثلاث وعشرين سنة »[٨] تلمذ فيها على يد الشيخ المفيد كبير الطائفة يومذاك ثم على يد السيد المرتضى بعد وفاة المفيد وكان السيد المرتضى يحوطه بعنايته ورعايته ، فكما كان يدر عليه الفكر والمعرفة كان يعمل على حل مشاكله المعاشية ، فقد روى انه خصص له في كل شهر اثنى عشر دينارا[٩] ، وكلا الشيخين قد اهتما بتلميذهما وبالغا له التوجيه والتعليم وتنبأ له بالنبوغ حتى اكتملت دراسته وأصبح يشار اليه بالبنان حتى في أيام شيوخه وما أن اختار الله سبحانه السيد المرتضى الى جواره حتى استقل شيخنا الطوسي على منصة رئاسة الطائفة سنة (٤٣٦هـ) نظرا لاكتمال مؤهلاتها الذاتية والعلمية ، وأصبحت داره الواقعة في الكرخ مأوى الوافدين من كل حدب وصوب وازدلفت اليه العلماء للاستنارة بفكره النير والارتواء من منهله العذب مما

---

(٧) الحلي ، الحسن بن يوسف ، الرجال (النجف ١٣٨٧) ص١٤٨ .

(٨) اغابزرك مقدمة التبيان ج١ ص ج .

(٩) ولعل هذا الامر هو احدى الادلة للرد على الكذب المفترى على السيد المرتضى من أنه بخيل وانه قدم عريضة للوزير المهلبي طالبا رفع ضريبة قدرها عشرين دينارا فلم يحفل به ولم يحترمه .

حدا بالخليفة : « القائم بأمر الله (ت ٤٦٧هـ) أن يجعل له كرسي الكلام والافادة والذي لا يجعل الا لوحيد عصره المبرز في العلم والمعرفة .

تراثه الثقافي :

تمتاز مؤلفات الشيخ بخصائص أهمها :ـ

أ ـ تعدد اغراضها وتنوع موضوعاتها .

فقد ألف الشيخ في معظم العلوم الاسلامية ومن بينها ـ الحديث ـ والتفسير والفقه والفقه المقارن وعلم الرجال والعبادات والادعية وعلم الاصول والتاريخ وعلم الكلام ويبدو أنه كان عالما موسوعيا تطرق الى فنون مختلفة الى درجة ان العلامة الحلي قال فيه : « صنف في كل فنون الاسلام »[١٠] .

ب ـ امتازت بالدقة العلمية والجدة في ابحاثها .

والى هذا يشير نفسه الى بعض ابحاثه ويقول : « لم يصنف مثله »[١١] « لم يعمل مثلها »[١٢] .

حـ ـ سمو منزلة مؤلفاته ومكانتها عند علماء طائفته وغيرهم :ـ وحسبها مكرمة ان يكون :

كتاباه ـ التهذيب والاستبصار ـ أصلان من الاصول الحديثية الاربعة[١٣] .

---

(١٠) الحلي ، الحسن بن يوسف ، الرجال ، ص١٤٨ .

(١١)و(١٢) الطوسي ، محمد بن الحسن ، الفهرست ص١٨٩ .

(١٣) يقول فيهما السيد محمد بهر العلوم (... واما في الحديث فاليه تشد الرحال ... وله فيه من الكتب الاربعة ... كتاب التهذيب وكتاب الاستبصار ولهما المزية الظاهرة باستقصاء ما يتعلق بالفروع من الاخبار خصوصا التهذيب فانه كان للفقيه .....)
(نقلا عن مقدمة التهذيب ج١ (النجف ١٣٧٨) ص٤٦)

وكتاباه ـ الرجال والفهرست ـ من الاصول المعوّل عليهـا في علم الرجال[١٤] .

وكتابه ـ الخلاف ـ الذي يعتبر مفخرة في الفقه المقارن[١٥] .

وكتابه ـ التبيان ـ هو من أمهات كتب التفسير[١٦] .

منهاجه في التفسير :

يستطيع الباحث ان يستنتج مما أورده العلماء حول مناهج التفسير أن يصنفها الى ثلاثة أقسام :ـ

الاول ـ مناهج التفسير بالمأثور :

فقد كانت كتب التفسير في نهاية القرن الاول والثاني معتمدة أسلوب التفسير بالمأثور متمثلـة بما روى عن ابن مسـعود (ت ٣٢هـ) وابن عباس (ت ٦٨هـ) وسعد بن جبير (ت ٩٤هـ) ومجاهد (ت ١٠٤هـ) وغيرهم .

الثاني ـ مناهج الاختصاص :

وينحصر هذا القسم في الكتب التي غلب عليها نزعات مؤلفيها فقد حفلت المكتبة القرآنية بتفاسير اهتمت بذكر القصص واستيفاء الاخبار .

وتفاسير بالغت في ذكر فروع الفقه وابوابه .

وتفاسير طفحت بالآراء الفلسفية وعلم الكلام .

---

(١٤) يختتم محمد أبو زهرة حديثه عن الفهرست ويقول (ولذلك حقت علينا تحيته وحق علينا اعلان تقديره مع مخالفتنا له في المذهب) كتاب الامام الصادق (القاهرة ... لا.ت) ص٤٥٩ .

(١٥) يقول ابو زهرة « وكتبه موسوعات فقهية وعلمية ودرس الفقه المقارن ولم تقتصر دراساته على فقه الامامية وعلومها » ص٤٤٨ .

(١٦) يقول الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) فيه (... وهو القدوة أستضيء بانواره وأطأ مواقع آثاره) مجمع البيان ج١ ص١٠ .

وتفاسير طغت عليها مسائل النحو والاعراب .

اذ يقول عنها الشيخ الطوسي :

« ... فان الزجاج والفراء ومن أشبههما من النحويين أفرغوا وسعهم فيما يتعلق بالاعراب والتصريف ومفضل بن سلمه وغيره استكثروا من علم اللغة واشتقاق الالفاظ والمتكلمين كأبي علي الجبائي وغيره صرفوا همتهم الى ما يتعلق بالمعاني الكلامية ... »[١٧] .

الثالث ـ مناهج عامة :

ويكمن هذا القسم في الكتب التفسيرية التي اعتمدت منهجية جديدة في التفسير ويمكن القول بأنها بدأت بكتاب (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) للمفسر الكبير محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) الذي ظهر في نهاية القرن الثالث والذي اتسم بشيء من معالم التطور في المنهاج فلم يول اهتمامه جانبا معينا كسلفه وانما حاول شمول الجوانب الاخرى اذ يقول الشيخ الطوسي فيه :

« ... فوجدت من شرع في تفسير القرآن من علماء الامة بين مطيل في جميع معانيه واستيعاب ما قيل فيه من فنونه كالطبري ... »[١٨] .

فتفسير الطبري كان الى الشمول واستيعاب التفصيلات أقرب منه الى الاختصار والايجاز ومع كون الطبري من مقلدة السلف معتمدا في تفسيره على المأثور فان منهاجه التفسيري قد اختلف عنهم بعض الاختلاف أما الخطوط العريضة لمنهاجه فيمكن حصرها بالنقاط التالية :

١ ـ ذكر الآية والتعقيب عليها بذكر أشهر الاقوال التي أثرت عن الصحابة والتابعين من سلف الامة في تفسيرها .

---

(١٧) التبيان ج١ ص١ .
(١٨) التبيان ج١ ص١ .

٢ ـ ايراد روايات اخرى متفاوتة الدرجة في الثقة والقوة في الآية كلها أو بعض اجزائها بناء على خلاف في القراءة أو اختلاف في التأويل .

٣ ـ الترجيح بين الروايات واختيار أولاها بالتقدمة[١٩] .

ومن ملاحظة النقاط الثلاث السابقة تبرز أهمية النقل عند الطبري ، وقد أخذ عليه بعض العلماء بانه قد « يسوق اخباراً بالاسانيد غير صحيحة ثم لا ينبه على عدم صحتها »[٢٠] .

ولكنهم يلتمسون له العذر بأنه قد « ذكر السند »[٢١] .

ويمكننا أن نستأنس بذكر مثالاً من تفسير الطبري

ولتكن الآية « في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً »[٢٢]

يذكر في تفسيرها

« أصل المرض : السقم ، ثم يقال ذلك في الاجساد والاديان فأخبر الله جل ثناؤه ان في قلوب المنافقين مرضاً ... مرض ما في قلوبهم من الاعتقاد... هو شكهم في أمر محمد وما جاء به من عند الله وتحيرهم فيه فلا هم بـه موقنون ايقان ايمان ولاهم له منكرون انكار شرك ..... ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن حميد ..... في قلوبهم مرض أي شك

..... عن ابن عباس قال المرض : النفاق

..... عن ابن مسعود ..... يقول : في قلوبهم شك

---

(١٩) مقدمة تفسير الطبري ج١ (القاهرة ١٣٧٣) ص٤ .
(٢٠)و(٢١) الزرقاني ، محمد عبدالعظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن (القاهرة ١٣٦١) ص٤٩٧ .
(٢٢) البقرة : ١٠ .

..... قال عبدالرحمن بن زيد ..... : هـذا مرض في الدين وليس مرضا في الاجساد قال : هم المنافقون

القول في تأويل قوله جل ثناؤه (فزادهم الله مرضا) .

..... فالمرض الذي اخبر الله جل ثناؤه عنهـم انـه زادهم على مرضهم هو نظير ما كان في قلوبهم من الشك والحيرة قبل الزيادة فزاد الله بما أحدث من حدوده وفرائضه التي لم يكن فرضها قبل الزيادة التي زادها المنافقين من الشك والحيرة .... كما زاد المؤمنين به الى ايمانهم .... واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون .

..... وذلك هو التأويل المجمع عليه

ذكر بعض من قال ذلك من أهل التأويل :

..... عن ابن عباس فزادهم الله مرضا اي شكا

..... عن قتادة ..... فزادهم الله ريبة وشكا في أمر الله

..... قال ابن زيد ..... زادهم رجساً

..... عن الربيع ..... زادهم الله شكاً . »[٢٣] اهـ

وتحت قائمة كتب المناهج العامة يندرج « كتاب التبيان في تفسير القرآن » للشيخ الطوسي (٤٦٠هـ) وهو موضوع بحثنا والذي يعتبر من أمهات كتب التفسير والذي اكتسى بمنهاج جديد في التفسير فلم يعد أحد مقلدة السلف في تفاسيرهم الحرفية بل اعتمد اسساً جديدة في تبيانه وهذا

---

(٢٣) تفسير الطبري ج١ ص١٢٠ ـ وما بعدها .

الكلام لا يعني عدم تأثره بالمناهج السابقة له بل يمكننا القول انه تأثر بها والتزم ببعض مناهجها ولكنه تأثر عن وعي وليس عن تقليد اذ يقول :

« ولا يجوز لأحد ان يقلد احدا منهم [اي المفسرين] »[٢٤]

ويمكن اجمال الخطوط الرئيسة لمنهجه الجديد بما هو آت[٢٥] :

١ ـ التفسير بالمأثور :

يمثل هذا الجانب منهج السلف في التفسير الذي التزم به الشيخ الطوسي ولكنه اختلف معهم في التطبيق وخطته مع الروايات تتجلى في الامور التالية :

أ ـ اعتماده روايات النبي (ص) والائمة (ع) باعتبار اقوالهم حجة كقول النبي (ص)[٢٦] .

ب ـ تدقيق الروايات وتمحيصها وقبول الاثر الصحيح[٢٧] .

وبناء على هذا الاساس فقد رفض كثيرا من روايات السلف وعدم اعتباره آراء الصحابة والتابعين حجة نحو : رفضه لما اطلق عليها بحكاية عطاء « ... الرحمن كان يختص الله تعالى به فلما تسمى مسيلمة بذلك صار الرحمن الرحيم مختصين به تعالى ولا يجتمعان لأحد [فيعقب الشيخ على

---

(٢٤) التبيان ج١ ص٦ .

(٢٥) استفدنا في هذا الموضوع من بحث سماحة العلامة الشيخ محمد حسن آل ياسين الذي قدمه للمؤتمر الالفي للشيخ الطوسي وهو مطبوع بشكل كراس باثنين واربعين صفحة تحت عنوان « منهج الطوسي في تفسير القرآن » .

(٢٧) التبيان ج١ ص٤ .

هذا] وهذا الذي ذكره ليس بصحيح ... »[٢٨] .

تضعيفه لرواية الفراء ومجاهد وابن جريج « في قوله وادعوا شهداءكم من دون الله »

قال ابن عباس : أراد أعوانكم على ما أنتم عليه ان كنتم صادقين

قال الفراء : أراد أدعوا آلهتكم

قال مجاهد وابن جريج : أراد قوماً يشهدون لكم بذلك من يقبل قولهم وقول ابن عباس أقوى »[٢٩] .

حـ ـ عدم قبوله التأويل بصورة مطلقة .

يقول في ذلك : « ولا ينبغي لأحد أن ينظر في تفسير آية لا ينبيء ظاهرها عن المراد تفصيلا او يقلد أحدا من المفسرين الا ان يكون التأويل مجمعاً عليه فيجب اتباعه لمكان الاجماع ... »[٣٠] .

٢ ـ الدليل العقلي في تفسير الشيخ الطوسي :

يقول الشيخ : « ولا يجوز لأحد أن يقلد أحدا منهم [أي المفسرين] بل ينبغي ان يرجع الى الأدلة الصحيحة اما العقلية أو الشرعية من اجماع عليه أو نقل متواتر به عمن يجب اتباع قوله ... »[٣١] .

وهذا الدليل يمثل الاساس في منهج الشيخ الطوسي في التفسير حيث اعتمد الادلة العقلية في تفسيره لكثير من الآيات القرآنية الكريمة وفي رده

---

(٢٨) التبيان ج١ ص٢٩ .

(٢٩) التبيان ج١ ص١٠٤ .

(٣٠) التبيان ج١ ص٦ .

(٣١) التبيان ج١ ص٦ .

على أنواع المبطلين ـ على حد تعبيره ـ كالمجبرة والمجسمة والخوارج وامثالهم .

واستخدام الشيخ الطوسي للأدلة العقلية شيء طبيعي ذلك لان الشيعة الامامية أقرب الى الحرية في التفكير واستخدام العقل من مقلدي السلف .

واليك الأمثلة التالية التي يظهر منها اعتماده على الجانب العقلي :

أ ـ تفسيره لبعض الآيات « في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا »

القراءة .....

اللغة والتفسير .....

قال أبو عبيدة المرض : الشك والنفاق ...

وأصل المرض : السقم في البدن فشبه ما في قلوبهم من النفاق والشك بمرض الاجساد

فان قيل : اذا كان معنى قوله (في قلوبهم مرض) اي شك ونفاق ثم قال [فزادهم الله مرضاً] ثبت ان الله يفعل الكفر بخلاف ما تذهبون اليه .

قيل : ليس الامر على ما ذكرتم بل معناه : ان المنافقين كانوا كلما أنزل الله آية أو سورة كفروا بها فازدادوا بذلك كفرا الى كفرهم وشكا الى شكهم فجاز لذلك ان يقال : فزادهم الله مرضاً لما ازدادوا هم مرضا عند نزول الآيات ومثل ذلك قول حكاية نوح [رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا][٣٢] .

فان قيل : فعلى هذا ينبغي ان يكون انزال الآيات مفسده لانهم يزدادون عند ذلك الكفر .

---

(٣٢) نوح : ٦ .

قلنا : ليس حد المفسده ما وقع عنده الفساد وانما المفسده ما وقع عندها الفساد ولولاها لم يقع ولم يكن تمكينا وهذا تمكين لهم من النظر في معجزاته ودلائله فلم يكن استفسادا .

ولو كان الامر على ما قالته المجبره : ان الله يخلق فيهم الكفر .

لقالت الكفار : ما ذنبنا ، والله تعالى يخلق فينا الكفر ويمنعنا من الايمان ، فلم تلو مونا على ما فعله الله ؟

فتكون الحجة لهم لا عليهم ، وذلك باطل والتقدير في الآية في اعتقاد قلوبهم الذي يعتقدونه في الدين والتصديق بنبيه مرض ، وحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ...

وروى عن ابن عباس أن المرض : المراد به الشك والنفاق وبه قال قتادة وعبدالرحمن بن زيد[٣٣] . اهـ

وبعد هذا العرض : يتضح الفارق بين ما عرضه الطبري في تفسير هذه الآية وبين ما عرضه الشيخ الطوسي ومنهاج كل منهم .

ب ـ وفي اعتماده العقل في التفسير : قبوله لفكرة كروية الارض في اثناء تفسيره للآية الكريمة : « الذي جعل لكم الارض فراشاً »

« واستدل ابو علي الجبائي بهذه الآية على ان الارض بسيطة ليست كرة ... لان الارض لا يجوز ان تكون كروية مع كون البحار فيها ... [قال الطوسي] وهذا لا يدل على ما قاله لان قول من قال الارض كروية ، معناه ان لجميعها شكل الكرة »[٣٤] .

جـ ـ وكذلك قبوله لفكرة نشوء السحاب من تبخر مياه الارض اذ يقول :ـ

---

(٣٣) التبيان ج١ ص٧١ وما بعدها .
(٣٤) ن.م ج١ ص١٠٢ ـ ١٠٣ .

« فان قيل هل السحاب بخارات تصعد في الارض ؟

قلنا ذلك جائز لا يقطـــع به ولا مانع ايضا من صـــــحته من دليل عقل ... »[٣٥]

ك ـ وبنفس الطريقة رد على التناســـخية[٣٦] والحشـــوية[٣٧] والخوارج[٣٨] والغلاة[٣٩] والفرق المخالفة لما ذهبت اليه الشيعة الامامية كافـة .

٣ ـ الجانب اللغوي :

من المعلوم ان الجوانب اللغوية هي من الامور التي يحتاجها المفســر من أجل اكتمال شخصيته العلمية سواء كان في النحو أو اللغة أو الاشتقاق أو الصرف .

وشيخنا الطوسي ـ كما يبدو من خلال تبيانه ـ انه يتصف بثقافة لغوية عالية ، لذا فقد أعار هذا الجانب كبير اهتمامه ويتجلى هذا فيما يأتي :

أ ـ ذكره معاني الالفاظ واشتقاقاتها اللغوية مع معانيها الجديدة نحو : « وأصل الصبر : هو منع النفس محابها وكفها عن هواها .

ومنه الصبر على المصيبة لكف نفسه عن الجزع . وقيل لشهر رمضان: الصبر لصبر صائمه عن الطعام والشراب نهارا .

وصبرت اياهم صبرة : حبسة لهم وكفه اياهم عنه كما يصبر الرجل القتيل فيحبسه عليه حتى يقتله صبرا يعني حبسة عليه حتى قتله .

---

(٣٥) ن.م ج٢ ص٥٨ .
(٣٦) ن.م ج٤ ص١٢٩ .
(٣٧) ن.م ج٧ ص٢٤٣ .
(٣٨) ن.م ج١٠ ص٣٦٦ .
(٣٩) ن.م ج٥ ص٩٣ .

والمقتول : مصبور ، والقتل : صابر ، والصبر والليث والحبس نظائر والصبر ضد الجزع ، وأنشد ابو العباس :

فان تصبرا فالصبر خير معيشة وان تجزعا فالامر ماتريان

ويقال : صبر صبرا ، وتصبر تصبرا ، واصطبر اصطبارا وتصابر تصابرا ومصابره مصابرة[٤٠] .

ب ـ ذكره نظائر الالفاظ وأضدادها . قال :

« الخشوع والخضوع والتذلل والاخبات نظائر »[٤١]

« المجازاة والمكافأة والمقابلة نظائر »[٤٢]

« العدل والحق والانصاف نظائر والعدل نقيض الجور »[٤٣]

« النصر والمعونة والتقوية نظائر وضد النصر الخذلان »[٤٤]

ـ بل احيانا يذكر الفرق بين النظائر نحو :ـ

« الدخول والولوج والاقتحام نظائر والفرق بين الدخول والاقتحام ان الاقتحام دخول على صعوبه »[٤٥]

جـ ـ استشهاده بآراء كبار اهل اللغة :ـ

وهذا ان دل على شيء انما يدل على الاطلاع الواسع اللغوي له وهم أمثال :

أبو عبيدة ـ ابو علي الفارسي ـ الفراء ـ ابو زيد ـ ابن الاعرابي ـ

---

(٤٠) التبيان ج١ ص٢٠٢ .
(٤١) ن.م ج١ ص٢٠٤ .
(٤٢) ن.م ج١ ص٢١١ .
(٤٣) ن.م ج١ ص٢١٥ .
(٤٤) ن.م ج١ ص٢١٦ .
(٤٥) ن.م ج١ ص٢٦١ .

سيبويه ـ أبو العباس ـ الزجاج ـ الاصمعي ـ الكسائي ـ ابن دريد ـ المبرد ـ صاحب العين (الخليل بن أحمد) وأضرابهم .

ومع علو كعب هؤلاء في علم اللغة فقد وجدنا الشيخ لم يقبل آرائهم بدون نظر وتدقيق ومحاكمة وترجيح ولم يقبل الا الرأي الشائع بين العلماء .

يقول : « ومتى كان التأويل يحتاج الى شاهد في اللغة فلا يقبل من الشاهد الا ما كان معلوما بين اهل اللغة شائعاً بينهم »[٤٦] .

وهناك أمثلة كثيرة حول مناقشته لآراء اهل اللغة نظير :ـ

١ ـ تعقيبه على رأى الكسائي

« .... وليس (ان) بمعنى « اذ » على ما حكاه الكسائي عن بعض المفسرين »[٤٧] .

٢ ـ تعقيبه على كلام ابى عبيده

في زيادة اذا في الآية « واذا قال ربك للملائكة ... »[٤٨]

اذ قال الشيخ « .... وهذا الذي ذكره ليس بصحيح »[٤٩]

أما استشهاداته الشعرية :

فيبدو انه كان يعيرها أهمية ثانوية اذ يقول :

« ... ولو لا عناد الملحدين وتعجرفهم لما احتيج الى الاحتجاج بالشعر وغيره للشيء المشتبه في القرآن ، لان غاية ذلك ان يستشهد عليه ببيت شعر

---

(٤٦) التبيان ج١ .
(٤٧) ن.م ج١ ص١٤٠ .
(٤٨) البقرة : ٣٠ .
(٤٩) التبيان ج١ ص١٢٨ .

جاهلي او لفظ منقول عن بعض الاعراب أو مثل سائر عن بعض اهل البادية ولا تكون منزلة النبي (ص) ـ وحاشاه من ذلك ـ اقل منزلة واحد من هؤلاء ...»[٥٠]

وفي نهاية هذا النص يشير الشيخ الى الحديث الشريف وعدم الاستشاد به. وهذه المسألة خلافية بين العلماء انقسموا فيها الى ثلاثة طوائف :

الاولى ـ منعت الاستشهاد به كابي عمر بن العلاء وعيسى بن عمر والكسائي وأدلتهم على ذلك هو :

أ ـ ان رواة الحديث جلهم من الموالي فلا يؤمن معهم من الخطأ واللحن .

ب ـ ان بعض الرواة يروون الحديث بالمعنى وهذا ينتج معه عدم اتقان اللفظ وضبطه .

والاول : هو مردود باعتبارهم قبلوا رواية الموالي في اللغة نظير سيبويه وأعتبر حجة .

والثاني : قيل ان اغلب الذين يروون بالمعنى هم من العرب ولا مانع من الاخذ منهم لصحة سليقتهم .

والثانية ـ اجازت الاستشهاد به كابن مالك .

والثالثة ـ أجازت الاستشهاد به مع توفر شرط الاعتناء بنقل الالفاظ وضبطها[٥١] . ويمكن القول ان الشيخ من الاوائل الذين دعوا الى الاستشهاد بالحديث مع توفر شرط الاعتناء وضبط الاثر وقبول

---

(٥٠) ن.م ج١ ص١٦ .

(٥١) راجع في هذا الصدد : مهدي المخزومي ـ مدرسة الكوفة (القاهرة ١٣٧٧هـ) ص٥٨ .

الصحيح منه فحسب .

٥ ـ الاعراب :

واستكمالاً لمنهجه فقد اهتم الشيخ بناحية الاعراب وقد يختلف هذا الاعراب ايجازا وتفصيلا بين آية واخرى .

فقد يوجز فيقول :

في قوله تعالى : « وما يخدعون الا انفسهم »

« الاعراب

الا انفسهم نصب على الاستثناء »[٥٢]

وقد يفصل اكثر من ذلك في قوله :

« ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون »[٥٣]

الاعراب :

وقوله تكتموا الحق يحتمل أمرين من الاعراب :

أحدهما : الجزم على النفي سبحانه قال : لا تلبسوا الحق ولا تكتموه .

والآخر : النصب عـــلى الظرف كأنه قال : لا تجمعوا اللبس والكتمان كما قال الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

ومثله : لا يسعني شيء ويعجز عنك وعند الخليل وسيبويه والاخفش ينصب مثل ذلك باضمار أن .... »[٥٤]

---

(٥٢) التبيان ج١ ص٦٨ .
(٥٣) البقرة : ٤٢ .
(٥٤) التبيان ج١ ص١٩١ ـ ١٩٢ .

وقد يبين احيانا خلاف النحويين كما في قوله تعالى : « واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئاً »[٥٥] .

الاعراب :

« موضع « لا تجزي » نصب لانه صفة يوم

والعائد عند الكسائي لا يكون الا هاء محذوفة من تجزيه

وقال بعضهم : لا يجوز الا فيه

وقال سيبويه والاخفش والزجاج « يجوز الامران »[٥٦]

٤ ـ القراءات :

ومن أجل اتمام منهج كتاب مقتصد يجتمع على جميع فنون علم القرآن كما أراد الشيخ فقد اهتم في القراءات محاولا ذكر القراءات التي قيلت في الفاظ الآية معتمدا بذلك على اشهر القراء ورواتهم أمثال :

عبدالله بن عامر الدمشقي (١١٨هـ)

وابن كثير المكي (١٢٠هـ)

وعاصم الكوفي (١٢٧ ـ ١٢٨هـ)

وابو عمر بن العلاء (١٥٤هـ)

وحمزة الكوفي (١٥٦هـ)

ونافع المدني (١٦٩هـ)

والكسائي الكوفي (١٨٩هـ)

ويعقوب بن اسحاق (٢٠٥هـ)

---

(٥٥) البقرة : ٤٨ .

(٥٦) التبيان ج١ ص٢١٠ .

وخلف بن هشام (٢٨٦هـ)

وامثالهم .

وعلى نفس نزعته التحقيقية لم يقبل قراءة هؤلاء مع شهرتهم الا بعد النظر والتدقيق فقد ضعف أو نقد بعض قراءاتهم نحو :

« في قوله والذين يؤمنون بما انزل اليك ... »[٥٧]

لا يمد القراء الالف من ـ ما ـ الا حمزة فان مدها وقد لحن في ذلك[٥٨] .

وقد خطأ قراءة أبي وعبدالله اذ قال في معرض تفسيره للآية

« ولا تسأل عن اصحاب الجحيم »[٥٩]

« وموضع تسأل يحتمل أمرين :ـ

أحدها : ان يكون استئنافاً ولا موضع له .

والآخر : ان يكون حالاً .... وانكر قوم الحال واعلنوا ان في قراءة أبي « وما تسأل » وفي قراءة عبدالله « ولن تسأل »

[قال الشيخ] وهذا غير صحيح .... »[٦٠]

ومضافا الى ذلك فقد بين الشيخ اختلاف القراء نحو :

« قرأ عاصم والكسائي وخلف ويعقوب « مالك » بالالف . الباقون

---

(٥٧) البقرة : ٤ .

(٥٨) التبيان ج١ ص٥٧ .

(٥٩) البقرة : ١٢٠ .

(٦٠) التبيان ج١ ص٤٣٧ .

- ملك - بغير ألف ولم يَسمِل أحد ألف مالك ذكر جميعهم الكاف وروى عن الاعمش انه فتحها على النداء ... »[٦١]

والى هنا يمكننا ان نختم حديثنا عن منهاج الشيخ في التفسير بهذه الصورة السريعة الموجزة تأمل ان نعود في حديث ثان أوسع منه ان شاء الله تعالـــــى .

صبيح حمود التميمي

السنة الرابعة

قال الامام علي عليه السلام

بين الحق والباطل مسيرة اربعة اصابع

قيل كيف :

قال الحق ما تراه والباطل ما تسمعه

(٦١) ن.م ج١ ص٣٣ .

اساليب الدعوة العامة للأنبياء
في القرآن الكريم

عباس حمودي علي
بكالوريوس آداب من كلية اصول الدين

لا شك ان مهمة الرسالات الالهية جميعا تلتقي عند هدف مشترك يتمثل في ظل عقيدة التوحيد والدعوة الى الله سبحانه بكل الوسائل والاساليب التي اتبعها الانبياء والرسل (عليهم السلام) من أجل تبني الخط الواعي للايمان بالله وانقاذ البشرية من براثن الجهل والشرك .

فرغم مرور الرسالات في ظل هذا الخط المشترك تتباين الملامح العامة لظروف التجربة والمواجهة الفعلية التي تمر بها كل رسالة وخاصة موسى وعيسى (عليهما السلام) وربطها بالرسالة الخاتمة (الرسالة الاسلامية) .

فخط التوحيد الذي ظل يتصاعد دائما وأبدا وباستمرار الى مستوى الشعور والوعي بعمق المسؤولية الى زمن النبي محمد (ص) وعظمة الرسالة وابعادها وشمولها لزم منها مرور التجارب الكفيلة والاستعداد لتلقي أضخم رسالة على وجه الارض .

ومما لا شك فيه ان نجد القرآن الكريم يحدثنا بلهجة الواثق المطمئن في عرض الاساليب والوسائل التي سلكها الانبياء (عليهم السلام) لتلقي هذه الصلة المشتركة في وحدة العقيدة والمبدأ كخط عام للرسالات عامة ، اضافة الى الموعظة والذكرى والتفكير والبشرى والانقاذ والعناية الالهية في

تسديد النبي ورسالته •

والنظرة المبدئية التي يؤكد عليها الانبياء بشكل قطع هي مسألة الايمان بالله والواحدانية كطريق عام للرسالة لان هذه المسألة بدورها تمثل في دعوات الانبياء المنحى الروحي والفكري ولذلك لا يكتفى في طرح هذه الفكرة ويطلب من الناس الايمان الساذج المقلد نتيجة وجود المعجزة بل انهم كانوا يؤكدون على مسالة الايمان بالله سبحانه والمسائل الغيبية الاخرى انها شيء فطري ينبع من ذات الانسان ووجدانه عن طريق البرهان والعقل وان كنا لا ننكر ما للمعجزة من تأثير في ربط الانسان بعالم الغيب المنظور •

وعند ذلك نجد مصاديق هذه المسألة متمثلة في تاريخ الديانتين السابقتين اليهودية والمسيحية ، ومن خلال ذلك نستطيع ان نحدد بعض الملامح العامة وان كنا لا نملك وثائق معينة مضبوطة غير طريق القرآن الكريم لاننا نشك في كثير من كتب هاتين الديانتين حيث أشار القرآن الى هذا الزيغ والتحريف بشكل واضح [أفتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون] البقرة : ٧٥ •

فقد تعرض القرآن الكريم أيضا الى ردود الفعل المعاكس والمواجهة القاسية والعبء الثقيل الذي ينم عن وضعية الانحراف الذي يحدثه تيار المواجهة هذه بين أنصار الفكرة الصالحة المؤمنة وبين حماية المصالح الوضعية التي تؤكد الابتعاد والتصدي من جانب الكافرين بالرسالة ولذلك نجد من نتائج ظروف المواجهة هذه ان يتخذ الانبياء عملية كسر لطوق أفكار الجاهلين في واقع يقتضي الاصرار والتحدي من أجل تطبيق الفكرة الصالحة في الارض • وهذا المفهوم عن الصراع بين تطبيق الفكرة والانحراف عنها نتيجة طبيعية للصراع الفكري والسياسي على ضوء الظروف

والمراحل التي تمر بها الرسالة الالهية ومدى نجاح النبي في دعوته والمعارضة التي تصطدم بها • فموسى (ع) القائد المنقذ والنبي العطوف الذي يأخذ قومه باللين تارة وبالعنف تارة أخرى نجد ذلك في مواقف بني اسرائيل فبعد أن انجاهم الله من العذاب وخلصهم من فرعون وسطوته ، وبعد أن منّ الله عليهم بالمن والسلوى ، وفي الوقت الذي انقذهم من الذل والاستعباد تظهر بوادر الانحراف الخطيرة منهم في أدق المواقف حراجه ويفاجأ موسى (ع) بمأساة أمة ثائهة لم يجد منها غير الحوار والخذلان وعوامل الضعف والاستخذاء في كل موقف [اذهب أنت وربك فقاتلا انّا ههنا قاعدون] وبعد ان استغفر لهم موسى اكرمهم الله خير مقام اكرمهم بطعام تشتهيه الانفس وتلذ به الاعين ومع ذلك أبت نفوسهم الملتوية الا ان يرضعوا مع الحيوانات ويأكلوا مما تأكل البهائم والانعام [أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير] ٦١ : البقرة •

فقد عافت نفوسهم كل خير وهدى وصلاح وأصروا على عادة العجل، وسرعان ما وجدنا آثار الانحراف تطفو الى السطح بمختلف الرواسب الوثنية وعدم التنازل عن وضعيتهم الاجتماعية السابقة •

وعيسى (ع) مثال النبي الذي حقق الله على يديه أنبل الغايات والمشاعر من هدى وصلاح ، والمبلغ الحكيم بدعوة الله وتوحيده المطلق [اني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيا] [ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم] كذلك يجد السيد المسيح (ع) نفسه أمام حدث مريع له خطورته في تاريخ رسالته حينما يتواجد الشعور المنخفض وتشويه الصورة عن توحيد الله وآثار تجسد الاله وتعدده ، وهذا بدوره يشكل بداية الانحراف في المسيحية والميل الى الطابع الوثني ، اضافة الى ذلك نجد السيد المسيح (ع) يحس حتى من أقرب الناس اليه يكفرون برسالته فطالبهم بالعهد أن يؤمنوا حيث جعلوه أحد ثلاثة وأشار الى كفرهم [لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من

اله الا اله واحد] كما أشار القرآن الكريم الى المسيح (ع) حيث أنه جاء مصدقا لما بين يديه من التوراة [واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة] وأكد على الرسول الذي يأتي من بعده في قوله تعالى [ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد] ولقد نزه الله عيسى عن كفرهم وطغيانهم حيث ان اليهود قالوا عزير ابن الله كما قالت النصارى المسيح ابن الله في قوله تعالى [وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله آنى يؤفكون] المائدة : ٧٨ •

ومن خلال هذا العرض الموجز نرى القرآن الكريم يتحدث عن بعض المواقف الجديرة بالعناية والملاحظة من خلال سيرة الانبياء (عليهم السلام) ونود أن نشير هنا الى بعض هذه المواقف لتتكامل الصورة العامة عن توحيد الله وتتجلى أكثر حينما نعرض بقية المشاهد القرآنية •

فقد يكون التحدي هو الطبيعة البارزة وفي ظل أشد المواقف تعنتاً ، اضافة الى ذلك نجد المواقف الهادئة التي تأخذ بالالباب والعقول ، وهذا أمر نجد مصاديقه في ابراهيم (ع) حينما عبر عنه القرآن الكريم بانه أمة من الناس (لان العذاب الذي كان يلقاه يتطلب مزيدا من العناء وبذل النفس ولانه كان يواجه مجتمعا مليئاً بالافات والاساطير ، ففي ظل ظروف المواجهة القاسية هذه يبنى ابراهيم (ع) أمتن العلاقات مع الله ويلتجيء اليه في كل حال وقضية وعلى أساس هذا التعامل يجد نفسه أمام اكبر نصر يحققه الله له (يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم) وحين نجد تصدي ابراهيم (ع) للافكار الوثنية التي دك حصونها لا لأنها تمثل شكلاً ونوعاً من انواع العبادة بل هي تمثل اتجاهاً خطيراً يشكل أعلى مستويات الانحطاط الفكري والابتعاد عن كل القيم الانسانية • وان هذه الاصنام الجامدة التي أضلت الكثير من الناس ايجاد وتبرير مصطنع لاستمرار هذا التيار الوثني ونموه في المجتمع

[رب انهن اضللن كثيرا من الناس] وازاء هذا اللون من الانحراف الذي قارعه ابراهيم (ع) تتباين مختلف المواقف فقد يتمثل بالمناقشة المنطقية أحياناً كما أشرنا [قالوا أأنت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فأسألوهم ان كانوا ينطقون] ويظهر هذا الموقف بجلاء مع نمرود الطاغية [ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الملك اذ قال يا ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا احيي وأميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر] البقرة : ٢٦٠ • ونشاهد ابراهيم مع أبيه في أدب المخاطبة ومعاملته الحسنى نموذج الهدوء والتسامح والحلم [ان ابراهيم لحليم أواه منيب] فهو يتلقى التهديد والوعيد من أبيه [أراغب أنت عن الهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا] • فلا يجد مقابلة غير الطيبة المتسامحة الوادعة والرد الهادي بما يقتضيه حنان الابوة من مقام [قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا ولذا آثر ابراهيم الاعتزال طويلا مع النفر الذي آمن به !! الى أين ••• [ربنا اني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم] وبقدر هذا الارتفاع الروحي وتصعيد قوة الايمان بالله نجد الشعور العميق والوعي الرسالي على ان يعيش في ظل الايمان الطاهر ويترفع عن بحبوحة الترف المادي ويتحمل جشوبة العيش ليلتقي بآمال كبار ترتفع به عن الخسة والدناءة حيث يشهد ابراهيم (ع) هذا الدعاء ليجعل من الافئدة الضامئة تتهاوى الى الخير والهدى والصلاح ، فكبير فرق بين تطلعات الايمان المتصاعدة السامية وبين تطلعات الهوى والزيغ المتهاوية •

ونحن أيضا أمام عناية الله لانبيائه (عليهم السلام) وتسديده لهم في كل المواقف وان نهاية المعركة تكون في صالحهم •

وليجد القرآن الكريم في يوسف النبي (ع) نموذج الرجل الواعي

حينما يلاقي العنت والمراودة وينتصر في النهاية على اغراءات الشيطان والنفس الامارة بالسوء ، ففي عفة يوسف وطهارته ملك نفسه من ان تتهاوى وتسقط نحو الانحدار ، وهو كذلك مثال الاداري القدير في شؤون الحياة الاقتصادية وتبنيه لسائر المعاملات الصادقة النبيلة .

ولنجد أيضا في أيوب (ع) الشخصية الصابرة الممتحنة عند نزول البلاء وفي كل حال ومنعطف [انا وجدناه صابرا فنعم العبد انه أواب] .

وفي سليمان النبي القائد الذي سخر الله له بقدرته ما يشاء وحقق على يديه شرف الغايات والمساعي الانسانية نحو الايمان المطلق بقوة الله تعالى [ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين] .

ونوح (ع) النبي البار الذي بارك الله له في دعوته فانجاه والمؤمنين معه في الفلك واغرق الذين كذبوا بآيات الله [فانجيناه والذين معه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا] ومن هذا المنطلق يتحدث القرآن الكريم عن سيرة الانبياء وأساليبهم ومواقفهم نجد التأكيد والدعم والتثبيت لقلب النبي محمد (ص) لان في سرد عبر الانبياء واقوامهم تثبيت للرسالة الخاتمة ولقائدها العظيم وللمؤمنين به [وكلاً نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك] .

لقد كان التخطيط والامداد الالهي الذي ساهم في اكمال الوعي التوحيدي عن الله تعالى بالشكل الذي وصل على يد منقذ البشرية (ص) ودعوته البناءة لتنتشل البشرية من مهاوي الانحدار والسقوط والتخلف الذي عانته خلال مسيرتها التاريخية أكبر الاثر في ايجاد أضخم رسالة سماوية تتحدى المنطق الجاهلي وتحرره من عبودية الهوى والطاغوت .

فمن الطبيعي ان يواجه النبي الكريم (ص) أمثال ما لاقاه الانبياء

والرسل مع أقوامهم حين يجد التصورات والتطلعات المنحرفة من الكافرين وليجد أيضا التصدي والتدين المنحرف الذي افتعله أهل الكتاب [ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى]، وليس غريبا ان تكون هذه المواقف المتخاذلة عقبات في طريق الرسالة ، فمهما وضع الجاهلون من عقبات فلن يزداد المؤمنون الا رفعة واقداما لمواصلة السير ، كما ان الصبر والثبات والحزم وتحمل الاذى طريق طبيعي لئن تغلغل الرسالة وتشق طريقها في صفوف المجتمع وهذا أمر تحمله الانبياء والرسل السابقون [فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل] • وليس جديدا ان يلقى النبي من أهل الكتاب الاسئلة الواهية التي توضح التخاذل والجبن والهروب فقد واجهوا من قبل الرسل باكثر من ذلك [يسئلك أهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم] النساء : ١٥٣ •

وليس أمرا غريبا ان تلاقي الدعوة المنت والمطاردة والمعارضة بشتى اشكالها اذ ليس من السهل ان نجد الاعباء الثقيلة التي تحملها الانبياء (ع) من أجل السير بالرسالة في الخط الالهي المرسوم والصمود مهما كانت النتائج ومهما تعددت اساليب المواجهة كان لها الاثر الفعال في مدى النجاح والتأييد والنصرة من جانب المؤمنين بالرسالة •

شروط النصر

« ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم »

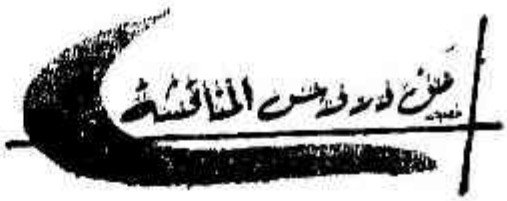

أُسس التفاضل
في المجتمع الإسلامي

محمد عبدالرضا محمد جواد

السنة الثانية

لكل مجتمع من المجتمعات في الزمن الماضي والحاضر أسساً يتمايز عندها ابناء ذلك المجتمع بعضهم عن البعض الآخر ، فمن كان حائزا على فضيلة معتبرة لديه فهو المقدم على غيره الذي يستحق درجةً أعلى من غيره في كثير من نواحي الحياة الاجتماعية والسياسية .

فمن المجتمعات من يجعل القوة اساساً للتفاضل بين ابنائه ، ومنهم من يجعل الثروة أو الجاه ، ومنهم من يجعل النسب والمحسوبية وهكذا تختلف الشعوب والمجتمعات كل حسب نظرتها للامور وما تعارفوا عليه ، وفي تقريرنا هذا بيان لما يمكن بيانه للاسس التي يتفاضل فيها ابناء المجتمع الاسلامي فيما بينهم ، هذه الاسس التي جعلها الاسلام مقاسا فاصلا وحدا تعرف عنده الافضلية والسبق لمن كان يتصف بها وهي التقوى ، والعلم ،

---

(١) من دروس المناقشة التي اجريت باشراف المحاضر السيد محمد عبد الساعدي للعام الدراسي ٦٩ ـ ١٩٧٠ والتي نشرت تباعا على صفحات المجلة .

والجهاد ، وسنذكر الادلة التي اعتمدنا عليها في ذلك من الكتاب العزيز والسنة النبوية واقوال علماء الاسلام وما يوحي به العقل لدليل القاطع على سلامة وصحة هذه الاسس القويمة التي يتفاضل على اساسها المجتمع الاسلامي الذي لابد من ان يكون قدوة لغيره من المجتمعات (وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) .

« سورة البقرة ـ آية ١٢٣ »

ان اي مجتمع على وجه الأرض يختلف ابناؤه في كثير من النواحي والشؤون في المال والجاه والعلم والاخلاق والقوة والكبرياء وغيرها من الاختلافات الاخرى ، ولا نجد مجتمعا يتحد في احواله وشؤونه مطلقا لان طبيعة الناس ان يختلفوا من هذه النواحي لينتظم سيره ولتستتب اموره واحواله وليتم التعاون بين أفراده الغني يساعد المحتاج والقوي يساند الضعيف وهكذا .

ولقد كانت الجاهلية تعتبر الشرف هو مقياس التفاضل بين ابناء المجتمع والمقصود عندهم بالشرف انما هي القوة لانها الوسيلة التي يمكنه من الدفاع عن نفسه وكذلك الحصول على ما عند الآخرين لكي تبقى وتعيش ، وقد ذكر الدكتور باقر عبدالغني ذلك بقوله (وقد اعطى المجتمع القبلي للقوة في جميع مظاهرها الجزء الاكبر من همه واهتمامه . وذلك حين رأى فيها الوسيلة الوحيدة التي تمكنه من حماية نفسه أو التي تستطيع معها المجموعة منه أن تستولي على ما بأيدي الآخرين من أجل ان تعيش وتبقى على الأرض . وقد اتخذت القوة مظاهر واشكالا منها كثرة العدد في القبيلة اذ أن كثرة عدد افرادها تشير الى كثرة المحاربين الذين هم مادة القتال الاولى . ومن مظاهر القوة كثرة الوقائع التي خاضتها الامر الذي يدل على انها لم تكن ضئيلة الشأن خاملة الذكر ، ورباط الخيل الاصيلة والرماح والسيوف المرهفة وكثرة الفرسان في القبيلة كل ذلك من مظاهر القوة فيها .

وكذلك الشجاعة الفردية)[1] .

ومن هذا يتبين ان القوة التي اعطاها المجتمع الجاهلي هذه الاهمية كان السبب في ذلك حاجتهم اليها في الدفاع عن انفسهم من الغارات المستمرة التي كانت تشن عليهم من قبل القبائل الاخرى وللحصول على ما في ايدي الآخرين لديمومة حياتهم وعيشهم ، اذاً كانت الحاجة هي السبب ، واما المجتمع الذي تلا ذلك المجتمع ـ اي المجتمع الاسلامي ـ فقد انقلبت المفاهيم فيه رأساً على عقب ولم تعد للقوة والسيطرة تلك الاهمية بحيث تكون من الدرجة العليا لديه بل لقد جعل الاسلام اسساً أخرى اعطاها اهمية كبرى وجعلها مقياساً للتفاضل ، والاسلام انما نظر في عوامل تقدم المجتمع ورفعته من الجاهلية الجهلاء الى عالم الهداية والنور ، فاعطى التقوى ميزة لابناء المجتمع تفضل صاحبها على غيره لا فرق لقوي على ضعيف ، ولا غني على فقير ، أو عربي على اعجمي ، فقال تعالى موضحاً هذه الحقيقة الناصعة (ان اكرمكم عند الله اتقاكم)[2] .

وقال رسوله النبي الكريم (لا فرق لعربي على أعجمي الا بالتقوى)[3] فتقوى الله سبحانه هي الانتهاء عما حرم ومنع حفظا للنفس من الوقوع في المهالك الدنيوية والعقوبات الاخروية ، والعمل بالواجبات التي ندب اليها وحث عليها تعالى شأنه ، لأيصاله الى ما فيه خيره وسعادته في الدنيا وحصوله على النعيم الدائم في الآخرة كما قال أمير المؤمنين الامام علي (ع) (فان التقوى لله مفتاح سداد ، وذخيرة معاد ، وعتق من كل ملكة ، ونجاة من كل هلكة بها ينجح الطالب ، وينجو الهارب ، وتنال الرغائب فاعملوا والعمل

---

(١) محاضرات في الادب الاسلامي والاموي ص٣ .

(٢) سورة الحجرات ـ آية ١٣ .

(٣) حديث شريف .

يرفع ، والتوبة تنفع ، والدعاء يسمع)[٤] .

وقد حث الائمة (ع) تبعاً لجدهم امير المؤمنين (ع) على التمسك بالتقوى ، وعدم صدق التشيع على من لم يتمسك بهذه الخصلة كما ورد عن الامام الباقر (ع) قوله لجابر (يا جابر ايكتفي من انتحل التشيع ان يقول بحبنا اهل البيت فوالله ما شيعتنا الا من اتقى الله واطاعه)[٥] .

وهكذا الامام الصادق (ع) الذي كان يحرص على تمسكهم بالتقوى الى جنب طلبهم للعلم (بل كان [الامام الصادق] يحرص على رفعهم من ناحية روحية وسلوكية ، قال (ع) يخاطبهم [تلامذته] : (اوصيكم بتقوى الله ، واجتناب معاصيه ، واداء الامانة لمن ائتمنكم ، وحسن الصحبة لمن صحبتموه ، وان تكونوا لنا دعاة صامتين)[٦] .

وقد اعتبر الاسلام في الشهادة وصفات الشاهد العدالة وكذلك القاضي يجب ان تتوفر فيه العدالة والمجتهد كذلك .

وما العدالة المعتبرة الا الملكة النفسية التي تحفظ الانسن من الوقوع فيما يخالف الشرع وترك ما أوجبه . فالتقوى اذاً هي المقياس الاول الذي اعتمده الشارع المقدس في مثل هذه الشؤون اظهارا لاهميتها وتأكيدا على الالتزام بها .

اما الاساس الثاني من اسس التفاضل بين المجتمع الاسلامي والتي اعطاها من الاهمية والمكانة العظمى ما جعل من المجتمع سابقا وحاضرا يجهد نفسه للحصول عليه أو لتهيأة من يقوم به ذلك هو العلم الذي لا يستوي فيه مع الجاهل به كما ورد في القرآن الكريم (هل يستوي الذين يعلمون

---

(٤) نهج البلاغة ج٢ ص٢٢٣ .
(٥) رسالة الاسلام ج٢ سنة ١ ، ص٦٣ .
(٦) رسالة الاسلام ج١ س١ ، ص٢٦ .

والذين لا يعلمون)[٧] كما جعل القرآن الكريم الخشية من الله سبحانه وتعالى تتوقف على مدى علم الانسان بعظمة المخشي منه وماله من الشؤون ومن عظيم مخلوقاته (الم تر ان الله انزل من السماء ماءً فاخرجنا به ثمرات مختلفاً الوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ، ان الله عزيز غفور)[٨] .

فبعد ان بين عظيم خلقه انهى الآية الكريمة بقوله (انما يخشى الله من عباده العلماء) وذلك لان (العلماء الذين يتلونه ويدركونه ويتدبرونه هم الذين يخشون الله ويخافوه اكثر من غيرهم من عباد الله : اذ ان العلماء هم الذين يفهمون عن تعقل هذا النظام الكوني الدّقيق المدهش ومن ثم يعرفون الله معرفة حقيقيـة . يعرفونـه بآثار صـنعته ويدركونـه بآثار قدرته ، ويستشعرون حقيقة عظمته برؤية حقيقة ابداعه ومن ثم يخشونه حقاً ويتقونه صدقاً ويعبدونه عن يقين . لا بالشعور الغامض الذي يجده القلب امام روعة الكون ... فمعنى الآية أذن هو ان العلماء من مجموع عباد الله هم اكثر من غيرهم يخشون الله خشية حقيقية واضحة لانهم أدركوا قدرته وعظمته بعمق علمي مؤكد بالادلة الظاهرة البينة)[٩] وقد مدحت الآيات القرآنية اهل العلم في كثير من مواضع القرآن الكريم كقوله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات)[١٠] ، وقوله تعالى (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا)[١١] وكذا قوله تعالى

---

(٧) سورة الزمر ـ آية ٩ .

(٨) سورة فاطر (٢٧ ، ٢٨) .

(٩) اجوبة المسائل الدينية ج٣ ، ٤ م١٣ ص١٠٥ .

(١٠) سورة المجادلة ـ آية ١١ .

(١١) سورة البقرة ـ آية ٢٦٩ .

(شهدا الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائماً بالقسط لا اله الا هو الحي القيوم)[١٢] ومن هذه الآيات يتبين فضل اولي لعلم على غيرهم وكيف يرفع الله الذين اوتوا العلم درجات على غيرهم من المؤمنين ، ومن تفضله تعالى شأنه على الانسان ان آتاه الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا كما قال جل شأنه .

وقد ورد في السنة النبوية والاحاديث الشريفة ما يميز اهل العلم على غيرهم في الآيات وحث كثيرا (ص) على طلبه حتى مع تحمل المشاق فقال (ص) [اطلبوا العلم ولو كان في الصين][١٣] وقوله (ص) (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة)[١٤] .

بالاضافة الى ان تقدم الامة الاسلامية ورقيها انما هو بالعلم لان (العالم الاسلامي يمكنه النهوض والرقي واللحاق بالامم العزيزة الغالبة اذا اراد المسلمون ووطنوا انفسهم عليه ، ولا يزيدهم الاسلام الا بصيرة فيه وعزماً ، ولن يجدوا لانفسهم حافزا على العلم والفن خيرا من القرآن الذي يقول (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)[١٥] .

هذا وقد جعل الاسلام العمل بالعلم هو الذي يحقق الافضلية لا مجرد العلم كما جاء ذلك على لسان امير المؤمنين (ع) (يا حملة العلم اتحملونه فانما العلم لمن علم ثم عمل بما علم ووافق عمله علمه)[١٦] . ولقد (اثار نزعة

---

(١٢) سورة آل عمران ـ آية ١٨ .

(١٣) حديث شريف .

(١٤) جامع السعادات . الشيخ محمد مهدي الفراقي ج١ ص١١٣ .

(١٥) لماذا تأخر المسلمون ـ الامير شكيب ارسلان . ص١١٧ ، دار الفكر ـ بيروت .

(١٦) ملامح من عبقرية الامام ـ الدكتور مهدي محبوبة ص١٤ ، ١٥ .

السيادة وهي نزعة طبيعية في الانسان ولكنه اثارها في مكمن العلم اذ يرتفع به حيث يريد ان يسود بجدارة وحق وسيادة العلم هي السيادة الحقة في عرض الامام (تعلموا العلم صغارا تسودوا كبارا)[١٧] .

وحتى مصارف الحقوق جعل المجتهد يصرف منها على طلبة العلم لما لهم من التأثير في توجيه الناس وارشادهم نحو الصراط المستقيم والدين الحق (ومن اهم مصارفه في هذا الزمان الذي قل فيه المرشدون والمسترشدون اقامة دعائم الدين ورفع اعلامه وترويج الشرع المقدس ونشر قواعده واحكامه ومؤنة أهل العلم في تعليم الجاهلين وارشاد الضالين ونصح المؤمنين ووعظهم واصلاح ذات بينهم)[١٨] وهكذا نرى الامام الحكيم دام ظله قد اعطى العلم والعلماء الدرجة العليا من الاهمية وما ينبغي من الاكرام لهم وتهيأة الظروف الملائمة المساعدة للحصول على العلم الذي به يتقوم الدين وتصلح الامة .

اما الاساس الثالث من اسس التفاضل فهو الجهاد الذي ندب اليه القرآن الكريم في آيات كثيرة منها قوله تعالى (وجاهدوا في سبيل الله)[١٩] وكذا قوله تعالى (هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون)[٢٠] .

فمن هاتين الآيتين الكريمتين يتبين لنا مدى ما حث عليه الله سبحانه المؤمنين من جهاد بالمال والنفس واعتبره تجارة رابحة تنجيهم من العذاب الاليم .

---

(١٧) نفس المصدر السابق .
(١٨) منهاج الصالحين ، السيد محسن الحكيم ج١ ص٢٧٥ ـ النجف .
(١٩) سورة البقرة ـ آية ٢١٨ .
(٢٠) سورة الصف ـ آية ١٠ ، ١١ .

اما امير المؤمنين الامام علي (ع) فقد كان مثالاً في جهاد اعداء الاسلام حتى جعله باباً من ابواب الجنة (أما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة ، فمن تركه رغبةً عنه البسه الله ثوب الذل وشمله البلاء وديث بالصـــغار والقمـاءة)[٢١] .

والجهاد وان كان فيه ازهاق نفوس واسالة دماء ولكن به وحده تقام عزة المسلمين ورفعتهم لان تركه كما ذكر الامام (ع) ذل دائم للمسلمين كما نراهم اليوم عند تركه وترك اصوله والعمل به كيف سلط عليهم اراذل خلق الله وهم اليهود الذين طردوا السكان الاصليين لفلسطين واحتلوهـا وكونوا لهم دولة تساند من قبل الدول العظمى .

والجهاد جعله تعالى شأنه ومن قام به له **الافضلية على القاعدين (وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما)[٢٢] وكذا حث المسلمين على تهيأة ما يلزم في الجهاد من قوة بمختلف انواعها (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل)[٢٣]** .

اما التقية التي شرعت في الاسلام فهي (لا تعني الانهزام من ســاحة الجهاد ، وانما تعني مراعاة الظروف واتقاء المزيد من الخسائر دون نفع ، اما اصل الجهاد فلا تقية فيه ، وسيرة الرسول (ص) حافلة بالدلائل عـلى ذلك ، كان (ص) في بدء الدعوة يتقي سطوة قريش ، ولكن لم يقعد عن جهاده فاستثمر باساليب حكيمة تقية شر هذه السطوة وكلفته هذه الفترة

---

(٢١) نهج البلاغة ج١ ص٦٧ .

(٢٢) سورة النساء ـ آية ٩٥ .

(٢٣) سورة الانفال ـ آية ٦١ .

تضحيات جسام حتى انه لم يؤذ نبي كما اوذي)[٢٤] . ومثل هذا ما ورد في جواب الامام الحكيم لاحد سائليه حول الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما اذا جلب ضررا ومن جواب سماحته (اما المنكرات التي يخشى من وقوعها على اساس الدين فيجب مكافحتها والتضحية في سبيل المحافظة على اصل الدين واساسه بكل غال ورخيص ، وبالنفس والنفيس ، كما وجب الجهاد في كثير من الاعصار والامصار حفظا لبيضة الاسلام وكيان الدين ، وما قام به هؤلاء المؤمنون الصالحون من تضحيات وما لاقوه من قوى الشر والضلال من هذا النوع)[٢٥] وهذا ما قام به الامام الحسين (ع) عندما (وجد نفسه وجها لوجه امام دوره التاريخي : الحكم الاموي بكل ما فيه من فساد وانحطاط ورجعية وظلم والامة المسلمة بذلها وجوعها وحرمانها ومركزه العظيم من المسلمين ... كل هذا الانحطاط ثار عليه الحسين وها هو يقول لاخيه محمد بن الحنفية في وصيته له « اني لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وانما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي اريد ان آمر بالمعروف وانهى عن المنكر »[٢٦] .

وبقي الحسين (ع) بعد ذلك حتى يومنا هذا مشعلا ينير الدرب للسالكين درب الحق في التضحية من اجل المبادىء الاسلامية .

في طلب الحق ومحو الباطل حتى لدى الشعوب غير الاسلامية لانه ضحى باعز ما عنده من اجل العقيدة ولذا كان بحق سيد الشهداء .

---

(٢٤) مشكلتنا ، عبدالامير السيد علي خان ، ص٦٢ .

(٢٥) في انتظار الامام ـ عبدالهادي الفضلي ، ص١٤٨ ـ ١٤٩ ، منشورات دار التربية .

(٢٦) ثورة الحسين (ع) ـ محمد مهدي شمس الدين . ص١٣٨ ، ١٣٩ دار الاندلس ، بيروت .

هذه هي الاسس التي يتفاضل فيها المجتمع الاسلامي وهي بحق يجدر بها ان تكون كذلك لا لانها من وضع الشرع الحكيم بل لان النتائج التي يترتب عليها هذا الاساس لنتائج باهرة حيث التقوى وهي الطريقة لصلاح المجتمع ، والعلم الذي به وبالتقوى تتقدم الامة وتحفظ سبيلها بين الامم ، والجهاد سبيل عزتها ومنعتها ودوامها ومصدر اشعاع الرسالة الى الشعوب الاخرى وايصال الدعوة اليها (ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين)[٢٧] .

« عين العاملين »

قال رسول الله (ص)

عينان لم تمسهما النار

عين بكت من خشية الله

و عين باتت تحرس الاسلام واهله من اهل الكفر

(٢٧) سورة السجدة ـ آية ٣٢ .

الجهاد باب من أبواب الجنة

موح عبد السعدي

السنة الثالثة

قال الرسول (ص) : الجهاد ماضٍ منذ بعثني الله الى أن يقاتل آخر أمتي الدجال .

وقال أمير المؤمنين (ع) : أما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه ، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة ، وجنته[1] الوثيقة ، فمن تركه رغبة عنه ألبسه ثوب الذل وشمله البلاء وديث[2] بالصغار والقماءة ، وضرب على قلبه بالاسهاب[3] ، وأديل الحق منه بتضييع الجهاد ، وسيم الخسف ، ومنع النصف[4] .

صاح الكريم ، يجب ان نعلم أن الاسلام ليس طقوسا دينية مجردة ، ولا الانزواء في زاوية من زوايا الركن المقام ، ولا هو بعثرة كلام ما ، ولا اعتلاء على منصة الخطابة ، ولا سبات قد أقبل أمده خوفا من زمهريره ، وانما هو عمل واخلاص ، وجهاد وصبر ، وتضحية وثبات ، تضحية في النفس والمال ، مقابل جنة عرضها السماوات والارض ، « ان الله اشترى

---

(١) الجنة ـ ما يجتن به أي يستتر كالدرع .

(٢) وديث : ذلل . الصغار : الذل . والضيم والقماءة : الصغير الذليل .

(٣) الاسهاب : ذهاب العقل .

(٤) النصف : الانصاف .

من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ... »[٥] والا يخرج من ربقة المؤمنين « قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين »[٦] بعكس المؤمنين الذين جهدوا وهاجروا في سبيل الله ورسوله فان لهم جنات عدن وهم مصداق قوله تعالى « فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب »[٧] .

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، جهاد بل من اولى مقدسات الجهاد ، فان لم نأمر ولم ننه ، انهدم دين محمد (ص) ، وامتنعت الارض ان تدر بركاتها ، والسماء أن تنزل قطرها ، وقد أحاطت بنا ادران جاهلية لم يك لها مثيل ، وتيارها جار على مرأى ومسمع منك ومني ، وكأننا لم ندر أن ذلك فرض واجب علينا ازاحته وواجب كوجوب الصلاة ، ولكن اخذنا نعيش لدنيا فانية جديدها بال ، ونعيمها مضمحل ، وسرورها مكفهر ، فأصبحت حياتنا هي الغاية بعد أن كانت هي الوسيلة وظلت تشغل بالنا وبعد ان كانت مختبرا يمتحن به الانسان ليصدر عليه الحكم بعمله « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم »[٨] .

أخي ان صلاتنا هذي وصيامنا والاربعة الباقية وهي الحج وعقد الزواج

---

(٥) التوبة ، ١٢١ .
(٦) التوبة ، ٢٤ .
(٧) آل عمران ، ١٩٥ .
(٨) محمد ، ٣١ .

وتغسيل الاموات والزيارات المتعارفة عند مسلمي اليوم ، لا تقربنا من الله ، ولا تدخلنا الجنة ما لم نفهم ما أراد الله منا ، لردع مفسد قد أفسد ، واصلاح متهور قد تهور ، وصد ظالم قد تفشى ظلمه، وادخال فكرنا الاسلامي الى بيوتات المسلمين ، ولم يتم ذلك الا بالجهاد ، وان صلاتنا التي لم تبدأ من حيث تنتهي لم تقربنا من الله الا بعدا « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلم يزدد من الله الا بعدا » .

فلنتقرب الى الله بمجاهدة أنفسنا ، وتطهير جوارحنا حتى ينفذ القول الى نفوس مخاطبينا « انفسكم ميدانكم الاول فان كنتم قادرين عليها كنتم على غيرها أقدر » .

يصعد رسول الله (ص) على جبل عرفه في مواسم الحج ، ثم ينادي يا معشر القاصدين ، ويا معشر العرب أتروني صادقا لو أخبرتكم بأن وراء هذا الجبل غارة ، جاءت لتسلب أنعامكم وبيوتكم ؟ فيأتي الجواب انك الصادق الأمين ، حيث أثرت سلوكية النبي (ص) في نفوسكم منذ صباه ولم يحصوا عليه أي عمل منكر ، فهل نحتذي حذوه (ص) لندخل في مصاديق قوله و « لكم في رسول الله اسوة حسنة » فأصبحنا نعيش لاهوائنا ، فصرنا مصداقا لقوله تعالى : « أفرأيت من اتخذ الهه هواه »[٩] لا من اجل رسالتنا ، وانما لزيد أراد له الله أن يذهب جفاء ، ولافكار لا تلتقي مع الاسلام على صعيد، فبدل أن نكون كالجسد الواحد أمام ملة الكفر والالحاد ، صرنا موزعين بين تيارات فكرية ما أنزل لله بها من سلطان ، ولا نسمع قوله تعالى : « اليوم اكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا ، فمن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » . وبين تحلل خلقي بلغ بالبعض الدرك الاسفل ، وصار الناس على شفا حفرة

---

(٩) الجاثية ، ٢٣ .

من النار .

هذا كله يجري أمام أعيننا يردد كل منا : « يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما »[10] ملتمسين بأعذار واهية لتبرير خذلاننا لشريعتنا فأصبحنا مثلا لمن قال :

لم يبق شيء من الدنيا بأيدينا الا بقيـــة دمـع في مآقينـا

فنبكي ولنتباكى ولكن ما الفائدة ، فهذا نصيب من تقاعس عن نصرة أهل الحق ، فالذي يريد الفوز ، والجوار مع الصادقين الصالحين « فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما »[11] فيا من فتحت صدرك للايمان فليصبح أمامك واضحا ، ان الاسلام لم ينتصر بالدعاء دون التضحيات ولم يزل ضنك الحياة عن أمة القرآن الا بالجهاد ، واذا بقينا وحالنا هذا فان معايش الدنيا ستضنك اكثر فأكثر وهاك قول الفصل « ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة اعمى ، قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصـــيرا ، قال كذلك أتتك آياتنا فنســـيتها وكذلك اليوم تنســى »[12] .

« عن أبي عبدالله خباب بن الارت رضي الله عنه قال : شـــكونا الى رسول الله (ص) .. أتينا رسول الله وهو متوسد بردة في ظل الكعبة ولقد لقينا من المشركين شدة شديدة فقلنا : ألا تستنصر لنا ؟ ، ألا تدعو الله لنا ؟ فقعد وهو محمر وجهه فقال : ان كان من كان قبلكم ليمشط أحدهم بأمشـاط الحديد ما دون عظمة من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع

---

(١٠) النساء ، ٧٢ .

(١١) النساء ، ٧٣ .

(١٢) طه ، ١٢٤ ـ ١٢٦ .

المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله عز وجل »[١٣] « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين »[١٤].

يخرج الرسول (ص) من مكة الى الطائف في ظهيرة الصيف الى ثقيف ليبلغهم رسالات ربهم ، ولكنهم كالانعام بل أضل سبيلا ، ولم يكتفوا بالعناد بل قعدوا له صفين على طريقه فلما مر رسول الله بين صفيهم ما كان يرفع رجليه ولا يضعهما الا رضخوهما بالحجارة وقد كانوا اعدوها حتى أدموا رجليه فخلص منهم ورجلاه تسيلان دماً »[١٥] .

ـ اقسام الجهاد ـ

قسم فقهاء المسلمين الجهاد الى جهادين ، الجهاد الاصغر والجهاد الاكبر ، فالاول وهو الجهاد الاصغر ، وهو مقاتلة اعداء الله والشريعة ، بشتى السبل ، كالآلات الجارحة ، على أشكال أنواعها ، او بالحروب النفسية ، أو تفسيد معتقداتهم باستعمال الادلة والبراهين تسويفها وغير ذلك ، دفاعا عن حرية الانسان أين ما كان ، وان كان هناك اختلاف بين المفسرين حول حروب المسلمين ، فذهب قسم الى ان تلك الحروب كانت اعتداء وهؤلاء هم المستشرقون ومن لف لفهم ، واعتقد القسم الثاني بأن حروب المسلمين كانت دفاعا عن انفسهم ، وأصاب الفريق الثالث حيث قال ان حروب المسلمين كانت من أجل تحرير بني الانسان من عبودية الانسان للانسان ، وقد يكون ذلك دفاعا وقد يكون هجوما ضد من يعتاشون على موائد الجاهلية العمياء ، والذين يقفون حاجزا لصد اشعاع الاسلام من أن

---

(١٣) الدعوة والعقبات ، ص١١٩ .

(١٤) آل عمران ، ١٣٩ .

(١٥) الدعوة والعقبات ، ص٨١ .

يدخل الى قلوب من يتعشقون الحرية ، وهي عبادة الواحد الاحد « ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ، ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط »[١٦] .

وقد نقل لنا تاريخ المجاهدين ، البطولات الشامخة والتضحيات التي يقف العقل لها اجلالا ، ومنها وقفة أبي الفداء الامام الحسين (ع) وصحبه في وجه تيار الجاهلية الحمقاء ، ولم يداهن أي سلطان جائر ليسخط الله « من أرضى سلطانا جائرا بسخط الله خرج عن دين الله »[١٧] ولم يطع المخلوق في معصية الخالق « لا طاعة لمخلوق في معصية لخالق »[١٨] فكيف لا يضحي سلام الله عليه بنفسه وقد حفظ عن جده (ص) « لا تحل لعين مؤمنة ترى الله يعصى وتطرف حتى تغيره »[١٩] فأنا وأنت لم نكتف بالخنوع بل أخذنا نشيع بين صفوف المسلمين ، أن انصار المهدي (ع) ليس منا بل هم أموات فواحد يخرج من الكوفة ، والثاني من المدينة والثالث ..... وهكذا اذاً ما علة وجودي ووجودك اللهم الا لسبب واحد وهو اذا متنا لم يبق آكلٌ للثريد !!! .

فالمؤمن حقاً هو الذي يغضب عند انتهاك حرمات الله ويضحي بما لديه اعلاءاً لكلمة الله العليا وكلمة اعدائه هي السفلى ، ولكن « الناس عبيد الدنيا ، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معايشهم ، فاذا محصوا بالبلاء قل الديانون »[٢٠] فأصبح الدين ويا للأسف عند البعض سلعةً تجارية ، تشترى بها الراحة والسلامة والمنافع الخسيسة ، ووسيلةً للبلوغ الى مناصب

---

(١٦) الانفال ، ٤٧ .
(١٧) التكامل في الاسلام ، أحمد أمين ، جـ٤ ، ص١٧٣ .
(١٨) المصدر نفسه .
(١٩) المصدر نفسه ، ١٧٥
(٢٠) المصدر نفسه .

زائلة دون الرجوع الى عاقبة الامور » واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا »[٢١] « يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم أنفروا في سبيل الله أثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدميا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل »[٢٢] حتى اصبحوا كالأموات لا يحركون يداً ولا يخطون قدما في سبيل الله فـ « لو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة.. »[٢٣] فأيها المجاهد الغيور احذر ألا يأخذك بعاس هؤلاء ولا يسري اليك مورفينهم و « قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون »[٢٤] .

ولا تعجب بما يجمعون من أموال فما هي الا وقود الآخرة « فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون »[٢٥] .

فدعوانا ايها المجاهدون ، الجهاد المتواصل ، وبه يكون الانتصار والا فلا ، وان كان نسياً عند البعض ولذلك كلف البالغ العاقل الحي بـه ، فيستنبط مما ذهبنا اليه فضلا عما يتبادر الى الاذهان دوام جهاد الالحاد ، وبه يتم المطلوب والمفروض عكسه ، وقد تنج من ذلك المفروض المصالحة في المنكرات ، والمداهنة تليها ولا تنسى التثاؤب فكأنما هو المفروض ، حتى سادت الاحكام الوضعية بين صفوف المسلمين ، ونحن في معزل تنظر من مكان عالٍ ، ونمد يدنا لمن يصافحنا من وراء الثياب لئلا تسري النجاسة ، فأصبحت العدالة لغوا ، والدين لفظا ، والجماعات فرقا ، والقرآن متروكا ،

---

(٢١) الفرقان ، ١٣ .
(٢٢) التوبة ، ٣٨ .
(٢٣) التوبة ، ٤٦ .
(٢٤) التوبة ، ٥٢ .
(٢٥) التوبة ، ٥٥ .

وانقلبت المفاهيم رأساً على عقب ، فغدونا نرى الوسيم ذميما ، والكريم لئيما ، والجور عدلا ، والظلم فضلا ، والجهل علما ، والغشم جدة ، والخداع فناً ، وزخرف القول فطنة والخصب والاحتيال مقدرة والخلاعه والعرى تمدناً والفسق والفحش حرية ، والصون والعفاف تقهقرا .

أهذا هو المفروض أيها المسلمون ؟ والشريعة تدعونا ونعطيها ظهرا ، فويل لنا من صاحبها يوم التلاق وما عذرنا ؟ من خليفته المنتظر عجل الله فرجه حين يملأ الارض عدلا وقسطا بعد ما ملأت ظلما وجورا و « ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس »[٢٦] تاركين خطابه المجيد : « ومن اضل ممن ذكر بآيات الله ثم صد عنها اولئك هم المبطلون » « ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها انا من المجرمين منتقمون »[٢٧] فكيف يكون التذكير وها هو القرآن يتلى ليل نهار ؟ والذي يحرض الذين آمنوا على عدم مهادنة الكفر والفساد ، وقد أجمع المسلمون « العبرة بعموم لفظه لا بخصوص سببه » « الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا »[٢٨] .

جهادا الى أن يرجع الوضع مسلما والا فلا عرض يصان ولا حما

« ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فأنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليماً حكيماً »[٢٩] .

والثاني : الجهاد الاكبر ، وهو الجهاد في الباطن مع النفس ، اذ أن

---

(٢٦) الروم ، ٤١ .

(٢٧) السجدة ، ٢٢ .

(٢٨) النساء ، ٧٥ .

(٢٩) النساء ، ٩٤ .

النفس الانسانية أمارة بالسوء ، ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ، لذلك قسمها القرآن الكريم الى ثلاثة أقسام النفس اللوامة ، والنفس المطمئنة ، والنفس الامارة :

فالاولى في قوله : « لا اقسم بيوم القيامة ، ولا أقسم بالنفس اللوامة »[٣٠] . والثانية في قوله : « يا أيتها النفس المطمئنة ، ارجعي الى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي ، وادخلي جنتي »[٣١] .

والثالثة في قوله : « وما أبرىء نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم »[٣٢] .

فنفسك نفسك أيها المؤمن اعدى أعدائك ، والد خصومك ، فهي التي توقعك في المزالق والمهالك ، وما يزكيها الا الذي صورها « ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا »[٣٣] « فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى »[٣٣] .

نفسك أيها المسلم هي التي تعين الشيطان على استعبادك ، والسيطرة على جوارحك ، فيجعل قلبك مخذولا موكولا الى تلك النفس المشحونة بالهوى والشهوات فتهب لك العادات الذميمة ، والافكار الخبيثة ، الموافقة للاعمال الشيطانية « ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ـ انما يأمركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون »[٣٥] ومن جراء ذلك

---

(٣٠) القيامة ، ١ .
(٣١) الفجر ، ٢٧ .
(٣٢) يوسف ، ٥٢ .
(٣٣) النساء ، ٤٨ .
(٣٤) النجم ، ٣٢ .
(٣٥) البقرة ، ١٦٨ ـ ١٦٩ .

قد تتراكم عليك كراديس الامراض النفسية كالقلق ، والاضطراب ، والضنك والوسواس ، فتدخل في معصية الله واطاعة الهوى وتسلك مسالك الاشرار ، وخدمة الطواغيت والفجار فيضلونك عن الهدى ، واشرافة النور « يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا »(٣٦) ـ « ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء »(٣٧) .

لذلك ان الله تعالى لم يجعل لمؤمن ان يرضى بغير حكم الله ، او يتحاكم في غير ما انزل الله ، بل لقد أمره تعالى أن يكفر بكل حكم غير حكمه تعالى ، واعتبر عز وجل من يرضى وتقوده نفسه الى غير حكم الله فقد أضل ضلالاً بعيدا واتباعا للشيطان والطاغوت بدليل قوله تعالى : « ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا »(٣٨) .

والطاغوت هنا ، هو كل ما تجاوز به العبد ، حده من معبود أو متبوع أو مطاع ، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون اليه ، من غير الله ورسوله ، أو يعبدونه من دون الله او يتبعونه على غير بصيرة من الله ، أو يطيعونه فيما لا يعلمون ، فمن صفاء النفس الانسانية ان لا يؤمن الانسان الا بربه الواحد الاحد ، الفرد الصمد ، وان لا يؤمن بالبعض ويترك البعض الآخر « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب »(٣٩) فلا يخفى على الله شيء نحن آمنا بالصوم والصلاة وعقد التزويج وتغسيل

---

(٣٦) النساء ، ١١٩ .
(٣٧) الانعام ، ١٢٥ .
(٣٨) النساء ، ٦٠ .
(٣٩) البقرة ، ٨٥ .

الاموات والذهاب الى الحج ... وتركنا حكم الله واخذنا نحكم بأهواء لم تمت الى الاسلام بصلة فهل نرتدع ؟ « ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون »(٤٠) .

بعث رسول الله (ص) سرية (تقاتل) فلما رجعوا قال مرحبا بقوم قضوا الجهاد الاصغر وبقي الجهاد الاكبر قيل يا رسول الله وما الجهاد الاكبر ؟!! قال جهاد النفس ثم قال : افضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه . وقد تكفل ربكم للمجاهدين بأن يهديهم الطريق القويم ، والصراط المستقيم « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » .

فأصلاح النفس معناه السعادة بكاملها ، سعادة الدنيا والآخرة ، وان صلحت النفوس صلح المجتمع بأسره ، وتطهيرها هو الراحة النفسية قال الكاظم (ع) لهشام بن الحكم : « ... يا هشام ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم ، فان عمل حسنا استزاد منه ، وان عمل سيئاً استغفر منه وتاب اليه ... وكن في الدنيا كساكن دار ليست له ، وانما ينتظر الرحيل ، يا هشام من احب الدنيا ذهب خوف الآخرة من قلبه ... يا هشام ان العاقل اللبيب من ترك ما لا طاقة له به ، واكثر الصواب في خلاف الهوى ، ومن اطال أمله ساء عمله » . « ألا بذكر الله تطمئن القلوب . ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا . اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا ».

واعلم ان الشرك بالله ليس أن تجعل معه شريكا في الملك فحسب ، وانما هو اذا أطعت اوامر غير الله « ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه » وان اطعت بعضا وكتمت بعضا ، وكتمان ما انزل لله معناه الاعتراف ببعض حكم الله وترك البعض ، وقد اعد الله لهم النار « ان الذين يكتمون ما انزل

---

(٤٠) البقرة ، ١٥٩ .

الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم . أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار »[٤١] وان اطعت امر الله فقد كبحت النفس الامارة بالسوء وفزت فوزا عظيما « فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور »[٤٢] فعن ابن حازم يسنده الى الرسول (ص) قال : ان رسول الله (ص) قال : « ان الله تعالى يقول : يا ابن آدم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين »[٤٣] ، فاطبق ، وان نازعك بصرك الى بعض ما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين[٤٤] فاطبق ، وان نازعك فرجك الى ما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين[٤٥] فاطبق » .

هكذا العزيمة وقوة الارادة ، وهذا هو الجهاد ((ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه » فان اسوء الناس حالا ، وارداهم مذهبا واعتقادا من يجعل دينه وسيلة دنياه ، فيصرف عمره في اكتسابها ، والانقياد الى آراء ادعائها ، وينسى ذلك اليوم الرهيب يوم تبلغ القلوب الحناجر ، لذلك وعى المسلمون الاولون « وقد حمل [كل منهم] رسالة الاسلام ما أسعفتهم قواهم وكانوا جديرين بحملها وادائها لانهم كانوا يحيون الاسلام افرادا وجماعات ، وكان كل فرد منهم اسلاما حيا يسعى »[٤٦] بعكس ما نعيشه « نحن اليوم بين ناشئة طائشة ، وأحداث تتساوى من خمار الصبوة ونشوة الترف ، غمرتهم اوربا بنعيم الحضارة وترف التمدن ، فصبصوا الى زهوها ، وحملقوا الى لهوها ،

---

(٤١) البقرة ، ١٧٤ ـ ١٧٥ .
(٤٢) آل عمران ، ١٨٥ .
(٤٣) بشفتين .
(٤٤) بجفنين .
(٤٥) بفخذين .
(٤٦) رسالتنا ، ٤٦ .

وحدقوا نحوها ، فاتحين أبصارا مطبقة الجفون ... تحملق فلا ترى ، وتحدق فلا تبصر ، فاتخذت الاديان مجالا للنقد ، والاحكام ملاعبا ، فجالت في حلبات القدح ، لكنها حبواً على الركب ، وزحفا على الايدي فهي تجول بلا راحلة ، وتجري بلا آلة ، وتزعم ان لها الثقافة وما لها منها سوى القلامة ، وتدعي التقدم في العقلية وهي متأخرة الى محل القمامة ، وتسمينا .... بالرجعيين وتعني بالرجعية اتباعنا للانبياء والمرسلين ، اذ لم تتبع سبنسر وداروين »[٤٧] .

فليراقب كل منا نفسه ، ويحاسبها ويراقبها « حاسبوا أنفسكم قبل أن أن تحاسبوا » ونمنعها من أن تسرح في مراتع الادران ، لان نفس ابن آدم تتجاذب بين قوتين هما : الاولى : القوة الحيوانية ، والثانية القوة العقلية ، فالحيوانية تكمن في سائر الملذات الشيطانية ، والعقلية تكمن في العلوم الحقيقية والخصال الحميدة ، وقد أوضح الله تعالى ذلك : « وهديناه النجدين » فلنكن من الذين وصفهم أمير المؤمنين (ع) « أما في الليل فصافون أقدامهم ، تالين لاجزاء القرآن ، يرتلونه ترتيلا ، يحزنون به انفسهم ، ويستثيرون دواء دائهم ، فاذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا اليها طمعا ، وتطلعت نفوسهم اليها شوقا ، وظنوا أنها نصب اعينهم ، واذا مروا بآية فيها تخويف اصغوا اليها مسامع قلوبهم ، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أذانهم » ولا تنسى أن الاسلام يستصرخنا ويقول :

« ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون »[٤٨] .

« ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين »[٤٩] .

---

(٤٧) توضيح الغامض ، الشيخ عبدالواحد ، ص٥ .
(٤٨) الانبياء ، ١٠٥ .
(٤٩) القصص ، ٥ .

الأحكام الإسلامية فترة غياب المعصوم
في التعطيل والتطبيق

بقلم : عبدالامير الجبوري

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الهداة الميامين قادة الخلق للحق والصراط المستقيم نجى من تولاهم وسار على هداهم ... وهوى من جفاهم وترك نهجهم .. والسلام على من أتبع الهدى وأمن الرحمن وقال أنني من المسلمين . وبعد أيها الاخوة الاعزة ليؤلمني هذا البحث ويسعرني نارا تلهب ، وحسرات تتناوب وآهات تتلو أفكارا سجينة حبيسة الضعف ورهينة هذه النفس لا غير .. تتراءى أمامي برودة العزائم وشرودها وملامح الضعف وهزوها وتعاسة الحال ومرارته وسئمها ونفاق الواقع ورزئه ... ثم تنتابني قوة جديدة عظيمة لا مقابل لها أبدا فتنعشني الهبة وتورق في براعم الحياة وتفتح أمامي بابها . نعم ذلكم الامل في الله تعالى والحياة لله والحكم له ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .. هذه القوة أيها الاخوة الاحبة ملكت فيّ سعادة الحياة وراحة العيش وقوة العزيمة للعمل ، ولئن كررنا العودة الى ما نريد التحدث فيه لاحببنا أن يكون على صيغة السؤال التالي :ـ

« هل توجد رواية بتعطيل الاحكام الاسلامية في فترة غياب الامام المعصوم ، وأن وجدت فهل هناك فائدة وأن لم توجد فعلى من تقع مسؤولية ذلك وما الطريق في الخلاص من تلك المسؤولية ؟ » .

وهنا بطبيعة الحال لابد من مناقشة اطلوب أعلاه بصورة متتابعة متوالية ريثما نقع على النتيجة في ذلك .. ولعل أول ما يتبادر الى الذهن في وجود رواية بتعطيل الاحكام الاسلامية (خلدها الله) في فترة غياب المعصوم .. ! وكان ذلك على شكل سؤال يحتاج الى جواب بكلمة نعم أو لا . وعلى أية حال فوجود رواية بهذا الصدد تكون من باب العدم والاستحالة والنفي الكامل مائة في المائة والسبب في ذلك نقول حسب رأينا الذي لم نعرضه الا استنادا لاحكام الشريعة الخالدة واستنتاجا لقوانينها ونهجها . والاسباب هي :ـ

١ ـ لو كان صحيحا ان هناك خبرا يقضي بتعطيل الاحكام الاسلامية عن التطبيق والتنفيذ فهذا يعني أن الشريعة الاسلامية :ـ

أ ـ ضعيفة السبك والشمول وهي لا تفي بالنجاح في الازمنة المتعاقبة وان تعطيلها هنا يأتي من باب الوجوب والتأكيد نتيجة للسبب الآنف الذكر . وهذا ما لا يمكن وشريعتنا الخالدة التي أضاءت العقول في محاجرها وسحرت النفوس وهي في سكونها وحررت القيود من أماكنها فعرفت بما لا يعرف ونظمت ما هو لم يوجد وأحدثت ما لا يمكن تركه ، فكانت شفاءً للنفوس وبلسما للجروح وتنقية للسرائر حتى استيقظ النائم من نومه وأكل الفقير ليشبع وتنفس المظلوم الصعداء ونال المسيء عقابه فكانت هي الرحمة من الرحمن الرحيم تبارك وتعالى وسبحانه عما يصفون ... وهذا الدليل العقلي والملمسي كاف لان يفند منطوق وجود رواية .

ب ـ ان صح وجود الرواية فهذا دليل واضح على أن الشريعة الاسلامية ما هي الا عبارة عن شطرين هما التربية والحكم . والتربية تشمل التعاليم الاسلامية التي تبني للفرد شخصيته

المستقلة وعلاقاته مع ربه بصورة خاصة والناس بصورة عامة ثم تخلقه بالاخلاق الحسنة كالصدق والوفاء والتعاون وغيرها ، أما الحكم فهو وسيلة تطبيق أحكام المعاملات والقوانين من تجارية وأقتصادية ودفاع وأمن وأجتماع وغيرها .. الا ان وجود الرواية تعني القسم الثاني أو الشطر الثاني شيء ثانوي[1] غير واجب وهو أستحبابي ، فعند عدم وجود الامام المعصوم لا يستوجب الشطر الثاني ويكتفى بالقسم الاول .. وهنا بطبيعة الحال هدم للشريعة الاسلامية ، والعامل بهذا كافر وخالد في النار عليه لعنة الله وملائكته والمؤمنين وقد وصف القرآن الكريم أمثال هؤلاء بالآية المباركة « الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض فبشرهم بعذاب اليم .. » .

جـ - لم نجد بتاتا والى الآن مذهبا او عقيدة وضعية جاءت لارشاد الناس وبث الوعي التربوي فقط ... بل كل العقائد التزمت بفكرة خاصة وهذه الفكرة لا يمكن أن تكون وتسود بدون القوة والدعم وهذا الدعم لا يأتي الا عن طريق الحكم وأدارة المجتمع بما تقتضي الرسالة المعتنقة . فكان كل ما لهذه العقيدة أو الفكرة أن تصل للهدف النهائي وهو الحكم ولا حاجة للاخلاق وغيرها .. وهذا ما نفهمه من الشعار الذي يطرحه جميع أصحاب العقائد والفكر من (أن الغاية تبرر الوسيلة) ونحن حينما نقف أمام هكذا مبادىء هزيلة رذيلة وما تبغي وتريد فكيف بنا أن نجعل من عقيدة الاسلام العظيم منعطفا ضيقا لينا بعيدا عن كونه نظاما من عقيدة . وهنا يكون الجواب أما

---

(١) ولو ان الشريعة الاسلامية مترابطة ومتناسقة بعضها من بعض وبعضها يكمل البعض الآخر وحددناها بهذا الشكل كي نبين حكما .

حياديا صرفا يقول بلا بدية تطبيق الاحكام الاسلامية وعدم تعطيلها • أو جوابا أسلاميا من مسلم عقائدي يستلزم تطبيق أحكام الاسلام والعمل على سيادتها في كل زمان ومكان وفي كل الظروف ولكل العواقب •

٢ ـ كل أنسان عاش ويعيش لابد أن ينهج نهجا معينا حتى الانسان البدائي البسيط في مرحلة المشاعة البدائية أو في عهد الملكية الخاصة أو عصر الرق يحتاج الى نظام يسير عليه • فحينما نرى ان الانسان البدائي يسعى لجمع القوت ننظر مرة أخرى لنرى مجتمعات السامو في يانجا الافريقية أو مجتمعات الموسيز الآن يعملون وبروح تشبه وبالضبط حياة الانسان البدائي الاول لجمع القوت وتنظيم الاسرة ووجود السلطة الدينية للكبار وهذا أن دل على شيء فانما يدل أنه كما يحتاج الوقت الحاضر الى نظام يسود البشرية كذلك كان الانسان سابقا ينهج خططا مختلفة وبسيطة •• وعند ذلك يترامى لنا أن الانسان المسلم حينما يجوز له تعطيل الاحكام الاسلامية هو مغناه وبكل صراحة أن يكون له الخيار في انتهاج أي مبدأ ونظام كيفما شاء وكيفما يريد ، وحينئذ فأن وجود الانظمة الوضعية والمبادىء المختلفة لابد منها وليس هناك من شك ولا حرمة لتبني الانسان المسلم هذه الانظمة •• والا فمن غير الممكن أن يعيش هذا الانسان بدون نظام •• وبطبيعة الحال وسيناقض هذا مرار الآية الكريمة المباركة « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » وكذا الآية الكريمة « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » •

٣ ـ لو كان هناك خبرا بوجود رواية فهذه دلالة واضحة على أن القرآن الكريم ونصوصه لا تعيش الا لفترة معينة وليس لكل زمان وبكل مكان وأنما هي لفترة حياة النبي (ص) وزمن المعصوم نعم اذا

كان الامر كذلك وأن الشريعة الاسلامية ما هي الا أحكاما جاء بها النبي (ص) لمدة معينة ـ لابد من تحديدها مع الرواية الموجودة ـ وبعدها تنتفي الفائدة بذلك اذ سيأتي عباقرة أفقه وأعلم من واضع الرسالة الاسلامية ويجيدون وضع شرائع وشرائع ، أو يجوز للانسان أن يعيش بدون نظام وبدون نهج يسير عليه كما أسلفنا أعلاه كان يصبح أنسان غير هذا الانسان وتتبدل صفات هذا الانسان ويفقد غرائزه ... أذن فكيف تعطل أحكام الشريعة وحلال محمد حلال الى يوم القيامة وحرامه حرام الى يوم القيامة ... كيف تعطل أحكام الشريعة والرسول القائد يقول لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .. ومعصية الخالق أصبحت عادة الوقت الحاضر وسمرة الحديث ولذة الجلسات .

٤ ـ واخيرا فان كانت هناك رواية أو أحتمال وجود رواية بتعطيل الاحكام الاسلامية ، فهذا يعني أن الله سبحانه وتعالى أجاز للانسان أن يعيش بدوامة من التخبط وبالتالي فأن هذا الانسان المسلم أو غير المسلم سيبقى رهن متطلبات هواه ثم هوى غيره وأخيرا هوى الاقوى من جنسه من البشر ومن ثم فسوف يعيش هذا المخلوق بالظلم والمظلمة . وهذا ما لا يمكن أن يكون وحاشا لله سبحانه وتعالى أن يترك الانسان يتخبط بكيفه وهو تعالى صاحب الرحمة وكتب على نفسه الرحمة سبحانه وتعالى الرؤوف الرحيم الذي خلق كل ما في الكون من أجل هذا الانسان الضعيف وأراده أن يستغل ذلك كما وجهه سبحانه وأخبره بذلك بواسطة الرسل والانبياء . وبهذا فأن وجود رواية بتعطيل الاحكام الاسلامية مفادها العدم ولما كان لوجود الرواية بالغ الضرر والسوء والحاق الانسان الضرر والخطر والدمار فأن هذا يدل على عدم وجود فائدة بذلك أي أن انتفاء الفائدة الواردة بالسؤال من

انتفاء وجود الرواية وعدم وجود الرواية لوجود الضرر .

وبعد أن ثبت لدينا عدم صحة وجود أي رواية تشير الى تعطيل الاحكام الاسلامية أو أهمالها نكون قد تثبتنا من أن الاحكام الاسلامية يجب أن يؤخذ بها منذ صدورها كتشريع على لسان القائد الكريم وحتى آخر يوم من هذه الدنيا .. لابد أن تطبق الشريعة الاسلامية في البلاد الاسلامية ثم يستمر زحفها القوي بقوة وصلابة وعزيمة لانقاذ البشرية الباقية التائهة التي ترضخ تحت نير أنظمة وضعية ليس فيها الا الدمار والشر العام لانها خالية من الاسس القويمة التي تهذب النفس البشرية فتأخذ بيده الى الخير والصلاح .

نعم حينما تكون أحكام الرسالة السمحاء واجبة التطبيق فحينئذ لابد من تنفيذها ولابد من الحكم والاخذ بأحكامها فعيش الانسان المسلم في رفاه العيش وعدل الحكم والمساواة في الوجود ... ولما كانت هذه الاحكام هكذا فالسكوت عنها وأهمالها معناه السكوت عن أوامر الخالق والعصيان لها والاخذ بأوامر المخلوق والطاعة لها والسكوت عن الحق والاخذ بالباطل والشرود عن المسؤولية .. وكيف والمسئولية قد أحاطت رقاب المسلمين أذن نتكلم الآن على هذه المسؤولية بصورة تفي بالمقام :

معنى المسؤولية ، ومحط وقوعها ، ثم أقسامها وأخيرا نتطرق في الكلام عن كيفية الخلاص من هذه المسؤولية .

فالمسؤولية من سأل يسأل سائل فهو مسؤول ومسؤولية أي أسم مفعول لسائل والمسؤولية ما يقع على الشخص من السائل ليكون ذمة عليه يجب الاخلاص لها وأيفاءها . فمسؤولية الدين الايفاء بالغرض أو الدين ومسؤول الدائرة هو المسؤول لجهة أعلى عن سير الدائرة كما في الخط المرسوم له أو وفق القانون المعمول به والمسؤول عن العائلة هو الذي يقوم بتربية العائلة وتوفير المأكل والملبس . ويمكن القول عن ولي الأمر - بالمسؤول - . وبالتالي فيقال من المسؤول عن ؟ فيقال زيد مثلا ومن المسؤول عن تطبيق

قانون الاصلاح الزراعي ؟ فيقال كذا • ثم يقال من المسؤول عن تطبيق الاسلام في الحياة ؟؟ فالجواب الانسان المسلم •• أذن فالمسؤول هنا عن تطبيق الاسلام هو المسلم والمسلم فقط فمسؤولية تطبيق الاحكام الاسلامية والعمل بموجبها ومن أجل سيادتها تقع على عاتق الانسان المسلم الذي أعترف بالاسلام وآمن به وأقره دينا له ومسؤولية تعطيل هذه الاحكام الاسلامية وأهمالها تقع على الانسان المسلم ولذا فالحديث النبوي الشريف : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » نفهم منه أن المسؤولية لم تخصص على جماعة دون أخرى بل تطبق على كافة المكلفين دون أن تسقط عن جماعة أو فرد معين كما أسلفنا بالحديث ومضمونه أعلاه وكما في الحديث القائل : « الايمان أقرار وعمل ونية والاسلام أقرار وعمل » ••

وبعد أن عرفنا أن المسؤولية واقعة على الجميع بقى علينا أن نعرف مدى هذه المسؤولية وهل أنها متساوية بالنسبة للاشخاص كافة • وهذا ما لا يقره المنطق ولا يرضيه الوجدان والعقل من جعل الخلق كلهم متساوين في المسؤولية ، اذ تختلف المسؤولية من فرد لآخر ومن رجل لامرأة ومن حاكم لمحكوم ومن مسلط لمسلط عليه ومن مثقف لجاهل ومن واع لبسيط ساذج ومن مفكر لضيق الفكر ••• ولذا فأن الله سبحانه وتعالى يحاسب الناس يوم القيامة على قدر عقولهم ومداركهم •• وقد قال الرسول الاعظم (ص) « كلموا الناس على قدر عقولهم » ونتيجة لذلك تنقسم المسؤولية الى قسمين :ـ

(١) مسؤولية عامة •

(٢) مسؤولية خاصة •

فالاولى وهي ما تقع على كافة الناس بدون تفريق لما تفرضه عليهم عقيدتهم السمحاء من مسؤولية الدفاع عنها وتطبيقها والعمل من أجل نشرها والدعوة لها •• وهذه المسؤولية تقع بصورة متساوية على كافة المسلمين من

سيدهم الى مسودهم ومن حاكمهم الى محكومهم ومن غنيهم الى فقيرهم فهم مسؤولون عن تطبيق الاسلام أولا على أنفسهم ومن يعولون ويتولوون ثم عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاستجابة لاولي الامر وأطاعتهم كما في الآية الكريمة « وأطيعوا الله ورسوله وأولي لامر منكم » ومن ثم القيام والعزم على تطبيق الاسلام في مجالات الحياة •

وبهذا نرى أن هذا النوع من المسؤولية لا يتميز به أحد لأنه تشملهم الرعاية والعناية بالشريعة بصورة كلية •

أما القسم الثاني من المسؤولية وهو الذي رمزنا له بالمسؤولية الخاصة وهذا النوع من المسؤولية يشمل جماعة من الناس أضافة الى شمولهم بالمسؤولية الاولى (المسؤولية العامة) وهذه الجماعة هم الحكام من الرئيس الاعلى الذي تقع عليه المسؤولية القصوى كالخليفة سابقا والملك والرئيس حاليا حتى تنزل الى الوزراء فالمدراء الى الصغار • وبطبيعة الحال هنا أيضا تختلف المسؤولية حسب الصلاحية والواجب وحسب الاستطاعة والقدرة على تنفيذ الامور فهي تختلف من الشرطي المأمور الى الضابط الآمر الى رئيسه فالرئيس وهكذا •• وكل تأخير وتعطيل لاحكام الشريعة تقع هذه المسؤولية الخاصة ـ ولما كنا نحن لا نريد أن نبحث بالتشريع الكامل للمسؤولية لضيق مجال البحث لذا سنذكر عوامل مهمة تشدد من المسؤولية الخاصة وتعظمها بالنسبة لهذه الجماعة من الناس وهي :ـ

١ ـ غصب السلطة من أصحابها الشرعيين الذين نصبهم الله سبحانه وتعالى من أجل الاخذ بهذه الرسالة وتطبيقها والسير بموجبها وبالتالي عدم تعطيل احكام الشريعة •

٢ ـ تشرد وتجويع الناس وأصابتهم بمختلف النوائب لعدم تطبيق الدين الاسلامي الذي بظله لا يبقى جائع ولا يشرد مستقيم ولا يصاب

مستضعف وكل بعة نتيجة لذلك فهو في أطار المسؤولية الخاصة وبالتالي في رقاب المسؤولين بالمسؤولية الخاصة .

٣ ـ كل ظلم وحيف يصيب الناس سواء من الحكام ، ومن الناس فيما بينهم وكل جريمة تحدث مهما كانت ومهما كان مصدرها كل ذلك تقع تبعته ضمن المسؤولية الخاصة التي تطوق بالتالي رقاب المشمولين بها .

٤ ـ تكدس الاموال وتضخمها في جهة وبطالة جهة أخرى وفقرها وأطلاق الآهات والزفرات من المحرومين وشذوذهم تقع تبعيته في رقاب المشمولين في المسؤولية الخاصة .

٥ ـ أي تحول يحدث وأي تغير يقوم في وجود الامة الاسلامية وشكلها ومفاهيمها وأعرافها وتغير مبدأ أجيالها الى حمل مبادىء أخرى تقع تبعيته في رقاب المشمولين بالمسؤولية الخاصة .

٦ ـ وبالتالي فحينما لا تقم تلك المسؤولية من قبل المسؤولين بها خاصة تشمل حينئذ العموم أي جميع الذين تشملهم أحكام المسؤولية العامة .

وأمور أخرى لا حاجة الى ذكرها لما ذكرناه من المهم منها وهنا يجد القارىء أن المسؤولية كابوس في رأسه لا مفر منه ولا خلاص ولا هرب لابد من المحاسبة يومئذ يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ... يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وعائلته التي تأويه .

اذن كيف الخلاص من ذلك :

والجواب على القسم الاخير من هذا البحث يتعلق في أمور :ـ

(١) الاستيقاظ رأسا والنهوض من الغفوة واللامبالات والتوجه الى الله تعالى لطلب العفو والتوبة على أمل التوجه الى العمل من أجل الدين القويم بالطريق الصحيح المفيد المنتج .. والقيام بالتفتيش عن الطريق

الصحيح الموصل به الى طريق تحقيق أهدافه في تطبيق الشرع الحنيف والرسالة السمحاء وأقامة المجتمع الاسلامي الزاهر .

(٢) العهد مع الخالق الكريم على المضي بكل أمانة وأخلاص وثبات من أجل العمل للاسلام وتطبيق أحكامه والدعوة له .

(٣) الانطلاق بالعمل من دافع المسؤولية والتذكر بها دائما وتنميتها بالعبادات العامة والخاصة وذكر الله دائما في السر والعلانية كي تصبح له قوة ذاتية ووقود ذاتي تدفع هذا الانسان الناهض نحو الرقي في سلم الجهاد والفداء .

(٤) الاتجاه العام للثقافة الاسلامية والتزود بها قدر الامكان بمختلف فروعها ونواحيها وبثها بين العالم من أجل خلق وعي أسلامي متكامل ينادي بتطبيق الشريعة الاسلامية وتحكيمها في مجالات الحياة ويجب أن يكون هذا التوجه من دافع المسؤولية الاسلامية .

وختاما أدعو الله سبحانه وتعالى أن يجعلني قد أوفيت ولو قسطا بسيطا وبهذه العجالة حول هذا البحث الذي غشته الايام وتركته نتيجة اللامبالات ، كما أدعوه تعالى أن يأخذ بأيدي المسلمين لان يعوا مسؤوليتهم وحقيقتهم ثم واقعهم ووجودهم ليستنفروا القوى للعمل لعقيدتهم الخالدة التي هي سر وجودهم أعزاء . وأن يأخذ بأيدي العاملين المخلصين الى شاطيء النصر ـ أن الله ينصر من ينصره أنه قوي عزيز .

لمحات عن العدل الاجتماعي في القرآن

محمد علي الرديني
السنة الرابعة

لقد حثت الشرائع الالهية كافة على العدالة في ظل تطبيق حكم الله في الارض ، اذ لا سعادة دون تبني هذا المفهوم بشكل علمي ، والاسلام انما جاء ليحقق مفهوم العدالة لا على أنه شعارات طرحها في حدود ضيقة وخاصة بقوم دون قوم ، بل ان شمول العدل الالهي ككل جاء لخير البشرية جمعاء ، وكأمر لا يجوز التفريط بـه في سائر الاحوال (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) .

ولقد برهن النظام الاسلامي على أهمية تطبيق هذا المفهوم وضرورة الاخذ به في مختلف نواحي الحياة ، وهو بالاضافة الى ذلك خاض تجربته الرائدة وبموضوعية تامه .

والقرآن الكريم ـ دستور الاسلام العظيم ـ تحدث عن العدالة الاجتماعية في آيات عديدة لما لها من أهمية كبيرة في بناء وارساء اقوى وأمتن علاقات العدل الاجتماعي ، وهذا الذي نريد التأكيد عليه من ان الاسلام يؤكد حقيقة في غاية الاهمية وهي ان الدين الاسلامي لم يكن مجرد شعائر وعبادة فردية بل كان تهذيب خلق وفضيلة وصدق تعامل ، وحب الخير ، ووفاء والتزام ومساواة بين الناس ولنا في آيات الله معالم تلك اللمحات .

ان الآيات القرآنية الكريمة التي ناقشت موضوع العدل الاجتماعي

وعالجته لم تكن غير نزر يسير بين آيات الكتاب العزيز ، وقد حاولت جاهدا باختيار ما عالج من مواقع حساسة جدا من واقع المجتمع ، بصورة مختصرة أيضاً ، في تتبعنا للآيات التي ستتعرض لها في سياق حديثنا والتي توضح عدل الله سبحانه الاجتماعي في خلقه منذ بدأ الخليقة : « هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا »[1] . تجد « أن الارض وجميع ما فيها من نعم الله مخلوقة أما دينية فتستدلون بها على معرفته واما دنياوية فتنتفعون بها بضروب النفع عاجلا »[2] . وفي سياق حديثي هذا حاولت أن أدلل على وجود العدل الاجتماعي متلازما مع الانسان منذ بدء الخليقة . فالانسان هذا المخلوق الضعيف الذي أستخلفه الله في أرضه وهو ينعم بخيرات الطبيعة التي سخرها له وضع له الاطار الذي صورته « الخلق » جميعا ولكن ليست صورة جامدة وانما هي متحركة ومدركة ، لان المحرك الذي يسيرها الى طريق الخير والسعادة خلقه الله في هذا الانسان وهو « العقل » . فالتفكير العقلي للاستحضار التفصيلي في فكر الانسان وفي ديمومته الاستمرارية في ذلكم المنظار الذي يعكس صلته بالكون وصلته بالله سبحانه تعالى ومن خلال ذلك صلته بالمجتمع الذي يعيش معه بل البشرية جمعاء .

ولذا نرى أن « لكم » هنا ذات مدلول عميق وذات ايحاء كذلك عميق، انها قاطعة في ان الله تعالى خلق هذا الانسان لامر عظيم خلقه ليكون مستخلفا في الارض مالكا لما فيها فاعلا مؤثرا »[3] .

ولذا فأن الانسان عندما يدرك حقيقة ذاته ويفهمها على اساس التغير الجذري في نفس هذا الكيان نحو الافضل ونحو الكمال ، عند ذلك يبدأ يستشعر الجوهر الحقيقي لمفهوم العبادة « الالهية » فالصلاة وهي معراج

---

(١) البقرة : ٢٩ .
(٢) (الطبري : مجمع البيان ، ١/٧١) .
(٣) سيد قطب : في ظلال القرآن ، ١/٦٢ .

المؤمن الذي ما فتىء من الاتصال والارتباط العميق بالخالق تعالى فهذا المفهوم الرباني رسم الصورة المجسدة للاطار الايدلوجي لذهنية الانسان المؤمن الواعي بل وأعطى المدلول الايجابي للنظرة الالهية نحو الخلافة التكميلية ، فهي اذا لم تكن متصلة ومرتبطة مع الله سبحانه وتعالى فأن عمل هذه الخلافة يبطل وسرعان ما يزول الاثر الذي ترتبت عليه هذه الخلافة لانها بهذا تكون قد عبرت عن استقلالية الخليفة العبد وتمرده وغروره بالماديات الزائلة ، وهذا ما لا يرتضيه المعبود الخالق ، الواحد ، الذي وضع الاطار والطريق الذي يجب ان يسير عليه الخليفة في حياته الدينوية « ان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ... ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله »[٤] .

وبعد ان يتولد الاحساس العميق عند الانسان من خلال العقيدة التي تعطي المفعول الايجابي وعندما يبدأ الصراع مع النفس والصراع مع المجتمع الفاسد ، ويتحمل المصاعب والاهوال ، وتصبح العقيدة حية ، فعالة ، ويجد المجال الطبيعي لنمو هذه العقيدة ، مجال الصراع والمثابرة ، ويذوب في العقيدة الواقع الموضوعي ويستشعر من خلال الوعي الادراكي العميق ان الله سبحانه وتعالى خلقه ليستثمر ما أوجد له في هذا الكون وللبشرية جمعاء ، من خيرات ونعم بالتعاون مع أخيه الانسان ليحصلوا على النتائج الايجابية في بحبوبة من الادراك التعاوني في اطار العدل الاجتماعي .

« ألم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا ؟

وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا ؟

وجعلنا الليل لباسا والنهار معاشا ؟

وبنينا فوقكم سبعاً شدادا ؟

---

(٤) الانعام : ١٥٣ .

وجعلنا سراجاً وهاجا

وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا ؟

لنخرج به حبا ونباتا

وجنات الفافا »[٥] ؟

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى

وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا

ان اكرمكم عند الله اتقاكم • ان الله عليم خبير »[٦]

في تتبعنا لهذه الآيات المباركات في دعم هذا الدليل الذي جاء لتقوية حجته نجد أن الاطلاق غير المحدد للخليقة وما خلق لها في الارض والسماء من نعم الحياة وديمومتها وبالتالي ذلك التواجد البشري الذي مركزه آدم وحواء هي حقائق ثابتة في نتائجها ، ان الله سبحانه وتعالى انما خلق الانسان وسط عدل اجتماعي لا يجاريه عدل « ان الله رب الانسان قد خلق هذه القوى كلها له ، صديقا مساعدا متعاونا اما بسبيل كسب هذه الصداقة فهو أن يتأمل هذه القوى ويتعرف اليها ويتعاون معها واذا كانت هذه القوى تؤذيه أحياناً فانما تؤذيه لانه لم يتدبرها ولم يعرف الناموس الذي يسيرها »[٧] •

ذلك ان الله سبحانه وتعالى قد وهب ما لا يحصى في النعم لايجاد التكافل الاجتماعي بين سائر المخلوقات ، فقد خلق الحيوان والنبات والجماد ليستفيد منها في حفظ كيانه البشري واستمرار ديمومته على الارض وهذه النعم

---

(٥) النبأ : ٦ـ١٦ •

(٦) الحجرات : ١٣ •

(٧) سيد قطب ، العدالة الاجتماعية في الاسلام ، ص٢٣ •

كثيرة ومتعددة (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها)[٨] . فأولا ان الوجود الموحد صادر عن ارادة واحدة ولأن الناس جزء من الكون متعاون متناسق مع سائر اجزائه ولأن افراد الانسان خلايا متعاونة ، متناسقة مع الكون لم يكن اذن بد ان تكون متعاونة فيما بينها لذلك كان تصور الاسلام ان الانسانية وجدت تفترق اجزائها لتجتمع وتختلف لتتسق وتذهب شتى المذاهب لتتعاون في النهاية بعضها مع البعض كي تصبح صالحة للتعاون مع الوجود الموحد[٩] .

امكانية الانسان في تخطيطه لنظم الحياة :

ان امكانية الانسان في تخطيطه لنظم الحياة امكانية محدودة ، اما ضرورة كونها من الله وحده فهي أن الانسان عاجز عن الاضطلاع بتخطيط ينظم حياته لأن ما يملكه لا يؤهله لذلك ، انه يملك اربع وسائل لا غيرها :

١ ـ الهوى والشهوة النفسية :

هي الداء فكيف تصلح للدواء ؟! والرغبة الفردية والجماعية لا تصلح ان تشرع ، وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله .[١٠] .

٢ ـ العقل :

لا يحيط بتفهم طبيعة الانسان والحياة والكون ، اذ ان اكثرها امور معنوية فوق طاقته يحاول ادراكها بالظن والتخمين ، والعقل كذلك غير كامل فلا يرشح الا النقص ، وان الاهواء والمصالح تتداخل في احكامه ، ثم اي عقل يتولى التقنين ؟! عقل فرد أم طائفة ام عنصر ام اتجاه ؟ . وعقل عصرنا ام ما قبله ... ؟

---

(٨) النحل : ١٨ .
(٩) نفس المصدر ، ص٢٤ .
(١٠) البقرة : ٢٨٦ .

٣ ـ العلم المادي :

على ضخامته ونموه ، ولكنه لا يشـرع في القيم الخلقية والقوانين الفطرية ، اذ ان افقه اكتشاف قوانين المادة فحسب باعانة من العقل .

٤ ـ التراث الانساني :

وهو خبرات الانسانية مجتمعة ، ولكنه غير سليم من التحريف ، ثم أي انسان يصوغه ويفسره ـ شرقي ام غربي أم محايد ـ ... ومن اية فترة نبدأ بالافادة من التاريخ ؟

فما لنا بعد عجز الانسان بطاقاته الاربع عن تشريع الحياة الا ان نخشع باكبار واجلال لله العلي القدير الكبير المشرع لنظم الحياة ، (الا له الخلق والامر)[١١] . « يقولون : هل لنا من الامر من شيء ؟ قل : ان الامر كله لله »[١٢] .

بحث التفاسير :

ثلاثة مواقع متشابهة وردت في هذه التفاسير لتدلنا دلالة قاطعة على الاطلاق غير المحدد وهي :

١ ـ استخلاف الانسان في الارض ، ٢ ـ خلق ما في الارض والسماء من قوى ، ٣ ـ هذا التسلسل الفلسفي لتركيب البشـر الاجتماعي وحقيقة انتسابه ولذا فقد حددت الاطلاق غير المحدد لسبب جوهري وذلك لأعطي الدليل العلمي هو ما جاء في نصـوص هـذه الآيات الكريمة المفسـرة من المفسرين تبرز حقيقة واقعية عاشتها البشرية منذ الآماد الاولى وهي العـدل الاجتماعي وجد بوجود الانسان على هذا الكون فهذا الاسباغ الذي انعمه الله عليه لم يكن محددا لانسان دون آخر ، بل كان الاطلاق وان الله سبحانه

---

(١١) المائدة ، الاعراف : ٥٤ .
(١٢)

وتعالى منذ وجد آدم وحواء وتواجدت منهم البشرية كما جاء في الآية الثالثة أطلق لها اي البشرية ما في الارض وما في السماء من قوى كما جاء في الآيتين الاولى والثانية ، وهي حقيقة ساطعة من ان الارض والسماء وجدت والانسان قبل ظهور الاسلام ، لذا فان بالاستطاعة وبالدليل العلمي والمنطقي ان تثبت هنا حقيقة هي منطلق البحث من ان الله سبحانه وتعالى جعل العدل الاجتماعي متلازما مع الانسان منذ بدء الخليقة ، وان القرآن الكريم ، انما جاء ليحقق هذا العدل بين الناس ويوضح ابعاده وتطلعاته بعد ان فسد من في الارض من خلق الله .

(الآيات القرآنية التي شملت العدل الاجتماعي باحكامها وعالجت شمول نواحي الحياة)

آ ـ موقع حرية الدين والاعتقاد ومكافحة الاضطهاد والقسر :

قال الله تعالى (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)[١٣]

لو شاء الله سبحانه اكراه الناس على الدين لكان كما اراد . وهنا يبني تعالى دين الحق والتوحيد وان الحق قد ظهر ، والعبد قد خير فلا اكراه في الدين وقد ظهر الايمان من الكفر والحق من الباطل بكثرة الحجج والآيات الدالة عقلا وسمعا والمعجزات التي ظهرت على يد النبي محمد (ص)[١٤] .

ب ـ موقع العدل والمساواة والامانة وتكافؤ الفرص :

« ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها

واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل »[١٥]

« يرفع الله الذين آمنوا منكم

---

(١٣) البقرة : ٢٥٦ .
(١٤) الطبرسي ، مجمع البيان ، ٢/٣٦٤ .
(١٥) النساء : ٥٨ .

والذين أتوا العلم درجات »[١٦] .

فسرها الرازي[١٧] فقال : أمر المؤمنين في هذه الآية أداء الامانات في جميع الامور سواء كانت تلك الامور من باب المذاهب والديانات او من باب الدنيا والمعاملات وكان من اجل الاعمال الصالحة وانه تعالى ذكر الامر بالامانة اولاً ثم بعده ذكر الامر بالحكم الحق .

اما السيد الطاطبائي[١٨] فقد خص الامر هنا بالامانة المالية دون توسع فقال (فان المتبادر في مرحلة التشريع من مضمون الآية وجوب رد الامانة المالية الى صاحبها وعدل القاضي وهو الحكم في مورد القضاء) . اما الآية الثانية فقد فسرها الشيخ الطبري[١٩] بما رواه عن ابن عباس : يرفع الله الذين أوتوا العلم من المؤمنين على الذين لم يؤتوا العلم درجات ، وقيل معناه : لكي يرفع الله الذين آمنوا منكم بطاعتكم لرسول الله (ص) درجة والذين أوتوا العلم بفضل علمهم وسابقتهم درجات في الجنة .

ج ـ موقع الخمس والزكاة والانفاق والربا وأكل الباطل :

ان الاسلام الذي يرعى ايمان المسلم وعقله وكرامته أشترط الزكاة (الهيكل الاقتصادي للاسلام) مع شرطه الصلاة (عمود الاسلام الروحي)، فاقترنتا معا في كتاب الله ، وجعل في مال الغني حقا للفقير (واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)[٢٠] . فمن امتنع من دفعه فهو مرتد عن الاسلام تجبره الدولة حتى تسترد حق الفقير منه ، لذا فقد ذهب الصحابي الجليل ابو ذر الغفاري

---

(١٦) المجادلة : ١٢ .

(١٧) الفخر الرازي ، الكشاف ، ١٣٢/١٠ .

(١٨) الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان ، ٤٠٢/٤ .

(١٩) الطبري ، مجمع البيان ، ٢٥٣/٩ .

(٢٠) الانفال : ٤١ .

(رض) الى السماح للفقير ان يقاتل ليسترد حقه المغتصب من مال الغني فقال : (عجبت لمن لا يجد القوت في بيته كيف لا يخرج على الناس شاهرا سيفه)[٢١] !! .

وقيل في تفسيرها ما ورد عن الشيخ محمد بن الحسن[٢٢] فقال : سئل ابو عبدالله (ع) فقال : اما خمس الله عز وجل فالرسول يصرفه في سبيل الله واما خمس الرسول فلأقاربه وخمس ذو يالقربى منهم اقرباؤه وحدها واليتامى اهل بيته ، فجعل هذه الآية الاربعة أسهما فيهم ، اما المساكين وابن السبيل فقد عرفت أنّا لا نأكل صدقة ولا تحل لنا فهي للمساكين وابناء السبيل .

(واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، واطيعوا الله ورسوله لعلكم ترحمون [٢٣] .

فقد امر الله تعالى المكلفين باقامة الصلاة وايتاء الزكاة الذين اوجبها عليهم وان يطيعوا الله ورسوله فيما يأمرهم به ويدعوهم اليه ليرحموا جزاء على ذلك ويثابوا بالنعم الجزيلة[٢٤] .

وكنتيجة لخلافة الانسان في الارض تتوضح لنا الصورة جلية للعيان ، وهي من ان الله مالك كل شيء والانسان مستخلف في ملك الله . وانه من العقيدة الاسلامية ينبع النظام الاقتصادي في الاسلام ، فالمالك انحقيقي هو الله عز وجل اذ ليس لقيصر ملكه المستقل عن ملك الله كما ورد في الانجيل (اعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله)[٢٥] .ولكن كل ما في السماوات والارض

---

(٢١)
(٢٢) العاملي ، محمد بن الحسن ، وسائل الشيعة ، ٤/٣٥٥ .
(٢٣) النور / ٥٦ .
(٢٤) الطوسي ، التبيان في تفسير القرآن ، ج٧ ص٤٥٨ .
(٢٥) انجيل مرقس ، ١٢/١٧ .

له وحده (لله ملك السماوات والارض وما فيهن)[٢٦] . والفرد وكيل على هذا المال عن الجماعة ، وحيازة المال وظيفة أكثر من امتلاك والمال حق للجماعة وهي مستخلفة فيه عن الله ـ مالكه الحقيقي (وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه)[٢٧] .

وقال تعالى (ومما رزقناهم ينفقون)[٢٨] . فان فوائدها الكف عن الاسراف والتبذير والنهي عنه وثانيها بخصوص بعض المال بالتصديق وثالثها يدخل في الانفاق المذكور ، الانفاق الواجب[٢٩] .

(يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم ترحمون)[٣٠] .

فقوله اضعافاً مضاعفة قيل معناه ههنا قولان : احدهما : للمضاعفة بالتأخير أصلا بعد أجل كلما آخر عن أجل غيره زيد عليه زيادة على المال الثاني : اضعافا مضاعفة : اي يضاعفون في اموالكم[٣١] .

وقال الله تعالى (ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقاً من اموال الناس بالأثم ، وانتم تعلمون)[٣٢] .

اي ولا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى ولا تلقوها الى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم

---

(٢٦) المائدة : ١٢٣ .

(٢٧) الحديد : ٧ .

(٢٨) البقرة : ٣ .

(٢٩) الفخر الرازي ، الكشاف ، ٣/٣١ .

(٣٠) آل عمران : ١٣٠ .

(٣١) الطوسي ، التبيان في تفسير القرآن ، ٢/٥٨٧ .

(٣٢) البقرة : ١٨٨ .

بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة[٣٣] .

د ـ موقع قتل الاولاد وقتل المؤوده وطاقة الانسان :

« ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقكم واياهم »[٣٤] .

اي من خوف الفقر والمرادفة النهي عن الوأد اذ كانوا يدفنون البنات احياء بعضهم للغيرة وبعضهم خوف الفقر[٣٥] . والى هذا ذكر الله تعالى ايضاً (واذا المؤودة سئلت باي ذنب قتلت)[٣٦] .

(لا يكلف الله نفساً الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت)[٣٧]

فصّل السيد الطباطبائي[٣٨] فقال : الواسع هو الحد والطاعة والاصل في الوسع هو السعة المكانية ثم تتخيل لقدرة الانسان شبه الظرفية لما يصدر عنه من الافعال الاختيارية فيما يقدر عليه الانسان من الاعمال كأنه سعة قدرته وما لا يقدر عليه لا تسعه فانطبق عليه مضى الطاقة ثم سميت الطاقة فقيل وسع الانسان أي طاقته .

هـ ـ موقع التوازن المادي وتنظيم شؤون الدين :ر

« للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا »[٣٩] .

ان هذا النظام الذي شرعه الاسلام مظهر من مظاهر التكافل بين افراد الاسرة الواحدة وبين الاجيال المتتابعة فوق أنه وسيلة من وسائل تفتيت الثروة

---

(٣٣) تفسير البيضاوي ، ٢/٤٠ .
(٣٤) الانعام : ١٥١ .
(٣٥) الفخر الرازي ، الكشاف ، ١٣/٢٣٢ .
(٣٦) التكوير : ٦ .
(٣٧) البقرة : ٢٨٦ .
(٣٨) الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان ، ٢/٤٦٩ .
(٣٩) النساء : ٨ .

لئلا تتضخم تضخما يؤذي المجتمع أما هنا فتكتفي بالقول بأن في نظام الارث الاسلامي عدلا بين الجهد والجزاء وبين المغانم والمغارم في جو الاسرة • فالواحد يعمل وفي شعوره أن ثمرة جهوده لن تقف عند حياته القصيرة المحددة بل ستمتد لينتفع بها ابناؤه وحفدته وهم امتداده الطبيعي في الحياة[٤٠] •

و ـ موقع تجفيف الرق والايثار والصدقة :

قال الله تعالى (يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا)[٤١] •

فقد روت الخاصة والعامة ان هذه الآية نزلت في علي (ع) وفاطمة والحسن والحسين (ع) فانهم آثروا المسكين واليتيم والاسير ثلاث ليال على افطارهم[٤٢] • اما بالنسبة الى تحرير الرق في الاسلام فقد أخذ القرآن الكريم يعمل على تحرير الرق بمجرد ان ينضم الى الجماعة المسلمة ويقطع صلته بالمعسكرات المعادية فجعل للرقيق حقه عاملا في حرية العمل وحرية الكسب والتملك ليصبح أجر عمله له ، وله أن يعمل في غير خدمة سيده ليحصل على فديته أي أنه يصبح كيانا مستقلا[٤٣] •

ز ـ موقع الرقة والخمر والميسر والقتل :

ان الاسلام ليمنح حرية الافراد في الميدان الاقتصادي ، حينما تتحقق مصلحة الفرد والجماعه ، اما حينما تضار هذه المصلحة فانه يتدخل لمنع الضرر ان يحيف على صاحب المال او على الجماعة •

---

(٤١) سيد قطب ، العدالة الاجتماعية ، ص٦٧ •

(٤١) الدهر : ٨ •

(٤٢) الطوسي ، التبيان ، ٤/٢١٠ •

(٤٣) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ٢/١٧ •

وان هذا المنع والتحريم قائم على اصلين رئيسين (العمل شـــرط الكسب) (ورفع الضرر) ، لذا حرم الاسلام وسائل الكسب غير المشروع • وشرع قوانين صارمة في ردع من يسلك هذا السبل ــ منها قوله تعالى : (والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما ، جزاء بما كسبا ، نكالا من الله والله عزيز حكيم)[٤٤] •

ويصدق قطع اليد بفعل بعض اجزائها أو جميعها عن البدن بآلة قاطعة وقوله (جزاء بما كسبا نكالا من الله) الظاهر أنه في موضع المال من القطع المفهوم في قوله تعالى (فاقطعوا) أي حال كون القطع جزاء ما كسبا نكالا من الله[٤٥] والنكال هو العقوبة التي يعاقب بها المجرم لينتهي عن اجرامه ويعتبر بها غيره من الناس[٤٦] •

وفي قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميـــسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه)[٤٧] •

« لقد كانت الخمر والميسر والانصاب والازلام من معالم الجاهلية وفي التقاليد المتغلغة في المجتمع الجاهلي وكانت كلها حزمة ذات ارتباط عميق في مزاولتها وفي كونها من سمات ذلك المجتمع وتقاليده »[٤٨] •

وقد أسهب ابن كثير في تفسير الآية (ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب)[٤٩] « فقال : شرع القصاص لكم وهو قتل القاتل حكمة عظيمة وهي بقاء المنهج وصونها لانه اذا علم القاتل انه يقتل انكشف عن صـــنيعه فكان من ذلك حياة للنفوس »[٥٠] •

---

(٤٤) المائدة : ٣٨ •
(٤٥) والاقوى انها في موضع لاجله لان القطع جاء من اجل الجزاء والنكال •
(٤٦) الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان ، ٣٥٧/٦ •
(٤٧) المائدة : ٩٠ •
(٤٨) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ٢٨/٧ •
(٤٩) الانفال : ٤١ •
(٥٠) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٢١١/١ •

خلال ما استعرضناه من آراء لبعض المفسرين للآيات القرآنية الشريفة نرى ان الكثير منها قد عالج واقع البشرية الاجتماعي في كثير من المواقع لذا فقد حددت بصورة مختصرة جدا • ولما كان الله سبحانه وتعالى يأبى الاكراه على الدين ، وينبذ الظلم والتفرقة ، ويحارب الاستعلاء والتكبر ، ويوصي بالامانة وفسح المجال لاثبات وجود الانسان والدعوة الى المشاركة لجهد الانسان بماله والتعاون والمساعدة وقتل روح الطمع والجشع والنهي عن أكل اموال الناس ، وقتل الاولاد ، وعدم ارهاق الناس بما لا يطيقونه والايصاء على اموال اليتامى ، وحفظ حقوق الوراثة ، وضمان الدين ، ومحاربة الرقيق ، والحث على الصدقة ، ونكران الذات ، والتحذير من عواقب السرقة ومضار الخمر والميسر ، وقصاص القتل المتعمد •

ووقوفا عند آيات الله في العدل الاجتماعي توضح تحقق اهدافه الفضيلة لتحل محل الرذيلة ، والاخلاق المستقيمة مكان السقوط ، والعدل مكان الظلم ، والمساواة مكان الاستبداد ، والامانة مكان التخوف والقناعة مكان الاكراه ، والحرية مكان الرق ، والايثار مكان الانانية والتواضع مكان الاستعلاء ، والبيع مكان الربا ، والانفاق مكان التكنيز ، والعلم مكان الجهل ، والغنى محل الفقر والرعاية محل التشرد والصحة محل المرض •

وفي خلال هذا الاستعراض الموجز عن العدل الاجتماعي في القرآن توضحت لدينا حقيقة نقدر أن نخرج منها بنتيجة مثمرة ــ وهي ان الانسان المعاصر بأمكانه ان يعيش العدل المتمثل في الآيات القرآنية الشريفة التي استعرضناها قبل قليل ، وهذا لا يتحقق ما لم تتجمع لدى الانسان القابلية المدركة للحواس في تمحيص الامور العامة ووضعها في الميزان العقلي ، فان النتائج المستحصلة من وراء ذلك هي استنباط الصورة الحقيقية المجسدة للاطار الايدلوجي في مضمار الواقع العملي في بث هذه الفكرة وبلورتها في محور التطبيق الايجابي في بناء الكيان الروحي •

للبحث صلة

ميثم التمار على خشبة الصلب

ابراهيم رفاعة

- ١ -

أمس مررت بالكوفة ، برمالها ونخيلها وأسواقها وانسانها ٠

والكوفة في سنة (٦٠هـ) نقطة واضحة في خط تاريخ هذه المدينة العضوض !
٠٠ ها هم اولاء نفر من الناس يتهامسون ويسرعون
العيون تقدح أسرارا صوب الساحة في طرف الزقاق
وهل هناك مناسبة أكثر خصبا ليتكاثر فيها لغط الناس وفضولهم ؟
هناك ٠٠ هناك في سوق الصيارفة !
أسرع لنراه ٠ هذا المسكين ، ماذا فعل بنفسه ؟!
لكل أحد ما يناسبه من طرق التأديب !
بالله عليك كيف يفعلون به ذلك ، وهو من هو في علمه وتقواه ؟
لا تمسك بي ٠٠ كم أنت بطيء في المشي !!
ليحفظ الله مولانا الوالي وينصره على أعداءه !

* * *

أتراها مرة اخرى تلفظ احد أبنائها هذه المدينة العضوض ؟!

تحلق الناس نصف دائرة متكدسة من الاجساد وللهاث والانفاس والاصوات ٠٠
اخترقت ركام الاجسام حتى قاربت محيط الدائرة الداخلي محاذيا نطاقا غليظا
من رجال الشرطة التف حول المركز ٠

وفي مركز الدائرة : رأيتك !

تيقظ كل كياني ، وتفتحت كل حواسي ، وسألت عنك من تكون ؟

ـ « تمار من أسواق الكوفة

قد ظل يبيع التمر علانية

حتى علقه التمر على جذع النخلة ! » !

ـ ٢ ـ

ها أنت ذا ترتفع ـ رغم نزيف يديك ورجليك المقطوعة ـ شامخا

شموخ نخيل الكوفة ، ثابتا كامتداد الجذور .

أما لسانك فلا يكف عن الكلام ..

وشرطة الوالي لا يكفون عن شتمك ، ليسكتوا ثورة الانسان في لسانك ..
وكان يشق على كلماتك اقتحام ركام المتفرجين أول الامر .. لكن اصرارها
شق لها طريقا الى النفوس كما يشق الماء القوي مجراه في أرض صخرية عراء !
ثم ماذا غير أن يقطعوا لسانك .. ؟! وهذا أفضل اسلوب لديهم

لستر عوراتهم التي تكشفت بكلماتك ..

اتراهم قطعوا أكثر من عضلة تتحرك داخل الفم ؟ أما الروح المتسرب

القوي فاني لهم أن يمسوه بسوء ؟!

ـ ٣ ـ

قيل لي عنك : انك بائع تمر ! وهل أذكى منك ـ يا ميثم ـ في اختيار

حرفتك ليكون التمر بابك الى الجماهير ، فتمنحهم من فكرك وروحك

الثابت الاصيل ، أصالة النخيل في أرض الكوفة ؟؟

كم اجتمع حول دكانك جماهير الفقراء فاعطيتهم جوع بطونهم تمرا ، وللكبريت
الغافي في نفوسهم جمرا !

وكم تحول الناس عنك ونفوسهم تفجرها كلماتك الهادية :

« فلئن يفلق راسي نصفين

خير من أن يمسخ وجهي وجهين ! » .

- ٤ -

ها هو اللحظة يمر جوار خشبتك الباسقة جمع من أطفال الازقة بملابسهم الوسخة ، وعلى وجوههم مرح طفولي صادق ، وهم يصفقون ويرددون :

ما قتل وما فر ولكن دخل البـر

هل لهذا الكلام من معنى ؟ .. انها عبقرية الطفولة التي أنتجت مثل هذا الشعر الخالد .

ترى هل قتل ميثم حقا ؟ لكنه لم يفر أبدا ..

أتراه دخل البر كما تنطق بذلك فطرة هؤلاء الاطفال المرحين ؟!

وهل البر هنا شيء غير سعة التاريخ وامتداد الخلود ، أو هو شيء غير الوجدان الشعبي العميق ؟!

ورجال الشرطة هؤلاء الاجلاف ينهرونهم ويضربون بعضهم ، فيندفع الاطفال مهرولين متضاحكين ، وعلى أطراف ألسنتهم ذلك النشيد الخالد :

ما قتل ولا فر ولكن دخل البـر

اولئك آبائي فجئني بمثلهم

اذا جمعتنا يا جرير المحافل

ايا ذكرى الفجيعة

ايا ذكرى الفجيعة
أيها اليوم الذي فيه شهدنا الحزن والالما

لهيب نهارك الدامي
لظاه ذوب الزمن الذي مر عليه الموت
فظل الخالد العلما ٠

هي الذكرى هي الذكرى
عيوني تلتهب نارا
هو الطف

ويلبس ثوب حداده التاريخ والشعر
هو الطف الذي يرتاده الفكر ٠
ابا الشهداء يا مجدا نقدسه

له خرت رؤوس الناس
تحنيها رزيته
وخر على اعتابه يلتمس الطهرا

كبار الناس والتبر
نداؤك يا أبي الضيم
فرق صفحة الذل الذي عشناه

« لا والله لا اعطي يدي للباطل المغرور لا والله »
تظل فيوضه تترى
ولا ننســـاه ٠

وكم من آه يا قلب (الفداء)
تحمل ثقلنا الصدر الذي حط عليه الموت
وكانت (أرجل الخيل) التي كانت تحركها

ضغينتهم ٠
وكان الفارس الطاغوت

ترفرف صدرك الدامي وقد مات عليه الموت

أبا الشهداء : يا نحتا من الحرية الحمراء
في صدر الفداء وحربا من عنف في قلب العبودية

تركت الصمت واستلم الزمام الرمح والسيف
وجئت وفي رؤاك الثورة الامل

فكنت تعلم الدنيا اصول الرفض
وتعطيهم دروس الفقه
في لغة فدائية

فصرت الرفض في دنيا العبودية ٠
فداؤك
يا أبا الشهداء

احرق الطغيان

« الي الي يا شرذمة الهمجية الرعناء »
يا زيف ويا دجل ويا زور

ولكن لا يمس جبيني الذل
لاني سوف اسحقه افرقه

وأنتم أيها الباغون
لسوف الذل تلبسه عروشكم

وسوف الخزي في تاريخكم ينمو
وأما نحن فالثورة

ومر من في لقاء الموت لاجل قضيتي مرحى
دمائي تشتعل فرحا ٠

عبدالعزيز شرارة

رابع كلية الآداب ـ قسم اللغات الاوربية

« أرض الطف قضية »

أرض الطف قضية
قصة مبدأ
سمح التاريخ بدخوله
اعطاها هوية باسم « فدائيو تحرير الانسان »
وقعها اثنان وسبعون ضحية
بمداد الدم
في معركة الايمان .
كان جواز عبور سناها الرفض
الانسان لا يمشي مظلوما في الارض
سنضحي حتى يتحرر
هتف الابطال جميعا
اذ حاصرهم عبدان الرق
هتف شهيد الطف بدنيا الامس :
لا يسمع صوت الحق .
فاستل السيف بوجه الصمت ووجه الرق
وأرتفع الصوت ارتفع الصوت

سنقاوم حتى الموت •

في أرض الطف انفجر الرفض

صار منابع صار مدافع

وتدافع نحو الموت

الله' لا الطاغوت

لو تأخذ قطرة رفض من بحر الطف

لصارت شيئاً

يمسح زيف التلمود

سيفاً ذو شطرين

يركع تحت ضرباته

الاوغاد المتسللين

عبر الصمت •

« هـي ذكراك »

هـي ذكـراك يا شـهيد الإباء ... صفحة طرزت بنبض الـدماء
طرسـها المجد والقنا كتبتهـا ... احرفا نورت سـجل البقـاء
كان عنوانهـا بنفسـي افـدي ... شـرعة المصطفى اعز الفـداء

وسطور يلوح بين ثنـايا ... رسـمها انها دم الزهـراء
مهجـة المصطفى ونفس علـي ... سمقتها الخيـول في كـربلاء
وزعت جسمك الضبا وتناسـت ... انها وزعت رسـول السماء

لو رسمت الهدى رآك لسحت ... لك عينـاه يا حسـين الإباء
وسقتك الدموع كالغيث حتـى ... لا تقاسـي اللقا بحـر الظمـاء
ناشـرا حولك الرسول بنودا ... خافقات تقيك هول اللقـاء
انت عبدت للجهـاد طريقـا ... قصـرت دونه خطى الشـهداء

* * *

يا صريعا على الثـرى ابنتـه ... حومة الحرب بالشجى والبكاء
كان قطب الرحى عليه استدارت ... ثم قـرت مذهولـة الآراء
اين من يقحم الهزبر جريحـا ... وشـبا غرسه نذير الفتـاء
ثم نادت حوراؤه يا حسـين ... احرق القوم يا اخي خبائـي

فاجاب الصـريع والموت منـه ... قاب قوسـين يا ابنة الزهـراء
جمعي صبيتي وكوني عليهـم ... حارسـا مشفقا برغم العنـاء
واعدى النسـاء يا ابنة طـه ... لامتهـان وغربـة وسـباء
ههنا اخوتي على الترب صرعى ... بعدما كابدوا عظيم اللقـاء

فاتـاه اللعين يختز رأسـا ... كان عنـوان عـزة قبـاء
كبروا والقنا تلوح عليهـم ... شيبة خضبت بغبض الدمـاء
هرعوا للخيـام للسلب لمـا ... لم يروا غير صـبية ونسـاء
وبنو المصطفى على الترب صرعى ... قطعتهم صـوارم الاعـداء

* * *

يا قتيـلا اتت زينب حتـى ... وقفت عنـده بـكل حيـاء
وضـعت تحتـه يديها وقالت : ... انت قربان شـرعة غـراء

فتقبل قربانا يا إلهي ... انه للهدى أعز فداء
ثم راحت الى المخيم تحمي ... حجة الله من يد اللؤماء
هتفوا بالعليل هيا اقتلوه ... وهي تحميه بالشجى والبكاء
ثم ضجت بنات طه اليها ... قد دهمنا بعسكر الطلقاء
عمه اين المفر ؟ قالت بذعر : ... وهمن بعد الخدور في البيداء
صرخت صبية وفرت نساء ... روعت من تلاطم الارزاء
لا حسين يحمي العيال بسيف ... صارم ومنه بريق السماء
وهناك الاكبر المثير نطاهما ... صار شلوا ممزق الاعضاء
وابو الفضل فارس الحرب اضحى ... وهو الليث نائما في العراء
لم تجد زينب سوى جثث الـ ... ـقوم بدورا تسربلت بالدماء
فاستعانت بالصبر تحكم دورا ... شاطرت فيه سيد الشهداء

* * *

هي ذكراك والحديث شجون ... قد اقضت مضاجع الانبياء
مد بقيتم على الرمال ثلاثا ... بين لفح الهجير والرمضاء
تصهر الشمس زاكيات جسوم ... عفرتها عواصف الصحراء
وبنات النبي سبقت سبايا ... ليزيد الخمور سوق الأماء
وشت في السباء بعدك قسرا ... خفرات الهدى بلا ابناء
ليس يرعى العيال الا رؤوس ... بدلت رسمها سواقي الهواء
ان بكت روعت بوخز عدو ... يشتم المرتضى بدون حياء
واذا قصرت عن السير أدمى ... متنها السوط في يد اللؤماء
وتناديك في السبا فاجبها ... ولأنت المجيب كل نداء
وارغم الموت ان نفسك تابى ... أن ترى زينب لدى الطلقاء

* * *

هي ذكراك للحياة سراج ... يلهم الثائرين حب الفداء
يا ابا التضحيات يومك يبقى ... خالدا يعتلى نجوم السماء
لابد للموت تستطيل عليه ... بل سنها مكللا بالبقاء
علم الثائرين ان صروح الـ ... ـمجد لا تبتنى بلا اشلاء
علم الناس ان شرعة طه ... تستحق الفدا بكل سخاء
رسم الدرب للاباة سبيلا ... مهيعا لا حبا غزير العطاء
انت ضحيت بالحياة لتبني ... شرعة المصطفى بكل رضاء
وتقود الاجيال نحو حياة ... حرة رافعا اعز لواء
لتصون الاسلام من بغي قوم ... هدوه بغارة شعواء
فممات الابي عمر طويل ... وبقاء الذليل عين الفناء

هتاف الوجدان ووفاء الانسان

عبدالمجيد الدجيلي

السنة الرابعة

- ١ -

لمن دمعك يا عين عـــلى خـــدي ينصـــب
بلى .. قارب ان يرحل في صـاحبك الركب
فعن شـــم عرفنا فيهم انهم الخصـــب
ومن آنسـه الخصب فلن يؤنسه الجـدب

- ٢ -

اصبري قد اوشك البون فكفي الدمع يا عين
فمـا في امرنا عجب وما في عزمنـــا هون
ففي قلبـــي قد حلـوا فود القلب مكنون
بلى نحن عرفنـــا هم شـــهبا زانها الدين

- ٣ -

واحبـارا اجـلاء واشـياخا مرازينا
واقمارا واضـواء واعلامـا ميامينـــا
وافهامـــا وآراء والبابـا ميازينـــا
وعلمـاً بات في الافئـــدة الحية مخزونـا

- ٤ -

واقلاما قديرات بهـا القرطاس هيمـــان
واحلاما مريدات عليهـــا العقل ســـلطان
وانفاسـا نديـات لهـا روح وريحان
وها مات نقيـــات بهـا نور وتيجـان

- ٥ -

بحور ما لهـا قاع ولا عرض ولا طـــول
وعزمات فتيـــات لها ما عاشـت الطـــول

ورأي صـارم نصـل وقول دونه القـول
له السـلطان والصـلجان والقوة والحـول

- ٦ -

بهم يستانس الكرسـي والدكـة والمنبـر
اذا حلوا بنا دينـا غدت أرجاؤه تزهـر

فاني حوثـوا ٠٠ درا ٠ واني لفظوا ٠٠ جوهر
هم الاقمار ان تخف ٠ لنا في غدنا تظهـر

- ٧ -

بصائرنا لهم حرث لـه ابصـارهم ترنو
له أحلامهـم عاشت وفيه سـعيهم يعنـو

بأحسـان ومعـروف وفعل كلـه حسـن
فكل بـات ممنونا لفضـل ما بـه مـن

- ٨ -

هم القبلـة والقنوة والنجم الذي يهـدي
هم القـادة والـرادة والحـادون للوفـد

هـم الآبـاء والاجداد في الشـدة والجـد
هـم الحانون للابنـاء والراعون للولـد

- ٩ -

شموع لم تزل تذكو لكي نبصـر بالظلمـه
لكي نحيا٠٠فهل تدري ؟٠٠لمن قد وهبت لقمه
لمن اشفق يا هذي ؟ ٠٠ ويا بوركت من حكمه
لهم أشفق ـ أم للنفس ٠٠ أم للعلم والنعمه

- ١٠ -

هم صـاغة اذهـان ووجدان وانسـان
وذات ترجح التبـر اذا قيسـت بميزان
وصـناع صياقيل قـد أعيوا كل فنـان
اقامـوا السـيف من معدن ايمـان وعرفان

- ١١ -

ونساجون قد حاكوا نسيجا ما له مثـــل
من العلم الذي يرجى • فما الخز له عـدل
نسيجا ما به دخل • ولا في فنـه بخـل
فمن ذا يبخس الاشياء للناس ؟ وهم أهـل

- ١٢ -

وبنـاؤن حذاق أقامـوا الصـرح للرائـي
ونحن اللبن مرصـــوف به • والنار للنائي
بها يهدى الى سعدى تحيي الغادي والجائـي
فتغذوه وتســـقيه وتشـــفيه من الـداء

- ١٣ -

وزراعـون ابرار أعـــادوا قفرنا خضـــرا
لها قد غرد الطائر ينشـي شـدوه الشعرا
ولم يبصـر بريحان ولا وردا ولا زهـــرا
ولكن ابصر الايمان والعرفان والفـــكرا

- ١٤ -

ورسامون أفذاذ لنا قد رسـموا الدربـا
فها نحن وجدناه مضـاءا شـــارعا لحبـا
فلا عائق نخشـــاه هم قـد ذللوا الصـعبا
فبـات الدرب مأمونا بهم • ينتظر الركبـا

- ١٥ -

وسـقاءون بالراحات قـــد رووا صـوادينا
بورد سـائغ عذب من الصـداة يشـــفينا
ويبرينـا من الوصـــب الذي آذى مآقينـا
فعدنا نبصـــر الدرب وأحيا عزمنا فينـــا

- ١٦ -

وطعـامون قد بروا حلوما كلهـــا غرثـى
بزاد بعث القـــوة في اعضـــائها بعثـــا

وقد كن هزيلات ضعيفات القوى شعثا
وقد صرنا نشيطات فلا يسالننا المكثا

- ١٧ -

هم الصفوة والنخبة فالمجد لهم غرد
بدور تكشف العتمة والساري بهم يسعد

فما الشعر بموف قدرهم حقا وان يجهد
وان صاغ قوافيه بعقد نظمه أوحد

- ١٨ -

(عميد) حازم حبر وعزم بات فياضا
واخلاق رضيات بها حوزتنا راضا

عليه عقد (التاريخ)[٢] آمالا واغراضا
اذا ما نلت (فلهوزن)[٣] عسفا بات مقتاضا

- ١٩ -

ومن علمني الفقه (كبير)[٤] ما به صغر
كبير القلب والهمة ما في باعه قصر

وشيخ واسع الصدر لنا مذ أمسنا صدر
فان لم يشفع الشعر · عسى أن يشفع العذر

- ٢٠ -

و (موسى)[٥] أبيض الكفين والعمة والحله
فمن (كندة)[٦] أهل الظاد والصولج والصوله
كفاه شرفا · والله قد باركه نحلة
بعلم وافر يرجى · وخلق نرتجي مثله

- ٢١ -

وحبر (صادق)[٧] القيل كريم خالص صافي
ومن منطقه عذب ومن ايضاحه وافي
هو الحجة ذو الحجة والعالم بالخافي
اصولي وفقهي ومنطيق بانصاف

- ٢٢ -

وأكبر (بالحكيم[٨] الباقر المحسن) ذي الصورة
ومن يعلم ما تظهر او تستبطن السوره
ومن هيبته أغرت بها من قدسها نوره
لكم ناصية المجد وهام العلم موفوره

- ٢٣ -

و (مهدي)[٩] كلامي أمات الشك والبدعه
به فلسفة الاسلام عادة كلها منعه
به ارتدت أفاعي الشرك لا تامل في رجعه
أتت كي تلسع الدين فعادت تلعن اللسعه

- ٢٤ -

و (شيخ[١٠] عارف) عادت به تفتخر البصره
ففي عرفانه وفر وفي أيوانه وفره
أتته تطلب التأديب والتهذيب والنصره
ففي غرته هدي وفي طلعته غره

- ٢٥ -

وحيي (جعفر[١١] الشمس) التي عانقت الضبحا
ومن فلسفة العقل أشادت للهدى صرحا
ومن أخلص في الله أنا الارشاد والصبحا
كلامي امامي به تفتخر الفصحى

- ٢٦ -

وأعظم (بابن[١٢] مخزوم) فذاك الاوحد الندب
به تنتظر الفصحى مقاما دونه الشهب
ومن يدري أللبصرة ذنب ام له ارب
فما زال (لمخزوم)[١٣] فتى تطربه الحرب

- ٢٧ -

وقم وابسم (لغزوان)[١٤] ففيه الوعي هيمان
له تستبشر الاسماع والكرسي يزدان

هو السيل اذا قال وان أنشد بركان
بديعي بلاغي له في القلب كيوان

- ٢٨ -

و (للشواي)[١٥] اعجابي واكباري وتقديري
ففي اسلوبه الخلاق حقا خير تيسير

وفي اخلاصه للعلم فضل غير منكور
جزاك الله يوم الحشر بالولدان والحور

- ٢٩ -

ويا من قام فيه الشعر نشوانا على سوق
الى (علوش)[١٦] شكراني فما أملك من نوق

فشعري في ميازينك قد شب عن الطوق
فخذ كفي أبلغني لمجد جد مرموق

- ٣٠ -

جزاك الله يا (محفوظ)[١٧] بالفردوس والجنه
عن المأثور والآثار والسيرة والسنه

فيا مرآتنا نبصر فيها الدرب في المحنه
وقاك الله عافاك دعاء غير ذي منه

- ٣١ -

وعز (الوائلي)[١٨] الفرد للاعراب والنحو
عقاب الجو قد حلق في الآفاق والجو
فصيح ورث الفصحى عن الاعراب والبدو
وفي نادي (الغريين)[١٩] اجتلى من ذلك الضو

- ٣٢ -

ولا أنكر اذ أذكر فضل المفرد الشهم
(رحيمي)[٢٠] رحيم القلب بادي العلم والفهم
به عدنا نربي الجيل للحرب وللسلم
فاكبرت الذي علمني (احمد)[٢١] من علم

- ٣٣ -

وبارك درع داود و (داود[٢٢] بن سلمان)
فيا مدرعة صـــاغك من معدن ايمـــان

بكفيـــه الكريمين . فهلا لك من ثـــان
ألا فلتسلمي واســـلم لابنـــاء واخـــوان

- ٣٤ -

وقد زانك يا (وهاب)[٢٣] بالاخلاق وهاب
فشـــكريك لبـــاريك فـان العبـد اواب

فما غـــيرك الغـــرب ولا عابك أغـراب
فضاعف (للذي)[٢٤] أصبح من درسك يرتاب

- ٣٥ -

ويا واحد[٢٥] كم أسعدت بالتوجيه أسماعي
بألفاظ بها تشحث تصـــميمي وابداعـــي

ونفسي تكره (السكسون)[٢٦]فارحم مهجةالداعي
ودع للحقد قلبا يصطلي ما بين أضـــلاعي

- ٣٦ -

وودي خالصا وافى (ودودا)[٢٧] كلـه ود
خفيف الظل كالطائر في روضـتنا يشـــدو

خليلي لغة الســكسون عندي حظهـــا نكد
فان وددتهـــا للب فالقلب بـه صـــد

- ٣٧ -

وبارك (لابي[٢٨] تحسين) ذاك الرائد العامل
هو السفان والدفة باتت شـغله الشـــاغل

فيا بيض أياديـــه أعانت ذلك الكـــاهل
فميزانك لا غير لهـــا في ثقلنا طـــائل

- ٣٨ -

وفي (الاعسم)[٣٠] أكبرت به التصميم والجهدا
هو الاسوة للاخوة ما بروا لـه العهـدا

وما ساروا على الآثار وفدا يتبع الوفـدا
ومن رائده المجد بعزم يبلغ المجـدا

- ٣٩ -

واستمطر كف الله ذي الرحمة شـؤبوبا
(أمينة)[٣١] موته أورث في صدري مشبوبا

فلن انساه لن انساه ما دارست مكتوبا
وفاءً للـذي علمنـي المنطق تهذيبـا

- ٤٠ -

ويا (خالص)[٣٢] لا تجزع فما مثلك من ينسى
فانت الزهرة البيضاء قد انطقت الخرسا

ومن شد اليه الرحل من اصبح او امسى
فحاجات الورى عندك باتت تطلب الدرسا

- ٤١ -

ويا من بات مأمونا على الصـندوق والمـال
وتابى الجرح يمناه ٠ فخاب الشانيء القالي

فيا « علياو »[٣٣] أنظرني الى ميسرة الحال
فداري استنزفت مـالي حتى قوت اطفـالي

- ٤٢ -

وادعو الله ان يرعى لنا في عينه (المرزه)[٣٤]
ويبقيـه لنا ذخرا ويبقـي عمره عـزه

فلا يؤلمه همـز ولا يغفـل عن همـزه
هو المسلم والعفو عن الناس غدا حـرزه

- ٤٣ -

وان اختـــم لا أختم الا صـاح بالمســك
بمدح العيلم الاول (نوح صانع الفلك)[٣٥]
وامجـاد ميـامين أجذوا شـــأفة الشـــرك
على رأسهم (الفرحان)[٣٦] بالاحسان والنسك

- ٤٤ -

فيا اخوتنـا صـــبرا عـــلى ما قـدر الله
هو المنعـــم ما عشـنا ولا منعـــم الاه
هبوا أنفســكم دينا فانتم منـــه يمنـــاه
وطابت أنفس النشء فنحن الخير وفـــاه

* * *

فهرست الاعلام والكلمات

(١) الاستاذ العميد بالوكالة السيد الدكتور عبدالله الفياض .
(٢) المقصود دراسة التاريخ . اشارة الى درس الاستاذ الفياض .
(٣) (فلهاوزن) المستشرق المعروف .
(٤) يريد سماحة الشيخ علي الصغير .
(٥) يريد سماحة الشيخ موسى السوداني .
(٦) القبيلة العربية ذات المملكتين في نجد واليمن التي ينتسب اليها الشيخ .
(٧) يريد سماحة الشيخ محمد صادق الخالصي .
(٨) يريد سماحة العلامة السيد محمد باقر نجل آية الله المغفور له السيد محسن الحكيم .
(٩) يريد سماحة الشيخ محمد مهدي الآصفي .
(١٠) يريد سماحة الشيخ عارف البصري .
(١١) يريد سماحة الشيخ جعفر شمس الدين .
(١٢) يريد الاستاذ الكبير الدكتور مهدي المخزومي .

(١٣) القبيلة العربية القرشية العدنانية التي ينتسب اليها الاستاذ ٠
(١٤) يريد الاستاذ الكبير الدكتور عناد غزوان ٠
(١٥) يريد الاستاذ الكبير الدكتور علي الشواي ٠

(١٦) يريد لاستاذ الكبير الدكتور جواد علوش ٠
(١٧) يريد الاستاذ الكبير الدكتور حسين علي محفوظ المظاهري الاسدي ٠
(١٨) يريد الاستاذ الكبير ابراهيم الواثلي نسبة الى بكر بن واثل ٠

(١٩) الغريان ٠٠٠ النجف الطاهر الشريف ٠
(٢٠)و(٢١) يريد الاستاذ الكبير أحمد الرحيم ٠
(٢٢) يريد الاستاذ الكبير السيد داود سلمان العطار ٠

(٢٣) يريد الاستاذ الكبير الدكتور عباس الوهاب ٠
(٢٤) يريد نفس الشاعر الناظم ٠
(٢٥) يريد الاستاذ الكبير (العلي) مدرس اللغة الانكليزية ٠

(٢٦) الانجليز ٠
(٢٧) يريد الاستاذ الكبير (عبدالودود) ٠
(٢٨) يرد الاستاذ المفضال السيد عبدالرضا الوزان مدير التسجيل ٠
(٢٩) يريد الاستاذ المفضال محمد عبد الساعدي رئيس تحرير المجلة (أ) ٠

(٣٠) يريد الشاب عبدالامير الاعسم أول نائل لشهادة الدكتوراه من طلبة الكليـة ٠
(٣١) يريد المرحوم الدكتور أحمد امين ٠

(٣٢) يريد السيد خالص عزام ملاحظ التسجيل في الكلية ٠
(٣٣) يريد السيد (مصطفى العلياوي) محاسب الكلية ٠
(٣٤) يريد فضيلة الشيخ ميرزه علي العسكري المشرف على الطبع والتوزيع في الكلية ٠

(٣٥) يريد القائد المؤسس ٠
(٣٦) يريد الحاج فرحان الغبان رئيس الجمعية ٠

(أ) حذفه رئيس التحرير ٠

قصة قصيرة

إعادة نظر

- صاحبك عبدالمنعم في الباب .

هز رأسه بعصبية خفيفة ، كأن هذا الخبر الذي نقله اليه أخوه الصغير قد أثار في نفسه أشياء مزعجة . حمل نفسه متثاقلا ، وعبر الدهليز الى الباب . لمحه واقفا .. « هل هو الآن يبتسم ؟ .. ربما ! » .. ملأت أنفه رائحة عطر فرنسي خفيف .. أحس في داخله ضيقا .. « ولكنه الآن أمامك » :

- أهلاً .. صباح الخير (مد يده يصافحه)

- يا صباح النور .. أيامك سعيدة .

- أسعد الله أيامك . أهلاً .

أجابه بضحكة :

- ان شاء الله يوم الزواج .

- أوه !

انتبه الى نفسه في هذه اللحظة ، فأحس أنه لم يبتسم قط في وجه

صاحبه ، بينما وجه عبدالمنعم كله فرح وابتسام •

« أيليق بي أن أقابله بكل هذا التجهم والانقباض وفي يوم عيد كهذا ؟ » ابتسم ابتسامة بدت مفتعلة باهتة ، « لابد ان أملأ هذا الفراغ •• يا الهي كيف ؟! »

ـ كيف حالك ؟!

ـ كما ترى ، فوق النخل !

فطن عبدالمنعم الى ملابس رضا ، وقال بلهفة واضحة :

ـ ما هذا ؟! انك الى الآن لم تغير ملابسك حتى تتهيأ لنخرج • الساعة الآن التاسعة • أما تواعدنا البارحة أن نخرج سوية ؟!!

قال رضا ببرود ظاهر :

ـ ها ! •• البارحة ! (ثم بتنفس عميق) اي صحيح ، لكن •• أوه ! نسيت أن أدعك تدخل •

ثم دعاه فدخل •

جلس رضا قبالة عبدالمنعم ، وعلى وجهه صمت رزين • قال عبدالمنعم ويداه تعبثان ببقية غلاف شيكولاته العيد التي قدمها رضا اليه :

ـ هذه السنة يبدو أن العيد أجمل من كل سنة •• (وكأنه تذكر شيئاً ما) هناك زائرون كثيرون جاءوا من بغداد •• (ثم بضحكة فرحة) قم والبس أحسن ملابسك بسرعة قبل فوات الوقت :

رفع رضا رأسه الى عبدالمنعم ، وقال متسائلا فيما يشبه الاندهاش :

ـ الى أين نذهب ؟!

أجاب عبدالمنعم بشيء من اللامبالاة :

- الى كل مكان ! سوق الهنود فيه الجنة .. سينما أطلس فيها ما يرضيك .. نلعب قليلا في النادي ... ثم .. آه (قالها بانشراح صدر) شارع الكورنيش وما أدراك ما شارع الكورنيش ! طالما تصورت نفسي فيه وكأني أمشي في قصور هارون الرشيد بين الجواري والحريم ! بل أروع وأروع !

بدا رضا وكأنه لم يستجب لهذا الفرح ، ولهذه الامنيات التي تنتظرهما بعد قليل ، لكنه قال بجد ، وان خال عبدالمنعم في قوله بلادة وبلاهة :

- ولماذا نذهب الى هذه الاماكن ؟!

كان هذا السؤال قدحا من الماء المثلج سكب على وجه عبدالمنعم في يوم شتائي بارد ، فانتفض احساسه متوثبا ، وقال بدهشة شديدة :

- انه عيد ! عيد ! ألا تفهم ؟! الله ! ما بك اليوم ؟ البارحة وأنت تكاد تطير فرحا بانتظار هذا اليوم ؟ ألم تقل عنه أنت بنفسك انه سيكون يوما خالدا في تاريخ (مغامراتك) ؟!

قال رضا ، وقد بدا أنه لم يسمع من كلمات صاحبه سوى كلمة (عيد) :

- عيد .. (ثم بعمق أكثر أعقبته حسرة طويلة) عيد .. اي .

ركز بصره في عيني عبدالمنعم ، وقال مستفهما بهدوء :

- أسألك يا منعم : ما هو العيد ؟!

- ها ؟! هه ! أراك اليوم قد تحولت الى فيلسوف ! (ثم باستخفاف) « لماذا نطلع ؟ » « ما هو العيد ؟!! » ما هذا الكلام يا رضا ؟ أكاد أجن منك اليوم ،لعل شيطانا قد دخل في رأسك ؟! .. (ثم بنظرة استعطاف طفولي) قم ! قم يا رضاوي ! أراك الآن في حالة انزعاج ، لعلك متأذ من البيت ، لكن أعدك أن سيزول كل انزعاجك حين نغوص في الافراح

والملابس الملونة وأصوات الاغاني ولذات السينما و ..

ولاول مرة قال رضا بانفعال مقاطعا :

- أوه ! .. صرت أكره هذه الاجواء الرومانسية المريضة .. أكره هذه العواطف البدائية المنخفضة التي تجذبني الى العبث التافه والضياع .. (سكت قليلا وقال بلهجة صارمة) اننا مرضى .. مرضى ، لكننا نحاول أن نتناسى هذا المرض ، فنغطس في هذه الاعمال اللاهية العابثة لنخدر الجراح ، وسينكشف بعد ذلك أننا كنا نغالط أنفسنا ونضحك عليها . (اشتد انفعاله فثبت عينيه في عيني صاحبه) تريدني أذهب معك نلهو ؟ حاضر ! أذهب معك نتسلى ونتنظر ونعابث ونغازل ونتلذذ ونضحك ونذوب ... ثم نعود ! ثم ماذا ؟! ماذا بعد ذلك ؟ نعود وأذهاننا فارغة الا من بقايا لذة انتهت ، وحياتنا خالية الا من سعير حسرة وأسف على ما فات . هل هذا معنى الحياة ؟! هل هذا هو معنى الانسان ؟ ألا يا تفاهة هذه الحياة وهذا الانسان ! كفاني .. كفاني !

ثم أسند ظهره الى المقعد ليرتاح قليلا .. بدت عيناه من وراء غشاء شفاف من الدموع ، وراحت شفتاه تخرجان الكلام برقة كئيبة ، ولين حزين ، وكأنما هو يسرد رواية أو يرى حلما :

- البارحة .. بعد أن ودعتك في الحادية عشرة ، كنت مطرحا أفكر .. أفكر في هذا العيد .. كان كل شيء في سكون وصمت .. لقد راعني هذا الصمت وأوحشني السكون .. أحسست أن قلبي فارغ .. فارغ من الحياة .. في صمت .. تسلل الي عبر باب الغرفة صوت .. صوت خاشع رقيق .. صوت أمي تصلي . (ثم بصوت قوي متصاعد) امتد الي من طبقات صوتها بركان يثور .. جاءني مع خيوط صوتها انقلاب عارم عصف بي ، ولم أشعر الا والدموع تغرق وجهي ، ويداي تعبثان

بما حولي • كانت ثورة •• كان رفضا لواقع ، وتحولا الى واقع جديد •• كنت أحس أن في كلماتها أسلاك الغام فجرتني الى الابد •• كانت تقول بصوت خاشع عميق حار :

« والعصـــر ••

ان الانسان ••• لفي خسر

الا الذين آمنوا •• وعملوا الصالحات •• وتواصوا بالحق •• وتواصوا بالصبر »

كان يريد أن يقول شيئاً آخر ، ولكن نسيجا خفيضا سيطر عليـه •• شعر من داخله أن شظايا البركان تقذف بقوة ، ثم تتحول الشـــظايا كلمات على لسانه :

ـ خسر •• خسران •• خسران • دمار ••• رماد !

حاول أن يكف دموعه ، نظر الى عبدالمنعم فرآه في صمت ووجوم ، وقد أطرق برأسه الى الارض ، فاندفع رضا يقول بعينين ملتمعتين :

ـ الآن ، يا منعم ، أدركت أن للحياة معنى ، أي معنى ! وأن للانسان حياة حقيقية ملؤها الايمان والثورة الابدية والحرية السعيدة •• كنت فقاعة ماء سرعان ما تفجر فراغها الرياح • صـارت الفقاعة قطرة مؤمنة في محيط الحياة المطمئنة اليقظة الصاعدة نحو الكمال البشري •

والعيد ؟! أتدري الآن ما هو العيد يا منعم ؟ العيد يعني اعادة نظر ، اعادة نظر في أفكارنا القديمة ، وفي عواطفنا وسلوكنا ، وفي نظرتنا الى كل ما حولنا (ثم راح يتمتم) اعادة نظر ، •• اعادة نظر •

ثم غمرهما صمت •

غرس من مدرسة الوحي

يتعالى الضجيج ... والناس في زحام يكاد يحبس الانفاس ... وآخرون الهاهم الصفق فأنساهم ذكر ربهم ... ! ويذوب صوت المؤذن في زحمة الاصوات .. ! وفجأة .. يأتي النداء عن بعد أن أفسحوا .. ويتردد النداء مرة واخرى وثالثة ويخف الجرس ... وتتلاشى الاصوات الا البعض فقد اصبح همساً ... وتشرئب الاعناق لترى ما وراء المناد .. ويتراجع الجمع كمن سحب الى وراء دون ارادته ... وتبان عن بعد هالة نورانية احاطت بقرص ناصع البياض تعلوه عمة داكنة اضفى عليها ذلك البدر في اكتماله ظلال ... الشفتان تتمتم انهما ترددان ما يلهج به اللسان ليل نهار .. ويرد الجميع تحية القادم .. بين محب موالٍ صامد ، ومبغضٍ اقتحمته الهيبة قهرا ... ومنافق توشح بلبوس الايمان .. وضعيف خائف ترصد العيون !! ويتحلق الجمع حوله بدائرة تكاد ان تغلق ... ويقف الامام ... ويتمطى العقد البشري وتنفصم بعض عراه أثر تخطي رجل عليه سمة الوقار ... وفيه خيلاء ينم عليه رداءه القز .. والسيف المتجرد هو الآخر يحكي لنا محمله المرصع من ان الرجل ذو شأن ... انه اليهودي فلان ...

التجهم اكسى صفحة وجهه الغاص بالتساؤلات !

ـ تزعم انك امام ... !

ـ نعم انها الحقيقة الناصعة ...

ـ الحقيقة في مفهومك ... اما انا فلا اعترف بها !!

ـ ان كنت لا تقر ذلك فهذا من شأنك ... واضاف

- ولكني اقول من انك على غير علم أو معرفة بدينك ...

واستشاط اليهودي غيضاً وكاد الشرر يتطاير من عينيه وتقدم اكثر نحو الامام .. وغرز رأس سيفه المدبب في قبة قدم الامام .. واتكأ عليه ..!! الاشراقة لازالت بادية على محياه .. وكل شيء يمر بهدوء وبدأ اليهودي يوجه اسئلة في ظنه محرجة .. وكان البحر يقذف اصدافه الثمينة على الشطآن ... وبعد ان اسقط ما في يديه .. وخلت الجعبة من سهامها اشار الامام اليه ...

- ارفع رداءك خوف ان تنجسه الدماء ...

وذعر اليهودي واحنى رأسه الى اسفل واندهش ... !

هناك خيطا من الدماء يسيل نحو ردائه .. انها دماء الثقب الذي احتفره سيفه وثقله في ظاهر قدم الامام ... ودارت به الارض الفضاء ... وكاد وتمنى ان تبتلعه الارض ويكون نسيا منسيا .. وانتصب وصفرة ملحوظة علت محياه ... وسرت قشعريره في اوصاله المرتجفة ... وطفق يصيح كمن اصابه مس ...

- يا لك من رجل ... يا لها من رحمة انها تعم الاعداء الهي معذرةً ... سيدي معذرةً ... انت الكاظم للغيظ حقا ... انت العافي عن الناس حقاً ... امدد يدك فاني اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ، وانكم أوصياءه بالحق من بعده ... وبعد ان اكمل الشهادة .. طفق يركض في الزقاق ... مرددا « الله يعلم حيث يضع رسالته » ...

جاسب فالح الربيعي

كلية اصول الدين

« السنة الثانية »

قصة يوسف

ذبلت اشعة الشمس فجنحت نحو المغيب بعد أن خضبت جبين الأفق • بحمرة خدها • ثم طفقت جيوش الظلام ترسل طلائع الفتح لغزو النهار • فانكر يللم اشتاته مهرولا نحو خبائه • الكون مطبق والهدوء قائم بين جنبات تلك المدينة الوادعة الماثلة على رابية خضراء • ومما يزيد المنظر بهاء زقزقة الطيور وأناشيدها الشجية التي راحت توشي هذا الكون وهي تودع يومها المندحر وتعزيه • وفجأة هرعت الريح لتأخذ دورها هي الاخرى فتراقصت لها الاغصان طربا وهبت وعبت من نفذه تلك الحجرة الصغيرة فتلألأت الشمعة المضيئة في وسطها بينما جلس الاب يناجي ولده الجميل وهو يتفرس محياه الباسم مرتلا تسابيح التكبير للخالق المبدع فتساب كلمات يعقوب لتقرع سماع يوسف بلحن يطرب له فيهتز قلبه فرحا ويتراقص الحديث على نفحات الريح فكأنه يراقص الشمعة فيمتد الحديث ولكن سرعان ما زيلت عينا الجميل وثقلت اجفانه فتثاقلت البسمة على محياه اللطيف • ادرك ذلك يعقوب فاذن له بالذهاب الى الفراش فانتهض وكلمات الوالد تودعه ونظراته تتبعه والكل يدعو له بالنوم الهادىء والاحلام السعيدة • رقد الجميل في فراشه واسلم جسمه للنعاس وراح يغط بنوم عميق • وبدت خيوط حياة جديدة ومستقبل عظيم يتراءى للنائم • فيرى الشمس والقمر والنجوم سجدا له فيفزع ويكاد ان يهب من نومه ولكن يد الرحمة تهدأ روعه وتخفف من فزعه • وعلى خيوط الفجر الفضية وتسابيح الملائكة وصلاتهم نهض النائم الجميل وهو يحمل سرا كثيرا وامرا عظيما • فاشرق بوجهه

البهي على والده فتمتم باسم ربه ثم قص على والده فاشرق له يعقوب فرحا وادرك السر فاصغى للجميل وهو يحدثه حديثه .

ونما حب يعقوب لولده اكثر وحرصه عليه اشد فقال له (لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا عظيما) . وبهت يوسف لكلام ابيه واصغى اليه ولوصاياه ولمناجاته له . ... ولدي يا فلذة كبدي يا قرة عيني ويا أملي ورجائي ان قلبي يطير من بين اضلعي فرحا بك ونكتني أرى شبح الخوف وظل الغدر يراوداني فاسمعني بني وأقبل نصيحتي فقد رأيت الشباب بنزواته وخبرت المشيب بوقاره ولدي العزيزاني لارى الخير يشع من محياك والنور ينبلج من نور غرتك والايمان يتفجر من جوابك والرحمة تطوقك والملائكة تحمل علمك فهنيئاً لك وبالخير والبركة ولكن اخذ الخبر يتسلل من خرم الابرة فيسرقه النسيم وادركته الحيطان فحملته للآذان الصاغية لربيب النمل وحفيف الاشجار فشم اخوة يوسف الخبر بدهشة مشوبه بالحقد الاعمى وراح الغدر يحدوهم .

فتهامست الكلمات وهمهمت الشفاه واصغت المسامع وزمجرت الافواه وكشرت الاسنان فخفقت القلوب ونسجت خيوط المؤامرة على منوال الشر والخيانة وفوق سداة الحقد والكراهية وباتت تلك الفكرة الدنيئة تختمر في العقول الخاوية . ومن الليل بستاره الحديدي وهو يبسط بثقله على تلك المدينة الوادعة وراحت القلوب الشريرة قلوب الغادرين تدق لصبح الجريمة فانسلت الاجساد الساخطة من فراش الحقد بعد سهر طويل وتفكير عميق ونطقت بالشر والمكر وتفوهت بالشؤم . بينما راح يوسف يغط بنومه الهادي، يلتحف الرحمة ويفترش الطمأنينة تحت رعاية الباري وهو غارق في بحر من الاسلام . فتارة يخترق الوديان والشعاب ليبلغ الرسالة العظيمة واخرى يبتسم ويتهلل وجه الباسم فرحا وهو يلاقي الاعداء بالتسامح فيبتسم ابتسامة البطل .

وقرع الشر اجراسه يعلن للطغاة عن ساعة الصفر فانتهض الحاقدون يشدون الرحال لسفر الموت بينما ظل الليل يتثاقل عطفا على النائم الجميل بعد ان عرف الجريمه وادركها وعزم على ايقافه كي يعلمه الخير ولكن عطفه عليه وهو غاط بنومه اذهله عن ذلك على حين قام النهار يدحوه عن مكانه بعنف يحدوه المكر والكره لنور يوسف فانكر الليل وبقلبه حسرة على النائم الجميل •

وهنا قدم المجرمون بعزمهم الاكيد لبسوا اقنعة الخديعة فخفق قلب يعقوب وطار جنانه واوجس خيفة وهو يرى هذا الركب المخيف • واستجوبوا الاب على كلمة نعم فاطلقها بعد الالحاح الشديد فسبق السيف العذل ومزج السم بالعسل بدأت الكلمات المعسولة المغلفة بالحنان الكاذب تنطلق فتقرع آذان يعقوب بعنف •

وسار الجميل الى حتفه بقدمه ونظرات الوالد تشيعه بينما راح يتوارى خلف القوافي بينما بقي الشك يأكل في قلب يعقوب ولكن لا سبيل لهذا وذاك فيوسف يجد السير مع اخوته يقودهم العمق والظلال فتشتت نظرات الجميل تمتط السهول والجبال وتنعكس هذه الصور الجميلة على قلبه الطاهر فتنبعث التسابيح لخالق الكون العظيم • وحانت التفاتة منه فرمق اخوته وهو في نشوة فرحه وسروره ليستحثهم بنظراته الدابلة لمشاركته في تعظيم هذا الخلق الباهر العجيب لكنه سرعان دب الخوف الى قلبه وهو يرى نفسه في عزله عن حديثهم وفي فجوة عن تصميمهم فرأى القلوب تزمجر والوجوه التي ابتسمت قد لبست ثوب الحقد وقطبت الحواجب وكشرت الاسنان عن امر دفين ونزعت الاقنعة البراقة فظهرت النفوس بحقيقتها السوداء المظلمة فبرزت ذئاب مفترسة كاسرة مخيفة واحس بالغربة والوحشة تهجم على قلبه الوديع واستقر الرأي وقطع الامر بالقاء الصيد في البئر كي يكون الامر اكثر شدة والموت اكبر مرارة وعذابا واستقر الجميل بين حيطان

البئر المخيف وعجب لقسوة اخوته عليه ورجع بفكره ادراجه فلم يجد له من ذنب معهم سوى ان الله حباه بجمال باهر ورفعة مرموقة • ولكن حمد الله واثنى عليه (انا لله وانا اليه راجعون) وهنا يستعد اخوة يوسف للفصل الثاني من فصول الجريمة فيلبسوا اثواب موشاة بالحزن المزيف ذارفي دموع التماسيح واجمي الوجوه وهم يحملون قميص يوسف وقد لطخ بدم كذب جيء به من حيوان مسكين لم يسلم هو الآخر من فتكهم وقسوتهم • وهرع يعقوب الوالد الحنون حينما رآهم وطار جنانه وفقد صوابه وتلعثمت الكلمات فماتت على شفتيه وسمع حديثهم وكأنه النبال تقرع آذنيه بقوة وقسوة • ايقن الوالد ان كل شيء انتهى وان يوسف قد غدر به فاخذ يناجيه في خلوته وجلوته وفي سكونه وبراحته ولدي يوسف يا قرة أين انت ••• ؟ اين اودى بك ريب المنون ••• ؟ باي ارضي كم بطن من بطون الوحش ولدي يوسف ولدي ايها الجميل سملت عيوني كي لا أرى النور فاذكرك واماتني الله كي لا ارى الحياة ولدي يوسف •

ناجي الكعبي
كلية التربية

مدارس الأيام الجواد "ع"

تربية اسلامية هادفة •• اكتساب علمي رصين

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على محمد واله الطيبين الطاهرين •

يذكر أن الامام الصادق (ع) غاب عنه في احدى المرات أحد أصحابه ، وجاء هذا الصحابي بعد مدة • فسأله الامام (ع) ما الذي أبعدك عنا ؟ قال ولد لي ولد •

قال الامام (ع) : وما سميته ؟ قال : محمد ،

قال الامام (ع) : محمد ، محمد ، محمد ، ثم بكى **وخر نجده•**

هذا وقع ذكر اسم محمد (ص) على الامام • **فما وقعه علينا ؟!**

كلمات لها وقع على النفوس حين تعرف النفوس معاني **تلك الكلمات** فتتعاطف معها ونحن كمسلمين يجب أن تكون لنا أسماء **نتعاطف معها** •

خير الأسماء بعد اسم الله تعالى هو اسم محمد (ص) •

والتعاطف مع الاسماء علاقة لوعي الانسان • تستطع أن تذكر اسم أمام انسان وترى ما يحدث له وما يطرأ عليه •

في هذا العصر ما بقي لنا من الاسلام الا الكلمات نستطيع أن نتكلم بها فحري بنا أن نسمعها • وحري بنا أن نتقن سمع الكلام • ومن الخير لنا اذا استمع أحدنا للكلمة الطيبة فتدخل في كيانه وتفعل فعلها • كما أن الميكروب يدخل الجسم ويفعل فعله في الانسان •

حرصنا كبير على الدينار أن نحصل عليه لذلك نرى أن لكل منا

جيوبا .. ثلاث ، أربعة أو خمسة ، لماذا هذه الجيوب ؟ للدينار .

أحدنا يسمع كلاما عن الدينار نراه ينصت ويستمع له .

الكلمة أثمن من الدينار لان الانسان يموت والكلمة لا تموت .

« الناس أموات وأصل العلم أحياء » لحياة كلماتهم .

يجب أن نحرص على الكلمة اكثر من حرصنا على الدينار ، ونمسكها حتى ننتفع منها . كل الناس يبحثون عما ينفع ويفيد . والناس تحرص على مصلحتها وعلى ما ينفعها ، والمسلم عاقل ويبحث عن مصلحته أيضا وهو عرف المصلحة لذلك يجب أن يكون حرصه على مصلحته كبير . يجب أن يكون حرصه على الدين وعلى القرآن اكثر من حرصه على أي شيء آخر .

التاجر حريص على أمواله ويحمل همها لانه يعرف أن مصلحته باموانه وأنا أعرف أن مصلحتي في ديني فاذا لم اكن أنا أحرص منه على ديني وقرآني فانه أعقل مني لأنه عرف مصلحته وحرص عليها . وأنا عرفت مصلحتي ولم أحرص عليها .

الانسان عبارة عن كلمات انه يحفظ الكلمات التي يصطدم بها وينشيء كلمات أخرى ، ومعنى انه يحفظ معاني الكلمات ومعنى انه يحفظ معاني الكلمات انه عرف أشياء معينة . وبعد ذلك هو سيطبق ما عرفه في حياته .

كلمة النار يحفظها الانسان ويحفظ معناها ويعرف أنها محرقة فيطبق هذه المعرفة في حياته بان يبتعد عن النار .

لذلك لا يمكن فصل الحياة من معاني بعض الكلمات .

الانسان حياته تعتمد على بعض الكلمات المستقرة في حياته ، لانه يتعامل مع الاشياء على أساس معرفته ببعض الكلمات .

كلمة حرام . يريد الانسان أن يعمل عملا فيتبادر الى ذهنه كلمة

حرام فيتجنب ذلك العالم، فالكلمة ومعناها معانيها هما اللذان حددا عمله لذلك العمل أو تركه له وبذلك تكون الكلمات ومعانيها مرتبطة مع أعمال الانسان ارتباطا وثيقا وبالتالي فالحياة عبارة عن كلمات يحملها الانسان ويطبق معانيها .

ولو عدمت الكلمات من الانسان لاصبح كالحيوان بدونها .

اذن يجب أن أندفع لتحصيل الكلمات الثمينة لتكون حياتي ثمينة .

الانسان يحمل وعاء يحشوه بالكلمات .. معاني كلمات يحشوه .

كلمات الله تعالى ..... كلمات الشيطان .

كلمات الله تعالى ومن يتحدث عنه ..... أم كلمات الشيطان ومن يتحدث عنه ولذلك قيل « من أصغى الى ناطق فقد عبده » .

لان السماع تعبئة للكلمات ... وبالتالي العمل بموجب هذه الكلمات، فالسماع لمتحدث يتحدث عن الشيطان هو عباده للشيطان .

والسماع لمتحدث يتحدث عن الله هو عباده لله تعالى .

فمن أين نحشو وعائنا الآن ؟!

نحن نحشو وعائنا من الشارع .. ولا نأخذ معنا الا الوعاء وما حشوناه به وبالتالي تكون أعمالنا حسرات .. حسرات مؤلمة جدا .. وذلك في يوم تكون الحسرات فيه أألم من النار لان الحسرات تصيب القلب .. والنار تصيب الجسم . ولكن اصابة القلب كيف ؟ ... الانسان يجلس في المدرسة يحشو .. وفي المقهى يحشو .. وفي الشارع يحشو ... والطفل في الشارع يحشو .

فنحن مسؤولون عن الاطفال حين نتركهم يحشون من الشارع ومن المدرسة الاب مسؤول ... الاخ مسؤول .. الانسان حريص على تسجيل

ابنه في أحسن مدرسة .. لانه يريد فائدته .. ولكنه سيعرف يوم القيامة انه كان حريصا على قتل ابنه .

كلنا نفرح ونسر عندما نشاهد مشهد جميل فنمرح ونتونس ونأنس ، وبالتالي تنكشف لنا حقيقة عملنا فنرى اننا كان يجب علينا أن نلطم .

فلكي نعرف حقيقتنا وحقيقة أعمالنا يجب أن نموت لان الموت هو الذي يكشف عن كل شيء . اكثر الناس الآن عميان . حينما نرى انسانا لا يستطيع رؤية شيء واضح قريب امامه ألا نحكم انه أعمى .

اكثر الناس عميان لأن أنفسهم التي هي أقرب الاشياء اليهم لا يروها فهم عميان .. لا يكون همنا بطوننا كالبهيمة المربوطة همها علفها . لا نكون كالبهيمة حينما تكلف الله تعالى بهدايتنا وبتوجيهنا وبتعليمنا نعرف كم هو رؤوف ، رحيم ، ودود ، عطوف .

عندما أنزل كلمة لتربيتنا ، كم كرمنا ، كما رحمنا .

الوردة تقدرها لانهما جميلة .. الطفل تلاعبه لانه جميل .

الناس يحبون الطفل وكل الناس يحبون الطفل ويعطفون عليه .

والكل يلاعب الطفل .. ولا يلاعبون الشباب او الشيخ لماذا ؟!

الطفل وردة ولو غطى هذه الوردة الطين لما أصبحت جميلة .

ولكن لو وضعت فيها جوهرة فكم تصبح جميلة .

الانسان وعاء أما أن يغطي نفسه ويملأها بالسيان .. وأما أن يحشوها باللؤلؤ .. الانسان يجني على نفسه اذا ملأها بالسيان .

الانسان يهلك نفسه اذا ملأها بالسيان .

الانسان يصبح قبيحا اذا ملأها بالسيان .

وبالعكس فماذا يصبح اذا ملأها بالجواهر • اذا حشا وعاؤه بالجواهر • يصبح وكم تصبح قيمته ••• فيجب أن نقوم بخطوات عملية حتى نحشو وعاءنا ونحشو قلوبنا •

١ ـ الاستماع :

الاستماع هو أسلوب الحشو : المتحدث يجب ان نسمع له ونحرص على أن نسمع ونحشو ما نسمع • وسنرى بعد مدة أن ذهنك مملوء بخيال الكلمات التي حشوتها وعندئذ تستطيع أن تنتج كلمات الانسان أحسن آلة منتجة وهو ينتج أشياء جديدة دائما • فهو يخرج كلمات جديدة رغم أن معانيها معروفة • الانسان الة فأما الة خير واما الة شر • والالة تنتج فالانسان لابد أن يفرغ ولابد أن يتكلم • ولابد أن يكون هناك مستمعين •

فالكلمة تنفذ الى السامع وتنبت وتنمو فهي اما جرثومة قاتلة تفتك بالانسان واما نبته مزهرة تثمر وتفيد الانسان • ولذلك يجب على الانسان أن يحرص على سماع الكلمات ففيها ما يفيد أخذه ولذلك قيل « اذا جلست الى عالم فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تتكلم » •

كتاب الله تعالى هو كلمات الله تعالى أنزلها علينا • فهل هناك أحسن من كلمات الله تعالى • كلمات الله تعالى هي الجواهر وهي وحدها الجواهر يجب نحشو بها وعاءنا فهل حشونا وعاءنا منها ؟ وهل استمعنا لكلمات الله تعالى حق الاستماع •

وعلينا أن نوفر من يتلو كلمات الله تعالى حق تلاوتها • وعلينا الاستماع لها حق الاستماع لانها الجواهر التي نبحث عنها •

٢ ـ حمل كتاب الله تعالى ومرافقته :

اذا خلى جيبنا من النقود نشعر أن ذلك عيبا فنستدين • فكيف اذا كانت جيوبنا خالية من كتاب الله تعالى • وهو مادة الحياة •• وهو أساس

حياة المسلم .. وهو الحشو الوعائي للانسان . والذي لا ياخذ معه غيره . فعلى الاقل يجب علينا حمله لكي نحشو في أوقات الفراغ .

اصحابه كانوا يحفظونه بنفوسهم ، فعلى الاقل نحن نحفظه بجيوبنا هذه حجة وليس هناك عذر ، اذا لم يكن في جيب أحدنا كتاب الله تعالى .

أتدري ان قراءة القرآن واجبة كل يوم ؟؟ وان هذا الوجوب يسقط بقراءة القرآن في الصلاة ؟ فهل نتعامل مع كتاب الله تعالى على أساس اسقاط الواجبة ؟

كلام الله تعالى يسحر وكلام الله يرفعُ ، وعلامة قراءة القرآن واضحة ومكشوفة وهي نقرأ القرآن لا نلتفت الى ما يحدث لاننا نعيش في عالم آخر لاننا نخلق في عالم آخر بعيد عن عالمنا الذي فيه فلا نشعر بما يحدث في عالم لا نرتبط فيه الا بوجود جسدنا فيه وجسدنا فيه هو مجرد من الروح التي هي أساس وجودنا وأساس حياتنا .

اذا قرىء القرآن حق تلاوته يعيش الانسان في عالم آخر .

« فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون »

الانسان في الصباح يجلس ويأكل ويلبس ويخرج ويعمل ثم يعود وهو متعب فيأكل وينام ، والله تعالى يغذيه ويداريه وينعم عليه ويرزقه طوال وقته .

« فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون »

الله تبارك وتعالى يخاطبنا ويحدثنا .. فكم نستمع الى خطابه .. وكم ننصت لمحادثته .. وكم نتأثر بكلامه .. فسبحان الله حين نمسي وحين نصبح وله الحمد .

اذا تلي القرآن حق تلاوته . واستمع له حق الاستماع .

عند ذاك يكون العيش والتفاعل والتأثر .

عند ذاك يكون العمل بالقرآن .

وفقنا الله تعالى الى تلاوة كتابه حق تلاوته .

وفقنا الله تعالى أن نكون عقلاء .

وفقنا الله تعالى أن تكون قلوبنا واعية .

وفقنا الله تعالى أن نتذكر ونستفيد من مذكرينا

ما داموا بين ظهرانينا والحمد لله رب العالمين . .

المنطلقات الكلامية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين ...

وسميناها كذلك على سبيل تسمية الشيء نسبة الى أساسه أو قاعدته ، فلا يخلو كلام أو نظر في شيء الا وهو يرجع الى واحد أو أكثر من تلكم المنطلقات التي سنذكرها بعد قليل انشاء الله .. حتى أنت - أيها القارىء الكريم - لابد وأنت تقرأ هذه السطور أن نظرك أو فكرك لا يخلو منها وما عليك الا أن تقول لي : هيا هاتنا ما عندك .. لا تقدم لنا كثيرا مما في جعبتك .. ! مهلاً عزيزي القارىء .. لا تستعجل فعندي لك من العلم الجليل والكلام الجميل .. (وبالصبر تدرك الحاجات) على أنه للصبر حدود .. ! وبعدها يصبح ما يصبح .. دعني أداعبك قليلا قبل أن نخوض في غمار الموضوع خوضا .. دعني كذلك حتى ندخل فيه ونخرج من غير تعب ولا كلل .. وطالب العلم الحق لا يتعبه العلم .

كل انسان يمكن ارجاع كلامه الى واحد من المنطلقات التي سنذكرها - على أننا لا نجزم - بأنه لا يوجد غيرها ان لم نذكر ، فهذا ما تبين لنا « وقل ربي زدني علما » واليك هذه المنطلقات :

١ - المنطلق الواقعي أو الموضوعي : وهو أن ينظر الانسان للشيء كما هو فيتكلم عنه في حدود واقعية من كل جهة لها علاقة به .

٢ - المنطلق الذاتي : هو أن ينطلق الانسان متأثرا كلامه - كلا أو بعضا - بذاته .. بعواطفه . ميوله .. اتجاهاته من حيث يدري أو لا يدري .

٣ - المنطلق العقلي : : وهو أن ينظر الانسان للشيء متجردا عن عواطفه وأهوائه وأن ينظر وهو مصيب غير مخطىء في حكمه .

٤ ـ المنطلق الشرعي : وهو أن ينظر الانسان للشيء من خلال الشرع : النصوص القرآنية والاحاديث واحكام الفقهاء المعتبرة .

٥ ـ المنطلق المنطقي : وهذا المنطلق يمكن أن يدخل في المنطلق العقلي ولكن أفردناه لاهميته في الحياة العقليـة ولان هنـاك ما يعرف بعلم « المنطق » فالمنطلق المنطقي هو أن ينظر الانسان للشيء من حيث ذكر الشيء وضده مثلا أو الشيء ونظيره .. أو الشيء حال كونه حقيقة معلما بها أو غير ذلك أو لكل شيء سبب .

٦ ـ المنطلق اللغوي : هو أن ينطلق الانسان من لغة القواميس والمعاجم وما تعارف عليه أهل اللغة .

٧ ـ المنطلق العرفي : هو انطلاق الانسان من العرف الاجتماعي أو انطلاقه مما تعارف عليه الناس واصطلحوا .

٨ ـ المنطلق التأريخي : هو منطلق واسع لان التأريخ يمكن أن يستوعب ـ كل الحيوات الدنيا والآخرة وما بينهما أي حياة البرزخ ـ فهـو منطلق بعيد ببعيد .. وتعريفه أن ينظر الانسان من الزوايا التأريخية الماضية أو الحاضرة أو المستقبلة .. كالتي حدثنا الله تعالى عنها في كتابه المجيد من مشاهد يوم القيامة فهي واقعة في علم الله وان لم تقع لنا بالفعل .

فوائد هـذه المنطلقات

ولان همنا الايجاز فلذا سنحصر فوائدها على ما تبين لنا بما يلي :

١ ـ بواسطتها يمكن معرفة ما اذا تكلم الانسان . من أي منطلق نطق .. ؟ وماذا يترتب على هذه المعرفة ؟ يترتب أن ستدرك مثلا اذا ما تغلب عليه الجانب الذاتي والعاطفي .

٢ ـ يمكن تحديد عقلية ونفسية الانسان ـ لا على وجه الدقة طبعا ـ وذلك

بواسطة واحد أو اكثر من منطلقاتنا .

٣ ـ معرفة هذه المنطلقات تجعلنا نعرف ماذا نستعمل منها وخصوصا في خدمة العقيدة مع أنه من الممكن الجمع بين أكثر من منطلق في مقام واحد اذا اقتضى الحال .

٤ ـ من هذه المنطلقات وهو المنطلق الذاتي معرفته تتمخض عن غرضين

١ ـ لكي نتجنب تدخل ذواتنا في المواقف غير المناسبة .

٢ ـ أن نعرف ما اذا تحكم المقابل أنه أنطلق من ذاته ـ اذا أنطلق ـ .

٥ ـ الفائدة العظيمة ـ من الفوائد ما هو عظيم ـ أنه يتوفر لدينا أكثر من منطلق في الكلام فترانا نصول ونجول من تلكم المنطلقات فتارة نكون كالواصف الدقيق للواقع المعاش وتارة كالناقد الخبير والحكم العدل في القضايا والامور وحينا كالثائر الغضوب على الواقع الفاسد ، ولا تنسى أننا نكون مرة كالعالم الفقيه والمجتهد الحافظ المجيب في المسائل والوقائع ومرة أخرى يكون فيها الانسان وهو ينطلق من التأريخ من المشاهد والوقائع وهكذا .

٦ ـ على أنه لا تفوتنا الفائدة من استعمال المنطلقات من حيث التقديم والتأخير فليس من المنطلق أن نستدل لمن لا يؤمن بالله بآية أو حديث بل نستعمل المنطلق العقلي أو الواقعي أو غيره . أي تؤخر استعمال المنطلق الشرعي حتى حينه .

مما تقدم يتبين لنا معرفة المنطلقات وفوائدها ومن المفيد أن نؤكد أهمية استعمال هذه المنطلقات كلا او بعضا في خدمة العقيدة ... في اثبات وجود الله والايمان به وأحقية الشريعة الاسلامية بالتطبيق من غيرها .. وأخيرا وليس بأخير الاخذ بيد الانسان نحو الخير والأمن والسلام .

التعليم الشرطي

بين كرشنى وبافلوف

عبدالهادي الفضلي

يعزو تاريخ علم النفس وضع نظرية التعلم الشرطي الى العالم الفسيولوجي الروسي ايفان بترونش بافلوف المتوفى ١٩٣٦م .

وهي من مهمات نظريات التعليم ومن مهمات موضوعات علم النفس . ويعني التعلم الشرطي ذلك الترابط الآني بين الاستجابات الطبيعية والمنبهات الصناعية الشرطية ، والذي تنوب فيه اشارت ورموز تامرة السلوك عن المنبه الاصلي .

وقد توصل اليها العلامة بافلوف عن تجاربه التي اجراها على الكلب الذي كان يثبته على مائدة التجارب .

حيث كان يضع على لسان الكلب مقدارا من مسحوق اللحم المجفف ، قارعا جرسا كهربائيا قبيل وضع المسحوق في فم الكلب .

ولاحظ بعد ان كرر التجربة اكثر من مرة ان قرع الجرس الكهربائي وحده كاف في افراز لعاب الكلب .

واعاد التجربة مستبدلا قرع الجرس باضاءة مصباح امام الكلب وقبيل وضع المسحوق في فمه ايضا . ولاحظ ان اضاءة المصباح وحدها بعد تكرار التجربة كافية في ان يسيل لعاب الكلب عند رؤيتها .

وثالثة اعادها وهو يربث على ظهر الكلب او كتفه وقبيل وضع المسحوق في فمه ايضا . فكانت النتيجة ذاتها .

اهتدى من هـذا الى ان المنبهات البديلة او ما يسميها بـ (المنبهات الشرطية) تستدعي الاستجابة أو ما سماه بـ (الفعل المنعكس الشرطي) كما تستدعيها المنبهات الطبيعية .

وقد اطلق على تعلم الحيوان الاستجابة للمنبهات الشرطية مصطلح (التعلم الشرطي) .

وانتهى ايضا الى ان هذا اللون من التعلم موجود في جميع الحيوانات حتى احطها . والى ان يستطاع بواسطته تفسير جميع مظاهر السلوك الانساني والحيواني[1] .

ونحن عندما نرجع الى تراثنا العلمي الاسلامي نجد جذور هذه النظرية تبدأ وبتفصيل من قبل العلامة النحوي المعروف بـ (الرضي الاسترابادي) والمتوفى عام ٦٨٤هـ وذلك في كتابه النحوي (شرح الكافية) عند دراسته موضوع (الاصوات) . قال : « وثالثها : اصوات يصوت بها للحيوانات عند طلب شيء منها اما المجيء كالفاظ الدعاء نحو (جوت) و (قوس) ونحوهما ، واما الذهاب كـ (هلا) و (هج) و (هجا) ونحوها ، واما امر آخر كـ (سأ) للشرب و (هدع) للتسكين .

وهذه الالفاظ ليست مما يخاطب به هذه الحيوانات العجم حتى يقال انها اوامر او نواه كما ذهب اليه بعضهم لانها لا تصلح لكونها مخاطبة لعدم فهمها للكلام كما قال الله تعالى (كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الادعاء ونداء)[2] بل كان اصلها : ان الشخص كان يقصد انقياد بعض الحيوانات لشيء من هذه الافعال فيصوت لها اما بصوت غير مركب من الحروف كالصفير للدابة عند ايرادها الماء وغير ذلك ، واما بصوت معين مركب من

---

(١) أصول علم النفس للدكتور أحمد راجح ٢٨١ .
(٢) البقرة : ١٧١ .

حروف معينة لا معنى تحته ثم يحرضه مقارنا لذلك التصويت على ذلك الامر اما بضربه وتأديبه ، واما بإيناسه واطعامه ، فكان الحيوان يمثل المراد منه اما رهبة من الضرب او رغبة في ذلك البر ، وكان يتكرر مقارنة ذلك التصويت لذلك الضرب أو البر الى ان يكتفي الطالب بذلك الصوت عن الضرب او البر لانه كان يتصور الحيوان من ذلك الصوت ما يصحبه من الضرب او ضده فيمثل عقيب الصوت عادة ودربة فصار ذلك الصوت المركب من الحروف كالامر والنهي لذلك الحيوان .

وانما وضعوا لمثل هذا الغرض صوتا مركبا من الحروف ولم يقنعوا بساذج الصوت لان الصوت من حلث هو هو مشتبه الافراد وتمايزها بالتقطيع والاعتماد على المخارج سهل فلما كان الافعال المطلوبة من الحيوانات مختلفة ارادوا اختلاف العلامات الدالة عليها فركبوها من الحروف . وما ذكرنا من الترتيب يتبين من كيفية تعليم الحيوانات كالدب والقرد والكلب وغير ذلك .

هذا ، وانا لا ارى منعا من ارتكاب صيرورة هذه الاصوات المقارنة في الاصل للضرب او البر لما استغنى بها الطالب عنهما اسماء الافعال بمعنى الامر - كما ذهب اليه بعضهم - فتكون اوامر ونواهي ، لان الله سبحانه وتعالى جعل العجماوات في فهم المطلوب من هذه الاصوات بمنزلة العقلاء ، فلا بأس بان تخاطب وتكلم بما تفهمه كالعقلاء[٣] .

وفي ضوء المقارنة بين هذا النص - الذي نقلته بكامله نيقاومنه - وبين تجارب بافلوف ونتائجه نستطيع ان ننتهي الى ان الرضي كان سابقا في الاهتداء الى هذه النظرية (نظرية التعليم الشرطي) .

وربما افادها من ملاحظاته المتكررة لحياة الحيوان وسكونه حيث لم يذكر تاريخيا انه قام بتجارب مماثلة لما قام به بافلوف ، والنظرية كما تأتي

---

(٣) شرح الكافية ٢/٨٠ و ٨١ .

نتيجة لتجارب تجرى في معامل الترويض ، تأتي ايضا نتيجة للملاحظة المنظمة الدقيقة للسلوك •

ونستطيع ان نعلل عدم اعطاء اهتداء الرضي للنظرية الاهتمام الدراسي المطلوب بمجيئه سابقا بقرون لوجود علم النفس ، ولانه كمن في مجال غير نفسي وهو المجال النحوي •

وعامل آخر هو عدم دراسة نظريات الرضي لغوية وغيرها من قبل الباحثين العرب او غيرهم فيما اعلمه • فقد خلف الرضي ثروة علمية ضخمة وذلك في كتابيه (شرح الكافية) في علم النحو العربي و (شرح الشافية) في علم الصرف العربي اللذين عالج فيهما مسائل ذينك العلمين ونظرياتها معالجة واعية اتسمت بالاصالة في الرأي والعمق في البحث والانتهاء الى آراء خاصة ذات قيمة مهمة في المجال النحوي واللغوي منحته لقب (المحقق) بين العلماء و (نجم الائمة) باستحقاق •

واخيرا : للعالم بافلوف فضل تأكيد النظرية بالتجربة العملية وبلورتها الى مصطلح اخذ مجاله العلمي •

« فكر ولاحظ وشاهد وجرب تكن عارفاً •• شعار المسلمين الاوائل في تركيز المفهوم العلمي في التفكير الذي يعتمد (العقلية) و (التجريبية) كمقياس للمعرفة الانسانية كما يقول العلامة لوبون •

مناهج البحث العلمي

عند علماء الفقه الجعفري

صالح مهدي الهاشم

بكالوريوس آداب من كلية أصول الدين

اختصت مناهج البحث العلمي عند علماء الفقه الجعفري بخواص طبعته بطابعها وانفرد بها • ومهمة فهم هذه الخواص وتعدادها والقاء الضوء على جوانب غامضة منها مهمة صعبة شاقة تحتاج الى كثير من الجهد والاطلاع • والسطور التالية محاولة اولية لتوضيح الخطوط العريضة لهذه المناهج والأمل وطيدان تحض بالدرس والمتابعة • ، ولعل أول ما يلفت النظر في هذه المناهج ويكوّن الظاهرة البارزة للفقه الجعفري ، عملية استنباط الاحكام الشرعية من ادلتها التفصيلية حيث تتميز عن غيرها بانها ديناميكية دائبة الحركة لا تتوقف عند حد ، بفضل فتح باب الاجتهاد واستمراريته داخل اطار العناصر المشتركة لادلة الاحكام الشرعية ، وهي تبعا لذلك تدرجت وتطورت لتشمل المواقف السلوكية للمكلفين كافة في متطلبات الحياة وحاجاتها كلها •

ومن طبيعة مناهج البحث عند علماء الفقه الجعفري ألا يأخذوا بحجية الخبر الذي لا يكون في سنده واحد من ائمتهم (عليهم السلام) ، آخذين بنظر الاعتبار أن اقوالهم اقوال الرسول (ص) وافعالهم افعاله لانهم خلفاؤه في الامة بالنص والتعين •

ومن خواص مناهج البحث العلمي في مواضيع كتب الفقه الجعفرى

انها مقسمة الى اربعة اقسام : القسم الاول يضم العبادات : وهي معاملات خاصة يشترط فيها النية القربى ، واول كتب هذا القسم الطهارة وتنتهي بكتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر •

اما القسم الثاني : فهو العقود ويسمى المعاملات ايضا وهي تشريعات ذات صيغ توجب الالتزام بين طرفين من المكلفين انفسهم بعد تحقيق الايجاب والقبول الحكمة منه ضبط الحقوق ، واول كتب هذا القسم التجارة وتنتهي بكتاب النكاح •

والقسم الثالث : الايقاعات : وهي تشريعات ذات صيغ توجب الالتزام من طرف واحد بعد تحقق الايجاب دون القبول ، واول كتب هذا القسم كتاب الطلاق والعتق وتنتهي بكتاب النذور على الاغلب •

والقسم الرابع : الاحكام : وهي تشريعات توجب الالتزام بتحقق موضوعها دون تحقق الايجاب او القبول • واول كتب هذا القسم على الاغلب كتاب الصيد وتنتهي بانتهاء كتب الفقه وهو كتاب الديات •

ومن طبيعة مناهج البحث العلمي في اساليب تأليف كتب الفقه الجعفري وكنتيجة للتطور الحياتي الذي اكتنف اغلب العلوم ، فأنها تكاد تنحصر بالتخطيط التالي :ـ

١ ـ مجاميع الحديث الفقهية •
٢ ـ مجاميع فقهية استدلالية •
٣ ـ مجاميع فقهية محضة •
٤ ـ مجاميع فقهية مقارنة •
٥ ـ رسائل عملية •

ولكي نكون واضحين في تخطيطنا هذا سندرس تلك المجاميع دراسة مختصرة مشيرين الى اهم المصنفات التي تندرج تحتها • وهي كثيرة ولا ريب

ومن الصعب ان تقع تحت حصر الأمر الذي اقره الشيخ الطوسي على سعة اطلاعه بقوله : (ان تصانيف اصحابنا واصولهم لا تكاد تضبط لانتشار اصحابنا في البلدان واقاصي الارض)[1] . ولكننا نميل من اراد الاستفاضه الى السفر القيم الموسوم بـ (الذريعة الى تصانيف الشيعة)[2] .

١ ـ مجاميع الحديث الفقهية :

لعل من نافلة القول ان نذكر بان جل العلوم الاسلامية ابتدأت فرعا عن الحديث الشريف ، فالمفسرون والمعنيون بعلوم القرآن مثلا يجمعون المأثور من الحديث ما ناسب عملهم فيرتبونه وفق ما تمليه عليهم مناهجهم في البحث من تدوين الاحاديث ، متونها واسانيدها الى مصدرها الاصلي وهو الرسول الكريم على الاغلب . وكذا فعل علماء التأريخ الاسلامي وكاتبو السيرة والمغازي ونحوهم وتبعهم في ذلك الفقهاء وعلماء الشريعة بل كانوا في مقدمتهم لما لهذا العلم من مكانة سامية في نفوس الناس باعتباره المتكفل بسد حاجاتهم الدنيوية والاخروية ، ومما يتمتع به الفقيه من حضوة وتكريم في مجتمعه دون غيره من العلماء .

وبهذه المنهجية بدأت كتب الفقه مجاميع تضم بين دفتيها بعض احاديث في الصلاة او الصوم أو غير ذلك من كتب الفقه المعروفة . وكان اهم هذه المصنفات في الفقه الجعفري على الارجح اربعمائة مصنف تعرف بالاصول

---

(١) الفهرس ، (النجف ١٩٦٠) ص٢٥ .

(٢) الف هذا الكتاب الشيخ محمد حسن المعروف بأغا بزرك الطهراني (ولد سنة ١٢٩٣هـ) وهو كتاب فريد في بابه ضم بين دفتيه تفصيلا للغالبية العظمى لكتب الفقه الجعفري وغيره استغرق سنوات من عمر مؤلفه شرع في تأليفه سنة ١٣٢٩هـ في مدينة سامراء واكمل هيكلته والترتيب الاول لاجزائه سنة ١٣٣٤هـ وتم طبع الجزء الاول والثاني سنة ١٣٥٥هـ وصدر منه حتى الآن الجزء الثامن عشر ومن المتوقع ان تصل اجزاء هذا الكتاب الى ثلاثين جزءا تصدر تباعا .

الاربعمائة قال عنها غير واحد من الأعلام انها (اربعمائة مصنف لاربعمائة مصنف) .

ثم جاء رجال افذاذ جمعوا تلك المصنفات والاصول بكتب فصلوها وضبطوا اسانيدها ورتبوها على ترتيب كتب الفقه لسهولة الاستنباط ربما كان اجلها :ـ

أ ـ الاصول الاربعة لمؤلفيها المحمدين الثلاثة الاوائل وهي :ـ

١ ـ كتاب (الكافي) : لمحمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)[٣] .

٢ ـ كتاب (من لا يحضره الفقيهُ) لمحمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه السقمي (ت ٣٨١هـ)[٤] .

٣و٤ ـ كتاب (تهذيب الاحكام) و (الاستبصار فيما اختلف من الاخبار) لمحمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت ٤٦٠هـ)[٥] .

ب ـ مجاميع الحديث الثلاث الكبار للمحمدين الثلاثة الاواخر وهي :

---

(٣) طبع الكافي عدة مرات منها في لكنهو سنة ١٣٠٢هـ وفي طهران ١٣١١هـ واخرى سنة ١٣٧٥هـ .

٤ ـ احصيت الشروح والتعاليق على هذا الكتاب فكانت اكثر من مائتي شرحا وتعليقا . ومن أهم طبعاته في لكنهو سنة ١٣٠٧هـ وفي طهران سنة ١٣٢١هـ وفي النجف ١٣٧٧هـ .

(٥) احصيت ابواب كتاب التهذيب فكانت (٣٩٣) بابا واحصيت احاديثه فكانت (١٣٥٩٠) حديثا وكانت اول طبعاته التامة في مجلدين كبيرين سنة ١٣١٧هـ وآخر طبعاته سنة ١٣٨٠هـ . اما كتاب الاستبصار فكما يعرف من اسمه فيما اختلف من الاخبار وهو في ثلاثة اجزاء جزآن سنة في العبادات والثالث في ابواب الفقه الاخرى التي اولها العقود وآخرها الديات . وقد طبع في الهند سنة ١٣٠٧هـ وفي ايران والنجف غير مرة .

١ ـ كتاب (الوافي) : لمؤلفه محمد محسن المشتهر بالفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)[٦] .

٢ ـ كتاب (تفصيل وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة) المعروف بكتاب الوسائل اختصارا لمؤلفه الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)[٧] .

٣ ـ كتاب (بحار الانوار الجامع لدرر اخبار الائمة الاطهار) : لمؤلفه محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (ت ١١١١هـ)[٨] .

٢ ـ المجاميع الفقهية الاستدلالية :ـ

مناهج البحث العلمي الذي تميزت بـه مصنفات هـذا القسم ، املتهـا الظروف الموضوعية للحياة والتطور الذي رافق النهضة العلمية في القرون المتأخرة وتصارع الافكار التي استوي عمودها حينذاك لدي الفرق والمدارس الفكرية المختلفة .

وقد دون مصنفو هذه المجاميع الحكم والمسألة الفقهية واستدلوا عليهـا بالدليل الشرعي المتوفر الغاية منه الجمع بين المقدمات والنتائج للخلوص الى الحكم الشرعي الاظهر باسلوب سهل التناول واسع السبيل وبمنهج واضح مبوب . ولعل اكثرها شيوعا :ـ

١ ـ كتاب (تذكرة الفقهـاء) : للحسن بن يوسـف بن المطهر المعروف

---

(٦) طبع كتاب (الوافي) لاول مرة في طهران سنة ١٣١٠هـ وفي سـنة ١٣٢٤هـ وصور بالاوفست سنة ١٣٧٥هـ بثلاث مجلدات .

(٧) طبع عدة مرات منها في طهران سنة ١٢٨٨هـ و ١٣٢٤هـ وفي تبريز سنة ١٣١٣هـ وطبعته الاخيرة من طبعاته الجيدة .

(٨) احصيت ابوابه فكانت (٢٤٤٧) بابا وسطوره (٧٥١٢٠٠) سـطرا وبوشر بطبعه كاملا لاول مرة سنة ١٣٠٣هـ وتم طبع آخر جزء منه سنة ١٣١٥هـ في خمسة وعشرين جزء وطبع مؤخرا طبعا انيقا .

بالعلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ)[٩] .

٢ - كتاب (الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية) : الاصل من تأليف شمس الدين محمد بن مكي الجزيني المعروف بالشهيد الاول (ت ٧٨٦هـ) والشرح للشيخ زين الدين بن علي بن أحمد الشامي العاملي المعروف بالشهيد الثاني (ت ٩٦٦هـ)[١٠] .

٣ - كتاب (الحدائق الناظرة في احكام العترة الطاهرة) تأليف يوسف بن الشيخ احمد بن ابراهيم الدرازي البحراني (ت ١١٨٦هـ)[١١] .

٤ - كتاب (جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام) لمولفه محمد حسن ابن الشيخ باقر بن الشيخ عبدالرحيم راس الاسرة الجواهرية المعروفة بالنجف (ت ١٢٦١هـ)[١٢] .

٥ - كتاب (كشف الغطاء عن خفيات مبهمات الشريعة الغراء) : تأليف الشيخ جعفر بن الشيخ خضر بن الشيخ يحي بن الشيخ مطر (ت ١٢٢٨هـ) عميد اسرة آل كاشف الغطاء العلمية المعروفة[١٣] .

---

(٩) طبع على الحجر سنة ١٢٧٢هـ وصورة هذه الطبعة بالاوفست مؤخرا.

(١٠) طبع هذا الكتاب مؤخرا طبعا انيقا في النجف سنة ١٣٨١هـ .

(١١) هذا الكتاب مطبوع غير مرة منها في تبريز حيث بدء بطبع الجزء الاول منه سنة ١٣١٥هـ وتم طبع الجزء السادس منه سنة ١٣١٨هـ وطبعته الاخيرة بخمسة وعشرين مجلدا .

(١٢) طبع عدة مرات منها على الحجر وطبع اخيرا في النجف سنة ١٣٧٨هـ .

(١٣) ضم هذا الكتاب بين دفتيه الكثير من المعارف الاسلامية بالاضافة الى الفقه الاستدلالي رتبه مؤلفه على ثلاثة فنون : الفن الاول فيما يتعلق ببيان الاصول الاسلامية والعقائد ... والفن الثاني فيما يتعلق بالفروع الدينية وهو ثلاثة اقسام ... ويبدو ان الموت لم يمهله اذ لم يتم الكتاب في جميع ابوابه .

٦ ـ كتاب (مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة) تأليف جواد بن محمد الحسيني العاملي (ت ١٢٢٦هـ تقريبا)[١٤] .

٣ ـ مجاميع فقهية محضة :

وهذه المجاميع توخى مصنفوها تدوين المسائل والاحكام الشرعية بدون ذكر الدليل الشرعي الذي استدلوا به ، وبدون ان تقارن بالاحكام الاخرى المشابهة وان تتطرق احيانا لبعض مسائل واحكام المجتهدين الاخرين ولكنه مجرد استشهاد الغاية منه التوضيح والتوسع . ومنهج البحث هذا لا يتيسر لغير المجتهدين الذين بلغوا القمة في هذا المقام .

ولعل أكثر هذه المصنفات حضوة عند طلبة العلم وكانت مادة التعليق والشرح من قبل المعنيين المصنفات التالية :ـ

١و٢ ـ كتاب (شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام) **وكتاب** (المختصر النافع في فقه الامامية)[١٥] : لمؤلفهما الشيخ ابي القاسم **نجم الدين** جعفر بن يحيي بن الحسن بن سعيد الحلي المعروف **بالمحقق الحلي** (ت ١٧٦هـ) .

٣و٤ ـ كتاب (قواعد الاحكام في معرفة الحلام والحرام) وكتاب (تبصرة المتعلمين في احكام الدين) لمؤلفهما الحسن بن المطهر الحلي (ت ٧٢٦هـ) صاحب كتاب (تذكرة الفقهاء)[١٦] .

---

(١٤) هذا الكتاب شرحا مسهبا لكتاب (القواعد) دون مؤلفه في اعلى كل صفحة ما يخصها من متن ومن ثم شرحه شرحا مسهبا وهو مطبوع في القاهرة بثلاثين جزء .

(١٥) طبع الكتابان غير مرة وعليهما من الشروح والتعليقات ما يلفت النظر .

(١٦) يشتمل كتاب القواعد على ما يزيد على (٦٦٠٠) مسالة فتوى فقهية واحصيت شروح كتاب التبصرة فكانت اكثر من سبعة وعشرين شرحا وقد طبع مكررا عدة مرات .

٥ ـ كتاب (بداية الهداية في الواجبات والمحرمات) تأليف الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤)[١٧] .

وفي مناهج البحث العلمي في هذه المجاميع : ان مصنفيها درسوا الاحكام الفقهية عند مختلف المجتهدين والفقهاء وتلمسوا براهينها والادلة الشرعية التي استنبطت منها . فاستعرضوها ووازنوا بينها على اساس القرب من الادلة أو البعد عنها ، ليستخلصوا بعدئذٍ أبينها واقربها بها الى الحجية والظهور . ويستلزم المنهج العلمي في هذه المصنفات تسليط الاضواء على الآراء واستدلالاتها وتوضيح ما غمض منها ومقارنتها بما يشابهها ، والفصل بين اجودها واقواها حجة ، وهذا بلا ريب لا يكون الا بعد تحصيل القدرة على معرفة الامثل من الادلة والاحاطة بالجزئي والكلي منها وهذا لا يتم الا للمجتهد في اصول هذا العلم .

ومن الملاحظ بهذا الخصوص ان مكتبتنا الفقهية لما تزل تفتقر لهذا اللون من الدراسة التي يبدو ان الزمن بجانبها وان التطور الحضاري يلفها حتى لم تعد قاصرة على المقارنة بين الاحكام في نطاق واحد بل امتدت الى مستوى اوسع تواكبها وحدة الفكر العالمي ووحدة الثقافة الانسانية .

ولعل من المفيد ان نذكر ان اسلوب اشياخنا الافاضل لا يمكننا من تمييز الحد الفاصل بين المجاميع الفقهية الاستدلالية وبين المجاميع الفقهية المقارنة اذ ان بين مناهج هاتين المجموعتين اكثر من وشيجة صلة ، وليس هناك رسم واضح المعالم يفصل بينهما . فلا ضير ان نتكرر هنا في هذا القسم بعض الكتب

---

(١٧) طبع هذا الكتاب غيرة منها على الحجر سنة ١٢٧٠هـ وأخرى سنة ١٣١٨هـ وغيرها ومن طريق ما في هذا الكتاب ان مؤلفه احصى في أخره عدو الواجبات المنصوصة فكانت الف وخمسمائة وخمسة وثلاثين واجبا ، وعدد المحرمات المنصوصة في الف واربعمائة وثمانية واربعين محرما .

التي ذكرناها في القسم الثاني ـ المجاميع الاستدلالية ـ فانها وكتب اخرى (كمفتاح الكرامة) و (جواهر الكلام) و (كشف الغطاء) وغيرها كثير مجاميع فقهية استدلالية ومقارنة في بعض جوانبها ايضا • ومن اهم الكتب التي يمكن ان تدرج تحت هذا القسم هي :

١ ـ كتاب (مسائل الخلاف) للشيخ الطوسي ويتميز المنهج العلمي لهذا الكتاب في كونه جامع لاغلب مسائل الخلاف بين الآراء الفقهية للشيعة الامامية والفرق الاسلامية الاخرى مقارنا بينها وموضحا لموارد الاختلاف مبينا للرأى الذ ي يجده المصنف صحيحا وما ينبغي ان يكون الاعتقاد ومستدلا على ذلك بدليل من ادلة الاستنباط • يحتج به على من خالفه • موجب للعلم من ظاهر قرآن أو سنة مقطوع بها أو اجماع أو دليل خطاب أو استصحاب حال على ما يذهب اليه كثير من اصحابنا او دلالة اصل او فحوى خطاب أو ان ذكر خبرا عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي يلزم المخالف العمل به والانقياد له »[١٨] والطوسي بهذا التخطيط يمكن ان يعد من مبتكري هذا المنهج العلمي •

٢ ـ كتاب (تحرير المجلة) : لمؤلفه الشيخ محمد حسين علي كاشف الغطاء وهو كتاب شرح فيه مؤلفه (مجلة الاحكام)او ما تسمى (مجلة العدلية) الكتاب المقرر تدريسه في كلية الحقوق العراقية من زمن الدولة العثمانية حتى وقت قريب قال المؤلف في شرح منهجه العلمي وغرضه من التأليف « امران الاول الشرح والتعليق عليه وحل بعض معقداته ومشـــكلاته والثاني بيان ما ينطبق على مذهب الامامية وما يفترق ••• »[١٩] •

---

(١٨) ج طهران ١٣٣٧ ، ص٤ : طبع كتاب الخلاف ثلاث مرات الاولى على الحجر والثانية بمجلدين سنة ١٣٣٧هـ والثالثة بثلاثة مجلدات في مدينة قم •

(١٩) الكتاب مطبوع في النجف سنة ١٣٥٩هـ •

٣ ـ كتاب (مستمسك العروة الوثقى) تأليف سماحة آية الله السيد محسن بن السيد مهدي الطباطبائي الحكيم (ولد سنة ١٣٠٦هـ) وهـذا الكتاب من الموسوعات الفقهية المقارنة التي اولفت خلال هذا القرن ومن احسن الشروح السهلة للرسالة العملية الموسوعة بـ (العروة الوثقى) للسيد محمد كاظم اليزدي •

٥ ـ الرسائل العملية :ـ

اعداد الرسائل العملية وتصنيفها امر مناط بالمجتهدين الذين بذلوا الجهد واستفرغوا الوسع في استنباط الاحكام الشرعية من ادلتها التفصيلية المعروفة فاصبح لهم المقلدين والاتباع من المكلفين من الناس ، الامر الذي حتم الواجب الشرعي عليهم ان يفصلوا الجوانب العملية من الاحكام وان يجيبوا على رسائل مقلديهم واستفساراتهم وما اشكل عليهم •

والحاجة الى الرسائل العملية قديمة قدم علم الفقه نفسه ، يحتاج اليها الناس افى كانوا وحيثما وجدوا ، ولكنها لم تكن بالشكل الذي عليه الآن بعد ان ابتعد الناس عن التعقيدات اللفظية والمصطلحات الفقهية التي يدركها عامة المكلفين •

ومما تمتاز به هذه الرسائل انها واضحة العبارة سهلة الاسلوب كي يتفهما المخاطبون من اهل التقليد وربما كانت على شكل سؤال وجواب في بعض الاحيان • ولكي نعطي للموضوع بعض حقه ندرج ادناه اهم الرسائل العملية لمجتهدي السنين المتأخرة وهي :

١ ـ (نجاة العباد) : للشيخ محمد حسن النجفي صاحب كتاب (جواهر الكلام) الذي ورد ذكره • وقد حضيت هذه الرسالة في التعليقات والحواشي ما جعلها مدرسة فقهية قائمة بذاتها •

٢ ـ (العروة الوثقى فيما تعم به البلوى) : تأليف السيد محمد كاظم

ابن محمد عبدالعظيم الطباطبائي اليزدي وهي رسالة فتوائيه ضمت اغلب ابواب الفقه ومسائل العبادات واشتملت على ثلاثة آلاف ومائتين وستين مسألة.

٣ ـ (سفينة النجاة) للشيخ أحمد كاشف الغطاء .

٤ ـ (وسيلة النجاة) للسيد ابي الحسن الاصفهاني .

٥ ـ (هداية المسترشدين) للسيد حسين الحمامي .

٦ ـ (وجيزة الاحكام) للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء .

٧ ـ (منهاج الصالحين) للسيد محسن الحكيم .

ان جميع هذه الرسائل مطبوعة اكثر من مرة ومتداولة بين الناس معروفة بينهم ..... نفع الله بها المسلمين .

مقام العالم

قال تعالى :

« ان الله يخشى من عباده العلماء »

قال الرسول الكريم (ص)

« علماء امتي كانبياء بني اسرائيل »

قال الامام علي (ع)

« وقد اخذ الله على العلماء ان لا يقروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم »

قيمة القرآن وحقيقته

محمد يحيى الثعالبي

كلية الطب

١ ـ قيمة القرآن وحقيقته

أ ـ من حيث الاعتبار

١ ـ كلام الله ٠

٢ ـ معجزة خارقة ٠

٣ ـ ارتباط أمة فريدة في تاريخ العالم به ٠

القرآن ترتبط به عملية نشوء الامة ٠ والانسان الرباني ٠

ب ـ من حيث المضمون :

تضمن :ـ خبرنا ، ومن قبلنا ، ومن بعدنا وخبر السماء والارض ، وهو حجة على البشر ٠ وعلة لبعث الرسول ٠

٢ ـ المسلمون والقرآن :

١ ـ المسلمون تاركين للاسلام علما وعملا ٠

٢ ـ القرآن كتاب منتشر شائع لكنه ضائع ٠

٣ ـ القرآن يجب ان يلتزم ولكنه غير ملتزم ٠

٤ ـ توجد مشكلة عدم تقييم القرآن وآثارها ٠

٣ ـ البشرية والقرآن :

الملحدون

الموحدون

اليهود

النصارى

المسلمون

* العـــوام
* العاملين
كيف يقدم لهم ... ؟
كيف يتعامل معـه ... ؟

٤ ـ التعامل مع القرآن

١ ـ معرفته الاحاطة بفصل (١)
٢ ـ التوجه له كمصدر للمعرفة ومادة للبناء .
٣ ـ المصاحبة معه بتوجيه من عرفه .
٤ ـ طريقة قراءته .
٥ ـ علامات عارف القرآن وحامله .

قيمة القرآن وحقيقته :

الذي يريد الحكم الصحيح على موقف أو حادث أو شيء مما يحيط به ، يجد نفسه في حاجه الى الاحاطة بمعرفة كافية عن ذلك الحادث وهو لن يقدم على اعطاء رأيه بسرعة وعجالة اذا كان موضوع رأيه مهماً بل سيتريث ويصبر .

وفي واقع البشر نجد ان عقل الانسان هداه الى طريق ووسيلة يلجأ اليها حتى يعرف الاشياء ويقيمها وتلك هي المقاييس أو الموازين . ويبلغ من عمق هذه الظاهرة في الكيان البشري انتشارها الواسع في كل صقع بمختلف الاشكال والصور ولكن بنفس الجوهر والحقيقة .

ولا يتصور المرء بائعا أو بقالا بدون ان يكون بقربه (ميزان) فلا هو يرى بخسارة في بيعه ولا المشتري يرضى ببخس في حقه ولابد حينئذٍ من وسيلة تعرفهما قيم ما يتبادلان فاوجدا افضل من الميزان .

المشتغلون بالرياضيات ومتعلقاتها وفروعها الداخلة في جميع العلوم يعرفون حق المعرفة ان اساس الرياضيات شيء اسمه المعادله وما المعادلـة

الا ميزان له كفتان تعرف قيمة واحدة اعتمادا على الاخرى ١ + ١ = ٢ •

ونظرا لرسوخ حب العدل في قلوب الناس وضعوا رمزا للحق والعدالة فكان هو الميزان ولذلك تجده هنا وهناك بهيئات وشيات مختلفة • موكدا اهمية رجوع الكائن المكر الى مقاييس ومعايير يعتمدها في تكوين رأيه في الامور وتخرج به وبغيره من دائرة التحمل في التفسير والتعسف في الرأي والتعصب للفكرة • وتبتعد به عن اتباع الهوى في المجالات التي تحتاج دقة وموازنة في الاداء وتضارب فيها المآرب عندما يصبح الهوى حكما فيها •

من ذلك نجد لم أتبع الله ـ سبحانه ـ تقريره بأنه خلق الانسان واعطاه العقل ،بأنه هو وضع الميزان •

الرحمن • علم القرآن
خلق الانسان علمه البيان
الشمس والقمر بحسبان • والنجم والشجر يسجدان
والسماء رفعها ووضع الميزان •
الا تطغوا في الميزان • وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان •

الرحمن ـ ١ ـ ٩

وذكره عندما بين كيف يسير الناس على الحق والقسط (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) •

كان ذلك تعميما على كل الظواهر الحياتية • وهنالك تخصيصات في المعايير ، وضعت لتناسب الموجودات المختلفة الانواع والتي يراد لها ان تخضع لطريق الانسان في التقييم وغايته في المعرفة • اذ لا تقاس الاطوال بما هو للاوزان • ولا تعرف الاحجام بما وضع لمعرفة المساحات وانما هناك تخصص وتفرغ •

ولما كان القصد ان نعرف كتابا ، نزن ثقله ونحيط بأهميته ونتلمس اثره وهو ـ القرآن ـ فأن علينا ان نحدد طريقاً لتقييم الكتب او تقييم الكلام فما الكتب الا كلام سطر على الورق برموز تقرأ فاذا الكلام موجود متمثل •

كيف نزن ونقيم الكلام ؟ او كيف نقيم كتابا ما ؟ هنا نجد اننا مطالبون بتحديد ميزان أو معيار نعتمده لتكوين رأينا في أي كلام يطرح أو كتاب يكتب •

ولكي نبقى قريبين من واقع البشر ومن حقائق انفسهم وطبيعة تركيب كيانهم النفسي والعقلي وحتى لا نضرب في الخيال أو نشمع في التصورات كي نحقق ذلك نستعين بمشاهدات من الحياة • نعينها ونحللها فنعرف الدوافع التي أنشأتها • وسنقتني من المشاهدات ما يتعلق بالكلام والكتب لانها ضالتنا المنشودة •

المدارس مثلا مؤسسات تقوم بتعليم مجموعات من الطلاب ، موادا معرفية موجودة في كتب وتهيأهم بذلك لنوع الحياة الموجودة في مجتمعهم فالمهندس حامل لمعرفة بالفيزياء والرياضيات والطبيب حامل لمعرفة في الأحياء والكيمياء والمدرس حامل لمعرفة بدرسه وبطرق في التربية وهكذا دواليك • وكل واحد من اولئك مر بمرحلة تعلم في مدرسة •

ان اهم ما يميز عملية التعلم تلك هي تعلقها الوثيق بكتب تحتوي المعرفة ويكون المدرس مطالبا بتوضيح مادة الكتب ومن الجهة الثانية يكون الطالب مسؤولا عن فهم واستظهار مادة الكتاب •

لكن هناك أمرا يجري قبل البدء بقراءة كتاب ما ، درسا أو تدريسا من قبل التلميذ أو المدرس • وذلك هو معرفة مضمون الكتاب ولبداهة هذا الامر وكونه عادة ثابتة قل النظر اليه والاهتمام به و لكننا نحلله فنجده اساسا اذ كيف يسوغ الطبيب لنفسه ان يقرأ كتابا في المحاماة !! أو كيف يسوغ

المهندس ان يقرأ كتابا في ادب لغة اجنبية !! كمقدمة لامتحان في كليته •

اول ما يهتم به الطالب قبل ان يهتم بكتاب ما فيشتريه ثم يعكف عليه فيدرس محتواه ويحيط بمادته • انه يحدد نوعية الكتاب الذي يريده وهذا التحديد قائم على اساس السؤال التالي :ـ

ما هو مضمون الكتاب ؟ وما اهمية هذا المضمون بالنسبة لحاجتي ؟

ولكن ذلك التحديد لا يعد كافيا لاعطاء تبرير للطالب بشراء الكتاب لانه يعلم قطعا ان هناك الكثير من الكتب الباحثة في الموضوع المعين السدي يريده • ولابد له في هذه الحالة من ان يستخدم (ميزاناً) آخر ويستعينه في تحديد ما سيأخذ وما ذلك الميزان الآخر الا معرفة اسم مؤلف الكتاب أو استحضار شهرته وسعة اطلاعه ومتجره في علمه • وهو بالطبع سيأخذ الكتاب الذي الفه الاعلم الادق الاسهل اسلوبا والاسرع في الافهام من مدرسي ذلك الموضوع •

ونستنتج اذاً ان المعيار الثاني هو :ـ

من هو المؤلف ؟ ما هي صفاته المتعلقة بتآليفه ؟ هل هو الافضل ؟

لو خير طالب في الفيزياء العالية بين اربعة كتب • واحد يبحث في تاريخ الفراعنة والآخر في الفيزياء ولكن أولهن في مستوى ابتدائي والآخران بمستوى دراسته فأنه باستخدام المعيار الاول وهو النظر الى المستوى وموافقته لحاجته سيعرض عن كتاب التاريخ وعن الكتاب البسيط في الفيزياء وعند ذاك سيبقى محيرا بين الاثنين الآخرين فيعتمد في اختياره على نظره الى المؤلف لكل واحد منهما ويستحضر ما يعلم عنهما فأن كان احدهما مدرساً في جامعته ومحيطاً بنوع اسئلته الممكنة الورود في الامتحان ويراعى ذلك في كتابه بأن وضع حلولا لاسئلته وما الى ذلك من التسهيلات فأن الطالب سيشتريه قطعا ثم يبادر الى درسه والاهتمام الزائد به •

نجد عند تفحصنا لحياة عموم الناس انهم يعيشون ويتحركون على اساس مقياس النفع والضـــر ، فلا يزالون يدققون ويبحثون عما ينفعهم ويبتعدون عما يضرهم • ولذلك عندما يسمعون ما يتعلق بهم فانهم سيهتمون ويتناسب ذلك مع مقدار تعلق ما سمع بهم وبنفعهم ويضرهم • وفي تلك الظاهرة نرى مرة اخرى كيف يهتم البشر بقياس ما يسمعون قبل عمل اي شيء • فالبيان الذي يذاع بالراديو ومضمونه الحاجة الى مذيعين لا يحدث نفس الاثر الذي يحدثه بيان برفع اسعار المواد الغذائية تتعلق الثاني بكل الناس بعكس الاول • وكذلك عندما يذاع قرار بمنع التجول تسود حاله من الهرج والمرج والازدحام في الاسواق لتحصيل المؤونة الكافية لايام الحظر • وترى الواحد يخبر الآخر ويحثه على الاسراع لعمل اللازم • لقد كان مضمون ذلك القرار مهما والمصدر الذي صدر عنه الكلام موثوقا لا مجال للشك في صدقه وليس كلامه هزلاً كما لو جاء طفل وقال تلك المقولة •

لقد قام الناس في تلك الحالة المعروضة باستخدام ميزانين للكلام أو البيان الصادر • فهم نظروا المصدر واطمئنوا الى وثاقته ودين علمه بأمورهم مقدرته على التأثير في مجرى حياتهم • ذلك اولا وثانيا نظروا المضمون وعرفوا مدى علاقته بهم وهل يقدم معرفة ضرورية لازمة ام هل يتعلق بكماليات المعيشة •

* * *

القرآن الكريم كتاب يحوي كلاما ولكي نزنه ونعرف قيمته الحقيقية وندركها ادراكا باعثا الى العمل والالتزام ، قادرا على خلق النظام والجد تجاهه مؤدياً الى الاقبال عليه وتدبر ما فيه ، ورفع الغبار الذي غطاه قروناً فأن امامنا طريقا واضحا هو ان ننظر مصدر ذلك الكتاب ونعرف من هو ما هي صفاته المتعلقة بنا اولا وننظر الى مضمونه ونرى محتواه ومدى تعلق ذلك المحتوى بنا كبشر ثانيا •

وللقرآن صفات اخرى من حيث اعتباره تعطيه قيمة خاصة وتدعو الى الاهتمام به بكل معنى الكلمة واول تلك الصفات هي كونه معجزة • وبذلك فانه خارق للقوانين الطبيعية • وقد اتفق بني الانسان على الاهتمام والتوجه الى كل غريب وخارج عن المألوف • ولكون القرآن معجزة خارقة للقوانين الطبيعية فأن المنتظر من البشر جميعهم أن يتطلعوا اليه وينظروا ما فيـــه ليستفيدوا من حقيقة الامر ولا يبقون في حيرة او تغافل •

وقد ورد التحذير تلو التحذير في ذلك الكتاب با لا يغفل عنه أو يترك التأمل فيه وفي دلالته •

والآيات الواردة في ذلك المغزى ترهب وتهدد وتدعو وتؤكد الاعتبار والمضمون •

لو رأينا ثوبا لبسه رسول الله (ص) فأننا سنحب ان نلمسه أو نشتريه بأي ثمن وانما حصل ذلك الاهتمام به لانه يحمل صفة آتية من خارجه هي ملامسته جسد الرسول (ص) وذلك هو التقيم من حيث الاعتبار اما من حيث مضمونه أو قيمته الذاتية فقد لا يساوي شيئا لانه قديم ورخيص •

« ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر »

وتذكر بأن الانسان المسوخ هو الذي اغلق قلبه دون القدير :ـ

« افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها » •

وتنبه على التدبر فيه جمله كقرآن وللنظر الى مصدره والتيقن من ذلك « افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » •

والاعتبار الثاني الذي يميز القرآن ويدعو البشر الى الاهتمام به وتكلف الجهد لمعرفته هو انه كتاب ارتبط به قيام امة ضخمة استمرت في وجودهـا

ثلاثة عشر قرنا في الزمان وممتدة من اقصى الشرق الا اقصى الغرب في المكان .

كان القرآن هو عنوان تلك الامة والمنشأ لافكارها وسلوكياتها بدرجات مختلفة الشدة والعمق .

ان ذلك الاعتبار يجعل القرآن كتاباً سياسيا متميزا لا يشاركه في صفته تلك أي كتاب آخر في الاجتماع أو السياسة والبشر يهتمون بكل نوع من الكتب لان تأثيرها يشبه ان يكون سحرا . وبالفعل لقد أثر القرآن في الحياة الانسانية وقادها قرونا ...

المنهج في عرض قيمة القرآن :

تعرض قيمة القرآن في بابين رئيسيين هما :ـ

١ ـ قيمة القرآن من حيث الاعتبار .

٢ ـ قيمة القرآن من حيث المضمون .

وقبل ان نفصل في شرح وتجزئة كل فرع ، نبدأ ونحدد معنى **الاعتبار** والمضمون .

عندما وقف الناس في انحاء العالم ينظرون شاشات التلفزيون بلهفة وانشداد ويراقبون عليه هبوط أول انسان على سطح القمر كانوا في لحظاتهم تلك ينتظرون حدثا (موقفاً) حاسما هو لحظة تماس قدم الرائد الاول بسطح القمر .

لقد كان لعملية وضع قدم رجل الفضاء على سطح القمر قيمة كبيرة كما نستشف وندرك من ملاحظتنا لاهتمام الناس فما اصل تلك القيمة ؟

لا ريب ان قدمه قدم عادية وان حركته حركة طبيعية وهنالك ملايين الاقدام تنزل وتصعد يوميا فلا يهتم بها أحد فالسبب اذن لا يكمن في شيء

ذاتي في القدم متضمن فيها اي في مضمون القدم ولكنه موجود في كون تلك القدم الاولى من جنس الانسان التي تمس ذلك السكان • وذلك السبب اذن خارج عن ذات القدم ومتعلق بما حولها وما يحيطها وهو الذي نسميه اعتبارا، فالعملية اذاً كانت عملية (مهمة) اعتبارا لا مضمونا •

ان القطعة الذهبية التي يعود تاريخها الى ما قبل الاف السنين تكتسب قيمة اعلى من قيمتها كذهب لتعلق اعتبار الزمن والندرة بها ولذلك يصبح ثمنها اضعاف ثمنها فيما لو ذوبت وصبت من جديد • اذا انها اذ ذاك تفقد قيمتها الاعتبارية وتبقى قيمتها الذاتية فقط •

القرآن الكريم له قيمة من حيث الاعتبار اي لتعلق بعض الاشياء المهمة عرفا وعقلا به • والاعتبارات التي تعلقت بالقرآن فأعطته قيمة كبيرة هي :ـ

١ ـ أنه كلام صادر عن الله (تعالى) •

فقد ثبت انه كله من الله ولم يزد فيه البشر شيئاً • وأي كلام عندما يعلم صدوره من الله تصبح له قيمة مهما كان موضعه أو حجمه •

٢ ـ انه معجزة :

اي انه خارق للسنن الطبيعية غير خاضع لها • ولا يستطيع البشر باستخدام السنن الطبيعية ان يأتوا بمثله ولو اجتمعوا • فيستطيع انسان ما ان يحمله ويقول انه حامل المعجزة ويتحدى به البشر جميعا • تماما كما لو كان حاملا عصا موسى (ع) •

ان كون القرآن معجزة يضيف اليه اهمية وقيمة خاصة حتى بدون التطرق الى مضمونه •

٣ ـ ارتباط امة فريدة به

لا يوجد كتاب في العالم بقي محورا لنشاط امة وعنوان لها ولافتة ترفعها وتدعي التميز بها لمدة ثلاثة عشر قرنا • واقصد بالكتاب هنا مجموعة أفكار فلا توجد فلسفة أو نظام كان لـه تأثير عميق في الحياة البشـرية كالقرآن •

القرآن صاحب نشوء تلك الامة بل كان واحدا من اهم بواعثه ومن ثم استمر دستورا وعنوانا لها ولو بالاسم لفترة طويلة ووصل اماكن بعيدة واحاط بها اسمه •

ولان للقرآن ذلك الاثر الفريد في الحياة البشرية وتأريخها فأنـه اذن اصبح صاحب اعتبار خاص من ذلك الجانب •

اما اهمية القرآن من ناحية المضمون فتعني ان القرآن نفسه بسوره وآياته يحمل شيئاً مهماً ويبقى ذلك الشيء مهما حتى ولو فصلنا عنه صدوره من الله أو كونه معجزة أو صنعته لتاريخ ضخم •

وذلك الشيء المهم المتضمن في كلمات القرآن هو المعرفة التي وجدت فيـه :

١ – يوجد في القرآن تعريف بالانسان من حيث وجوده وخلال الزمن الماضي والزمن الآتي • أي انه يحتوي تاريخ الانسان وحقيقته •

٢ – ويوجد في القرآن التعريف بالوجود والحياة • اصلهما • علاقتهمـا بالانسـان •

٣ – ويوجد في القرآن التعريف بخالق الانسان وخالق الوجود والحياة وبصفاته المؤثرة في الوجود والمهمة بالنسبة للانسان •

٤ – وبعد ذلك كله يوجد في القرآن الاسس لمنهج حياتي عملي للانسان يوجهه فردا أو عضوا في المجتمـع ، اي يوجد (نظام) للانسـان في

القرآن وذلك النظام شامل كامل • وهو عين الصواب • وذات ما يحتاجه البشر وهو الضامن لسعادتهم في هذه الحياة لا غيره •

١ ـ القرآن من حيث الاعتبار :

أ ـ انه كلام الله ـ سبحانه ـ

القرآن الكريم كتاب الله كما هو معروف وشائع بين المسلمين واذا اراد احد المسلمين ان يعرفه اذا سئل عنه ، فأن أول وصف يصفه به هو انه كتاب الله •

وفي ذات القرآن آيات تؤكد مصدرية القرآن الالهية الخالصة وعدم تلبسه بنتاج البشر اطلاقا •

(والنجم اذا هوى • ما ضل صاحبكم وما غوى • وما ينطق عن الهوى • ان هو الا وحي يوحى) النجم ١ ـ ٤

(ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين • فما منكم من احد عنه حاجزين) الحاقة ٤٤ـ٤٧

حتى الرسول نفسه الذي حمل القرآن لا يحق له ان يفعل شيء تجاه النص القرآني تعديلا أو تبديلا • زيادة أو نقصان •

• واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا أئت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي • ان اتبع الا ما يوحى الي ّ اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم • قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون » •

يونس ١٥ـ١٧

وللبحث صلة

نزول القرآن في ليلة القدر

بقلم : خالد فاضل السعدي

القرآن قبل النزول وهو في اللوح المحفوظ :

لا شك ان القرآن هو كتاب الله احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير قال تعالى « كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » **(هود:٢)** هذا الكتاب جعله الله قرآنا عربيا أي مقروءاً عربيا وانما البس لباس القراءة العربية ليعقله الناس وهذا الكتاب محفوظ عند الله في (أم الكتاب) **وتعريف** الكتاب كما قلنا بأنه اصل القرآن العربي المبين **وهو** القرآن الكريم **وفي هـذا** المساق يقول تعالى : « انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا **يمسه الا** المطهرون تنزيل من رب العالمين » **(الواقعة : ٨)** ومن هنا يظهر ان **للقرآن** موقعا خاصا قبل التنزيل هو في الكتاب المكنون لا يمسه هناك احد **الا المطهرون من** عباد الله وان التنزيل بعده . هذا الموقع من (الكتاب المكنون) **الذي عبر عنـه** في آيات الزخرف (بأم الكتاب) وفي سورة البروج (**اللوح المحفوظ**) حيث قال تعالى : « بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ » **(البروج : ٢٢)** وهذا اللوح انما سمي محفوظا لحفظه من ورود التغيير عليه[١] .

نزول القرآن في ليلة القـدر

ومما لا شك فيه ولا ريب ان القرآن نزل في شـــهر رمضان كما في صريح الآية الكريمة « شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن » .. وانه انزل في ليلة من لياليه هي ليلة القدر كما في قوله تعالى : « انا انزلناه في ليلـة

---

(١) محمد حسين الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، ٢/١٧ ـ ١٨ .

القدر »[٢] ... وقال تعالى : « انا انزلناه في ليلة مباركة »[٣] ...

عنده هو كلمة النزول ، والنزول على نوعين فهناك الانزال وهناك التنزيل ، والفرق بينهما أن الانزال دفعي مرة واحدة وجملة واحدة والتنزيل .

فالآيات الناطقة بنزول القرآن في شهر رمضان او في ليلة منه يلفظ الانزال الدال على الدفعة دون التنزيل كقوله تعالى : « لشهر رمضان الذي انزل فيه القرآن »[٤] ... وقوله تعالى : « انا انزلناه في ليلة مباركة »[٥] ... وقوله تعالى « انا انزلناه في ليلة القدر »[٦] ...

وأما الآيات الناطقة الدالة على نزوله تدريجيا في مجموع مدة الدعوة وهي ثلاث وعشرون سنة تقريبا هي قوله تعالى : « وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا »[٧] ...

وبهذه الصورة الثانية كان نزول القرآن حسب المواقف وحاجة الرسول للآيات .

لكن المشهور عند المؤرخين والمتفق عليه أن نبينا محمد «ص» بعث بالقرآن في اليوم « السابع والعشرين » من شهر رجب وان اول سورة نزلت عليه هي سورة : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » ...

وبعدها نزلت سورة المدثر : « قم يا ايها المدثر . قم فانذر » وقيل المزمل وهي تؤكد بدأ الدعوة للرسول «ص» .

---

(٢) سورة القدر : ١
(٣) الدخان : ٣ .
(٤) البقرة : ١٨٥ .
(٥) الدخان : ٣ .
(٦) القدر : ١ .
(٧) الاسراء : ١٠٦ .

حتى انطلق الرسول «ص» في دعوته وهذه تمثل بداية مرحلة نزول القرآن التدريجي • والى حين لشهر رمضان وفي ليلة القدر أنزل القرآن كاملا جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا على النبي «ص» وهذا الامر هو الذي تدل عليه الآيات بأن القرآن نزل في شهر رمضان ••• كما في قوله تعالى : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » ••• وقوله : « انا انزلناه في ليلة مباركة » ••• وقوله : « انا انزلناه في ليلة القدر » •

وللفظ هنا الانزال على الدفعة دون التنزيل •

ويقول بذلك العلامة محمد حسين الطباطبائي وهو يبغي رفع هـذا الاشكال فيقول : « اي المراد من نزول القرآن في شهر رمضان انه اول ما نزل منه نزل فيه » ••• واقول أنا معقبا : وان المراد من نزوله في شهر رمضان انه نزل كاملا في هذا الشهر وفي هذه الليلة • اي ان اكتمال نزوله كان في شهر رمضان وفي ليلة القدر بالذات • ويؤيد هذا القول ما قاله الشيخ الصدوق : « تكامل نزول القرآن في ليلة القدر »[٨] • وذهب الى هذا الرأي العلامة الحجة السيد محمد باقر الصدر بقوله :

« فالقرآن الذي انزله الله تعالى في ليلة القدر ، من شهر رمضان انما نزل في تلك الليلة المباركة • لايجاد القائد الرسالي ، فقد « نزل ككل » على شخص النبي في شهر رمضان ، لتثقيفه بالرسالة واعداده لقيادة الامة في معركتها الرسالية ضد جاهليات الارض • ثم « نزل بعد ذلك تدريجيا » خلال ثلاث وعشرين عاما من عمر الدعوة لتثقيف الامة واعداد الجيش الواعي القادر على حماية الرسالة الجديدة • وهكذا نزل القرآن مرتين : « نزل دفعة ككل لاعداد القائد ، ونزل تدريجيا كأجزاء لاعداد الامة » ونزول القرآن لاعداد القائد هو الذي يتحدث عنه القرآن ، حين يقول : « انا انزلناه

---

(٨) ابي جعفر الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ٢/٦١ •

في ليلة مباركة » . ويقول : « انا انزلناه في ليلة القدر » .. وهنا نزل القرآن كله دفعة واحدة على النبي متمثلا في فيض الهي من التوعية والاعداد الفكري والروحي . لتحمل مسؤوليات القيادة لانبل واطهر معركة في تاريخ الانسان، ونزول القرآن لاعداد الامة وجعلها خير امة اخرجت للناس ، هو النزول التدريجي الذي يحدث عنه القرآن الكريم حيث يقول « وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا » ويلاحظ ان القرآن عبر النزول على مستوى الامة بالتنزيل لانه يتفق مع تدرج العملية ، وعبر عن النزول على مستوى القائد بالانزال لابراز الدفعية فيه . اذ نزل بروحه العامة على الشخص الذي اختارته السماء لحمل المثل واضاءة الطريق »[٩] .

وقد روي ذلك في اخبار واحاديث كثيرة :

١ ـ قال ابن عباس : « انزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا في ليلة القدر . ثم كان ينزله جبرائيل «ع» على محمد «ص» نجوما وكان اوله الى آخره ثلاث وعشرين سنة »[١٠] .

٢ ـ في الكافي عن حفص بن الغياث عن أبي عبدالله قال « نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان الى البيت المعمود ثم نزل في طوال ثلاث وعشرين سنة »[١١] .

٣ ـ وفي الدر المنثور عن ابن عباس قال : « شهر رمضان والليلة المباركة وليلة القدر هي الليلة المباركة وهي في شهر رمضان نزل القرآن جملة

---

(٩) محمد باقر الصدر ، ليلة القدر ، مجلة رسالة الجمعية الخيرية الاسلامية ، كربلاء ، العدد ٣ ـ ٤ ، السنة الثانية ، ص٢٤ ـ ٢٥ .

(١٠) محمد الطباطبائي ، الميزان ، ٢/٢٩ .

(١١) ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن ٩ ـ ١٠/٥١٨ .

واحدة من الذكر ، الى البيت المعمود(*) وهو موقع النجوم في السماء الدنيا حيث وقع القرآن ثم نزل على محمد «ص» بعد ذلك في الامر والنهي وفي الحروب رسلا رسلا »(١٢) .

ومن هنا نعلم ان الرسول «ص» كان له علم بالآية المرادة ولكن لا يقولها الا بعد ان يوحى اليه ، ومن ثم اذا قرأ الآية جبرائيل كان هو عليه ان يتبعه بعده ثم على روح القدس ان يبينه له ويوضح له والموقف . لذا نهي الله تعالى نبيه عن الاستعجال بالقراءة قبل قضاء الوحي وهذا هو الذي يلوح نحو قوله تعالى : « ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضي اليه وحيه »(١٣) : وقوله « لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه »(١٤) .

(*) والبيت المعمور وهو الذي جاء ذكره في القرآن الكريم في سورة الطود قال تعالى : « والطور ، وكتاب مسطور ، في دق منشور والبيت المعمور ، والسقف المرفوع » .

والطور هو الجبل الذي كلم الله نبيه موسى « وكتاب مسطور » اي مكتوب وهو القرآن او التوراة « في دق » هو ما يكتب في الكتاب « منشور والبيت المعمور » وهو في السماء الرابعة عمر بالملائكة او الكعبة بالحجاج « والسقف المرفوع » اي السماء

« راجع تفسير شبر / ط٢ / ص١٨٩ »

(١٢) محمد الطباطبائي ، الميزان ، ٢/٢٩ ـ ٣٠ .

(١٣) طه : ١١٤ .

(١٤) القيامة : ١٩ .

كمران في سطور

ترجمة عباس فاضل السعدي

عن دائرة المعارف البريطانية واطلسها العالمي

- جزيرة بالبحر الاحمر بمواجهة الساحل الشمالي الغربي لليمن امام الصليف ، وعلى بعد ٤٥ ميلا شمال ميناء الحديدة .
- تعني كلمة كمران « القمران » .
- احتلها البرتغاليون في القرن السادس عشر وبنو فيها قلعة استطاع الاتراك من تحطيمها . وفي سنة ١٩١٥ استولت عليها بريطانيا . وهي تتبع مستعمرة عدن البريطانية مع انها ليست جزءا منها[١] .
- المساحة : ٢٢ ميل مربع .
- السكان : تقدير سنة ١٩٥٥ (٢٫٠٠٠) نسمة .

---

(١) نصت معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣ على اعتبار جزيرة كمران محجرا صحيا دوليا تشرف بريطانيا على ادارته ، ولكنها اعلنت سنة ١٩٤٩ وضع يدها عليه كاحد ممتلكاتها (الموسوعة العربية الميسرة ص ١٤٨٠) .

١٩٥٩ (٢ر٥٠٠) نسمة .

١٩٦٠ (١ر٥٠٠) نسمة .

- كثافة السكان (حسب تقدير ١٩٦٠) : (٢ر٦٨) نسمة / ميل مربع .
- أرضها رملية ، فيها أربع قرى ، يشتغل سكانها بصيد السمك[٢] .
- فيها ميناء جوي واحد .
- بلغت المصروفات أو النفقات الحكومية ٣٥ر٠٥٥ جنيه استرليني سنة ١٩٦٢ .

صدر في جمهورية مصر العربية :

البعد العملي للالتزام

بين الالتزام الشرعي والانتماء السياسي

بقلم كاتب اسلامي معروف

* بحث اجتماعي مقارن يتناول فلسفة الغاية والاسلوب في دنيا الحركات الاجتماعية .
* ان تنطلق في صراعك مع الآخرين من « موقع » حركي فذلك رجع الانسان المنتمي .
* او تنطلق في صراعك ذاته من « موقف » شرعي فذلك مذهب المتشرعة .

(٢) تتميز الجزيرة بموقعها الستراتيجي الهام ، ودلت الابحاث التمهيدية على وجود زيت البترول فيها .

نسخة خطية نادرة من القرآن الكريم في مكتبة غوتا

الدكتور عبدالله الفياض

زرت خلال سفرتي الى المانيا الديمقراطية في شهر تشرين الاول المنصرم مجموعة من المكتبات ذات الشهرة العالمية ومن بينها مكتبة مدينة غوتا من مدن المانيا الديمقراطية .

● نفائس المخطوطات في مكتبة غوتا :

تحتوي مكتبة غوتا على مجموعة نفيسة من المخطوطات المكتوبة بلغات مختلفة . وتحتل المخطوطات العربية مركز الصدارة بين تلك المخطوطات . ويبلغ عدد مخطوطات مكتبة غوتا (٨٨٨٦) مخطوطة وكان عدد المخطوطات المكتوبة بلغات اوربية يساوي (٥٥٧١) مخطوطة . اما المخطوطات المكتوبة بلغات شرقية فيبلغ عددها (٣٣٥٣) مخطوطة ، وتقسم من حيث اللغة المكتوبة فيها على الوجه التالي :

أ ـ المخطوطات العربية وعددها حوالي (٢٩٠٠) مخطوطة .
ب ـ المخطوطات الفارسية وعددها (٨٧) مخطوطة .
ج ـ المخطوطات التركية وعددها (٢٧٧) مخطوطة .
د ـ مخطوطات هندية وعبرية وعددها (٨٩) مخطوطة .

وقد عمل الاستاذ ولهلم ببرتش فهرسا للمخطوطات الشرقية في مكتبة غوتا يقع القسم العربي منه في خمسة مجلدات ، بينما خصص المؤلف مجلدا واحدا للمخطوطات الفارسية والتركية ، كما خصص مجلدا آخرا

للمخطوطات المتفرقة من هندية وعبرية • وسنورد تفصيلات عن مخطوطات مكتبة غوتا في كتابنا الموسوم بـ « مشاهداتي في المانيا الديمقراطية » •

● المخطوطة القرآنية في مكتبة غوتا اقدم مخطوطة عربية فيها :

ومن نوادر المخطوطات التي شاهدتها في مكتبة غوتا قطعة من القرآن الكريم ذات رقم (٤٦٢) عربيات • وكتب المخطوط المذكور على الرق بالخط الكوفي غير المنقوط • ولكن شرحا لاحقا كتب على المخطوط في الخط النسخي ظهر منه ان محتويات المخطوطة هي (سورة الاحقاف) • وكانت تلك النسخة اصلية ويعود تاريخها الى النصف الاول من القرن الثامن الميلادي • وهي كما اخبرني امين مكتبة غوتا اقدم مخطوطة عربية تملكها تلك المكتبة •

● مقارنة بين مخطوطة غوتا والمخطوطات القرآنية الاخرى :

ويمكن ان نطرح السؤالين التاليين حول قدم المخطوطات القرآنية واصالتها ونوع الخط المكتوبة فيه :

السؤال الاول ـ هل توجد مخطوطات للقرآن الكريم او لبعض اجزائه اقدم من مخطوطة مكتبة غوتا ؟

السؤال الثاني ـ لماذا كتبت تلك المخطوطة بالخط الكوفي غير المنقوط مع ان علامات تنقيط الحروف ، كما هو معروف ، دخلت على الخط العربي في عهد سابق لتاريخ المخطوطة الموجودة في مكتبة غوتا ؟

وللاجابة على السؤال الاول ـ نقول : ان مصاحف عديدة أو اجزاء منها تنسب كتابتها او تملكها الى واحد أو اكثر من الخلفاء الراشدين (ر) والى الائمة المعصومين عليهم السلام •

● مصاحف مدينة مشهد :

وخلال زيارتي لايران سنة ١٩٥٤م شاهدت في مكتبة الامام الرضا (ع)

في مشهد عددا من المصاحف او اجزاء منها نسبت كتابتها الى طائفة من الائمة المعصومين (ع) • وكان احدها ينسب خطه الى الامام علي بن الحسين المعروف بالسجاد (ع) • وينسب الآخر الى الامام الحسن بن علي (ع) وهناك مصحف كامل كتب على الرق بخط كوفي غير منقوط يقال ان الامام علي (ع) نسخه بيده الشريفة • وكتب على المصحف المذكور ما يؤيد ذلك • كما ايد جماعة من العلماء ، وعلى رأسهم الشيخ البهائي المعروف المتوفي سنة ١٠٣١هـ صحة النسبة للامام •

● مصحف عثمان (ر) في استانبول :

وخلال زيارتي لتركيا سنة ١٩٥٦م علمت عند وجودي في متحف توكبوسراى في استانبول ان ذلك المتحف يحوي في غرفة من غرفه ، مخلفات النبي (ص) والخلفاء الراشدين (ر) ، وان مصحف عثمان (ر) الذي كان يقرأ به عند مقتله كان من بين محتوياتها • ومن المؤسف ان ادارة المتحف لم تفتح لنا الغرفة المذكورة لان فتحها يتطلب رخصة خاصة من الجهات الرسمية • وعندما زرت مدينة مونتريال في كندا سنة ١٩٥٧م رأيت في متحفها مخطوطة تحوي سورا من القرآن الكريم مكتوبة على الرق بالخط الكوفي • وقد كتب عليها انها تعود للقرن الثامن الميلادي • وقد روى لي احد الزملاء ان العلماء الروس اكتشفوا في منطقة من مناطق تركستان الروسية اقدم نسخة للقرآن الكريم •

● مصحفان تاريخيان في مسجد الحسين (ع) في القاهرة :

ويوجد في القاهرة في مسجد الامام الحسين (ع) قاعة خصصت لحفظ المخلفات النبوية الشريفة وكان من بينها شعرات طاهرة من رأسه ولحيته ، والعصا التي كان يستعملها الرسول (ص) وهي مصنوعة من خشب الارز ، ومكحلة ومرود كان يستعملها الرسول (ص) ومصحفان تاريخيان • وسأقتصر هنا على ذكر المعلومات المتوفرة عن المصحفين فقط • يوجد دولاب في مسجد

الحسين (ع) فيه مصحفان مصحف صغير نسبيا يتكون من (٥٠٤) صفحات من الرق ومكتوب بمداد يميل الى السواد وبخط كوفي بسيط ذي زوايا قائمه وخال من الزخارف الكتابية وهو منسوب لخط الامام علي بن ابي طالب (ع)• ونفي بعض المؤرخين المحدثين تلك النسبة ويؤكدون ان تاريخ كتابة هـذا المصـحف يقع في الفتره ما بين النصـف الثاني من القرن الاول الهجري والنصف الاول من القرن الثاني • وعلى وجه التحديد بين عام ٦٧ الهجري الى ١٦٠ هجرية • ولا يستبعدون ان يكون احد المصاحف التي ارسلها الحجاج بن يوسف الثقفي الى الامصار • والمصحف الثاني كبير الحجم يرجع نسبه الى خط الخليفة عثمان (ر) • ويتكون من (١٠٨٧) صفحة من الرق ومكتوب بمداد بني داكن واسلوب الخط الكوفي البسيط الخالي من الزخارف الخطية وتبلغ مساحة الصفحة (٧٥) سنتمترا في ٥٧ سنتمترا •

● اقدم مصحفين في الروضتين الحيدرية والحسينية في العراق :

ويوجد في العتبات المقدسة في العراق مجموعة من المصاحف القديمة احدها محفوظ في خزانة الروضة الحيدرية في النجف الاشرف • وينسب خطه الى الامام علي (ع) • وقد علمت ان الخبراء المحدثين لا يؤيدون تلك النسـبة •

وفي الروضة الحسينية المقدسة يوجد مصـحف ينسـب الى الامام زين العابدين (ع) • وطوله ١٦ سم وعرضه ١٠ سم وعدد السطور في الصفحة الواحدة (١٥) سطرا • واوراقه من الرق وسطوره ممتدة الى منتهى عرض الورقة •

ومن الجدير بالذكر ان تحقيقات علمية ، كما اعلم ، لم تجر حول اصالة نسخ جميع تلك المصاحف التي اوردت شطرا منها هنا ، ولذا لا يمكن البت في موضوع الاصالة وغيره قبل خضوع تلك النسخ للفحوص العلمية

من تحليل للورق أو الجلد والحبر ، او امرار اشعة معينة من نوع التي تستعمل لمعرفة عمر عظام البشر ، في مادة المخطوط لمعرفة العمر الحقيقي له •

● - مشكلات رسم الخط في المصاحف الشريفة :

اما الجواب على السؤال الثاني فيتلخص في ان طائفة من العلماء يستمرون في تمسكهم بالطرق القديمة لرسم الخط حتى بعد استعمال نظام التنقيط للحروف العربية • ومن المحتمل ان النسخة الموجودة في مكتبة غوتا كتبت على طريقة رسم الخط غير المنقوط بعد ان ادخل نظام التنقيط ، لذا لا علاقة للنقط وشكل الخط بقدم المخطوطة القرآنية في مكتبة غوتا • يضاف الى ذلك ان علماء الخط رعوا ، عند كتابتهم للقرآن ، رسم الخط كما كان في الصدر الأول من العهد الاسلامي ومثلوه عينا فقيل (خطان لا يقاس عليهما خط القرآن وخط العروض) • ولم يتعرض اولئك العلماء لتبديل رسم الخط بالنظر لقواعد الصرف لئلا تتطرق للمصحف الشريف شائبة التحريف أو التبديل • وصارت خطوط المصاحف اصلا لمعرفة خطوط اكابر الخطاطين في العراق ، مثلا ، لمختلف العصور فحفظت لنا المصاحف الشريفة تلك الخطوط •

من رسائل الحزبيين

أوجه الاختلاف

بين لغة بني تميم وأهل الحجاز

ضياء الدين العسكري

بحث اكاديمي قدم كرسالة لنيل شهادة البكالوريوس في علوم القرآن واللغة العربية من كلية اصول الدين للعام الدراسي ١٩٦٩/١٩٧٠ الى استاذ النحو في الكلية الدكتور ابراهيم السامرائي ونال عنه صاحبه درجة جيد جدا .

مقدمة :

اختلاف الناس بعضهم عن بعض كان قديما ولا يزال ظاهرة فطرية في المجتمع البشري ملموسة ومن عناصر هذا الاختلاف ، اختلاف اللهجات واللغات فكل جماعة من الناس لها بيئتها الخاصة ولهجاتها المتعارف عليها ولها لغة خاصة لها خصائصها التي تميزها عن باقي اللغات الاخرى .

واللغة العربية احدى تلك اللغات ، نمت وتطورت في شبه الجزيرة العربية حيث كانت تسكنها قبائل عربية لها لهجات مختلفة ومن بيئة الجزيرة

العربية ومجموع لهجاتها تكونت اللغة العربية وتطورت الى ان وصلت الى أوج رقيها في عصر التنزيل عصر نزول القرآن الكريم حيث أن لغة القرآن أرقى ما توصلت اليه اللغة العربية قديما وحديثا .

ان اختلاف اللهجات كما ذكرت ظاهرة لغوية ، فكل لغة تتكون من مجموع من اللهجات كما أن اللغة العربية لها لهجات مختلفة مستعملة في اللغة ؛ وان من أبرز هذه اللغات المختلفة لغتي تميم والحجاز ؛ حيث أن تميم قبيلة كبيرة تسكن أواسط شبه الجزيرة العربية وأهل الحجاز هم القبائل التي تسكن على الساحل الغربي للجزيرة العربية .

وتتميز هاتان اللغتان بكثير من الاختلافات ، وبحثي هذا منصب على بيان مواضع اختلاف اللغتين وتبويب هذه المواضع بشكل علمي يسهل على الدارسين لمس أوجه الاختلاف بين لغة بني تميم وأهل الحجاز .

يتكون بحثي من ثلاثة فصول ، يبدأ الفصل الاول بذكر الاختلاف الموجود بين اللغتين في عدد من الاصوات . أما في الفصل الثاني فأبين فيه الاختلاف بين اللغتين في بناء الكلمة وأذكر ما عثرت عليه من الكلمات المختلف في بنائها بين اللغتين ، وبعد ذلك أذكر في الفصل الثالث اختلاف اللغتين في الجملة وفي خاتمة البحث أذكر بعض الالفاظ التي تختلف معناها في اللغتين.

ولست أدعي في بحثي هذا الموجز أني قمت بقسط كبير مما ذكرت وأعطيت الموضوع حقه أو أني اتبعت الطريق العلمي الدقيق الذي يجب اتباعه في دراسة اللغات ؛ ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله ، فقد بينت في بحثي هذا ما توصلت اليه من اوجه الاختلاف بين لغة بني تميم وأهل الحجاز.

الفصل الاول

في

الصوت

الصوت : صوت الانسان وغيره والصائت الصائح[1] ، والصوت اللغوي ، هو كسائر الاصوات ذبذبات ولكن مصدر الصوت هو الحنجرة والوسط الذي تنشأ فيه هذه الذبذبات هو الهواء الخارج من الرئتين[2] .

اختلفت اللغتان لغة أهل الحجاز ولغة بني تميم في بعض الأصوات اللغوية ؛ ويمكن حصر هذا الاختلاف بالمواضع الآتية :

١ ـ الهمز
٢ ـ الفتح والامالة
٣ ـ التضعيف
٤ ـ الادغام
٥ ـ الأبدال
٦ ـ أصوات مختلفة اخرى

١ ـ الهمز :

الهمزة لا هجاء لها انما تكتب مرة ألفاً ومرة ياءً ومرة واواً ، والألف اللينة لا حرف لها انما هي جزء من مَدَّة بعد فتحة والحروف ثمانية وعشرون حرفا مع الواو والألف والياء وتتم بالهمزة تسعة وعشرين حرفا .

والهمزة كالحرف الصحيح غير أن لها حالات من التليين والحذف

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٣ ص٦١ ، بيروت ، ١٧٤٣هـ ـ ١٩٥٤م .

(٢) المخزومي ، د. مهدي ، محاضرات في فقه اللغة ، طبعة رونيو ، بغداد ، ١٣٩٠هـ ـ ١٨٧٠م .

والابدال والتحقيق[٣] .

والهمزة من الاصوات المجهورة الشديدة التي تخرج من أقصى الحلق.

تجمع الروايات على أن بني تميم تلتزم الهمز فهي تهمز وأهل الحجاز لا يهمزون بل يتخلصون منها بحذفها أو تسهيلها أو قلبها الى حرف[٤] .

فمثلاً تميم تقول : رأس ، وأهل الحجاز يقولون : راس

" تميم تقول : بئر ، وأهل الحجاز يقولون : بير

" تميم تقول : لؤم ، وأهل الحجاز يقولون : لوم

فالهمزة في لغة أهل الحجاز لا تحقق أما في لغة بني تميم فتحقق[٥] . وأهل الحجاز يلقون حركتها على الساكن الذي قبلها ويحذفونها في « لا تخفَ اباك »[٦] .

وقد يبدلون من الهمزة حرف لين تحرك ما قبله أو سكن فيقولون :

الكلو ، والخبو ، والبطو ، والردو

" رأيت الكلا ، والبطا ، والخبا ، والرداو

" ومررت بالكلى ، والبطي ، والخبى ، والردى[٧]

كما أنهم يبدلونها من جنس حركة ما قبلها فيقولون : ياتعد ، ياتسر ،

---

(٣) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ ص١٧ .

(٤) أنيس ، د. ابراهيم ، اللهجات العربية ، ص٥٧ـ٥٨ ، القاهرة لا.ت.

(٥) سيبويه ، الكتاب ، ج٢ ، ص١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٣٤٣ ، ط/٢ بيروت ، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م .

(٦) أيضاً ، ص٣٢٢ .

(٧) الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر ، المفصل ، ج٢ ، ص٣٢٢ ، القاهرة ، لا.ت .

موتعد ، موتسر ، ايتعاداً وايتساراً[٨] .

وأهل الحجاز يخففونها معا اذا التقتا في كلمة واحدة[٩] . وبنو تميم يخففون احداهما ويستثقلون تحقيقها مثل « فقد جاءَ أشراطها »[١٠] .

وان جئت الى الامر ، فان أهل الحجاز يتركون الهمز فيقولون : رَذاك وللاثنين رَياذاك ، وتميم تهمز في الأمر على الاصل فتقول رَأذاك وارْأيا ذاك[١١] .

ويقول الأزهري : اذا قالوا أرأيت فلانا ما كان من أمره ، أرأين فلانا، أفريتكم فلانا ؟ فان أهل الحجاز يهمزونها ، وان لم يكن من كلامهم الهمز. فاذا عدوت أهل الحجاز فان عامة العرب على ترك الهمز[١٢] .

ومن كل ما سبق نستدل على أن أهل الحجاز اكثرهم تخفيفاً[١٣] وبنو تميم يهمزون .

٢ ـ الفتح والامالة :

أجمع علماء العربية على نسبة الفتح لأهل الحجاز ونسبة الامالة لتميم[١٤] .

---

(٨) الأزهري ، خالد بن عبدالله ، شرح التصريح على التوضيح ، ج٢ ، ص٤٧٨ ، ط : بولاق ، القاهرة ، ١٢٩٤هـ .

(٩) الزمخشري ، المفصل ، ص٢٤٤ ـ ٢٤٥ .

(١٠) سيبويه ، الكتاب ، ج٢ ص١٩٤ .

(١١) الازهري ، أبو منصور محمد بن احمد ، تهذيب اللغة ، ج١٥ ، ص٣١٩ ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م .

(١٢) ايضاً .

(١٣) السيوطي ، جلال الدين ، الاتقان في علوم القرآن ، ج١ ، ص١٠٠ ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ .

(١٤) أنيس ، د. ابراهيم ، اللهجات العربية ، ص٤١ .

والفتح والامالة صوتان من أصوات اللين ، سواء كانا قصيرين أو طويلين • وأصوات اللين القصيرة هي ما كان يسميه القدماء بالحركات ، أما أصوات اللين الطويلة فهي ما كانوا يسمونه بأصوات المدّ وهي الألف والواو والياء ولا فرق بين القصيرة والطويلة الا في الكمية[١٥] •

وقد وضع المحدثون مقاييس مشهورة لأصوات اللين يعرض لها بالتفصيل علم الأصوات اللغوية • وما سماه القدماء بالفتح هو احد تلك المقاييس ، وما سموه بالامالة هو مقياس آخر •

والامالة والفتح لغتان مشهورتان فاشيتان في ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم فالفتح لغة أهل الحجاز ، والامالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس[١٦] •

ومما يميلون ألفه قولهم : مررت ببابه واخذت من ماله ، هذا في موضع الجر شبهوه بفاعلٍ نحو كاتبٍ وساجدٍ وقالوا : رأيت زيداً فأمالوا كما فعلوا ذلك بغَسّلان والامالة في زيد أضعف يدخله الرفع[١٧] •

ومما تمال ألفه قولهم « كيّال وبيّاع » وانما فعلوا هذا لأن قبلها ياء فصارت بمنزلة الكسرة التي تكون قبلها نحو : سِراج وجِمال وكثير من العرب وأهل الحجاز لا يميلون هذه الالف ويقولون : « شَوْكُ السيّال والضيّاح » كما قلت كيّال وبيّاع[١٨] •

---

(١٥) أيضاً •

(١٦) ابن الجزري ، محمد بن محمد الدمشقي ، النشر في القراءات العشر ، ج٢ ، ص٣٠ ، القاهرة ، لا•ت وأنظر السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن ، ج١ ص٩٣ •

(١٧) سيبويه ، الكتاب ، ج٢ ص٣١٣ •

(١٨) أيضاً •

ومن أمثلة الامالة والفتح أيضا هي ان كان بين أول حرف من الكلمة وبين الألف حرفان الأول ساكن ، وذلك قولهم : سِرْبال ، وشِمْلال ، وعماد وكلاب ، وجميع هذا لا يميله أهل الحجاز فاذا كان ما بعد الألف مضموماً أو مفتوحاً لم تكن فيه اماله ، وذلك نحو : آجُر ، تابُل ، وخاتم ، لأن الفتح من الالف فهي ألزم لها من الكسرة ولا تتبع الواو لانها لا تشبهها[١٩] .

كما أنه اذا بلغت الاسماء أربعة أو جاوزت بنات الواو فالامالة مستبة لانها قد خرجت الى الياء وجميع هذا لا يُميله ناس كثير من بني تميم وغيرهم . ومما يميلون ألفه كل شيء كان من بنات الياء والواو مما هما فيه عين وكان أول فعلت مكسوراً نحوْا نحوَ الكسرة كما نَحوْا نحوَ الياء فيما كانت الفه في موضع الياء وهي لغة لبعض أهل الحجاز فأما العامة فلا يميلون[٢٠] .

والامالة في (الناس) في موضع الخفض لغة أهل الحجاز[٢١] .

٣ ـ التضعيف :

والتضعيف أن يكون آخر الفعل حرفان من موضع واحد ، وذلك نحو رَدَدْت ، وودَدْت ، واجترَرت[٢٢] .

ان اللغتين تختلفان في تضعيف الفعل ففي الأمر من المضاعف في لغة تميم تقول :

شدَّ ، وضنَّ ، وفِرَّ ، واستعدَّ

---

(١٩) ايضاً ، ص٣١١ .
(٢٠) سيبويه ، الكتاب ، ج٢ ، ص٣١٢ .
(٢١) ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ج٢ ص٦٢ .
(٢٢) سيبويه ، الكتاب ، ج٢ ص١٨٤ .

واصطبَّ يا رجل ، واطمئنَّ يا غلام[٢٣]

والأصل : اشدُدْ ، واضنُنْ ، وافرِرْ ، واستعدِدْ ، واصطبِبْ ، واطمأْنِنْ ، وهكذا لغة أهل الحجاز وذلك اذا كان حرف من هذه الحروف في موضع تسكن فيه لام الفعل فان أهل الحجاز يضاعفون لأنهم أسكنوا الآخر فلم يكن بد من تحريك الذي قبله لأنه لا يلتقي ساكنان[٢٤] .

واما ما كانت عينه ولامه في موضع واحد فان تحركت اللام منه وهو فعل ألزموه الادغام وأسكنوا العين فـ (هذا متلبُّ) في لغة تميم والحجاز . فاذا اسكنت اللام فان أهل الحجاز يجيزونه على الأصل لأنه لا يسكن حرفان أما بنو تميم فيسكنون الأول ويحركون الآخر ليرفعوا ألسنتهم رفعة واحدة[٢٥] .

وأوجب الجمهور ضم فاء الثلاثي المضعف نحو : شُدَّ ومُدَّ وهي لغة بني ضبة وبعض تميم وقرأ علقمه (ردَّت الينا ، ولو رُدّوا) بالكسر[٢٦] كما أن لهجة أهل الحجاز تلتزم فك الادغام في حالة الجزم فيقولون (لم يردُدْ) في حين أن بني تميم يبقون الادغام في حالة الجزم ويقولون (لم يردَّ)[٢٧] .

---

(٢٣) ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، ج١ ص٢٦٨ ـ ٢٦٩ ، القاهرة ، ١٣٣١هـ ـ ١٩١١م .

(٢٤) سيبويه ، الكتاب ج٢ ص١٨٤ ، السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن ، ج١ ص١٣٦ .

(٢٥) سيبويه ، الكتاب ، ج٢ ص٤٨٠ .

(٢٦) ابن هشام ، أوضح المسالك ، ج١ ص٣٨٨ ، ط ٤ ، القاهرة ، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦ .

(٢٧) السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن ، ج١ ص١٣٦ ، أنيس ، د. ابراهيم ، اللهجات العربية ، ص١١٣ .

٤ ـ الادغام :

الادغام : هو توحيد الصوتين المتجاورين صفة ومخرجاً[٢٨] ، ومثال ذلك الادغام في الحروف المتقاربة التي هي من حيّز واحد كما في ادغام العين في الحاء والهاء في الحاء ، ومما جاء تصديقاً لهذا الادغام قول بني تميم (مَحَّم) يريدون معهم و (محَّاؤلا) يريدون مع هؤلاء[٢٩] .

ومن ذلك ادغام اللام والراء اذا كانت غير لام المعرفة مثل هل رأيت كقولك (هرَّأيت) وهي لغة بني تميم وان لم تدغم فقلت (هل رأيت) فهي لغة لأهل الحجاز وهي عربية جائزة[٣٠] .

وأما في حروف طرف اللسان والثنايا فدعاهم سكون الآخر في المِثْلَين أن بيَّن أهل الحجاز في الجزم فقالوا : أردُدْ ولا تردُدْ وهي اللغة العربية القديمة الجيدة ولكن بني تميم أدغموا ولم يشبهوها بردَّت لانه يدركها التثنية والنون الخفيفة والثقيلة والألف واللام وألف الوصل فتحرَّك لحن[٣١] .

فان لغة تميم تؤثر ادغام المِثْلَين في مثل « لم يحلَّ » وأما أهل الحجاز فيؤثرون الاظهار في مثل « لم يحلل »[٣٢] .

واذا اتصل بالفعل المدغم عينه في لامه ضمير رفع سكن آخره فيجب حينئذ الفك ، نحو : حَلَلْت ، حللنا ، والهندات حللْن ؛ فاذا دخل عليه

---

(٢٨) المخزومي ، د. مهدي ، محاضرات في فقه اللغة ، ١٩٧٠م .

(٢٩) سيبويه ، الكتاب ، ج٢ ص٤٩٩ ، أنيس ، د. ابراهيم ، اللهجات العربية ، ص٩٥ .

(٣٠) سيبويه ، الكتاب ، ج٢ ص٥٠٣ .

(٣١) سيبويه ، الكتاب ، ج٢ ص٥١٢ .

(٣٢) أنيس ، د. ابراهيم ، اللهجات العربية ، ص٥٤ ـ ٥٦ .

جازم جاز الفك ، نحو لم يحلْلْ ، ومنه قوله تعالى « ومن يحلل عليه غضبي وقوله « ومن يرتددْ منكم عن دينه » والفك لغة أهل الحجاز وجاز الادغام وهو لغة تميم نحو « لم يحلّ » ومنه قوله تعالى « ومن يشاقق الله ورسوله »[٣٣] .

وقال جرير :

فغضّ الطرف انك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا[٣٤]

ومن الادغام الشاذ ودّ في لغة بني تميم وأصلها وتد وهي الحجازية الجيدة ومثله عدّان في عتدان[٣٥] .

٥ ـ الابدال :

الابدال : عملية لغوية تهدف الى التخفيف على اللسان من ثقل ناشيء عن اجتماع صوتين مختلفين في الصفة أو متقاربين في المخرج[٣٦] .

هناك خلاف بين التميميين والحجازيين في بعض أنواع الابدال . فمثلاً ما كان من النعوت مثل العُليا والدنيا فانه يأتي بضم أوله وبالياء ، لأنهم يستثقلون الواو مع ضمة أوله وليس فيه اختلاف ، الا أن أهل الحجاز قالوا : القُصْوَى فأظهروا الواو وهو شاذ وأخرجوه على القياس اذ سكن ما قبل الواو ، وتميم وغيرهم يقولون القصيا[٣٧] .

---

(٣٣) ابن عقيل ، شرح الفية ابن مالك ، ج٢ ص٥٩٠ ـ ٥٩١ ، ط١٤ ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م .
(٣٤) الازهري ، شرح التصريح على التوضيح ، ج٢ ص٥٠٠ ـ ٥٠١ .
(٣٥) الزمخشري ، المفصل ، ج٢ ص٣٠٠ .
(٣٦) المخزومي ، د. مهدي ، محاضرات في فقه اللغة ، ١٩٧٠م .
(٣٧) الازهري ، تهذيب اللغة ، ج٩ ، ص٢١٩ . وانظر كل من ، ابن هشام أوضح المسالك ، ج٣ ص٢٢٩ ـ ٢٣٠ . ابن عقيل شرح الفية ابن مالك ، ج٢ ص٥٦٤ ، ٥٦٥ .

ولغة تميم تصحيح ما عينه ياء فيقولون : مبيوع ومخيوط وهو نادر[٣٨] .

وقد ابدلت الطاء من التاء في فعلت اذا كانت بعد الصاد وهي لغة لتميم قالوا فحصط برجلك وحصط يريدون فحصت وحصت والطاء كالصاد فيما ذكرنا ، وقالوا : فُزدَ يريدون فزت كما قالوا فحصط وأرادوا فحصت[٣٩]، كما أن تميم تقول : أفلطني في أفلتني فأبدلت الطاء من التاء[٤٠] .

٦ ـ أصوات مختلفة اخرى :

المد والقصر : أولى ، يشار بها الى العقلاء وأكثر استعمالها للعقلاء وفيها لغتان ، المد وهي لغة أهل الحجاز وهي في القرآن العزيز والقصر وهي لغة تميم[٤١] .

تنوين الترنم : وهو اللاحق للقوافي المطلقة بدلا من حرف الأطلاق ، وهو الألف والواو والياء[٤٢] .

أما أهل الحجاز فيَدَعون هذه القوافي ما نوّن منها وما لم ينوّن على حالها في الترنم . أما كثير من بني تميم فانهم يبدلون مكان المدة فيما ينون

---

(٣٨) ابن عقيل ، شرح الفية ابن مالك ، ج٢ ص٥٧٥ ـ ٥٧٦ .

(٣٩) سيبويه ، الكتاب ، ج٢ ص٣٧٨ .

(٤٠) الازهري ، تهذيب اللغة ، ج١٣ ، ص٣٥٠ .

(٤١) ابن هشام ، شرح قطر الندى وبل الصدى ، ص١٠٠ ، القاهرة ، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٦٣م ، وانظر كل من : ابن هشام ، شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، ص٤٠ ، القاهرة ١٣١٠هـ . ابن عقيل ، شرح الفية ابن مالك ، ج١ ، ص١٣٢ . الازهري ، شرح التصريح على التوضيح ، ج١ ، ص١٥١ ، ١٥٢ .

(٤٢) ابن هشام ، مغني اللبيب ، ج٢ ص٣٤٢ ، بيروت ، لا.ت .

وما لم يثنون[٤٣] . وأنشدوا

أقلـي اللوم عاذل والعتـابن وقولي ان أصبت وان أصابن[٤٤]

صيغة مفعول ، عند نقل حركة الحرف المتحرك المعتل الى الســـاكن الصحيح قبله ، يجب في ذوات الياء الحذف وقلب الضمة كسرة لئلا تنقلب الياء واواً فتلتبس ذوات الياء بذوات الواو ومثال الواوي : مقول ومصوغ ومثال اليائي مبيع ومدين وأصلهما مبيوع ومديون[٤٥] .

وبنو تميم يصححون اليائي دون الواوي لان الياء أخف عليهم من الواو فيقولون مخيوط ومبيوع كما يقولون مضروب وذلك مطرد عندهم ، قال شاعرهم يصف الخمرة :

وكأنها تفاحة مطيوبة[٤٦]

العنعنة : ظاهرة صوتية نسبت لبني تميم[٤٧] وعنعنة تميم ابدالهم الهمزة عيناً[٤٨] ، كما يقولون « سمعت عنّ فلاناً كذا » يريدون أنّ[٤٩] ،

---

(٤٣) سيبويه ، الكتاب ، ج٢ ، ص٣٥٩ . انظر : الازهري ، شرح التصريح على التوضيح ، ج١ ص٤٢ .

(٤٤) ابن هشام ، مغني اللبيب ، ج٢ ، ص٣٤٢ .

(٤٥) ابن هشام ، أوضـح المسـالك ، ج٣ ص٣٤٣ ـ ٣٤٤ ، وانظر : الازهري ، شرح التصريح على التوضيح ، ج٢ ، ص٣٩٢ ـ ٣٩٣ .

(٤٦) ابن هشام ، أوضـح المسـالك ، ج٣ ، ص٣٤٣ ـ ٣٤٤ ، وأنظر : ابن جني ، الخصائص ، ج٣ ، ص٢١٠ .

(٤٧) أنيس ، د. ابراهيم ، اللهجات العربية ، ص٨٧ ـ ٨٨ .

(٤٨) الازهري ، تهذيب اللغة ، ص٦٨ .

(٤٩) ابن فارس ، أحمد ، الصاحبي ، ص٢٤ ، القاهرة ، ١٣٢٨هـ ـ ١٩١٠م .

ويقولون في أنك عنك وفي اسلم ، عسلم وفي اذن عذن[٥٠] وينشدون بيت ذي الرمة :

أأن ترسمت من خرقاء منزلة

أعن ترسمت[٥١]

وارتفعت لغة أهل الحجاز في الفصاحة عن عنعنة تميم[٥٢] في المفردات .

في حوبا ، لغتان ، الضم لأهل الحجاز : حُوبا والفتح لتميم : حَوْباً وقرأ الحسن « انه كان حَوْباً كبيرا »[٥٣] .

زعم : الزُعْم تميمية والزَعْم حجازية[٥٤] .

السماخ : لغة في الصماخ ، وهو والج الأذن عند الدماغ ويقال سمخي، لشدة صوته وكثرة كلامه ولغة تميم الصَمْخ[٥٥] .

كما أن أهل الحجاز يقولون للصواغ الصياغ كرهوا التقاء الواوين لا سيما فيما كثر استعماله[٥٦] ، وعن الفراء أن لغة أهل الحجاز عيق وبنو تميم تقول معيق[٥٧] .

وفي عقر لغتان أيضاً فأهل الحجاز عُقر الدار وتميم يقولون عقر

---

(٥٠) السيوطي ، جلال الدين ، المزهر ، ج١ ص٢٢١ ـ ٢٢٢ ، القاهرة لا٠ت .

(٥١) الزمخشري ، المفصل ، ج٢ ص٢١١ ـ ٢١٢ .

(٥٢) السيوطي ، المزهر ج١ ص٢١١ .

(٥٣) الازهري ، تهذيب اللغة ، ج٥ ، ص٢٧٠ .

(٥٤) أيضاً ج٢ ، ص١٥٨ .

(٥٥) أيضاً ، ج٧ ، ص١٩٥ .

(٥٦) ابن جني ، الخصائص ، ج١ ، ص٤٦٣ .

(٥٧) الازهري ، تهذيب اللغة ، ج١ ، ص٢٩٠ .

الدار ومعناه أصل الدار[٥٨] .

وفي كرها : أهل الحجاز يقرأون ما في القرآن بالفتح الا الذي في سورة البقرة فان القراء قرأوا بالضم وتميم تقرأ بالضم كُرها[٥٩] .

وفي لغب : الأصمعي يقول انه لضعيف ، ولغب ووغب وفي قوله تعالى « وما مسنا من لغوب » وأهل الحجاز يقولون أخذت برَغب رقبته ، ولغب رقبته ، وهي باللام في تميم[٦٠] .

وفي لصق : قال الليث : يقال لَصق الشيء بالشيء يلصق لصوقا وهي لغة تميم ، وقيس تقول لِسق ، وربيعة تقول لزِق وهي أقبحها[٦١] .

وفي القوم : أما بنو تميم فانهم يلحقون القاف باللهاة حتى تغلظ جداً فيقولون « القوم » فيكون بين الكاف والقاف وهذه لغة فيهم ، قال الشاعر :

ولا أكول لكدر الكوم قد نضجت

ولا أكول لباب الدار مكفول[٦٢] .

وتميم تقول : هؤلاءْ قومُك فيسكنون وأهل الحجاز يقولون هؤلاءِ .

---

(٥٨) الانباري ، ابن بشار ، الاضداد في اللغة ، ص٢٣ ، القاهرة ، ١٣٢٥هـ. وانظر كل من الاصمعي ، عبدالملك بن قريب ، كتاب الاضداد ، ص٦ ، بيروت ، ١٩١٢م . وابن السكيت ، يعقوب بن اسحاق ، كتاب الاضداد ، ص١٦٤ ، بيروت ، ١٩١٢م . وكتاب الرُحل والمنزل لابن قتيبة نسبة ، من مجموعة البلغة في شذور اللغة ، نشر الدكتور اوفست هنفر ، بيروت ، ١٩١٤م .

(٥٩) الازهري ، تهذيب اللغة ، ج٦ ، ص١٢ .

(٦٠) أيضاً ، ج٨ ، ص١٣٨ .

(٦١) أيضاً ج٨ ، ص٣٧١ .

(٦٢) ابن فارس ، الصاحبي ، ص٢٥ .

قومك يمدون ويهمزون ويخفضون[٦٣] .

ومن ذلك أمس اذا أردت به اليوم الذي قبل يومك ، فأهل الحجاز يبنونه على الكسر فيقولون « مضى أمسي ، اعتكفت أمسي ، وما رأيته مذ أمسي » بالكسر في الاحوال الثلاثة ، وافترقت بنو تميم ، فمنهم من أعربه بالضمة رفعاً وبالفتحة مطلقاً ، فقال : مضى أمسُ واعتكفت أمسَ وما رأيته مذ أمسَ بالفتح . ومنهم من أعربه بالضمة رفعاً وبناه على الكسرة نصباً وجراً[٦٤] .

فبنو تميم يعربون كلمة ولهذا جاءت رفعا على حين أن الحجازيين يبنونها على الكسرة[٦٥] .

وبنو تميم تقول في الوقف هذهْ فاذا وصلوا قالوا : هذى فلانة لأن الياء خفية ، فأبدلوا مكانها حرفاً من موضع أكثر الحروف بها مشابهة وتكون الكسرة معه أبين ، وأما أهل الحجاز وغيرهم فألزموها الهاء في الوقف وغيره[٦٥] .

والتميميون يقولون (من قد يدنهِ) فهم يصرفونها وأهل الحجاز لا يصرفونها[٦٦] .

---

(٦٣) الازهري ، تهذيب اللغة ، ج١٥ ، ص٣٦ .

(٦٤) ابن هشام ، أوضح المسالك ، ج٣ ، ص١٥٣ ـ ١٥٥ . وأنظر كل من : ابن هشام ، شرح قطر الندى وبل الصدى ، ص١٥ ـ ١٩ ، الزمخشري ، المفصل ، ج٢ ، ص٦٦ . سيبويه ، الكتاب ، ج٢ ، ص٥٠ . ابن هشام ، شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، ص٣٠ ـ ٣١ .

(٦٥) أنيس ، د. ابراهيم ، اللهجات العربية ، ص٧٤ .
(٦٦) سيبويه ، الكتاب ، ج٢ ، ص٣٤٥ .
(٦٧) ايضاً ، ص٥٤ .

الفصل الثاني

في

بناء الكلمة

تتألف الكلمة بضم بعض الأصوات الى بعض . وهذه الأصوات هي الأصوات الساكنة ، أي الأصوات التي ليست مداً ، وهي ساكنة لا يمكن النطق بها ، فاذا أريد الى النطق بها زيد عليها بعض أصوات المد سواء كانت هذه الأصوات طويلة ، وهي الألف والواو والياء ، أم كانت قصيرة وهي الفتحة والضمة والكسرة[1] .

وهناك ميل الى نسج خاص في مقاطع الكلمة فبعض القبائل تؤثر المقاطع الساكنة على المقاطع المتحركة[2] .

وقد اختلفت لغة الحجاز عن لغة تميم في بناء الكلمة حيث ان كل لغة تميل الى نسج خاص في مقاطع الكلمة .

ومن ذلك (كَلِمَة) بكسر اللام وفتح الكاف وهي لغة أهل الحجاز وبنو تميم يقولون (كِلْمَة) بكسر الكاف وسكون اللام تخفيفاً[3] .

ومن ذلك أيضا قولهم في فَخِذٌ فَخْذٌ ، وفي كَبِدٌ كَبْدٌ ، وفي عَضُدٍ عَضْدٌ وفي الرَّجُلِ رَجْلٌ وفي كَرُمَ الرجل كَرْمَ وفي

---

(١) المخزومي ، د. مهدي ، م حاضرات في فقه اللغة ، ص٣٤ .
(٢) أنيس ، د. ابراهيم ، اللهجات العربية ، ص١٢٤ .
(٣) ابن جني ، الخصائص ، ج١ ، ص٢٥ .

عَلِمَ عَلْمَ وهي لغة كثير من بني تميم أما أهل الحجاز فيقرأونها كما هي بلا تخفيف[٤] .

ومن ذلك قولهم في الفعل الماضي الثلاثي (فَعَلَ) فَعْلَ مثل : كَتَبَ كَتْبَ ، فأهل الحجاز يقرأونها بالفتح وبنو تميم يسكنون[٥] .

ومن ذلك كسر أوائل الأفعال ، وذلك في لغة جميع العرب الا أهل الحجاز ، وذلك قولهم : أنت تِعْلَمُ ذاك وأنا اعْلَمُ وهي تِعْلَمُ ونحن نِعْلَمُ ذاك ، وكذلك كل شيء قلت فيه فَعِلَ من بنات الياء والواو والتي الياء والواو فيهن لام أو عين والمضاعف ، وذلك قولك : شقيت فأنت تِشقَى ، وخَشِيتُ فأنا اخشَى وخلنا فنحن نِخال[٦] ، فأهل الحجاز على الفتح وبنو تميم على الكسر فيما ذكرنا الا اذا كان الفعل أوله ياء ، فتستوي اللغتان مثل يَسمعُ ويكون الفعل بالفتح[٧] .

ومن ذلك أيضا ما تكسر فيه الهاء التي هي علامة اضمار ، فالهاء تكسر اذا كان قبلها ياء أو كسرة لأنها خفيّة كما أن الياء خفيّة وهي من حروف الزيادة كما أن الياء من حروف الزيادة وهي من موضع الألف وهي أشبه الحروف بالياء فكما أمالوا الألف في مواضع استخفافاً كذلك كسروا هذه الهاء وقلبوا الواو ياءً لأنه لا تثبت واوٌ ساكنة وقبلها كسرة فالكسرة ههنا كالامالة في الألف لكسرة ما قبلها وما بعدها نحو : كلابٍ وعابدٍ وذلك قولك مررتُ بهِي قبلُ ولديْهِي مالٌ ومررت بدارهِي قبلُ ، وأهل الحجاز يقولون مررت بهو قبلُ ولَدَيْهُو مالٌ ويقرأون فَحَسَفنا بهو وبدارهُو

---

(٤) سيبويه ، الكتاب ، ج٢ ، ص١٨ ، ٣٠٩ . وانظر كذلك الازهري ، تهذيب اللغة ، ج١ ، ص٣٩٨ .
(٥) أنيس ، د. ابراهيم ، اللهجات العربية ، ص١٢٤ .
(٦) سيبويه ، الكتاب ، ج٢ ، ص٣٠٦ ـ ٣٠٧ .
(٧) ايضاً ، ص٣٠٨ .

الأرْضَ فان لحقت الهاء الميمْ في علامة الجمع كسرتها كراهية الضمة بعد الكسرة[٨] .

ومن ذلك أيضا تكسير ما عدة حروفه أربعة للجمع فاذا أردت أكثر العدد بنيته على فُعْلٍ وذلك ، حِمارٌ وحُمُرٌ وخِمارٌ وخُمُرٌ ، وإزارٌ وأُزُرٌ ، وفِراشٌ فُرُشٌ ، وهي لغة أهل الحجاز أما في لغة تميم فيخفف جميع هذا فتقول في حمار حُمْرٌ ، إزار أُزْرٌ ...[٩] وربما عنوا ببناء أكثر العدد أدنى العدد كما فعلوا ذلك في بنات الثلاثة وذلك قولهم ثلاثة جُدُرٍ وثلاثة كُتُبٍ . وما كان منه من بنات الواو التي الواوات فيهن عينات فانك اذا أردت بناء أدنى العدد كسرته على أَفْعِلة ، وذلك قولك خِوانٌ وأَخْوِنَةٌ ورواقٌ وأَرْوِقة وبوانٌ وأبوِنَةٌ فاذا أردت بناء اكثر العدد لم تثقل وجاء على فعْلٍ ، كلغة بني تميم في الخُمْرِ وذلك قولك خونٌ وروقٌ وبُون وانما خففّوا فُعُلاً حين أرادوا جمع قولٍ وذلك قولهم قُول[١٠] .

ومن ذلك أيضا ما كان على مفعل من (يفعل) مضموماً فهو بمنزلة ما كان من يفعل مفتوحاً فبنو تميم يكسرون فيقولون : آتيك مَطلِع الشمس أما أهل الحجاز فيفتحون[١١] .

ومنه أيضاً في الحروف الستة اذا كان واحدٌ منها عينا وكانت الفاء قبلها مفتوحة وكان فَعَلاً . ففي (فعِل) لغتان فَعَلٌ وفِعَلٌ ، اذا كان الثاني من الحروف الستة مطّرد ذلك فيهما لا ينكسر في فَعِل ولا فَعِل

---

(٨) سيبويه ، الكتاب ، ج٢ ، ص٣٥٢ . وانظر ايضا : يوهان فك ، العربية ، ص٦٦ ، القاهرة ، ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م .

(٩) سيبويه ، الكتاب ، ج٢ ، ص٢٢٥ .

(١٠) سيبويه ، الكتاب ، ج٢ ، ص٢٢٦ .

(١١) أيضاً ، ص٢٩٦ .

إذا كان كذلك كسرت الفاء في لغة تميم وذلك قولك لئيم وشهيد وسعيد ونحيف ورغيف وبخيل وبئيس ، وشهيد ولعيب وضحك ونغل ووحم ، وكذلك فُعل اذا كان صفة أفعلا أو اسما ، وذلك قولك : رجل لعب ورجل ضحك وهو ماضغ لهم وهذا رجل وعك ، ورجل جئز يقال جئز الرجل إذا غص وهذا عير نعر وفخذ ، وإنما كان هذا في هذه الحروف قد فعلت في يفعل ما ذكرت لك حيث كانت لامات من فتح العين ، ولم تفتح هي أنفسها هيهنا لأنه ليس الكلام فعيل وكراهية أن يلتبس فعل بفعل فيخرج من هذه الحروف فعل فلزمها الكسر ههنا ، وكان ذلك أخف عليهم حيث كانت الكسرة تشبه الألف فأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد كما أنهم اذا أدغموا فانما أرادوا أن يرفعوا ألسنتهم من موضع واحد وانما جاز هذا في هذه الحروف حيث كانت تفعل في يفعل ما ذكرت فصارت في قوة ليست لغيرها ، وأما أهل الحجاز فيجرون جميع هذا على القياس ، وقالوا : رؤف ورؤوف فلا ينضم لبعد الواو من الألف فالواو لا تغلب ألفا لم تقرب كقرب الياء منها كما أنك تقول ممتلك فتجعل النون ميماً ولا تقول همتلك فتدغم لأن النون لها شبه بالميم ليس بلام[١٢] .

ومن ذلك أن تبني من قلت ونحوه فعلا فتسكن عينه استثقالا للضمة فيها ، فتقول : قول كما يقول أهل الحجاز في تكسير عوان ونوار ، عون ، نور ، فيسكنون[١٣] .

ومن ذلك أيضا ما كان على (فعال) علما لمؤنث كحذام وحطام ، فأهل الحجاز يبنونه على الكسر مطلقاً فيقولون : جاءتني حذام ، ورأيت

---

(١٢) الكتاب ، سيبويه ، ج٢ ص٣٠٥ ـ ٣٠٦ .

(١٣) ابن جني ، الخصائص ، ج١ ص٥٠٠ .

حذامِ ومررت بحذامِ وعلى ذلك قول الشاعر[١٤] :ـ

اذا قالت حذامِ فصدقوها فان القول ما قالت حذامِ

اما بنو تميم فقد افترقت فرقتين ؛ فبعضهم يعرب ذلك كله بالضم رفعا وبالفتح نصباً وجراً فيقول : جاءَتني حذامُ بالضم ورأيت حذامَ ومررت بحذامَ بالفتح ، وأكثرهم يفصل بين ما كان آخره راء كوبار ، اسم قبيلة ، وحضار ، اسم لكوكب ، وسفار اسم لماء فيبنيه على الكسرة ، كالحجازيين وما ليس آخره راء كحذامِ وقطامِ فيعربه اعراب ما لا ينصرف الا القليل منهم كقوله :ـ

ومرَّ دهر على وبارِ فهلكت جهرةً وبارُ (بالرفع)[١٥]

ومن ذلك شين « العشرة » اذا كانت العشرة مركبة مختومة بالتاء سكنت شينها في لغة الحجازيين فانهم ينطقون بها ساكنة كراهة توالي أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة[١٦] .

وتكسر في لغة اكثر بني تميم[١٧] تشبيها بتاء كتف وبعضهم وهم الاقلون من بني تميم يفتحها ابقاءً على أصلها من الفتح وبذلك قرأ يزيد ابن

---

(١٤) ابن هشام ، شرح قطر الندى وبل الصدى ، ص١٣ ـ ١٥ . وانظر كل من ابن عقيل ، شرح الفية ابن مالك ، ج٢ ص٣٣٦ ـ ٣٣٧ . ابن هشام ، مغني اللبيب ، ج٢ ص٦٨٠ ـ ٦٨١ .

(١٥) ابن هشام ، شرح قطر الندى وبل الصدى ، ص١٥ . وأنظر كل من ابن هشام شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، ص٣٠ . ابن هشام ، أوضح المسالك ، ج٣ ص١٥١ ـ ١٥٣ . الزمخشري ، المفصل ، ج٢ ، ص٥٢ ـ ٥٣ .

(١٦) الازهري ، شرح التصريح على التوضيح ، ج٢ ص٣٤٤ .

(١٧) الزمخشري ، المفصل ، ج٢ ، ص١٠٦ .

القعقاع ، فانفجرت منه اثنتا عشر عيناً »[١٨] .

وسيبويه يقول : ان جاوز المؤنث العَشْرَ فزاد واحداً قلت احدى عَشرة بلغة بني تميم كأنما قلت احدى تَيقَة ، وبلغة أهل الحجاز احدى عَشَرَة كأنما قلت احدى تَمْرَة وهما حرفان جُعلا اسما واحداً ضموا احدى الى عَشْرَة[١٩] .

ويقول السيوطي : اثنتا عشَرَة عيناً قرىء بسكون الشين وهي لغة تميم وكسرها وهي لغة الحجاز[٢٠] .

كما يوجد هناك اختلاف بين اللغتين في تركيب بعض المفردات وبنيتها .

ومن ذلك مثلا (برأ) البُرْءُ هو السلامة من السقم يقال : بَرِئت وبَرأت ، يقول أهل الحجاز بَرَأت من المرض أبْرَءُ بروءاً[٢١] . وتميم تقول برأت من المرض ومن ذلك قولهم برئت اليك من حقك وأهل الحجاز أنا بَراءٌ منك وغيرهم يقولون أنا بريءٌ منك وقال الله تعالى (إنني بَراءٌ مما تعبدون) بلغة أهل الحجاز وفي غير موضع (اني بريء) . ومن قال بريء قال بريئان وبريئون وبُراء على وزن بُرعاء[٢٢] . وأهل الحجاز يقولون أنا منك بَراء وبنو تميم تقول أنا منك بريء[٢٣] وتقول برأت من

(١٨) أيضاً .
(١٩) سيبويه ، الكتاب ، ج٢ ص١٩٩ .
(٢٠) السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن ، ج١ ، ص١٨٧ .
(٢١) أبي زيد الانصاري ، سعيد بن أوس ، كتاب الهمز ، ص٦ ، بيروت ، ١٩١١م .
(٢٢) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ج١ ص٢٣٦ ، القاهرة ١٣٦٦هـ . وانظر كل من : لسان العرب ، ج١ ص٣١ . تهذيب اللغة ، ج١٥ ص ٢٦٩ .
(٢٣) السيوطي ، المزهر ، ج٢ ص٢٧٦ ـ ٢٧٧ ، القاهرة ، لا.ت .

المرض وأبرأت الرجل من الدين[٢٤] ، ومن الديون والعيوب براءة[٢٥].

ومن ذلك (قرء) وأهل الحجاز يقولون قرَ بغير همز[٢٦] . والقرء الطهر والحيض[٢٧] ، ويقولون ذهب عنك قرة البلد بالتخفيف وغيرهم يقول قرأة[٢٨] ، والقرأة واحد القروء وهو الدخول في الحيض[٢٩] .

ومن ذلك أيضا أهل الحجاز يقولون في المثنى اثنين واثنتين وثنتين في لغة تميم مطلقاً سواء أفرِدا أو ركبا مع العشرة أو أضيفا الى ظاهر أو مضمر[٣٠] .

ومن ذلك يستحيي بيائين في لغة أهل الحجاز وأما تميم فتقول يستحي بياء واحد فيحذفون احدى اليائين[٣١] .

---

(٢٤) ابن فالس ، مجمل اللغة ، ج١ ص٦٥ ، القاهرة ١٣٣٢هـ ـ ١٩١١م .

(٢٥) الجوهري ، اسماعيل بن جاد ، ج١ ص٣٦ ، القاهرة ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٦ .

(٢٦) الاصمعي ، عبدالملك بن قريب ، كتاب الاضداد ، ص٥ ، بيروت ١٩١٢م . وأنظر ، الجوهري ، الصحاح ، ج١ ص٦٥ .

(٢٧) الصغاني ، الحسن بن محمد الحسن ، ذيل كتاب الاضداد ، ص٢٤٢ ، بوير ت ، ١٩١٢م . وأنظر : أبو بشار الانصاري ، محمد قاسم ، الاضداد في اللغة ، ص٢٢ ، القاهرة ، ١٣٢٥هـ .

(٢٨) ابن السكيت ، أبي يوسف يعقوب بن اسحاق ، كتاب الاضداد ، ص١٦٣ ـ ١٦٤ ، بيروت ، ١٩١٢م .

(٢٩) السجستاني ، أبو حاتم ، كتاب الاضداد ، ص٩٨ ، بيروت ، ١٩١٢ .

(٣٠) الازهري ، شرح التصريح على التوضيح ، ج١ ص٨٠ . وانظر : ابن هشام شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، ص١٨ .

(٣١) السيوطي ، الاشباه والنظائر ، ج١ ص٤٠ ـ ٤١ ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٤٠هـ .

ومن ذلك أيضا اللذيْنِ واللتَيْنِ واللذَيّا واللتيّا وذيّا وتيّا ، تميم وقيس تشدد النون فيها تعويضاً من المحذوف أو تأكيداً للفرق[٣٢] .

ومن ذلك اختلاف أهل الحجاز وبني تميم في (هلُمَّ)[٣٣] ، هلُمَّ يا رجل ، بفتح الميم ، بمعنى تعال[٣٤] ، مركبه من ها التنبيه ومن لُمَّ أي ضمَّ نفسك الينا ، وكان الفراء يقول أصلها (هل) ضمَّ اليها أمَّ[٣٥] ، ولكنها قد استعملت استعمال الكلمة المفردة البسيطة[٣٦] وقال سيبويه : هلم في لغة أهل الحجاز يكون للواحد والأثنين والجمع والذكر والأنثى بلفظ واحد[٣٧] ولغة التنزيل أن تستعمل في جميع الاحوال ولا تظهر فيه علامة التثنية والجمع والتأنيث والتذكير[٣٨] .

وهي التزام ضميرها فتكون اسم فعل[٣٩] نحو قوله تعالى (هلُمَّ الينا) وبنو تميم يجعلو هلُمَّ فعلا صحيحاً ويجعلون الهاء زائدة فيقولون هلُمَّ يا رجل وللأثنين هلُمّا وللجميع هلموا وللنساء هَلُمْنَ لأن المضى ألُمْنَ[٤٠] .

ومن ذلك أن تميم تقول المِغزَل والمِطرَف والمِصحف وغيرهم

---

(٣٢) ابن هشام ، أوضح المسالك ، ج١ ص٩٨ .

(٣٣) ابن جني ، الخصائص ، ج١ ص١٧٢ .

(٣٤) الجوهري ، الصحاح ، ج٥ ص٢٠٦ .

(٣٥) الفيروز آبادي ، مجد الدين ، القاموس المحيط ، ج٤ ص١٩١ ، القاهرة ١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٥م . وانظر : ابن فارس ، الصاحبي ، ص١٤٦ .

(٣٦) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٢ ، ص٦١٧ ـ ٦١٨ .

(٣٧) الزمخشري ، المفصل ، ج٣ ص٤٥ .

(٣٨) الزجاج ، اعراب القرآن ، ص١٥٤ ـ ١٥٥ ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

(٣٩) السيوطي ، الاشباه والنظائر ، ج٣ ص٢٠٢ .

(٤٠) الازهري ، تهذيب اللغة ، ج٦ ص٣١٦ ـ ٣١٧ .

يقولون المُطرَف والمُغزَل والمُصحَف[41] .

و (حيث) أيضا فيها لغتان واللغة العالية حيثُ ، الثاء مضمومة وهو اداة للرفع ترفع الاسم بعده . ولغة أخرى (حَوْثَ) رواية عن العرب لبني تميم[42] .

كما أن (الهوْن) في لغة قريش الهوان وبعض بني تميم يجعل الهَوْن مصدراً للشيء الهيّن[43] .

وفي (من) بنو تميم يقولون هو مَنٌ ، ومنّان ، وأمنان وأهل الحجاز يقولون ، هو منّا ، ومنّوان ، وأمناء ، ومن أومناً للكيل أو للوزن الذي يكيلون به السمن وغيره[44] .

وفي (هناء) تميم تقول هناءٌ [هَنَأٌ] وقيس [هِنَأٌ][45] .

ومن ذلك أيضاً (آمين) تميم تصرفه اذا سمي به رجل وأهل الحجاز تقرأه على الحكاية ولم يعربوه[46] .

وكذلك (هيهات) بفتح التاء لغة أهل الحجاز وبكسرها لغة اسد وتميم ، فأهل الحجاز يقولون هيهاتَ وتميم تقول هيهاتِ[47] .

و (هيت) لغة وقعت لأهل الحجاز فتكلموا بها ومعناها تعال[48] .

---

(41) أيضاً ، ج٤ ص٢٥٤ .
(42) أيضاً ، ج٥ ص٢١٠ .
(43) أيضاً ، ج٦ ص٤٤٢ .
(44) أيضاً ج١٥ ، ص٥٣٠ .
(45) أبي زيد الانصاري ، كتاب الهمز ، ص٢٤ .
(46) الزجاج ، اعراب القرآن ، ج١ ص١٥٢ .
(47) الزمخشري ، المفصل ، ج٢ ص٥٢ .
(48) ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ج٢ ص٢٩٥ .

ولغة أهل الحجاز : بعدٌ لَهُ وسُحْقٌ يجعلونه اسماً وتميم تقول بعداً له وسُحقاً[٤٩] .

ويقول السيوطي عدة ألفاظ اختلفت فيها لغة الحجاز عن لغة تميم[٥٠]، نذكرها هنا .

أهل الحجاز يقولون يَبْطِش ، وتميم تقول يَبطُش وأهل الحجاز يقولون مِرْيَة ، وتميم تقول مَرْية ، وأهل الحجاز يقولون الحِصاد وتميم تقول الحَصاد . أهل الحجاز يقولون الحِج وتميم تقول الحَج .

أهل الحجاز يقولون تخذت ووخذت ، تميم تقول اتخذت . أهل الحجاز يقولون رِضوان وتميم تقول رَضوان . وأهل الحجاز يقولون سَلْ ربك وتميم تقول اسأل . أهل الحجاز يقولون على رُعمه وتميم تقول على زَعمه . أهل الحجاز يقولون جونة بلا همز وتميم تقول جؤنه بالهمز . أهل الحجاز يقولون قَلَنْسيه وتميم تقول قَلَنسوة . أهل الحجاز يقولون هو الذي ينقد الدراهم وتميم تقول ينتقد . أهل الحجاز يقولون القير وتميم تقول القار . أهل الحجاز يقولون زُهد وتميم تقول زَهد . أهل الحجاز يقولون طُنفسة وتميم تقول طَنفسة . أهل الحجاز يقولون القِنية وبنو تميم تقول القُنوة . أهل الحجاز يقولون الكراهة وتميم تقول الكَراهية . أهل الحجاز يقولون ما رأيته مذ يومين ومذ يومان وتميم على الأعراب ويختلفون في مذ فيجعلها أهل الحجاز بالنون وتميم بلا نون . أهل الحجاز يقولون مزرعة ومقبرة ومنهرعة وتميم مزرعة ومقبرة ومشرعة . أهل الحجاز يقولون لاتهُ عن وجهه يليتُه وتميم تقول ألاته يُليتُه . أهل الحجاز يقولون ليست له همة الا الباطل وتميم تقول ليس له همة الا الباطل . أهل الحجاز

---

(٤٩) الازهري ، تهذيب اللغة ، ج٤ ص٢٤ .

(٥٠) السيوطي ، المزهر ، ج٢ ص٢٧٥ ـ ٢٧٧ .

يقولون حقد يحقد وتميم تقول حقد يحقد • أهل الحجاز يقولون الدفّ أهل الحجاز يقولون عرِض لفلان شيء تقديره عَلِمَ وتميم تقول عَرَض له شيء تقديره ضرب ، أهل الحجاز يخففون الهدّي ويجعلونه كالرّي وتميم يشددونه فيقولون الهدي كالعشيّ والشقيّ • أهل الحجاز يقولون قَلَوْتُ البُرّ وكل شيء يُقلى فأنا أقلوه قَلْوا ، وتميم تقول قَلَيْتُ البُرّ فأنا أقليه قِلِيّ • أهل الحجاز يقولون تركته بتلك العَدْوة وأوطأته عَشْوة ولي بك اسْوة وقِدْوَة وتميم تضم أوائل الأربعة • أهل الحجاز يقولون لعمري وتميم تقول لعملي • أهل الحجاز يقولون هذا ماء شرب وتميم تقول هذا ماء مشروب • أهل الحجاز يقولون شربت الماء شرباً وتميم تقول شربت الماء شربا • أهل الحجاز يقولون غرفت الماء غرفة وتميم تقول غرفة • أهل الحجاز يقولون الشَفع والوَتر بفتح الواو وتميم بكسرها • أهل الحجاز يقولون أوصدت الباب اذا اطبقت شيئاً عليه ، وتميم تقول آصدت • أهل الحجاز يقولون الوكاف وقد أوكفت وتميم تقول الإكاف وقد آكفت • أهل الحجاز يقولون وكّدت توكيداً وتميم تقول أكّدت توكيداً • أهل الحجاز يقولون هي التمر ، وهي البُرّ وهي الشعير ، وهي الذهب ، وهي البُسر . وتميم تذكر هذا كله • أهل الحجاز يقولون الوَلاية في الدين والتَوَلي مفتوح وفي (السلطان) مكسور وتميم تكسر الجميع • أهل الحجاز يقولون ولّدته لتسام مفتوح وتميم تكسره •

والنخل يؤنثه أهل الحجاز ويذكره سائر الناس[٥١] وكثير من بني تميم والعرب الذين يقلبون الكسرة فتحة في المعتل اللام فتنقلب ألفا فتقول رؤَى تريد بفتح الهمزة[٥٢] •

---

(٥١) السجستاني ، أبو حاتم ، كتاب الاضداد ، ص ٧٤ •

(٥٢) الازهري ، شرح التصريح على التوضيح ، ج٣ ، ص٣٥٦ •

الفصل الثالث

في

الجملة والنحو

النحو كان في نشأته أداة لتقويم الألسنة التي فسدت سليقتها بما كان من تطور للمجتمع الأسلامي في الفترة المتقدمة من تأريخ الاسلام وذلك باختلاط العرب بغيرهم من الامم التي اسلمت[1] ، فان المسلمين الاوائل ضبطو اللغة العربية بمقاييس لضبط قراءة القرآن فجعلوا للغة العربية قياساً يقيسون عليه الصحيح من الخطأ وسمي هذا القياس فيما بعد بعلم النحو .

فالنحو قياس يقيسون به الكلام فهو كما قال الكسائي :

انما النحو قياس يتبع وبه في كل امر ينتفع

وان الذين عنهم نقلت العربية هم قيس وتميم واسد وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب[2] .

وبما أن هناك اختلافاً بين اللغتين لغة أهل الحجاز ولغة تميم وهما من اللغات التي يقاس عليها في النحو فسأذكر مواضع اختلاف اللغتين في الجمله.

من هذه المواضع ليس ، وما ، لا ، ان المشبهات بليس .

---

(١) السامرائي ، د. ابراهيم ، النحو العربي ، ص٧٣ ، بيروت لا.ت .
(٢) أيضا ، ص٣٦ .

أما ليس ، فتهمل اذا اقترن خبرها بالا عند أهل الحجاز والا فهي تعمل[٣] ، واذا قيل بأن ليس حرف فلا اشكال وكذا اذا قيل فعل يشبه الحرف ولهذا أهملها بنو تميم اذ قالوا « ليس الطيبُ الا المسكُ » بالرفع[٤] فان بني تميم يرفعونه حملاً لها على (ما) في الأهمال عند انتقاض النفي[٥] .

كما لا يجوز الاضمار في ليس كالاضمار في انَّ في ما في لغة أهل الحجاز لأنه لا يكون فيه اضمار فلا يجوز أن تقول : « ما زيداً عبدالله ضارباً » ، فان رفعت الخبر حَسُن حمله على اللغة التميمية كأنك قلت : « أما زيداً فأنا ضاربٌ »[٦] .

وأما (ما ، لا) المشبهات بليس ، فهذا التشبيه لغة أهل الحجاز ، وأما بنو تميم فيرفعون ما بعدها على الابتداء[٧] .

أما (ما) فلغة بني تميم لا تعمل شيئاً فتقول : ما زيدٌ قائمٌ ، فزيدٌ مرفوع بالابتداء وقائمٌ خبره وذلك لان (ما) لا يختص لدخوله على الاسم والفعل (ما زيدٌ قائمٌ ، ما يقوم زيدٌ) وما لا يختص فحقه أن لا يعمل[٨] . ولغة أهل الحجاز ان (ما) كليس ما دامت في معناها[٩] ، لشبهها بها في أنها

---

(٣) ابن هشام ، مغني اللبيب ، ج١ ص٢٩٤ . وانظر أنيس ، د. ابراهيم ، اللهجات العربية ص٦٧ .

(٤) سيبويه ، الكتاب ، ج١ ص٤٨ ـ ٤٩ .

(٧) الزمخشري ، المفصل ، ج١ ص٢٤١ . وانظر الرماني ، أبو الحسن علي بن عيسى ، منازل الحروف ، رسائل في النحو واللغة ، الرسالة الثالثة ، تحقيق د. مصطفى جواد ، ص٦٠ ، بغداد ١٩٦٨م .

(٨) ابن عقيل ، شرح الفية ابن مالك ، ج١ ص٣٠٢ .

(٩) سيبويه ، الكتاب ، ج١ ص٧٩ . وانظر : ابن جني ، الخصائص ، ج١ ص٤١٠ .

لنفي الحال عند الاطلاق فشبهها العام شبهها بالحروف غير المختصة في كونها تلي الاسماء والافعال وشبهها الخاص شبهها بليس ، فمن راعى الشبه العام لم يعملهـــا وهم بنو تميـــم ومن راعـــى الشـــبه الخاص أعملهـــا وهم الحجازيون[١٠] ، ولا عمالهم اياها أربعة شروط[١١] :ـ

١ ـ ألاّ يقترن اسمها بان الزائدة ، (بني غدانة ما ان أنتم ذهبُ) .

٢ ـ ألاّ يتقدم خبرها على اسمها ، (ما مسيءٌ من أعتب) .

٣ ـ ألاّ ينتقض نفي خبرها بالا (وما محمدٌ الا رسولٌ) .

٤ ـ ألاّ يتقدم معمول خبرها على اسمها كقوله :

وما كل من وافى منىً أنا عارف

وقد ذكر ابن عقيل شروط لاعمالها فزاد على الأربعة شرطين :

١ ـ الاّ تكرر ما ٢ ـ الاّ يبدل خبرها بموجب[١٢] .

ويذكر ابن هشام في شرح قطر الندى ثلاثة شروط فقط[١٣] .

كما تزاد الباء بعد (ما) الحجازية والتميمية نحو قولك : (ما زيدٌ بمنطلقٍ)[١٤] .

---

(١٠) السيوطي ، السيوطي ، الاشباه والنظائر ، ج١ ص٢٤٦ .

(١١) ابن هشام ، اوضح المســـالك ، ج١ ص١٩٥ . وانظر كل من : الازهري ، شرح التصريح على التوضيح ، ج١ ص٢٣٥ . ابن هشام ، شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، ص٥٢ .

(١٢) ابن عقيل ، شرح الفية ابن مالك ، ج١ ص٣٠٤ ـ ٣٠٦ .

(١٣) ابن هشام ، شرح قطر الندى وبل الصدى ، ص١٤٣ .

(١٤) ابن عقيل ، شرح الفية ابن مالك ، ج١ ص٣٠٩ . وانظر الزمخشري، المفصل ، ج١ ص٢٤١ .

وأما (لا) فمذهب الحجازيين إعمالها اعمال ليس ومذهب تميم إهما لها[١٥] ، ولا تعمل الا بثلاثة شروط وهي :ـ

١ ـ أن يكون الاسم والخبر نكرتين (لا رجلَ أفضل منك) .

٢ ـ ألاّ يتقدم خبرها على اسمها ، فان تقدم رفع فلا يقال (لا قائمـاً زيدٌ) .

٣ ـ ألاّ ينتقض النفي بإلا .

ومن ذلك خبر لا النافية للجنس . فاذا دل دليل عـلى خبر (لا) النافية للجنس وجب حذفه عند التميميين وكثر حذفه عند الحجازيين ومثال ذلك أن يقال : « هل من رجلٍ قائم » فتقول : (لا رجلَ) وتحذف الخبر وجوباً عند التميمين وجوازاً عند الحجازيين[١٦] .وبنو تميم لا تلفظ بخبر (لا) الا أن يكون ظرفاً[١٧] .

ومن ذلك أيضاًالاستثناء المنقطع ، فان كان الاستثناء منقطعا ، وهو ما لا يكون المستثنى منه بشرط أن يكون ما قبل الا دالاً على ما يستثنى فيجوز (ما قام القومُ الا حماراً) ويمتنع (ما قام القوم الا ثباتاً) وفي ذلك تفصيل ، فانه تارة يمكن تسليط العامل وتارة لا يمكن ، فان لم يمكن تسليط العامل على المستثنى وجب النصب في المستثنى اتفاقا من الحجازيين والتميميين[١٨] .

---

(١٥) ابن عقيل ، شرح الفية ابن مالك ، ج١ ص٣١٢ ـ ٣١٣ ، ٣١٩ . وانظر الازهري ، شرح التصريح على التوضيح ج١ ص٢٣٨ .

(١٦) الزمخشري ، المفصل ، ج١ ص٨٩ . وانظر كل من ابن عقيل ، شرح الفيو ابن مالك ، ج١ ص٤١٣ . ابن هشام ، شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، ص٥٤ . ابن هشام ، مغني اللبيب ، ح٢ ص٦٠٤ .

(١٧) السيوطي ، الاشباه والنظائر ، ج١ ص٧٠ ، ٢٤٠ ، ٢٨٤ . وانظر : الازهري ، شرح التصريح على التوضيح ، ج١ ص٢٩٧ ـ ٢٩٨ .

(١٨) الازهري ، شرح التصريح على التوضيح ، ج١ ص٤٢٥ ـ ٤٢٦ .

فان كان الاستثناء منقطعا وأمكن تسليطه فالحجازيون يوجبون النصب وعليه قراءة السبعة (ما لهم به من علم الا اتباعَ الظن)[١٩] ، وبنو تميم يجيزون النصب ويقرأون (الا اتباعُ الظن) بالرفع[٢٠] كما يقولون (ما مررت بالقوم الا حمارٍ)[٢١] .

ومن ذلك (عسى) من أفعال المقاربة ، اختصت (عسى) من بين سائر أفعال هذا الباب بأنها اذا تقدم عليها اسمٌ جاز أن يضمر فيها ضمير يعود على الاسم السابق ، وهذه لغة تميم . وجاز تجريدها من الضمير ، وهذه لغة الحجاز وذلك نحو (زيدٌ عسى أن يقوم) فعلى لغة تميم يكون في (عسى) ضمير مستتر يعو على (زيد) و (أن يقوم) في موضع نصب لـ (عسى) وعلى لغة الحجاز لا ضمير في (عسى) و (أن يقوم) في موضع رفع لـ (عسى)[٢٢] .

ومن ذلك أيضاً تمييز (كم) الخبرية ، فلهجة تميم تنصب تمييز (كم) الخبرية مفرداً ولهجة غيرهم توجب جره وتجيز افراده وجمعه فبنو تميم يقولون : كم درهما أنفقت ، وغيرهم : كم درهم أنفقت[٢٣] .

---

(١٩) ابن هشام : أوضح المسالك ، ج٢ ص٦٣ ـ ٧٠ . وانظر كل من : ابن هشام : مغني اللبيب ، ج٢ ص٥٩٨ ، ابن هشام : شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، ص٦٥ ، الزمخشري : المفصل ، ج١ ص١٩٧ ، سيبويه : الكتاب ، ج١ ، ص٤٢٦ ، السيوطي : الاتقان في علوم القرآن ، ١ج ص١٣٦ .

(٢٠) ابن هشام ، شرح قطر الندى وبل الصدى ، ص٢٤٦ .

(٢١) ابن عقيل ، شرح الفية بن مالك ، ١ج ص٦٠٠ .

(٢٢) ابن عقيل ، شرح الفية ابن مالك ، ١ج ص٣٤٣ .

(٢٣) ابن هشام : مغني اللبيب ، ج١ ص١٨٥ . وانظر كل من ابن هشام : أوضح المسالك ، ج٣ ص٢٢٨ ، أنيس : د. ابراهيم ، اللهجات العربية ، ص٦٤ .

كما أن أهل الحجاز يقولون اذا قال الرجل (رأيت زيداً) واذا قال : (مررت بزيدٍ) قالوا : (من زيدٍ) واذا قال : (هذا زيدٌ) قالوا : (من زيدٌ) ، وأما بنو تميم فيرفعون على كل حال وهو أقيس القولين ، فأما أهل الحجاز فانهم حملوا قولهم على أنهم حكوا ما تكلّم به المسؤول كما قال بعض العرب دعنا من تمرتان على الحكاية[٢٤] .

ومن ذلك ما ينتصب من المصادر لأنه حال صار فيه المذكور ، وذلك قولك : « أما علماً فلا علمَ له ، واما علماً فلا علم عنده ، وأما عِلْماً فلا علمَ ، تضمرُ له لأنك انما تعني رجلاً ، وقد يرفع هذا في لغة بني تميم ، والنصب في لغتهم احسن لأنهم يتوهمون الحال فاذا أدخلت الألف واللام رفعوا لأنه يمتنع من أن يكون حالاً ، وقد ينصب أهل الحجاز في هذا الباب بالألف واللام لأنهم قد يتوهمون في هذا الباب غير الحال ، وبنو تميم لا يتوهمون غيره فمن ثم لم ينصبوا في الألف واللام وتركوا القُبْحَ ، فكأن الذي توهّم أهل الحجاز الباب الذي ينتصب لأنه موقوعٌ له ، نحو قولك فعلتُه مخافة ذلك ، وذلك قولهم : (أما الثُّلَّ فنيلٌ)[٢٥] .

ومن ذلك ما جُعل من الاسماء مصدراً كالمضاف ، كما في لغة أهل الحجاز مررت بهم ثلاثتهم وأربعتهم وكذلك الى العشرة ، وأما بنو تميم فيجرّونه على الأسم الاول ان جراً فجرٌ ، وان نصباً فنصبٌ ، وان رفعاً فرفعٌ »[٢٦] .

---

(٢٤) سيبويه ، الكتاب ، ج١ ص٤٧٢ ، وانظر كل من الزمخشري ، المفصل ، ج٢ ص٤١ ، ابن هشام : أوضح المسالك ، ج٣ ص٢٢٣ .

(٢٥) سيبويه ، الكتاب ، ج١ ، ص٢٢٥ .

(٢٦) ايضاً ، ص٢١٩ .

الخاتمة

وختاماً لهذا البحث أذكر هنا بعض الألفاظ التي اختلفت اللغتان في معناها أو أنها اختصت بلغة أهل الحجاز دون تميم وبالعكس ، وهذه الألفاظ هي :

أرف : الأرف ، المعالم والحدود وهذا كلام أهل الحجاز ، يقال منه ، أرّفت الدار والأرض تأريفاً اذا قسمتها وحددتها[١] .

الأثلب : بلغة أهل الحجاز الحجر ؛ وبلغة بني تميم التراب[٢] .

جريد : الجريدة ، سعفة رطبة جُرِدَّ عنها خوصها كما يقشر الورق عن القضيب ، وهو الجريدُ عند أهل الحجاز ، واحدته جريدة ، وهو الخوص[٣] .

دمك : عن الأصمعي ، السّاف في البناء : كل صف من اللّبن وأهل الحجاز يسمونه المِدّماك[٤] .

الثّاية : غير مهموز حجازية تُرفع لتكون علماً بالليل للراعي اذا

---

(١) الازهري ، تهذيب اللغة ، ج١٥ ص٢٤٦ .

(٢) أيضاً ، ص٩١ .

(٣) أيضاً ، ج١٠ ص٦٣٩ .

(٤) أيضاً ، ص١٣١ ، وأنظر : البلغة في شذور اللغة ، كتاب الرحل والمنزل ، نشر الدكتور هنفر والاب ل . شيخو ، ص١٢٨ ، م / الكاثوليكية ، بيروت ١٩١٤ .

رجع اليها[٥] .

ركز ، اختلف أهل العراق وأهل الحجاز في الرِّكاز ، فقال أهل الحجاز : انها الرِّكاز المال المدفون خاصَّةً مما كنزوه بنو آدم قبل الأسلام ، وقال أهل العراق الرِّكاز : المعادن كلها[٦] .

سبط : لغة أهل الحجاز ، رجل سبِط الشعر وامرأة سَبِطة وقد سبِط شعره سُبُوطة ، والسبط ، الشعر الذي لا جعود فيه[٧] .

السدفة : حرف من الاضداد فبنو تميم يذهبون الى أنها الظلمة وقيس يذهبون الى أنها الضوء ، وقال الأصمعي : يقال أَسْدِف أي تنحَّ عن الضوء وقال غيره : أهل مكة يقولون للرجل الواقف على البيت أسدف يا رجل أي تنحَّ عن الضوء حتى يبدو لنا[٨] .

عد : العِد ، الماء العِدّ بلغة تميم الكثير وهو بلغة بكر بن وائل الماء القليل[٩] .

قرع : تميم تقول : خُفان مُقرَعان أي منقلان[١٠] .

القلْت : في كلام أهل الحجاز نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء فيغرق فيها الجمل والفيل لو سقط فيها . والقلت في لغة تميم وغيرهم نقرة صغيرة

---

(٥) ابي زيد الانصاري ، كتاب النوادر في اللغة ، ص١٩٥ ، بيروت ١٩١٤ .

(٦) الازهري ، تهذيب اللغة ، ج١٠ ص٩٥ .

(٧) أيضا ، ج١٢ ص٣٤٣ .

(٨) ابن بشار الانباري ، الاضداد في اللغة ، ص٩٧ .

(٩) الازهري ، تهذيب اللغة ، ج١ ص٨٨ .

(١٠) الازهري ، تهذيب اللغة ، ١ج ص٢٣٣ .

في الجبل يجتمع فيها الماء ، وهي مؤنثة يقال في تصغير قُلَيْته وفي جمعها قِلات[11] .

لفم : تميم تقول : تلثمت على الفم ؛ وغيرهم يقول تلفّمت وقال الفراء : يقال من (اللِّثام) لَفَمت الفم ، فاذا كان على طرف الأنف فهو اللفام ، واذا كان على الفم ، فهو اللثام[12] .

---

(١١) ابن بشار الانباري ، الاضداد في اللغة ، ص٣٦٩ .

(١٢) الازهري ، تهذيب اللغة ، ج١٥ ص٣٦٧ . وانظر ابن السكيت ، مختصر تهذيب الالفاظ ، ص٤٠٥ ، بيروت ١٨٩٧م .

ثبت المصادر والمراجع

ابن الجزري ، محمد بن محمد الدمشقي ، النشر في القراءات العشر ، ج١ ـ ٢ ، القاهرة ، لا.ت .

ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، ج١ ـ ٣ ، تحقيق محمد علي النجار ، القاهرة ، ١٣٣١هـ ـ ١٩١١م .

ابن السكيت ، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق ، كتاب الأضداد ، بيروت ، ١٩١٢م .

ـــــــ ، مختصر تهذيب الألفاظ ، بيروت ، ١٨٩٧م .

ابن عقيل ، شرح الفية ابن مالك ، ج١ـ٢ ، القاهرة ، ط/١٤ ، ١٣٨٤هـ ـ ١٩١٤م .

ابن فارس ، أحمد ، معجم مقاييس اللة ، ج١ ـ ٦ ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، القاهرة ، ١٣٦٦هـ .

ـــــــ ، المجمل في اللغة ، القاهرة ، ١٣٣٢هـ ـ ١٩١٤م .

ـــــــ ، الصاحبي ، القاهرة ، ١٣٢٨هـ ـ ١٩١٠م .

ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم ، كتاب الرحل والمنزل ، البلغة في شذور اللغة ، نشر الدكتور اوغست هفنر ، بيروت ، ١٩١٤م .

ابن منظور ، لسان العرب ، ج (١ ، ٣) ، بيروت ، ١٩٥٤م ـ ١٣٧٤هـ .

ابن هشام ، مغني اللبيب ، ج١ ـ ٢ ، بيروت لا.ت .

ـــــــــ ، شرح قطر الندى وبل الصدى ، القاهرة ، ط/١١ ، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م .
ـــــــــ ، أوضح المسالك ، ج١ ـ ٣ ، القاهرة ، ط/٤ ، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م .
ـــــــــ ، شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، القاهرة ، ١٣١٠هـ .
أبو زيد ، سعيد بن أوس الأنصاري ، النوادر في اللغة ، بيروت ١٩١٤م .
ـــــــــ ، كتاب الهمز ، بيروت ، ١٩١١م .
الأزهري ، خالد بن عبدالله ، شرح التصريح على التوضيح ، القاهرة ، ١٢٩٤هـ .
الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد ، تهذيب اللغة ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م .
الأصمعي ، عبدالملك بن قريب ، كتاب الاضداد ، بيروت ، ١٩١٢م .
الأنباري ، أبو محمد قاسم بن محمد بن بشر الأنباري ، الأضداد في اللغة ، القاهرة ، ١٣٢٥هـ .
الجوهري ، اسماعيل بن حماد ، الصحاح ، ج١ ـ ٥ ، القاهرة ، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م .
الرماني ، أبو الحسن بن علي بن عيسى ، منازل الحروف ، الرسالة الثالثة ، رسائل في النحو واللغة ، تحقيق مصطفى جواد ، بغداد ، ١٩٦٩م .
الزجاج ، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد السري ، اعراب القرآن ، ج١ـ٢ ، تحقيق الأبياري ، القاهرة ، ١٩٦٣م .
الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر ، المفصل في علم اللغة ، ج١ ـ ٢ ، القاهرة ، لا.ت .
سيبويه ، عمرو بن عثمان ، الكتاب ، ج١ ـ ٢ ، ط/٢ ، ١٩١٢م .
السيوطي ، جلال الدين ، الاتقان في علوم القرآن ، ١ج ـ ٢ ، القاهرة ، ١٣٦٨هـ .

ـــــــــ ، المزهر ، ج١ ـ ٢ ، القاهرة ، لا٠ت ٠
ـــــــــ ، الاشباه والنظائر ، ج١ ـ ٤ ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٦١هـ ٠
الصغاني ، الحسن بن محمد بن الحسن ، ذيل كتاب الاضداد ، بيروت ، ١٩١٢م ٠
الفيروز آبادي ، مجد الدين ، القاموس المحيط ، ج٤ ، القاهرة ، ١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٥م ٠
أنيس ، د٠ ابراهيم ، اللهجات العربية ، القاهرة ، لا٠ت ٠
السامرائي ، د٠ ابراهيم ، النحو العربي ، بيروت ، ١٩٦٨م ٠
المخزومي ، د٠ مهدي ، محاضرات في فقه اللغة ، القيت على طلاب كلية اصول الدين ، السنة الرابعة ، ١٩٧٠م ٠
يوهان فك ، العربية دراسات في اللغة واللهجات والاساليب ، القاهرة ، ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م ٠

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٢٩٥ لسنة ١٩٧٢